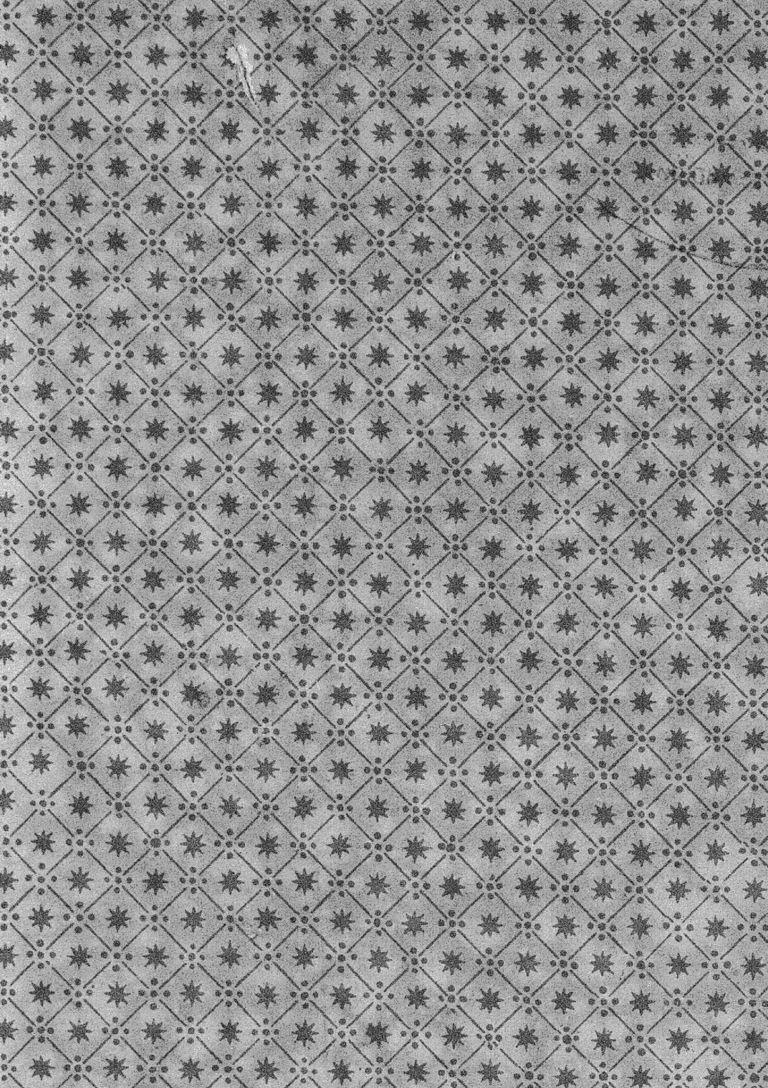
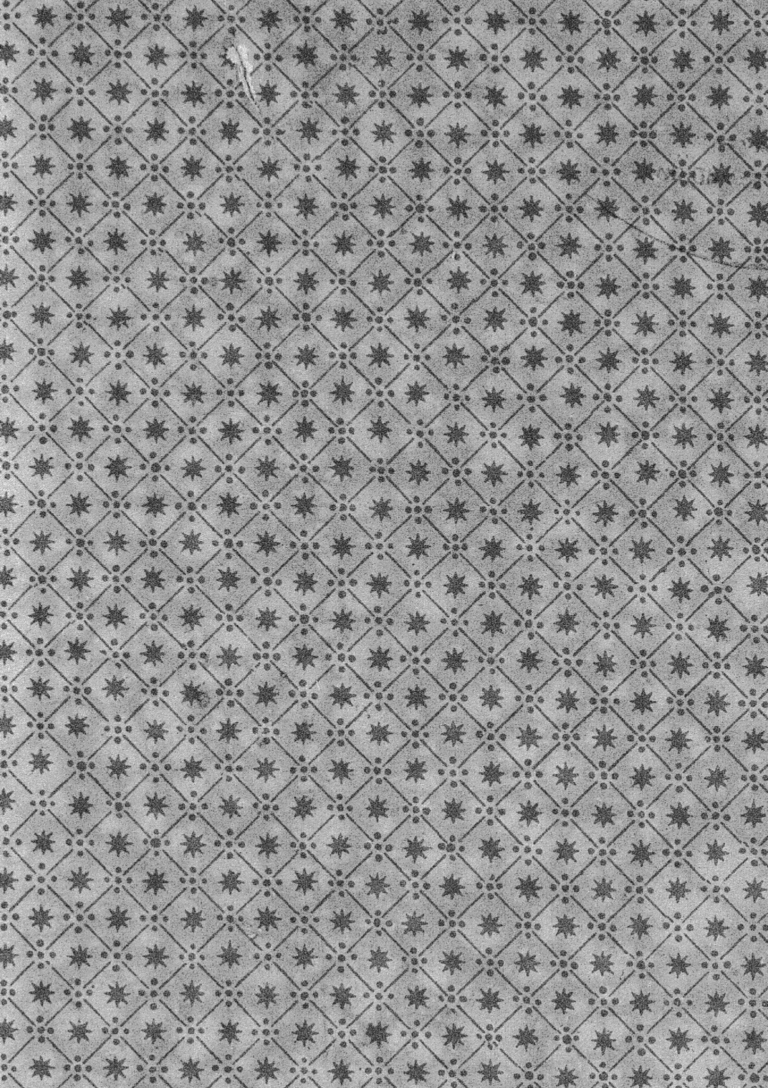
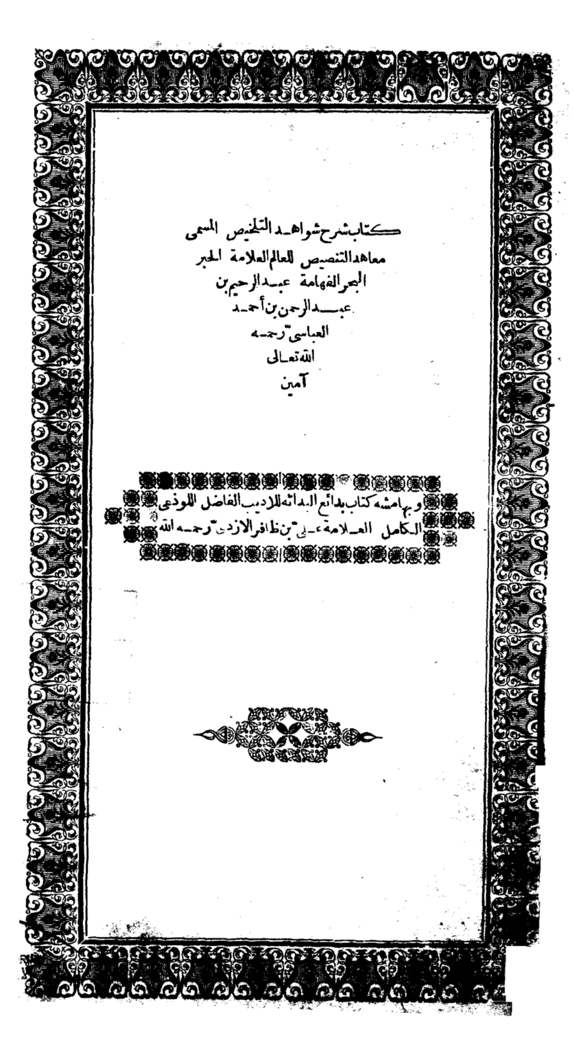


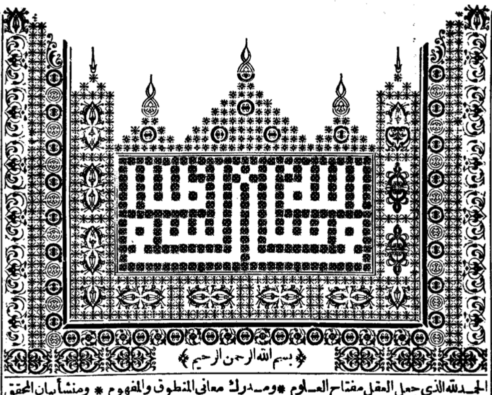






كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى
معاهد التنصيص للعالم العلامة الحبر
البحر الفهامة عبد الرحيم بن
عبد الرحمن بن أحمد
العباسي رحمه
الله تعالى
آمين

وبهامشه كتاب بدائع البدائه للاديب الفاضل اللوذعي
الكامل العلامة علي بن ظافر الازدي رحمه الله



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل العقل مفتاح العلوم * ومدرك معاني المنطوق والمفهوم * ومنشأ بيان المحقق والموهوم * ومظهر بديع المنثور والمنظوم * أحمده حمد من بجزيل نعمه اعترف * وأشكره شكر من وردمناهل فضله واغترف * وأشهد أنه الرب الرحمن * الذي خلق الانسان وعلمه البيان * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله * وحبيبه وخليله * الذي تلخص الدين بارشاده أحسن تلخيص * وتخلص متبع هديه من الجحيم أعظم تخليص * فكانت بعثته مفتاح باب الخيرات * والطريق الموصل الى منهج المبرات * صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام * وصحبه الائمة الاعلام * ما أغرب مبتدئ ببديع النظام * وأعجب منتهٍ بحسن الختام ﴿وبعد﴾ فان الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * نظر الله اليه بعين العفو والغفران * ورضي عنه أتم الرضوان * لما كان متحليا بحلية العلماء * مستشعرا شعار الفضلاء * وبرد الشبيبة قشيب * وغصن الصبا رطيب * ومربع الاماني خصيب * والسعادة تلحظه عيونها * وتتوارد عليه أبكارها وعونها * لم يزل في خدمة العلم وتأليفه * وترتيبه وتصنيفه * بقدر ما يصل اليه علمه القاصر * وحسب ما ينفذ فيه فهمه الفاتر * وكان من جملة ما حفظه من المتون * وعلق بخاطره من الفنون * كتاب تلخيص المفتاح * الذي هو في بابه راحة الارواح * تغمد الله مؤلفه برحمته ورضوانه * وأسكنه بحابح جنانه * وفيه من الشواهد الشعرية ما يعزى للاقدمين * وما ينسب للمولدين * الا أن أكثرها مجهول الانساب * مغفول الاحساب * وربما عزاه بعض شارحي الكتاب لغير قائليه * ونسبه الى غير أبيه * اما الاشتباه في الاوزان * أو تماثل في المعان * ولم أر من عمل على تلك الشواهد شرحا يشفي العليل * أو يروي الغليل * غير أن شيخنا المرحوم العلامة الجلال السيوطي سقى الله من صوب الرحمة ثراه * وأكرم منزله ومثواه * عمل على بعضها تعليقا لطيفا لم يكمله ولم يخرج عن مسودته وكثيرا ما كانت نفسي تنازعني للتصدي لذلك * وأقول لها لست هنالك * وأعللها بالمواعيد * وهي تقرب الي البعيد * وتسول لي انه أقرب الي من حبل الوريد * فيقوى العزم * ويستعمل الجزم * ويهمل الاخذ بالحزم * الى أن آن أوانه * وحان ابانه * فشمرت عن ساعد الاجتهاد * واستعملت الجد في تحصيل ذلك المراد * وسلكت فيه منهج الاختصار * ومدرج الاقتصار * ونصيت على أبحر تلك الشواهد العروضيه * ووضعت في كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الادبيه * وذكرت ترجمة قائله الامام أطلع عليه بعد التفتيش في

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
اللهم أسبل علينا سترك الجميل * وأسبغ لدينا عطاءك الجزيل * وامنحنا رضاك الذي هو غاية التأميل * واكفنا سخطك الذي هو النهاية في التنكيل * واحرسنا بعينك * وأيدنا بعونك * واكنفنا بعزك * وصنا بحرزك * ووفقنا لذكرك وأعنا على حمدك وشكرك * فانه لا توفيق الا منك * ولا عون الا بك * ولا صيانة الا من عندك * ولا حراسة الا لمن شملته عنايتك * ولا سعادة الا لمن وسعته رحمتك * اللهم انك أمرت فعصينا * ونهيت فما انتهينا * وأضأت فما اهتدينا * وسننت فما اقتدينا * وندبتنا الى القرب منك فأبينا * ثقة بانك رؤف رحيم * واعتمادا على أنك لطيف حليم * وسكونا الى أنك عطوف كريم * فلا تخيب فيك الظن * ولا تكذب فيك الامل ولا تقطع أسباب الرجاء ولا تكلنا الى اقامة الحجة فانها داحضه ولا الى بسط المعذرة فانها قاصره * وشفع فينا خاتم أنبيائك الذي هو سيدهم حقا * وآخرهم بعثا وأولهم خلقا * محمد الذي شرفت قدره * وشرحت بالنور صدره * ورفعت ذكره * وأذهبت

كتب

كتب الادب * والتحري والاستقصاء في الطلب * ومزجت فيه الجد بالهزل * والحزن بالسهل (وسميته عماهد التنصيص * على شواهد التلخيص) فجاء بحمد الله غريب الابتداع * عجيب الاختراع * بديع الترتيب * رائع التركيب * مفردا في فن الادب * كفيلا لمن تأمله بالعجب * وهو وان كان من جنس الفضول الذي يستعمل * أو هو بقول الحسود داخل في قسم المهمل * فهو أمنية كان الخاطر يتمناها * وحاجة في نفس يعقوب قضاها * على انه لا يخلو من فائدة فريده * ونكتة عن مواطنها شريده * ودرة مستخرجة من قاع البحور * وشذرة تزين بها قلائد النحور * وعجائب تحل لها الحبا * وغرائب يقول لها العقل السليم مرحبا * ولئن خالط هذا القول هوى النفس * أو ظن المغالاة به صادق الحدس

فالمرء مفتون بتأليفه * ونفسه في مدحه غاويه

والفضل من ناظره أن يرى * ماقد حوى بالمقلة الراضيه

وان يجد عيبا يكن ساترا * عواره بالمنة الوافيه

ومن تأمله بعين الانصاف والرضى * شهد بصدق هذا الوصف وبحقه قضى * وحين سهل الله الوصول ثانيا الى الممالك الروميه * لازالت من المكاره محميه * استوطن منها قسطنطينية العظمى * لازالت من الله في وقاية وحمى * اذ هي محل الكرم * وموطن النعم * ومحط الرحال * ومنتهى الآمال * ومشرق السعاده * وأفق السياده * وموسم الادباء * وحلبة الخطباء * ودار الاسلام * ومقر العلماء الاعلام * وتخت الملك العظيم الشان * ومحل الدولة والسلطان * لازالت دار الاسلام والايمان * ومستقر الأمن والأمان * ماتعاقب الملوان * بدوام حياة سلطان العالم * وخير ملوك بني آدم * سليمان الزمان * وخاقان العصر والاوان * ومفخر آل عثمان * لابرحت دولته مخلدة خلود الابرار * في دار القرار * وسعادته مؤبدة مسلسلة الادوار * مادار الفلك المدار * بتعاقب الليل والنهار * وكان من أعظم خبايا السعد * وعطايا الجد * أن شملته العنايه * وحفته الرعايه * بنظر فرد الدهر * وواحد العصر * وبكر عطارد * ونادرة الفلك * وتاريخ المجد * وغرة الزمان * وينبوع الخير والاحسان * العالم العلامه * والحبر البحر الفهامه * جامع أشتات المفاخر * والمتفرد بغايات المآثر * سيدنا ومولانا سعدي قاضي القضاة بتخت الملك قسطنطينية العظمى * فهو مولى تنخفض همم الاقوال عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه * ويقصر جهد الوصف عن أيسر فواضله ومساعيه * حضرته مطلع الجود * ومقصد الوفود * وقبلة الآمال * ومحط الرحال * ومجمع الادباء * وحلبة الشعراء * ذو همة مقصورة على مجد يشيده * وانعام يجدده * وفاضل يصطنعه * وخامل وضعه الدهر فيرفعه * فاق الاقران * وساد الأعيان * فلا يدانيه مدان * ولو كان من بني عبد المدان * وليس يجاريه في مضمار الجود جواد * ولا يباريه في ارتياد السيادة مرتاد

ـ ما كل من طلب المعالي نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا

لازالت آي مجده بألسن الاقلام متلوه * وأبكار الافكار بمديح معاليه مجلوه * وحين أناخ مطايا قصده * بأفناء سعده * صادف مولى حفيا * وظلا ضفيا * ومرتعا رحيبا * ومربعا خصيبا * وبشاشة وجه تسر القلوب * وطلاقة محيا تفرج الكروب * وتغفر للدهر ما جناه من الذنوب * مع ما يضاف لذلك من منظر وسيم * ومخبر كريم * وخلائق رقت وراقت * وطرائف علت وفاقت * وفضائل ضفت مدارعها * وشمائل صفت مشاربها * وسودد تثنى به عقود الخناصر * وتثني عليه طيب العناصر * فحمد من صباح قصده السرى * وعلم أن كل الصيد في جوف الفرا

ـ ان الكريم اذا قصدت جنابه * تلقاه طلق الوجه رحب المنزل

وها هو في ظل عزه رخي البال * متميز الحال * آمن من صرفان الدهر * وحدثان القهر * يرتع في رياض فضله * ويجرع من طل جوده ووبله * قد عجز عن الشكر لسانه * وكل عن رقم الحمد بنانه * لم يفقد من مغنى رأفته ظلالا * ولم يقل لصيدح آماله انتجعي بلالا * وبه حقق قول القائل * من الاوائل

عمره * وأثبت يسره * وملأت بالنور سره وجهره * وصلى عليه صلاة تزيده نورا على نور * وتهدي لروحه الروح والسرور * واجعلها تجارة لن تبور * وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى * ورجوم الردى * وسلم تسليما (وبعد) فقد كنت في صدر عمري * وبدء أمري * نشطت لجمع أخبار الشعراء في البدائه والارتجال * ومحاسن أشعارهم في مضايق الاسراع والاعجال * وسمعت منها حكايات لم يرقها في الطرس بنان * ولم يطمثها قبلي انس ولا جان * فاوقفت عليها صدر ذلك الزمان * وسيد فضلاء ذلك الاوان * السيد الاجل الفاضل أبا علي عبد الرحيم ابن الحسن البيساني رحمه الله تعالى فحثني على الازدياد منها * والتطلب لها والبحث عنها * فاجتمع من ذلك جزء أحكمت ترتيبه * وهذبت تبويبه (وسميته بدائع البدائه) ورتبت الاخبار في كل باب منه على ترتيب الاعصار * وأعلمت كل حكاية أنا ناظم دررها * وناثر جوهرها * ومؤلف كلامها * ومثقف قوامها * كانت مسندة مسلسلة * أو مهملة مرسلة * بأن قلت عما هذا معناه وكل حكاية لي فيها عمل شعر أو اشتراك مع بعض الشعراء اقتصرت في

ولما انتجعنا الاثنين نظـله * أعان وما عـني ومن ومامنا
وردنا عليه مقترين فراشنا * وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وجملة ما يقوله في العجز عن حمده وشكره * والثناء على جوده وبره

أما وجميـل الصنع منـه وانها * اليـة برّ مثلها لا يكفر
لو استطعت حولت البرية ألسنا * وكنت بهـا أثني عليـه وأشكر
ولست أوفي حـق ذاك وانما * قياما بحق الشكر جهدي أشمر

وكان من جملة دواعي السعد * وبواعث الجد * أن شمل هذا التأليف * نظره الشريف * حين وصل الى حضرة مجده المنيف * فأظهر به اعجابا رفع من مقامه * ونصب فوق متن المجرة خوافق أعلامه * جريا على عادته النفيسة في جبر القلوب * وستر العيوب * فحين طرق السمع * خبر استحسانه لذلك الجمع * أحب الفقير أن يخدم حضرته العليه * وسدته السنيه * بنسخة منه لتكون مذكرة بحال الفقير ما دام في قيد الحياة * وسببا باعثا على الترحم عليه بعد الممات * وعساه يكون وسيلة للانتظام في سلكه * وذريعة الى الانحياز الى ملكه * والا فهو أقل من أن يشاع ذكره * أو يشاد قصره * وكيف يهدى الوشل الى البحر * او الطل الى القطر * غير أن هواجس الفكر وخواطر الامل * متمسكة في قبوله بأذيال عسى ولعل * والذي يقوى في الظن بشيمه الزاكيه * تلقيه بالبشر ولحمه بالمقلة الراضيه * وهو يرجو أن يهب عليه نسيم قبول القلوب * ويؤمل أن يسبل ستر العفو عما فيه من العيوب * وها هو يرفع أكف التضرع والابتهال * الى ذي العظمة والجلال * أن يبلغه من ذلك أقصى غاية الآمال * بمنه ويمنه

﴿شواهد المقـدمة﴾

﴿غدائره مستشزرات الى العلا﴾

قائله امرؤ القيس وتمامه * تظل العقاص في مثنى ومرسل * وهو من البحر الطويل من القصيدة المشهورة التي هي احدى المعلقات السبع أولها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقوفا بها صحبي علي مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت أحراسا اليها ومعشرا * علي حراصا لو يسرّون مقتلي
اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها * لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة * وما ان أرى عنك الغواية تنجلي
خرجت بها أمشي تجر وراءنا * على اثرنا أذيال مرط مرحل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل
هصرت بفودي رأسها فتمايلت * علي هضيم الكشح ريا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل
تصد وتبدي عن أسيل وتتقي * بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن أسود فاحم * أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وبعده البيت والقصيدة طويلة وسيأتي طرف منها في شواهد الانشاء ان شاء الله تعالى والغدائر جمع غديرة الذوائب والاستشزار الرفع والارتفاع جميعا والفعل منه لازم ان كسرت زايه ومتعد ان فتحت والعلا

اعلامها على ذكراسمي فقط وان كانت مصنوعة فسعيها مما وشي خاطري وشائعه * وأبدى بدائعه * فلما رأى ما اجتمع منه سر به واغتبط * وأكرم نزله فارتبط * وشرفني على صغر سني * ونضارة غصني * بأن انتسخه لخزانته * وحباه بحفظه وصيانته * ولم يزل ذلك الجزء عني منسي الذكر * وعند ذي خامل القدر * حتى مثلت بالجناب العالي الملكي الاشرفي أعز الله سلطانه في سنة ثلاث وستمائة وذلك قبل أن أتمسك بحبله * وآوي الى ظله * فجرى في مجلسه ذكر هذا الجزء فحسن من خاطره موضعه * وجل عنده موقعه * فرسم لي نقله وقد كنت في زمن فترتي جمعت أخبارا كثيرة قارب حجم الجزء الاول مجموعها * وفاق على كثير منه مسموعها * فجمعت شمل الطارف بالتليد * والقديم بالجديد * وأنفذت به اليه * وأوفدته عليه * ثم انني بعد ذلك التقطت فرائد لم تظفر بمثلها الاسماط * ووشائع لم تفز بشبهها الاسفاط * وبدائع لم يلق بقدرها الاغفال * وغرائب لم يجز بجميعها الاهمال * فدعتني النفس الطموح الى أن أنثر ذلك النظام * وأهصر ذلك القوام * وأضم شمل هذه الفرائد الجنية

جمع علياء تأنيث الاعلى وأراد الجهات العلا والعقاص جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها والمثنى من الشعر وغيره ماثني والمرسل ضدّه (ومعنى البيت) أن حبيبته لكثرة شعرها بعضه مرفوع وبعضه مثنى وبعضه مرسل وبعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل (والشاهد في البيت التنافر) وهو لفظة مستشزرات لثقلها على اللسان وعسر النطق بها (وامرؤ القيس) اسمه حندج بن حجر بن عمرو المقصور سمي بذلك لانه اقتصر به على ملك أبيه حندج والحندج في اللغة رملة طيبة تنبت ألوانا وأمه فاطمة وقيل تملك بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب ومهلهل وكنية امرئ القيس أبو وهب وأبو الحرث ويلقب ذا القروح لقوله

وبدلت قرحا داميا بعد صحة * لعل منايانا تحولن أبؤسا

ويلقب الذائد أيضا لقوله أذود القوافي عني ذيادا ويقال له الملك الضليل ومعنى امرئ القيس رجل الشدة والقيس في اللغة الشدة وقيل القيس اسم صنم ولهذا كان الاصمعي يكره أن يروى قوله يا امرأ القيس فانزل ويرويه يا امرأ الله فانزل وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه أشعر الشعراء وقائدهم الى النار وقيل في تأويله ان المراد شعراء الجاهلية والمشركين وهو أول من لطف المعاني ومن استوقف على الطلول وشبه النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وأجاد الاستعارة والتشبيه (وكان من حديثه) أن أباه طرده لما قال الشعر وانما طرده من أجل زوجته هر وهي أم الحويرث التي كان امرؤ القيس يشبب بها في شعره وكان يتنقل في أحياء العرب ويستتبع صعاليكهم وذؤبانهم والعرب تطلق على اللصوص الذؤبان تشبيها بالذئاب وكان يغير بهم وكان أبوه ملك بني أسد فعسفهم عسفا شديدا فتمالؤا على قتله فلما بلغه قتل أبيه وكان يشرب الخمر قال ضيعني صغيرا وحملني ثقل الثار كبيرا اليوم خمر وغدا أمر فأرسلها مثلا وقيل بل قال اليوم قحاف وغدا نقاف والقحاف من القحف وهو شدة الشرب والنقاف من نقف الهام اذا قطعها ثم انه جمع جمعا من بني بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب وخرج يريد بني أسد فخبرهم كاهنهم بخروجه اليهم فارتحلوا وتبعهم امرؤ القيس فأوقع ببني كنانة وكان بنو أسد قد لجأوا اليهم ثم ارتحلوا عنهم فقتلهم قتلا ذريعا وأقبل أصحابه يقولون يالثارات الهمام فقالت عجوز منهم واللات أيها الملك ما نحن بثارك وانما ثارك بنو أسد وقد ارتحلوا فرفع القتل عنهم وقال

ألا يا لهف نفسي اثر قوم * هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني علي * وبالاشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركته صفر الوطاب

وقيل ان أصحابه اختلفوا عليه حين أوقع ببني كنانة وقالوا له أوقعت بقوم برآء وظلمتهم فخرج الى اليمن الى بعض مقاولة حمير واسمه قرمل فاستجاشه فثبطه قرمل فذلك حيث يقول

وكنا اناسا قبل غزوة قرمل * ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

ثم خرج الى قيصر بعد أن أودع أدراعه وكراعه السموءل بن عاديا فذلك حيث يقول

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وصاحبه عمرو بن قميئة الشاعر وهو من بني قيس بن ثعلبة وكان قد طوى عنه الخبر حتى جاوز الدرب فلما وصل الى قيصر استغاث به فوعده أن يرفده بجيش وكان امرؤ القيس جميل الوجه وكان لقيصر ابنة جميلة فأشرفت يوما من قصرها فرآها امرؤ القيس في دخوله الى أبيها فتعلق بها وراسلها فأجابته الى ما سأل فذلك حيث يقول لما وصل اليها

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

القطاف * المتوَّمة الثقاف * الى تلك الفرائد المنتظمة العقود * المثمنة البرود . فجعلت أفكر في ضعف الغرائز البشرية * والجبلات الانسانية * ورغبتها أبدا في الزياده * وحرصها على بلوغ الغايه * واغتباطها بالشئ حتى اذا حصلته وظفرت به وأنشبت مخالبها فيه مالت الى الملل * وخلقت لسآمته العلل * وطلبت ما يرتفع عنه * وسخطت ما كانت رضيته منه * ونفسي تهوّن خطب التنقل * وصعب التبدل والتحوّل * وترغب في تتميم الناقص وجمع المتفرق وضم المنتشر المتبدد وتقول لابد لكل ثانية من ثالثه * وتعد بانها لا تعود في عقد هذه العزيمة نافثه * وتنشد قول القائل ولو عانثر الجمان تعمدا * ليعود أحسن في النظام وأجملا وتقيم العذر بان تلك النسخة وقعت بين سمع الارض وبصرها * حيث لم يوقف على أثرها ولم يسمع بخبرها * وضاعت بين الباب والطاق * ولم تظفر بقبول ولا نفاق * ولو كانت حصلت في الخزائن المولوية السلطانيه * الملكية الكاملية الناصريه * شرفها الله لتوشحت صدور مجالسه بعقودها * وتزينت معاطف مذاكرته ببرودها * ولدارت كؤسها * وجليت عروسها * ولا شرقت

وقيل ان أباها زوجه اياها وقد كان سبق الى قيصر رجل من بني أسد يقال له الطماح فوشى به الى قيصر فوجه معه جيشا ثم أتبعه رجلا معه حلة مسمومة وقال له اقرأ عليه السلام وقل له ان الملك قد بعث اليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها وأدخله الحمام فاذا خرج فألبسه اياها ففعل فتنفط بدنه وكان يحمل في محفة فذلك حيث يقول لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسني من دائه ما تلبسا

وكان الطماح قبل ذلك قد عبث بامرأة من قومه فسعى به فهرب فأراد كما سعى به أن يسعى به ثم ان امرأ القيس لما بلغ أنقرة طعن في ابطه وارفض عنه أصحابه وكان نزوله الى جانب جبل والى جانبه قبر لابنة بعض الملوك فسأل عنه فأخبر فقال

أجارتنا ان الخطوب تنوب * واني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فان تصليني تسعدي بمودتي * وان تقطعيني فالغريب غريب

ثم مات هنالك فدفن بأنقرة وكان آخر ما تكلم به

رب طعنة مثعنجره * وخطبة مستحضره * وجفنة مدعثره * وقصيدة محبره * تبقى غدا بأنقره

(وفاحما ومرسنا مسرجا)

قائله رؤبة بن العجاج وهو من بحر الرجز من أرجوزة طويلة أولها

ماهاج أشجانا وشجوا قد شجا * من طلل كالأتحمي أنهجا
أمسى لها في الرامسات مدرجا * واتخذته النائحات منأجا
منازل هيجن من تهيجا * من آل ليلى قد عفون حججا
والسخط قطاع رجاء من رجا * أزمان أبدت واضحا مفلجا
أغر براقا وطرفا أبرجا * ومقلة وحاجبا مزججا

وبعده البيت وبعده وكفلا وعثا اذا ترجرجا

الفاحم الأسود وأراد شعرا فاحما فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه والمرسن بفتح السين وكسرها الانف الذي يشد بالرسن ثم استعير لأنف الانسان ومسرجا مختلف في تخريجه فقيل من سرجه تسريجا بهجه وحسنه وقيل من قولهم سيوف سريجية منسوبة الى قين يقال له سريج شبه بها الانف في الدقة والاستواء وقيل من السراج وهو قريب من قولهم سرج وجهه بكسر الراء أي حسن والزجج دقة الحاجبين والمعنى ان لهذه المرأة الموصوفة مقلة سوداء وحاجبا مدققا مقوسا وشعرا أسود وأنفا كالسيف السريجي في دقته واستوائه أو كالسراج في بريقه وضيائه (والشاهد فيه) الغرابة في مسرجا للاختلاف في تخريجه (ورؤبة) قائل هذا البيت هو أبو محمد بن العجاج واسمه عبد الله البصري التميمي السعدي سمي باسم قطعة من الخشب يشعب بها الاناء وهي بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة وهو وأبوه راجزان مشهوران كل منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الاراجيز وهما مجيدان وكان رؤبة هذا بصيرا باللغة قيما بحوشيها وغريبها (حكى) يونس بن حبيب النحوي قال كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاء شبيل بن عروة الضبعي فقام اليه أبو عمرو وألقى له لبد بغلته فجلس عليه ثم أقبل عليه يحدثه فقال شبيل يا أبا عمرو سألت رؤبة عن اشتقاق اسمه فما عرفه يعني رؤبة قال يونس فلم أملك نفسي عند ذكره فقلت لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه أفتعرف أنت ما الروبة والروبة والروبة والروبة والروبة وأنا غلام رؤبة فلم يحر جوابا وقام مغضبا فأقبل علي أبو عمرو وقال هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضي حقوقنا وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به فقلت لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة فقال أبو عمرو أو سلطت على تقويم الناس ثم فسر يونس ما قاله فقال الروبة خميرة اللبن والروبة قطعة من الليل والروبة الحاجة يقال فلان ما يقوم بروبة أهله أي بما أسندوا اليه من حوائجهم والروبة

زواهرها * وعبقت أزاهرها * وسارت شواردها * وطارت أوابدها * كيف لا والفضل بجملته قد طنب خيامه * وشق كمامه * وأسكب غمامه * وأفعم رياضه * وأفعم حياضه * وهو أدام الله أيامه ولي العهد ووارث الملك * وواسطة السلك * وهو الذي سارت قصائدك اليه * وأحلتك آمالك فيه لديه * فعلى بابه تخرجت * ومنه تدرجت * واليه لما نابت بك البلاد عرجت * فرجعت الى الجناب الذي أطلع هلالك حتى صار بدرا * وأجرى جدولك حتى عاد نهرا * ورأيت منه ملكا الا انه بشر * وأسدا الا انه قمر * وبحرا بيد أنه يسطو من سفينه بنهر * ولقيت منه بحر العطاء الذي يذخر مده * وليث السطاء الذي يحذر شده * فحين ظهرت غرر هذا الحق وأوضاحه * وأنار مصباحه بل اصباحه * ضم المملوك جميع ما حصله من بدائع البدائه أولا وفرطا * وآخرا ووسطا * ورتب الجميع على الشرط الاول من ترتيب الحكايات والاخبار * على ترتيب الاعصار * الا ما يقتضي تقديمه فرط مشابهة ومشاكله * وزيادة مقاربة ومماثله * وهو فن لم يجمعه قبلي أحد * ولا سطر نقبل يدي يد * وقد حمل المملوك منه القذ

جسام ماء الفحل والرؤبة بالهمز القطعة التي يشعب بها الاناء والجميع بضم الراء وسكون الواو الارؤبة فانه بالهمز وقيل ليونس من أشعر الناس فقال العجاج ورؤبة فقيل له لم نعن الرجاز قال هما أشعر أهل القصيد وانما الشعر كلام وأجوده أشعره قال العجاج * قد جبر الدين الاله فجبر * فهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها كلها لكانت منصوبة وكذلك عامة أراجيزهما وعن ابن قتيبة قال كان رؤبة يأكل الفأر فعوتب في ذلك فقال هي والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتي تأكل العذرة وهل يأكل الفأر الا نقي البر ولباب الطعام وحدث أبو زيد الانصاري النحوي قال دخل رؤبة ابن العجاج السوق وعليه برنكاني أخضر فجعل الصبيان يعبثون به ويغرزون شوك النخل في برنكانه ويصيحون به يامر دوم يامر دوم فجاء الى الوالي فقال أرسل معي الوزعة فان الصبيان قد حالوا بيني وبين السوق فأرسل معه أعوانا فشد على الصبيان وهو يقول

أنحى على أمك بالمردوم * أعور جعد من بني تميم * شر اب ألبان خلايا كوم

قال فجعلوا يعدون بين يديه حتى دخلوا دارا في الصيارفة فقال له الشرطي أين هم قال دخلوا دار الظالمين فسميت الى الآن دار الظالمين لقول رؤبة وهي في صيارفة سوق البصرة

(وعن المدائني) قال قدم البصرة راجز من رجاز المدينة فجلس الى حلقة فيها الشعراء فقال أنا أرجز العرب أنا الذي أقول مروان يعطي وسعيد يمنع * مروان نبع وسعيد خروع

وددت اني راهنت من أحب في الرجز يدا بيد والله لأنا أرجز من العجاج فليت البصرة جمعت بيني وبينه قال والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه فأقبل رؤبة على أبيه فقال قد أنصفك الرجل فأقبل عليه العجاج فقال ها أنا ذا العجاج فهلم وزحف اليه فقال وأي العجاجين أنت قال ما خلتك تعني غيري أنا أبو عبد الله الطويل وكان يكنى بذلك فقال له المدني ما عنيتك ولا أردتك قال كيف وقد هتفت باسمي قال أوما في الدنيا عجاج سواك قال ما علمت قال ولكني أعلم واياه عنيت قال فهذا ابني رؤبة قال اللهم غفرا ما بيني وبينكما عمل وانما مرادي غيركما قال فضحك أهل الحلقة وكفا عنه (وعن) عبد الرحمن بن محمد بن علقمة قال أخرج شاهين ابن عبد الله الثقفي رؤبة معه الى أرضه فقعدوا يلعبون بالنرد فلما أتوا بالخوان قال رؤبة فيه

ياأخوتي جاء الخوان فارفعوا * حنانة كعابها تقعقع * لم أدر ما ثلاثها والاربع

قال فضحكنا ورفعناها وقدم الطعام وكان رؤبة مقيما بالبصرة فلما ظهر بها ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على المنصور وجرت الواقعة المشهورة خاف رؤبة على نفسه وخرج الى البادية ليجتنب الفتنة فلما وصل الى الناحية التي قصدها أدركه أجله بها فتوفي سنة خمس وأربعين ومائة وهذا يخالف ما رواه يعقوب بن داود قال لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال يا أبا عبد الله دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم فقلت له كيف ذلك قال حين انصرفت من جنازة رؤبة بن العجاج وكان قد أسن رحمه الله وقد سمع أباه وأبوه سمع أبا هريرة رضي الله عنه (وقال النسائي) وليس هو بالقوي وقد روى رؤبة بن العجاج عن أبي الشعثاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وحاد يحدو طاف الخيالان فهاجا سقما * خيال لبنى وخيال تكتما

قامت تريك خشية أن تصرما * ساقا بخنداة وكعبا أدرما

والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر وحدث أبو عبيدة الحداد قال حدثنا رؤبة بن العجاج قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول السوالف يذهب وضر الطعام وهذا الخبر يدل على انه سمع من أبي هريرة رضي الله عنه والله أعلم ومن شعره أيها الشامت المعير بالشيب * أقلن بالشباب افتخارا

قد لبست الشباب غضا طريا * فوجدت الشباب ثوبا معارا

(الحمد لله العلي الاجلل)

قائله أبو النجم وهو من بحر الرجز من أرجوزة طويلة وبعده

في قدره * الى الفذ في سلطانه * والغريب في حسنه * الى الغريب في احسانه * وجملة ما في هذا الكتاب * لا تعدو ما في خمسة أبواب

(الباب الاول) في بدائع بدائه الاجوبة

(الباب الثاني) في بدائع بدائه الاجازة

(الباب الثالث) في بدائع بدائه التمليط

(الباب الرابع) في بدائع بدائه الاجتماع على العمل في مقصود واحد

(الباب الخامس) في بقية بدائع البدائه

ولا بد من تقدمة فصلين قبل سياقة الابواب أحدهما في اشتقاق البديهة والارتجال * والثاني في الفرق بينهما

(الفصل الاول في الارتجال)

الارتجال مأخوذ من الانصباب والسهولة ومنه قيل شعر رجل اذا كان سبطا غير جعد ومسترسلا غير منقبض وقيل من ارتجال البئر وهو أن ينزلها الرجل برجليه من غير حبل فكأنهم شبهوا اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا أهبة باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة * والبديهة مشتقة من بده يبده بمعنى بدأ يبدأ أبدلوا الهمزة هاء لقرب مخرجيهما كما قالوا لهنك بمعنى لانك وكما أبدلوا الهاء

الواهب الفضل الوهوب المجزل * أعطى فلم يبخل ولم يبخل

(والشاهد فيه) مخالفة القياس اللغوى فى قوله الاجلل اذ القياس الاجل بالادغام وأبو النجم اسمه الفضل
ابن قدامة بن عبيد الله العجلى وهو من رجاز الاسلام والفحول المتقدمين فى الطبقة الاولى منهم وفد على
هشام بن عبد الملك وقد طعن فى السن فقال يا أبا النجم حدثنى قال أعنى أو عن غيرى قال بل عنك قال انى لما
كبرت عرض لى البول فوضعت عند رجلى شيأ أبول فيه فقمت من الليل أبول فخرج منى صوت
فتشددت ثم عدت فخرج منى صوت آخر فأويت الى فراشى وقلت يا أم الخيار هل سمعت شيأ قالت لا والله
ولا واحدة منهما فضحك هشام (وعن أبى عبيدة) قال مازالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال أبو النجم
الحمد لله العلى الاجلل وقال العجاج * قد جبر الدين الاله فجبر * وقال رؤبة وقاتم الاعماق خاوى المخترق
فانتصفوا منهم وعن أبى عمرو الشيبانى قال قال فتيان من عجل لابى النجم هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع
شعره وينشد الناس ويجتمع اليه فتيان بنى تميم قال أو تحبون ذلك قالوا نعم قال فائتونى بشىء من نبيذ فأتوه به
فشربه ثم انتفض فقال اذا اصطبحت أربعا عرفتنى * ثم تجشمت الذى جشمتنى
فلما رآه رؤبة أعظمه وقام له عن مكانه وقال هذا رجاز العرب وسألوه أن ينشدهم فأنشدهم
الحمد لله العلى الاجلل * وكان من أحسن الناس انشادا فلما فرغ منها قال له رؤبة هذه أم الرجز ثم قال
يا أبا النجم قربت مرعاها اذ جعلتها بين رجل وابنه يوهم عليه انه حيث قال

تبقلت من أول التبقل * بين رماحى مالك ونهشل

انه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة فقال له أبو النجم هيهات الكمر تشابه أى انما أريد مالك
ابن ضبيعة بن قيس ونهشل قبيلة من ربيعة وعن أبى برزة المربدى قال خرج العجاج مختفلا عليه جبة من
خز وعمامة من خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون عليه وأنشدهم
قد جبر الدين الاله فجبر * وذكر فيها ربيعة فهجاهم فجاء رجل من بنى بكر بن وائل الى أبى النجم
وهو فى بيته فقال أنت جالس وهذا العجاج يهجونا فى المربد قد اجتمع عليه الناس فقال صف لى حاله
وزيه الذى هو فيه فوصف له فقال ابغنى جملا طحانا قد أكثر عليه من الهناء فجاء بالجمل فأخذ سراويل له
فجعل احدى رجليه فى السراويل واتزر بالاخرى وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده فانطلق حتى
أتى المربد فلما دنا من العجاج قال اخلع خطامه فخلعه وأنشد * تذكر القلب وجهلا ماذكر * فجعل
الجمل يدنو من الناقة ويتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران حتى بلغ قوله
شيطانه أنثى وشيطانى ذكر * فعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج منه وورد أبو النجم على هشام
ابن عبد الملك فى الشعراء فقال لهم هشام صفوا ابلا فقيطوها وأوردوها وأصدروها حتى كأنى أنظر اليها
فأنشدوه وأنشده أبو النجم * الحمد لله العلى الاجلل * حتى بلغ الى ذكر الشمس فقال فهى على الافق
كعين فأراد أن يقول الاحول ثم ذكر حول هشام فلم يتم البيت وأرتج عليه فقال هشام أجز فقال كعين
الاحول وأتم القصيدة فأمر هشام بوجء عنقه واخراجه من الرصافة وقال لصاحب شرطته يا ربيع
اياك وأن أرى هذا فكلم وجوه الناس صاحب شرطته أن يقره ففعل فكان يصيب من فضول أطعمة
الناس ويأوى المساجد قال أبو النجم ولم يكن بالرصافة أحد يضيف الاسلم بن كيسان الكلبى وعمرو بن
بسطام التغلبى فكنت آتى سليما فأتغدى عنده وآتى عمرا فأتعشى عنده وآتى المسجد فأبيت قال فاهتم
هشام ليلة وأمسى لقس النفس وأراد محدثا يحدثه فقال للخادم ابغنى محدثا أعرابيا أهوج شاعرا يروى
الشعر فخرج الخادم الى المسجد فاذا هو بأبى النجم فضربه برجله وقال قم أجب أمير المؤمنين فقال انى
رجل أعرابى غريب فقال اياك أبغى هل تروى الشعر قال نعم وأقوله فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق
الباب قال فأيقن أبو النجم بالشر ثم مضى به فأدخله على هشام فى بيت صغير بينه وبين نسائه ستر رقيق
والشمع بين يديه يزهر فلما دخل قال له هشام أبو النجم قال نعم يا أمير المؤمنين طريدك قال اجلس فسأله

[illegible] منها [illegible]
[illegible] ومده واشتقاقا
[illegible] والبديهة وان
[illegible] بين الآن أهل
[illegible] الصناعة [illegible] واكل
[illegible] منهما [illegible] الآخر
[illegible] ذكره فى الفصل
الثانى

﴿ الفصل الثانى ﴾

الارتجال هو أن ينظم
الشاعر ما ينظم فى أوحى
من خطف البارق
واختطاف السارق وأسرع
من التماح العاشق ونفوذ
السهم المارق حتى يخال
ما ارتجل محفوظا أو مرئيا
ملحوظا من غير حاجة الى
كتابة ولا تمهل بتقفيه
وتتفرد عند ذلك قضية
الحال باختراع الوزن
والقافيه وهم الشهود
العدول الذين يجب الرجوع
اليهم ولا يجوز عنهم العدول
بالشهادة على استطاعته
وأن ذلك المنظوم ابن
ساعته * والبديهة أن
ينزل عن هذه الطبقة قليلا
ويفكر مقصر الامطيلا
فان أطال ذو البديهة
الفكرة انعكست القضيه
وخرجت من حد البديهة
الى حد الرويه وعند ذلك
تقصر نهضة الاقتدار عن
بلوغ ذلك المضمار اذ المرتجل
والباده يقنع منهما بالردىء
اليسير ولا يقنع من المروى
الا بالجيد الكثير وكذلك
فى ذكرهما قول ابن المعتز

وقال

وقال له أين كنت تأوي وأين منزلك فأخبره قال وكيف اجتماعك قال كنت أتغدى عند هذا وأتعشى عند الآخر قال وأين كنت تبيت قال في المسجد حيث وجدني رسولك قال ومالك من الولد والمال قال أما المال فلا مال لي وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له شيبان فقال هل أخرجت من بناتك أحداً قال نعم زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز في أبياتنا كأنها نعامة قال وما أوصيت به الأولى وكانت تسمى برة قال فقال

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي ضربا لها وجرا * حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهبا ودرا * والحي عمهم بشر طرا

فضحك هشام وقال فما قلت للأخرى قال قلت

سبي الحماة وابهتي عليها * وإن دنت فازدلفي إليها * وأوجعي بالفهر ركبتيها
ومرفقيها واضربي جنبيها * وظاهري البدي لها عليها * لا تخبري الدهر به ابنتيها

قال فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفاه وقال ويحك ما هذه وصية يعقوب عليه السلام ولده فقال ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين قال فما قلت للثالثة قال قلت

أوصيك يا بنتي فإني ذاهب * أوصيك أن تحمدك الأقارب * والجار والضيف الكريم الساغب
ويرجع المسكين وهو خائب * ولا تني أظفارك السلاهب * لهن في وجه الحماة كاتب
* والزوج إن الزوج بئس الصاحب *

قال فكيف قلت هذا ولم تتزوج وأي شيء قلت في تأخر تزويجها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الساقين إلا خيطان
* تلك التي يفزع منها الشيطان *

قال فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه وقال للخصي كم بقي من نفقتك قال ثلثمائة دينار قال أعطه إياها ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين (ودخل) أبو النجم يوما على هشام وقد مضت له سبعون سنة فقال له هشام ما رأيك في النساء قال إني لا أنظر إليهن شزرا وينظرن إلي حذرا فوهب له جارية وقال له اغد علي فأخبرني ما كان منك فلما أصبح غدا عليه فقال له ما صنعت شيئاً ولا قدرت على شيء وقلت في ذلك أبياتا

نظرت فأعجبها الذي في درعها * من حسنه ونظرت في سرباليا
ضيفا يعض بكل عير دنا له * كالضفدع أو صدع يرى متجافيا
فرأت لها كفلا ينوء بخصرها * وعثا روادفه وأجثم نابيا
ورأيت منتشر العجان مقلصا * رخوا مفاصله وجلدا باليا
أدنى له الركب الحليق كأنما * أدنى إليه عقاربا وأفاعيا
إن الندامة والسدامة فاعلمن * لو قد خبرتك للوائي حاليا
ما بال رأسك من وراي طالما * أظننت أن حر الفتاة ورائيا
فاذهب فإنك ميت لا ترتجى * أبد الأبيد ولو عمرت لياليا
أنت الغرور إذا خبرت وربما * كان الغرور لمن رجاه شافيا
لكن أرى لا يرتجى نفعه * حتى أعود أخا فتاء ناشيا

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى (وحدث) أبو الأزهر ابن بنت أبي النجم عن أبي أمه أنه كان عند عبد الملك بن مروان ويقال عند سليمان بن عبد الملك يوما وعنده جماعة من الشعراء وكان أبو النجم فيهم والفرزدق وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تذب عنه فقال من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق في فخره وهبته هذه الجارية قال فقاموا على ذلك ثم قالوا إن أبا النجم يغلبنا بقطعاته يعنون الرجز

والفكر قبل القول يؤمن زيغه
شتان بين رويه وبديه

(وقول ابن جريج)

نار الروية نار جد منضجة
وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها
لكنها عاجل يمضي مع الريح

وحسبك بهروب إمام الشعراء وفاتكهم من البديهة فما ظنك بالارتجال وإذا كان عبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج في يوم النهروان يقول وهو البدوي الفصيح والعربي الصريح إياكم والرأي الفطير والكلام القضيب يقول هذا في مطلق الكلام وهو غير مقيد بوزن ولا قافية فكيف الظن بالمقيد بهما لعمري إنه لمقام يجبن فيه الشجاع ويكذب فيه رائد الفكر في طلب الانتجاع

(الباب الأول في بدائع بدائه الأجوبة)

فمن ذلك ما أخبرني به الشيخ الفقيه الأجل أبو محمد عبد الله بن صالح بن زيدان المكي وكتب لي بخطه قال أملى علي الشيخ العلامة أبو محمد بن بري رحمه الله قال لقي عبيد بن الأبرص امرأ القيس فقال له عبيد كيف معرفتك بالأوابد فقال ألق ما أحببت فقال عبيد

ما حبة ميتة أحيت بميتتها
درداء ما أنبتت سنا وأضراسا

(فقال امرؤ القيس)

فقال ألا لا أقول الا قصيدا فقال من ليلته قصيدته التي تفخر فيها وهي علق الفؤاد حبائل الشعثاء ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده حتى بلغ الى قوله

منا الذي ربع الجيوش لصلبه * عشرون وهو يعد في الاحياء

قال له عبد الملك أو سليمان قف ان كنت صدقت في هذا البيت فلا تزد ما وراءه فقال الفرزدق أنا أعرف منهم ستة عشر ومن ولد ولده أربعة كلهم قد ربع فقال عبد الملك أو سليمان ولد ولده هم ولده ادفع اليه الجارية يا غلام قال فغلبهم يومئذ (وحدث) الاصمعي قال قال أبو النجم للعديل بن الفرخ أرأيت قولك

فان تك من شيبان أمي فانني * لأبيض عجلي عريض المفارق

أكنت شاكا في نسبك حتى قلت مثل هذا فقال العديل أشككت في نفسك أو في شعرك حين قلت

أنا أبو النجم وشعري شعري * لله دري ما يجن صدري

فأمسك أبو النجم واستحيى وكانت وفاته آخر دولة بني أمية

(كريم الجرشي شريف النسب)

قائله أبو الطيب المتنبي من قصيدة من بحر المتقارب وكان سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب قد أنفذ اليه كتابا بخطه الى الكوفة بأمان وسأله المسير اليه فأجابه بهذه القصيدة

فهمت الكتاب أبر الكتب * فسمعا لأمر أمير العرب
وطوعا له وابتهاجا به * وان قصر الفعل عما وجب
وما عاقني غير خوف الوشاة * فان الوشاة طريق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم * وتقريبهم بيننا والخبب
وقد كان ينصرهم سمعه * وينصرني قلبه والحسب
وما قلت للبدر أنت اللجين * ولا قلت للشمس أنت الذهب
فيقلق منه البعيد الاناة * ويغضب منه البطيء الغضب
وما لاقني بلد بعدكم * ولا اعتضت من رب نعماي رب
ومن ركب الثور بعد الجوا * د أنكر أظلافه والغبب
وما قست كل ملوك البلاد * فدع ذكر بعض بمن في حلب
ولو كنت سميتهم باسمه * لكان الحديد وكانوا الخشب
أفي الرأي يشبه أم في السخا * ء أم في الشجاعة أم في الادب
مبارك الاسم أغر اللقب * كريم الجرشي شريف النسب
أخو الحرب يخدم مما سبى * قناه ويخلع مما سلب
اذا حاز مالا فقد حازه * فتى لا يسر بما لا يهب

وهي طويلة والجرشي بكسر الجيم والراء مقصورا النفس وأشار بقوله مبارك الاسم الى أن اسم الممدوح علي وهو اسم مبارك يتبرك به لمكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولانه مشتق من العلو والعلو مبارك ومعنى أغر اللقب مشهوره لانه سيف الدولة والاغر من الخيل الذي في وجهه غرة وهي البياض استعير لكل واضح معروف (والشاهد فيه) كراهة السمع للفظة تكون في البيت كالجرشي هنا (وأبو الطيب) اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر المشهور وانما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه وكان قد قرأ على البوادي كلاما ذكر أنه قرآن أنزل عليه (فمنه) والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي أخطار امض على سننك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين وضل عن السبيل (وكان) اذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام فينكره ويجحده ولما أطلق من السجن التحق بالامير سيف الدولة بن حمدان ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة ومدح كافور الاخشيدي وأنوجور بن الاخشيد وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة فوجه كافور خلفه عدة رواحل فلم يلحق وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها
فأخرجت بعد طول المكث
أكداسا

(فقال عبيد)

ما السود والبيض والاسماء
واحدة
لا يستطيع لهن الناس
تمساسا

(فقال امرؤ القيس)

تلك السحاب اذا الرحمن
أرسلها
روى بها من محول الارض
ايباسا

(فقال عبيد)

ما مرتجاة على هول مراكبها
يقطعن طول المدى سيرا
وامراسا

(فقال امرؤ القيس)

تلك النجوم اذا حالت مطالعها
شبهتها في سواد الليل اقباسا

(فقال عبيد)

ما القاطعات لارض لا أنيس
بها
تأتي سراعا وما يرجعن انكاسا

(فقال امرؤ القيس)

تلك الرياح اذا هبت عواصفها
كفى بأذيالها للترب كناسا

(فقال عبيد)

ما الفاجعات جهارا في علانية
أشد من فيلق مملوءة باسا

(فقال امرؤ القيس)

تلك المنايا فما يبقين من أحد
يكفتن حقي وما يبقين أكياسا

(فقال عبيد)

ما السابقات سراع الطير في
مهل
لا تشتكين ولو ألجمتها فاسا

(فقال امرؤ القيس)

ابن بويه الديلمي فأجزل صلته ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبي جهل الاسدي في عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد ويقال انه قال شيأ في عضد الدولة فدس عليه من قتله لانه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب مفتخرة ثم دس عليه من سأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة فقال هذا أجزل الا انه عطاء متكلف وسيف الدولة كان يعطي طبعا فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهز عليه قوما من بني ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديدا ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتني قتلك الله ثم قاتل فقتل ويقال ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ما وقع وكان قتله يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة ومولده كان في سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفي وقيل ان أباه كان سقاء بالكوفة وكان يلقب بعيدان ثم انتقل الى الشام بولده والى هذا أشار بعض الشعراء في هجوه فقال

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ * ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع في الكوفة الما * ء وحينا يبيع ماء المحيا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه حسدا له على فضله وتمكنه من الملوك ومراعاة لتيهه وتكبره وممن أفحش في ذلك ابن حجاج فقال جاريا على عادته في السخف والمجون

يا ديمة الصفع صبي * على قفا المتنبي
ويا قفاه تقدم * حتى تصير بجنبي
وأنت يا ريح بطني * على سباليه هبي
ويقول فيها
ان كنت أنت نبيا * فالقرد لا شك ربي

وقال فيه أيضا من قصيدة

قل لي وطرطورك هذا الذي * في غاية الحسن شوابيره
ماضره اذ جاء فصل الشتا * لو أن شعر استي سموره

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ أبا علي الفارسي قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي في الحال حجلى وظربى قال الشيخ أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة وقال أبو الفتح بن جني قرأت ديوان المتنبي عليه فلما بلغت الى قوله في كافور الاخشيدي

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة * فلا أشتكي فيها ولا أتعتب
وبي ما يذود الشعر عني أقله * ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب

قلت له يعز علي كون هذا الشعر في غير سيف الدولة فقال حذرناه وأنذرناه فما نفع ألست القائل فيه

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك * ولا تعطين الناس ما أنا قائله

فهو الذي أعطاني بسوء تدبيره وقلة تمييزه والناس في شعره على طبقات فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه ورزق في شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل انه وجد له ما يزيد على أربعين شرحا ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندي بسند صحيح متصل به بيتان وهما

أبعين مفتقر اليك نظرتني * فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لانني * أنزلت آمالي بغير الخالق

ولما قتل رثاه أبو القسم المظفر بن علي الطبسي بقوله

لا رعى الله سرب هذا الزمان * اذ دهانا في مثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثاني المتنبي * أي ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيـ * ـش وفي كبرياء ذي سلطان

تلك الجياد عليها القوم قد سبحوا
كانوا لهن غداة الروع أحلاسا
(فقال عبيد)
ما القاطعات لارض الجو في طلق
قبل الصباح وما يسرين قرطاسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك الاماني تترك الفتى ملكا
دون السماء ولم ترفع به راسا
(فقال عبيد)
ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر
ولا لسان فصيح يعجب الناسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك الموازين والرحمن أنزلها
رب البرية بين الناس مقياسا

ومثل هذا وان تفاوت ما بين الاعصار ولم يكن من باب الالغاز ما ذكر أن الشريف أبا جعفر مسعود بن الحسن العباسي وهو من ولد العباس ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ويعرف بالبياضي كان يتعشق قينة ببغداد اسمها بدور وتعرف بجارية بنت الملك وفيها يقول

شكا القلب ظلمته في الحشى
الي فأسكنت فيه بدورا

وكانت تنزل ببغداد في القطيعة فاجتمع يوما هو وأبو تراب هبة الله بن السريجي وكان شاعرا فقال بديها يخاطب الشريف

أسلوت حب بدور أم تتجلد
وسهرت ليلك أم جفونك ترقد

هو فى شعره نبى ولكن * ظهرت معجزاته فى المعانى

(ويحكى) أن المعتمد بن عباد اللخمى صاحب قرطبة واشبيلية أنشد يوما فى مجلسه بيت المتنبى الذى هو من جملة قصيدته المشهورة وهو

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معيى المطى ورازمه

وجعل يردده استحسانا له وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسى فانشد ارتجالا

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما * تجيد العطايا واللها تفتح اللها

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بأنك تروى شعره لتألها

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار فى جعفر بن يحيى

لابن يحيى مآثر * بلغت بى الى السها جاد شعرى بجوده * واللها تفتح اللها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق ورثاه أيضا محمد بن عبد الله الكاتب النصيبى بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحضى قدمه ومريقى دمه فمنها

قرت عيون الاعادى يوم مصرعه * وطالما سخنت فيه من الحسد

ومنها

أبا شجاع فتى الهيجا وفارسها * ومشترى الشكر بالانفاق والصفد

هذى بنو أسد جاءت بمؤيدة * صماء ناجمة هدت ذرى أحد

سطت على المتنبى من فوارسها * سبعون جاءته فى موج من الزرد

حتى أتت وهو فى أمن وفى دعة * يسير فى ستة ان تحص لم تزد

كرت عليه سراعا غير وانية * فغادرته قرين الترب والثأد

من بعد ما أعملت فيهم أسنته * طعنا يفرق بين الروح والجسد

فاطلب بثارفتى مازلت تعضده * لله درك من كهف ومن عضد

أرك العيون عليهم آية سلكوا * وضيق الارض والاقطار بالرصد

شردهم بجيوش لاقوام لها * تأتى على سبد الاقوام واللبد

ورثاه أيضا ثابت بن هارون الرقى النصرانى بقصيدة يستثير فيها عضد الدولة على فاتك وبنى أسد يقول فى أولها

الدهر أنكى والليالى أنكد * من أن تعيش لاهلها يا أحمد

قصدتك لما أن رأتك نفيسها * بخلا بمثلك والنفائس تقصد

ذقت الكريهة بغتة وفقدتها * وكريه فقدك فى الورى لا يفقد

قل لى ان اسطعت الجواب فانى * صب الفؤاد الى خطابك مكمد

ومنها

أتركت بعدك شاعرا والله لا * لم يبق بعدك فى الزمان مقصد

أما العلوم فانها يا ربها * تبكى عليك بأدمع لا تجمد

يا أيها الملك المؤيد دعوة * ممن حشاه بالاسى يتوقد

هذى بنو أسد بضيفك أوقعت * وحوت عطاءك اذ حواه الفرقد

وله عليك بقصده ياذا العلا * حق التحرم والذمام الاوكد

فارع الذمام وكن لضيفك طالبا * ان الذمام على الكريم مؤبد

وأخبار المتنبى وماجرى له كثيرة وسيأتى طرف منها ومن شعره فى أثناء هذا الكتاب

(وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر)

والبيت من الرجز ولا يعرف قائله ويقال انه من شعر الجن قالوه فى حرب بن أمية بن عبد شمس لما قتلوه بثار حية منهم قتلها القفل الذى كان فيه ودفن ببادية بعيدة وكان حرب المذكور مصافيا لمرداس السلمى أبى العباس الصحابى فقتلهما الجن جميعا وهذا شئ قد ذكرته الرواة فى أخبارها والعرب فى أشعارها (ذكر) أبو

(فقال الشريف بديها)
لا بل هم ألفوا القطيعة مثل ما
ألفوا ترولهم بها فتبعدوا
(فقال أبو تراب)
فلام تصبر والفؤاد متيم
ولظى اشتياقك فى الحشا يتوقد
(فقال الشريف)
مادام لى جلد فلست بجازع
اذ كان صبرى فى العواقب يحمد
(فقال أبو تراب)
أحسنت كتمان الهوى مستحسن
لو كان ماء العين مما يجمد
(فقال الشريف)
ان كان جفنى فاضحى بدموعه
أظهرت للجلساء أنى أرمد
(فقال أبو تراب)
فهب الدموع اذا جرت موهتها
فيقال لم أنفاسه تتصعد
(فقال الشريف)
أمشى وأسرع كى يظنوا أنها
من ذلك المشى السريع تولد (فقال أبو تراب)
هذا يجوز ومثله مستعمل
لكن وجهك بالمحبة يشهد
(فقال الشريف)
ان كان وجهى شاهدا بهوى فما
يدرى الى من بالمحبة أقصد
(فقال أبو تراب)
قد رجم الناس الظنون وأجمعوا

عبيدة وأبو عمرو الشيباني أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو واخوته مر بالقرية وهي اذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام فقال له مرداس بن أبي عامر أما ترى هذا الموضع قال بلى قال له قال نعم المزدرع هو فهل لك أن تكون شريكي فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك قال نعم فأضرما النار في الغيضة فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها فقال مرداس في ذلك

اني انتخبت لها حربا واخوته * اني بحبل وثيق العهد دساس

اني أقوم قبل الامر حجته * كيما يقال ولي الامر مرداس

قال فسمعوا هاتفا يقول لما احترقت الغيضة

ويل لحرب فارسا * مطاعنا مخالسا * ويل لحرب فارسا * اذ لبسوا القوانسا

لنقتلن بقتله * جحاجحا عنابسا

ولم يلبس حرب بن أمية ومرداس أن ماتا فأما مرداس فدفن بالقرية ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن عهرو السلمي ثم الظفري فقال في ذلك عباس بن مرداس

أكليب مالك كل يوم ظالما * والظلم أنكد وجهه ملعون

عجبا لقومك يحسبونك سيدا * وأخال انك سيد مغبون

فاذا رجعت الى نسائك فادّهن * ان المسالم رأسه مدهون

وافعل بقومك ما أراد بوائل * يوم الغدير سميك المطعون

وأخال أنك سوف تلقى مثلها * في جانبيك سنانه المسنون

ان القرية قد تبين أمرها * ان كان ينفع عندك التبيين

حين انطلقت تخطها لى ظالما * وأبو يزيد بجوّها مدفون

وقد روى البيت بلفظ وما بقرب قبر حرب قبر * ويقال انه لا يتهيأ لاحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات فلا يتعتع وقرب وقع خبر الليس وكان من حقه أن يقول قرب قبره فأتى بالظاهر موضع المضمر ليدل على لزوم التوجع (والشاهد فيه التنافر) لما في هذه الالفاظ من ثقل النطق بها ولذلك هرب أرباب الفصاحة من اللفظين المتقاربين الى الادغام لانتقال اللسان فيه اليهما انتقاله لواحدة وشبهوا النطق بالمتقاربين بمشي المقيد

(كريم متى أمدحه أمدحه والورى)

قائله أبو تمام الطائي وتمامه * معي واذا ما لمته لمته وحدي * وهو من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا المغيث موسى بن ابراهيم ويعتذر اليه وأولها

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي * ومحت كما محت وشائع من برد

وأنجدتموا من بعد اتهام داركم * فيا دمع أنجدني على ساكني نجد

لعمري لقد أخلقتم جدة البكا * بكاء وجددتم على بلى الوجد

الى أن قال في مديحها

أتاني مع الركبان ظن ظننته * نكست له رأسي حياء من المجد

لقد نكب الغدر الوفاء بساحتي * اذا وسرحت الذم في مسرح الحمد

وهتكت بالقول الخنا حرمة العلا * وأسلكت حر الشعر في مسلك العبد

نسيت اذا كم من يد لك شاكلت * يد القرب أعدت مستهاما على البعد

ومن زمن ألبستنيه كأنه * اذا ذكرت أيامه زمن الورد

وانك أحكمت الذي بين فكرتي * وبين القوافي من زمام ومن عقد

أن التي ذكرت اليها المقصد

(فقال الشريف)

لو يجمعون كما زعمت لما رووا لي في سواها ما نظمت وأنشدوا

(فقال أبو تراب)

قد كان حبك غيرها مستحققا والامر يحدث والهوى يتجدد

(فقال الشريف)

حققت حبي غيرها وجعلتها مظنونة ذا كله لي جيد

(فقال أبو تراب)

لو لم تقل ألفوا القطيعة جاز ان تنفي به بدر التمام وتجحد

(فقال الشريف)

ما قلت لي جلد نفيت به الهوى عني ولكن قلت في تجلد

(فقال أبو تراب)

فالى متى هذا وطرف رقيبها مغض وطيف خيالها متردد

(فقال الشريف)

أنا دائما أبغي الوصال فان أبت منه على عاداتها فسأجهد

(فقال أبو تراب)

اخضع وذل لمن تحب فليس في حكم الهوى أنف يشال ويعقد

(فقال الشريف)

ذا لا يكون مع الحبيب وانما مع ساقط متخيل يتعمد

(أنبأني) الشيخان الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي والشيخ جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد

وأصلت شعرى فاعتلى رونق الضحى * ولولاك لم يظهر زمانا من الغمد
وكيف وما أخللت بعدك بالحجا * وأنت فلم تخلل بمكرمة بعدى
أسربل هجر القول من لو هجوته * اذا لهجانى عنه معروفه عندى

وبعده البيت وبعده

ولولم يزعنى عنك غيرك وازع * لاعديتنى بالحلم ان العلا تعدى

(ومعنى البيت) هو كريم اذا مدحته وافقنى الناس على مدحه فيمدحونه لاسداء احسانه اليهم كاسدائه الى ولأ مدحه بشئ الا صدقنى الناس فيه وأن الناس وافقونى على وجود ما يوجب المدح للانسان من صفات الكمال فيه واذا لمته لا يوافقنى أحد على لومه لعدم وجود المقتضى له فيه وفى معناه قول الآخر

واذا شكوتك لم أجد لى مسعدا * ورميت فيما قلت بالبهتان

وقد ناقض هذا المعنى ابن أبى طاهر بقوله

يشركنى العالم فى ذمه * لكننى أمدحه وحدى

وطاهر العتابى المعروف بالمعتمد البغدادى بقوله

مدحتموه وحدى فلما هجوتهم * هجوتموه والناس كلهم معى

(والشاهد فيه التنافر أيضا) لما فى قوله أمدحه من الثقل لقرب مخرج الحاء من مخرج الهاء لان المخارج كلما قربت كانت الالفاظ مكدودة قلقة غير مستقرة فى أماكنها واذا بعدت كانت بعكس الاول ولهذا لم يوجد فى كلام العرب العين مع الغين ولا مع الحاء ولا مع الخاء ولا الطاء مع التاء حذرا مما مر وأيضا فيه ثقل من جهة التكرار فى أمدحه ولمته ومن قبيح التكرار قول الشاعر

وازور من كان له زائرا * وعاف عافى العرف عرفانه

(وأبو تمام) اسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الاشج بن يحيى بن مروان ينتهى الى طئ قال أبو القاسم الحسن بن بشر الاموى والذى عند أكثر الناس فى نسب أبى تمام أن أباه كان نصرانيا من أهل جاسم قرية من قرى الجيدور من أعمال دمشق يقال له تدوس العطار فجعلوه أوسا وولد أبو تمام بالقرية المذكورة سنة تسعين وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة وقيل سنة اثنتين وسبعين ونشأ بمصر وقيل انه كان يسقى الماء بالجرة فى جامع مصر وقيل كان يخدم حائكا ويعمل عنده ثم اشتغل وتنقل الى أن صار واحد عصره فى ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحسن أسلوبه وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره حتى قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد وله كتاب الحماسة الذى دل على غزارة فضله واتقان معرفته وحسن اختياره وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم وكان فى لسانه حبسة وفى ذلك يقول ابن المعذل أو أبو العميثل

يا نبى الله فى الشعر ويا عيسى ابن مريم * أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم

وهذا نوع من البديع يسمى الهجاء فى معرض المدح ومن مليح ما جاء فيه قول ابن سنا الملك فى قواد

لى صاحب أفديه من صاحب * حلو التأنى حسن الاحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه انه ربما * قاد الى المهجور طيف الخيال

ومنه قول ابن أبى الاصبع يهجو فقيها ذا أبنة

ابن فلان أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه * وهو فقيه ذو اجتهاد وقد
نص على التقليد فى درسه * يستحسن البحث على وجهه * ويوجب الفعل على نفسه

ووفد أبو تمام الى البصرة وبها عبد الصمد بن المعذل الشاعر فلما سمع بوصوله وكان فى جماعة من أتباعه

ابن أبى الفضل الانصارى المعروف بابن الحرستانى قاضى دمشق الآن أيدها الله تعالى اجازة قال أخبرنا الشيخ الفقيه الامام الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى قراءة عليه ونحن نسمع قال أخبرنا أبو السعادات أحمد بن أحمد بن عبد الواحد المتوكلى أخبرنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو عبد الله ابن أبى الفتح الفارسى حدثنا محمد بن حميد الجزار أخبرنا الصولى حدثنى أبو الفضل بن مخلد بن ابان حدثنا اسحق الموصلى قال حدثنا الاصمعى قال أول ما تكلم به النابغة يعنى الذبيانى من الشعر أنه حضر مع عمه عند رجل وكان عمه يحب أن يحاضر به الناس ويخاف أن يكون عييا فوضع الرجل كأسا فى يده وقال

تطيب نفوسنا لولا قذاها
ونحتمل الجليس على أذاها

(فقال النابغة)

قذاها أن صاحبها بخيل
يحاسب نفسه بكم اشتراها

(ومن ذلك) ما روى أن جريرا دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدى بن الرقاع العاملى ولم يكن جرير رآه قبل فقال الوليد أتعرف هذا يا جرير فقال لا يا أمير المؤمنين فقال هو ابن الرقاع فقال جرير شر الثياب الرقاع فمن هو قال هو رجل من

وغلمانه خاف من قدومه أن يميل الناس اليه ويعرضوا عنه فكتب اليه قبل دخوله البلد

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وتلقاهمو بوجه مذال * لست تنفك راجيا لوصال
من حبيب أو راغبا في نوال * أي ماء يبقى لوجهك هذا * بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما وقف على الابيات أعرض عن مقصده ورجع وقال قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه وقد تبعه الامير مجير الدين بن تميم بقوله

أنت بين اثنتين يا نجل يعقو * ب وكلتاهما مقر السياده * لست تنفك راكبا لرعيد
مسبطرا أو حاملا خف غاده * أي ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل البغا وذل القياده

ولما أنشد أبو تمام أبا دلف العجلي قصيدته البائية التي أولها

على مثلها من أربع وملاعب * اذيلت مصونات الدموع السواكب

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال والله انها لدون شعرك ثم قال والله ما مثل هذا القول في الحسن الا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسي فقال أبو تمام وأي ذلك أراد الامير قال قصيدتك الرائية التي أولها

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وددت والله انها لك في فقال بل أفدي الامير بنفسي وأهلي وأكون المقدم قبله فقال انه لم يمت من رثي بهذا الشعر (وحدث) الرياشي قال كان خالد الكاتب مغرما بالغلمان المرد ينفق عليهم كل ما يفيد فهوى غلاما يقال له عبد الله وكان أبو تمام الطائي يهواه أيضا فقال فيه خالد

قضيب بان جناه ورد * يحمله وجنة وخد * لم أبن طرفي اليه الا * مات عزاء وعاش وجد
ملك طوع النفوس حتى * علمه الزهو حين يبدو * فاجتمع الصد فيه حتى * ليس لخلق سواه صد

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتا منها قوله

شعرك هذا كله مفرط * في برده يا خالد البارد

فعلقها الصبيان ولم يزالوا يصيحون به يا خالد يا بارد حتى وسوس وقد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه

يا معشر المـــرد اني ناصح لكم * والمرء في القول بين الصدق والكذب
لا ينكحن حبيبا منكم أحــــد * فداؤه وجعاته أعدى من الجرب
لا تأمنوا أن تحولوا بعــــد ثالثة * فتركبوا عمدا ليست من الخشب

ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التي أولها

* أهن عوادي يوسف وصواحبه * أنكر عليه أبو العميثل وقال له لم لا تقول ما يفهم فقال له لم لا تفهم ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على البديهة وذكر الصولي انه امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة سينية فلما انتهى الى قوله فيها

اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء اياس

قال له الكندي الفيلسوف وكان حاضرا الامير فوق ما وصفت فأطرق قليلا ثم رفع رأسه وأنشد

لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

فعجبوا من سرعة فطنته وما ذكر من أنه أنشد القصيدة للخليفة وأن الوزير قال أي شئ طلبه فاعطه فانه لا يعيش أكثر من أربعين يوما لانه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهي فقال أريد الموصل فأعطاه اياها فتوجه اليها وبقي هذه المدة ومات فشئ لا صحة له أصلا والصحيح ما ذكرناه وان الحسن بن وهب اعتنى به وولاه بريد الموصل فأقام بها أقل من سنتين وتوفي بها سنة احدى وثلاثين ومائتين وقيل ثمان وعشرين وقيل اثنتين وثلاثين وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبة خارج باب الميدان على حافة الخندق ورثاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم

عاملة فقال جرير وهو من الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة تصلى نارا حامية قال ويلك يا ملعون فأنشأ جرير يقول

يقصر باع العاملي عن الندى
ولكن اير العاملي طويل

(فابتدر عدي فقال)

أأمك كانت أخبرتك بطوله
أم انت امرؤ لم تدر كيف تقول

فقال جرير امرؤ لم أدر كيف أقول فوثب عدي فأكب على رجل الوليد يقبلها ويقول أجرني منه يا أمير المؤمنين فالتفت الوليد الى جرير وقال وتربة عبد الملك لئن هجوته لألجمنك ولأسرجن عليك ولأطيفنك بدمشق فخرج جرير فصنع قصيدته التي أولها

حي الهدملة من ذات الاواعيس

فالحنو أصبح قفرا غير مأنوس

افتخر فيها بنزار وعدد أيامهم وهجا قحطان وعرض بعدي ولم يسمه فقال

اقصر فان نزارا لا بغا لهم
فرع لئيم وأصل غير مغروس
وابن اللبون اذا ما لز في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس

(ومن ذلك) ما رواه عوانة ابن الحكم ويحيى بن عيينة القرشي قالا اجتمع جرير والفرزدق عند بشر بن

بقوله وهو يومئذ وزير وقيل انه لابي الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب مولى بني أمية

نبأ أتى من أعظم الانباء * لما ألم مقلقل الاحشاء
قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم * ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

وحكى ابن عدلان الموصلي النحوي المترجم قال سألت ابن عنين عن معنى قوله

سقى الله دوح الغوطتين ولا ارتوت * من الموصل الحدباء الاقبورها

ولم حرمها وخص القبور قال لاجل أبي تمام ومن محكم شعره قوله من قصيدة

أخرست اذ عاينتني حتى اذا * ماغبت عن بصري ظللت تشدق
عير رأى أسد العرين فهاله * حتى اذا ولى تولى ينهق
هيهات غالك أن تنال مآثري * است بها سعة وباع ضيق
قل ما بدالك يا ابن ترما فالصدى * بمهذب العقبان لا يتعلق
أنعشت حتى عبتهم قل لي متى * فرزنت سرعة ما أرى يا بيدق
اياك يعني القائلون بقولهم * ان الشقي بكل حبل يخنق
فلتعلمن حريم من واهاب من * وقديم من وحديث من يتمزق

وقوله من قصيدة أخرى

أعوام وصل كاد ينسي طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أردفت * نحوي أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وقد اختصر معنى هذه الابيات المتنبي في قوله

قصرت مدة الليالي المواضي * فأطالت بها الليالي البواقي

ولابن الفارض رحمه الله هذا المعنى بعينه مع الاختصار المعجز وهو

أعوام اقباله كاليوم في قصر * ويوم اعراضه في الطول كالحجج

وديوان نظمه مشهور وقد نثرت من لآلئه في أثناء هذا المؤلف ما فيه غنى ان شاء الله تعالى

(وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه)

البيت للفرزدق من قصيدة من الطويل يمدح بها ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان (والشاهد فيه التعقيد) وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد امالخلل في نظم الكلام فلا يتوصل منه الى معناه أولا انتقال الذهن من المعنى الاول الى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا والاول هو الشاهد في البيت (والمعنى فيه) وما مثله يعني الممدوح في الناس حي يقاربه أي أحد يشبهه في الفضائل الا مملكا يعني هشاما أبو أمه أي أبو أم هشام أبوه أي أبو الممدوح فالضمير في أمه للملك وفي أبوه للممدوح ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبره بأجنبي وهو حي وكذا فصل بين حي ويقاربه وهو نعته بأجنبي وهو أبوه وقدم المستثنى على المستثنى منه فهو كما تراه في غاية التعقيد وكان من حق الناظم أن يقول وما مثله في الناس أحد يقاربه الا مملك أبو أمه أبوه ومن التعقيد قول الفرزدق أيضا

الى ملك ما أمه من محارب * أبوه ولا كانت كليب تصاهره

أي الى ملك أبوه ما أمه من محارب أي ما أمه منهم ومثله قول الشاعر

فما من فتى كنا من الناس واحدا * به نبتغي منهم عديلا نبادله

أي فما من فتى من الناس كنا نبتغي واحدا منهم عديلا نبادله به وقول الآخر

وما كنت أخشى الدهر احلاس مسلم * من الناس دينا جاءه وهو مسلم

أي وما كنت أخشى الدهر احلاس مسلم مسلما من الناس دينا جاءه وهو أي جاءه معا ومثله قول أبي تمام

مروان فقال لهما انكما قد تعارضتما الاشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخار وتهاجيتما فاما الهجاء فلا حاجة لي فيه ولكن جددا بين يدي فخرا ودعا ما مضى فقال الفرزدق

نحن السنام والمناسم غيرنا
ومن ذا يسوى بالسنام المناسما

(فقال جرير)

على معقد الاستاه أنتم زعمتم
وكل سنام تابع للغلاصم

(فقال الفرزدق)

على محرض للفرس أنتم زعمتم
الا ان فوق الغلصمات الجماجما

(فقال جرير)

وأنبأتمونا انكم هام قومكم
ولا هام الا تابع للخراطم

(فقال الفرزدق)

فنحن الزمام القائم المقتدى به
من الناس ما زلنا فلسنا لهازما

(فقال جرير)

فنحن بنو زيد قطعنا زمامها
فتاهت كسار طائش الرأس عارم

فقال بشر يا جرير غلبته بقطعك الزمام وذهابك بالناقة ثم أحسن جائزتهما وفضل جريرا (ومن ذلك) ما ذكره ابن سلام في طبقات الشعراء قال اجتمع جرير والفرزدق والاخطل في مجلس عبد الملك فاحضر بين يديه كيسا فيه خمسمائة دينار وقال لهم ليقل كل منكم بيتا في مدح نفسه فأيكم غلب فله الكيس فبدر

كاثنين فى كبد السماء ولم يكن * كاثنين ثان اذهما فى الغار

(والفرزدق) رحمه الله اسمه همام بن غالب بن صعصعة التميمى أبو فراس صاحب جرير وكان أبوه غالب من جلة قومه ومن سراتهم وكنيته أبو الاخطل لولد كان له اسمه الاخطل وهو شاعر أيضا ووهم بعضهم فيه فظنه الاخطل التغلبى النصرانى وجعله أخا للفرزدق وهذا من أعجب العجب اذ الفرزدق مسلم وأبوه وجده صعصعة صحابى رضى الله تعالى عنه فكيف يتصور أن يكون الاخطل النصرانى أخاله وصعصعة رضى الله عنه له صحبة لكنه لم يهاجر وهو الذى أحيى الوئيدة وبه افتخر الفرزدق فى قوله

وجدى الذى منع الوائدات * فأحيى الوئيد ولم يوئد

قيل انه رضى الله عنه أحيى ألف موؤدة وحمل على ألف فرس وأم الفرزدق ليلى بنت حابس أخت الاقرع بن حابس رضى الله عنه روى الفرزدق رحمه الله عن على بن أبى طالب وأبى هريرة والحسين وابن عمر وأبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ووفد على الوليد وسليمان ابنى عبد الملك ومدحهما قال ابن النجار ولم أرله وفادة على عبد الملك بن مروان وقال الكلبى رضى الله عنه وفد على معاوية ولم يصح روى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فتحرك فاذا فى رجليه قيد فقلت ما هذا يا أبا فراس قال حلفت أن لا أخرجه من رجلى حتى أحفظ القرآن وكان كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به الا قام معه وساعده على بلوغ غرضه وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فيه وفى جرير فى المفاضلة بينهما والاكثرون على أن جريرا أشعر منه وقد أنصف الاصفهانى فقال أما من كان يميل الى جودة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السمح الغزل فيقدم جريرا وكان جرير قد هجا الفرزدق بقصيدة منها

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

فاتفق أن الفرزدق بعد ذلك نزل بامرأة من أهل المدينة وجرى له معها قصة يطول شرحها وملخص الامر أنه راودها عن نفسها بعد ان كانت أضافته وأحسنت اليه فامتنعت عليه وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز رحمه الله وهو يومئذ والى المدينة المنورة فأمر باخراجه منها فأركب على ناقة لينفى فقال قاتل الله ابن المراغة يعنى جريرا كأنه شاهد هذا الحال حين قال وذكر البيت السابق ومن شعره لما كان فى المدينة المنورة

هما دلتانى من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الاسباب لا يشعروا بنا * وأقبلت فى أعجاز ليل أبادره

أحاذر بوابين قد وكلا بنا * وأسود من ساج تصر مسامره

فقال جرير لما بلغه ذلك لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا * فجاءت بوزواز قصير القوادم

يوصل حبليه اذا جن ليله * ليرقى الى جاراته بالسلالم

تدليت تزنى من ثمانين قامة * وقصرت عن باع العلا والمكارم

هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا * مداخل رجس بالخبيثات عالم

لقد كان اخراج الفرزدق عنكم * طهورا لما بين المصلى وواقم

فأجاب الفرزدق عنها بقصيدة طويلة منها

وان حراما أن أسب مقاعسا * بآبائى الشم الكرام الخضارم

ولكن نصفا لو سببت وسبنى * بنو عبد شمس من مناف وهاشم

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم * وأعتد أن أهجو كليبا بدارم

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق الاول جاؤا الى مروان بن الحكم وهو والى المدينة من قبل معاوية فقالوا ما يصلح هذا الشعر بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوجب على نفسه الحد فقال مروان

الفرزدق فقال

أنا القطران والشعراء جربى * وفى القطران للجربى شفاء

فقال الاخطل

فان تك زق زاملة فانى * أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير

أنا الموت الذى آتى عليكم * فليس لهارب منى نجاء

فقال خذا الكيس فلعمرى ان الموت يأتى على كل شئ (ومن ذلك) ماروى أن جريرا اجتمع مع الفرزدق فى مجلس عبد الملك فقال الفرزدق النوار بنت مجاشع طالق ثلاثا ان لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبدا ولا يجد فى الزيادة عليه مذهبا فقال عبد الملك ما هو فقال

فانى أنا الموت الذى هو واقع * بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

وما أحد يا ابن الاتان بوائل * من الموت ان الموت لاشك نائله

فأطرق جرير قليلا ثم قال أم حرزة طالق منه ثلاثا ان لم أكن نقضته وزدت عليه فقال عبد الملك هات فقد والله طلق أحدكما لا محالة فأنشد

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس * بكفيك يا ابن القين هل أنت نائله

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد

لست أحده ولكن أكتب الى من يحده وآمره بأن يخرج من المدينة وأجله ثلاثة أيام لذلك فقال الفرزدق

توعدني وأجلني ثلاثا * كما وعدت لمهلكها ثمود

ثم كتب مروان الى عامله كتابا يأمره أن يحده ويسجنه وأوهمه انه كتب له بجائزة ثم ندم مروان على ما فعل فوجه سفيرا وقال للفرزدق انى قد قلت شعرا فاسمعه

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينة انها مرهوبة * واقصد لمكة أو لبيت المقدس

وان اجتنبت من الامور عظيمة * فخذن لنفسك بالعظيم الاكيس

فلما وقف الفرزدق عليها فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال

يا مروان ان مطيتي محبوسة * ترجو الحباء وربها لم ييأس

وحبوتني بصحيفة مختومة * يخشى علي بها حباء النقرس

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن * نكداء مثل صحيفة المتلمس

وأتى سعيد بن العاص الاموي وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم فأخبرهم الخبر فأمر له كل واحد بمائة دينار وراحلة وتوجه الى البصرة فقيل لمروان أخطأت فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر فوجه اليه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة تخوفا من هجائه ونزل يوما في بني منقر والحي خلوف فجاءت أفعى فدخلت مع جارية فراشها فصاحت فاحتال الفرزدق فيها حتى انسابت ثم ضم الجارية اليه فزبرته ونحته عنها فقال

وأهون عيب المنقرية انها * شديد بيطن الحنظلي لصوقها

رأت منقرا سودا قصارا وأبصرت * فتى دارميا كالهلال بروقها

وما أنا هجت المنقرية للصبا * ولكنها استعصت علي عروقها

فلما هجاها استعدت عليه زيادا فهرب الى مكة المشرفة فأظهر زياد أنه لو أتاه لحباه فقال الفرزدق

دعاني زياد للعطاء ولم أكن * لاقربه ما ساق ذو حسب وقرا

وعند زياد لو يريد عطاءهم * رجال كثير قد يرى بهم فقرا

واني لأخشى أن يكون عطاؤه * اذا هم سودا أو محدرجة سمرا

قال ابن قتيبة سودا يعني السياط والمحدرجة القيود وهذه الجارية يقال لها ظمياء وهي عمة اللعين الشاعر المنقري ودخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب في بركة يتبردون فيها ومعهم ابن أبي علقمة الماجن فجعل يتلفت الى الفرزدق ويقول دعوني أنكحه فلا يهجونا أبدا وكان الفرزدق من أجبن الناس فجعل يستغيث ويقول لا يمس جلده جلدي فيبلغ ذلك جريرا فيوجب علي أنه وقد كان منه الي الذي يقول فلم يزل يناشدهم حتى كفوه عنه وركب يوما بغلته ومر بنسوة فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة ضراطا فضحكن منه فالتفت اليهن وقال لا تضحكن فما حملتني أنثى الا ضرطت فقالت احداهن ما حملك أكثر من أمك فأراها قد قاست منك ضراطا عظيما لخرك بغلته وهرب ويقال انه مر وهو سكران على كلاب مجتمعة فسلم عليهم فلما لم يسمع الجواب أنشأ يقول

فما رد السلام شيوخ قوم * مررت بهم على سكك البريد

ولا سيما الذي كانت عليه * قطيفة أرجوان في القعود

وقال ما أعياني جواب قط الا جواب دهقان مرة قال لي أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم قال ان هجوتني تخرب ضيعتي قلت لا قال فتموت عيشونة ابنتي قلت لا قال فرجلي الى عنقي في حر أمك فقلت ويحك لم تركت رأسك قال حتى أنظر أي شئ تصنع يا ابن الزانية وكان الفرزدق يقول خير السرقة ما لا يقطع فيه يعني بذلك سرقة الشعر وقال قد علم الناس أني أفحل الشعراء وربما أتت علي الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون علي من قول بيت ومن جيد شعره قوله

قالت

يخشى بمثل الدهر شيأ يطاوله فقال عبد الملك فضلك والله يا أبا فراس وطاق عليك فقال الفرزدق فاري أمير المؤمنين فقال وايم الله لا تريم حتى تكتب الى النوار بطلاقها فأتاني ساعة فزجره عبد الملك فكتب بطلاقها وقال في ذلك

ندمت ندامة الكسعي لما
غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها
كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أني ملكت يدي ونفسي
لكان الي للقدر الخيار

وقد أفضى الحال الى ذكر خبر الكسعي الذي تمثل به الفرزدق في الندامة اذ الحديث شجون واللسان غير مسجون وهو أنه خرج يرعى ابلاله في واد فيه حمض وشوحط فرأى قضيب شوحط نابتا في صخرة صماء ملساء فقال نعم منبت العود في قرار الجلمود ثم أخذ سقاءه فصب ما كان فيه من ماء في أصله فشربه لشدة ظمئه وجعل يتعاهده بالماء سنة حتى سبط العود وبسق واعتدل فقطعه وجعل يقومه ويقوم أوده حتى صلح فبراه قوسا وهو يرتجز ويقول

أدعوك فاسمع يا الهي جرسي
يارب سددني لنحت قوسي
وانفع بقوسي ولدي وعرسي
فانها من لذتي لنفسي
انحتها صفراء لون الورس

قالت وكيف يميل مثلك للصبا * وعليك من سمة الحليم وقار

والشيب ينهض فى الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

وقيل للعين المنقرى اقض بين جرير والفرزدق فقال

سأقضى بين كلب بنى كليب * وبين القين قين بنى عقال * فان الكلب مطعمه خبيث

وان القين يعمل فى سفال * فما بقيا على تركتماني * ولكن خفتما صرد النبال

وقال أبو عمرو بن العلاء حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه فما رأيت أحسن ثقة منه بالله تعالى توفى سنة عشر ومائة وقيل سنة اثنتى عشرة وقيل سنة أربع عشرة ورثاه جرير بأبيات منها قوله

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل * ولا ذات بعل من نفاس تعلت

هو الوافد الميمون والراتق الثأى * اذا النعل يوما بالعشيرة زلت

ورثاه أيضا بغير ذلك وقال ابنه لبطة رأيت أبى فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال نفعتنى الكلمة التى نازعت فيها الحسن عند القبر وذلك أن الحسن البصرى لما وقف على قبر النوار زوجة الفرزدق والفرزدق واقف معه والناس ينظرون فقال الحسن ما للناس فقال الفرزدق ينظرون خير الناس وشر الناس فقال انى لست بخيرهم ولست بشرهم ولكن ما أعددت لهذا المضجع فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ سبعين سنة وروى فى النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى باخلاصى يوم الحسن وقال لولا شيبتك لعذبتك بالنار وقصته فى تزوجه بالنوار ابنة عمه شهيرة ورزق منها أولادا وهم لبطة وسبطة وكلطة وليس لواحد منهم عقب

(سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناى الدموع لتجمدا)

البيت للعباس بن الاحنف من أبيات من الطويل (والشاهد فيه السبب الثانى) الحاصل به التعقيد وهو الانتقال فان معنى البيت أطلب وأريد البعد عنكم أيها الأحبة لتقربوا اذ من عادة الزمان الاتيان بضد المراد فاذا أريد البعد يأتى الزمان بالقرب وأريد وأطلب الحزن الذى هو لازم البكاء ليحصل السرور بما هو من عادة الزمان فأراد أن يكنى عما يوجبه دوام التلاقى من السرور بالجمود لظنه أن الجمود هو خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شئ آخر وأخطأ فى مراده اذ الجمود هو خلو العين من البكاء حالة ارادة البكاء منها كقول أبى عطاء يرثى ابن هبيرة

ألا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجارى دمعها لجمود

وقول كثير عزة ولم أدر أن العين قبل فراقها * غداة الشبا من لاعج الوجد تجمد

فلا يكون الجمود كناية عن السرور بل عن البخل فيكون الانتقال من جمود العين الى بخلها بالدموع لا الى ما قصده من السرور ولو كان فى الجمود صلاحية لان يراد به عدم البكاء حال المسرة لجاز أن يقال فى الدعاء لا زالت عينك جامدة كما يقال لا أبكى الله عينك وهذا غير مشكوك فى بطلانه وعليه قول أهل اللغة سنة جماد أى لا مطر فيها وناقة جماد أى لا لبن فيها وقد فسر المبرد فى الكامل هذا البيت بغير هذا فقال هذا رجل فقير يبعد عن أهله ويسافر ليحصل ما يوجب لهم القرب وتسكب عيناه الدموع فى بعده عنهم لتجمدا عند وصوله اليهم وأنشد تقول سليمى لو أقمت بأرضنا * ولم تدر أنى للمقام أطوف

ومنه قول الربيع بن خيثم وقد صلى طول ليلته حتى أصبح وقال له رجل أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب (ومثله) قول روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ونظر اليه رجل واقفا بباب المنصور فى الشمس فقال له الرجل قد طال وقوفك فى الشمس فقال روح ليطول قعودى فى الظل (وقال الزجاج فى أماليه) أخبرنا أبو الحسن الاخفش قال كنت يوما بحضرة ثعلب فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس فقال لى الى أين ما أراك تصبر عن مجلس الخلدى يعنى المبرد فقلت له لى حاجة فقال لى انى أراه يقدم البحترى على أبى تمام فاذا أتيته فقل له ما معنى قول أبى تمام أآلفة النحيب كم افتراق * أظل فكان داعية اجتماع

صاد اذا اينعت كقسى النكس ثم برى بقيته خمسة أسهم وهو يرتجز ويقول

هن لعمرى خمسة حسان

يلذ للرمى بها البنان

كأنما قوامها ميزان

فأبشروا بالخصب يا صبيان

ان لم يعقنى الشؤم والحرمان

أو يرمنى بكيده الشيطان

ثم أخذ قوسه وأسهمه وخرج الى مكمن كان موردا للحمر فى الوادى فوارى شخصه حتى اذا وردت رمى عيرا منها بسهم فمرق منه بعد أن أنفذه وضرب صخرة فقدح منها نارا فظن انه قد أخطأ فقال

أعوذ بالله العزيز الرحمن

من نكد الجد معا والحرمان

مالى رأيت السهم فوق الصفوان

يرمى شرارا مثل لون العقيان

فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم وردت حمر أخرى فرمى عيرا فصنع سهمه كالاول فظنه أخطأ فقال

أعوذ بالرحمن من شر القدر

أأخطأ السهم لارهاف الوتر

أم ذاك من سوء احتيال ونظر

وانني عهدى لرام ذو ظفر

مطعم بالصيد فى طول الدهر

ثم وردت حمر أخرى فرمى عيرا منها بسهم ففعل سهمه كالاول وظنه أخطأ فقال

يا حسرتا للشؤم والجد النكد

قد شفنى القوت لاهلى والولد

والله ما خلفت فى ذاك العهد

قال أبو الحسن فلما صرت الى أبي العباس المبرد سألته عنه فقال معنى هذا أن المتحابين والمتعاشقين قد
يتصارمان ويتهاجران دلالا لا عزما على القطيعة فاذا حان الرحيل وأحسا بالفراق تراجعا الى الوداد
وتلاقيا خوف الفراق وأن يطول العهد بالالتقاء بعده فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع كما قال الآخر

متعا بالفراق يوم الفراق * مستجيرين بالبكا والعناق
وأظل الفراق فالتقيا فيه * فراق أتاهما باتفاق
كيف أدعو على الفراق بحتف * وغداة الفراق كان التلاقي

قال فلما عدت الى مجلس ثعلب سألني عنه فأعدت عليه الجواب والابيات فقال ما أشد تمويهه ما صنع شيأ
انما معنى البيت أن الانسان قد يفارق محبوبه رجاء أن يغنم في سفره فيعود الى محبوبه مستغنيا عن
التصرف فيطول اجتماعه معه ألا تراه يقول في البيت الثاني

وليست فرحة الاوبات الا * لموقوف على ترح الوداع

وهذا نظير قول الآخر بل منه أخذ أبو تمام

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا ذاك بعينه وذكرت بما تقدم آنفا من أن عادة الزمان الاتيان بضد المراد أي وان كان على وفق الارادة
الالهية قول الباخرزي وطالما اخترت الفراق مغالطا * واحتلت في استثمار غرس ودادي
ورغبت عن ذكر الوصال لانها * تبني الامور على خلاف مرادي

(والعباس بن الاحنف) هو خال ابراهيم بن العباس الصولي وهو حنفي يمامي وكان رقيق الحاشية لطيف
الطباع وله مع الرشيد أخبار قال بشار مازال غلام من بني حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها حتى قال

أبكي الذين أذاقوني مودتهم * حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملوني منهم قعدوا
لأخرجن من الدنيا وحبهم * بين الجوانح لم يشعر به أحد

وكان في العباس آلات الظرف كان جميل المنظر نظيف الثوب فاره المركب حسن الالفاظ كثير النوادر
شديد الاحتمال طويل المساعدة طلبه يحيى بن خالد البرمكي يوما فقال ان ماردة هي الغالبة على أمير
المؤمنين وانه جرى بينهما عتب فهي بعزة دالة المعشوق تأبى أن تعتذر وهو بعز الخلافة وشرف الملك
والبيت يأبى ذلك وقد رمت الامر من قبلهما فأعياني وهو أحرى أن تستفزه الصبابة فقل شعرا تسهل
به عليه هذه القضية وأعطاه دواة وقرطاسا فطلبه الرشيد فتوجه اليه ونظم العباس قوله

العاشقان كلاهما متغضب * وكلاهما متوجد متجنب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا * وكلاهما مما يعالج متعب
راجع أحبتك الذين هجرتهم * ان المتيم قلما يتجنب
ان التجنب ان تطاول منكما * دب السلو له فعز المطلب

ثم قال لاحد الرسل أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات فان كان فيها مقنع وجهت بها اليه فعاد الرسول وقال
هاتها ففي أقل منها مقنع فكتب الابيات وكتب تحتها أيضا

لا بد للعاشق من وقفة * تكون بين الوصل والصرم
حتى اذا الهجر تمادى به * راجع من يهوى على رغم

فدفع يحيى الرقعة الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر والله لكأني
قصدت بهذا فقال والله يا أمير المؤمنين وأنت المقصود به فقال الرشيد يا غلام هات نعلي فانني والله أراجعها
على رغم فنهض وأذهله السرور وأن يأمر للعباس بشيء ثم ان ماردة لما علمت بمجيء الرشيد اليها تلقته وقالت
كيف ذلك يا أمير المؤمنين فأعطاها الشعر وقال هذا الذي جاء بي اليك قالت فمن قاله قال العباس بن

الاحنف

لصبيتي من سبد ولا لبد
أذهب بالحرمان مع طول
الامد

ثم وردت فصنع كالاول فقال

ما بال سهمي يظهر الحباحبا
وكنت أرجو أن يكون
صائبا
اذ أمكن العير وأبدى جانبا
وصار ظني فيه ظنا كاذبا
وخفت أن أرجع يومي خائبا
اذ أفلتت أربعة ذواهبا

ثم وردت أخرى فصنع كالاول
فقال

أبعد خمس قد حفظت عدها
احمل قوسي وأريد ردها
أخزى الاله لينها وشدها
والله لا تسلم عندي بعدها
ولا أرجي ما حييت رفدها
قد أعذرت نفسي وأبلت
جهدها

ثم خرج من مكمنه
فاعترضته صخرة فضرب
بالقوس عليها حتى كسرها
ثم قال أبيت ليلتي ثم آتي أهلي
فبات فلما أصبح رأى خمسة
حمر مصرعة ورأى أسهمه
مضرجة بالدم فندم على
ما صنع وعض على أنامله
حتى قطعها وقال

ندمت ندامة لو أن نفسي
تطاوعني اذا لقتلت نفسي
تبين لي سفاه الرأي مني
لعمر الله حين كسرت قوسي
وقد كانت بمنزلة المفدى
لدي وعند صبياني وعرسي
فلم أملك غداة رأيت حولي
حمير الوحش أن ضرجت
خمسي

الاحنف قالت فبم كوفئ قال ما فعلت بعد شيأ فقالت والله لا أجلس حتى يكافأ فأمر له بمال كثير وأمرت هي له بدون ذلك وأمر له يحيى بدون ما أمرت به وحمل على برذون ثم قال له الوزير من تمام النعمة عندك أن لا تخرج من الدار حتى تؤثل لك بهذا المال ضيعة فاشترى له ضياعا بجملة من ذلك المال ودفع اليه بقيته ﴿وحدث﴾ أبو بكر الصولي عن أبي زكريا البصري قال حدثني رجل من قريش قال خرجت حاجا مع رفقة لي فعرجنا عن الطريق لنصلي فجاء نا غلام فقال لنا هل فيكم أحد من أهل البصرة فقلنا كلنا من أهل البصرة فقال ان مولاي من أهلها و يدعوكم اليه فقمنا اليه فاذا هو نازل على غدير ماء فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول

يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه * كلما جد الرحيل به * زادت الاسقام في بدنه

ثم أغمي عليه طويلا ونحن جلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعالي شجرة كان تحتها وجعل يغرد ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم أنشأ يقول

ولقد زاد الفؤاد شجا * طائر يبكي على فننه * شفه ما شفني فبكى * كلنا يبكي على سكنه

ثم تنفس نفسا فاضت معه نفسه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه فقال هذا العباس بن الاحنف وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة وقيل سنة اثنتين وماذكر من انه مات هو والكسائي وابراهيم الموصلي وهشيمة الخمارة في يوم واحد وأن الرشيد أمر المأمون أن يصلي عليهم وانه قدم العباس بن الاحنف رحمه الله لقوله

وسعى بها قوم وقالوا انها * لهي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * اني ليعجبني المحب الجاحد

ففيه نظر لان الكسائي مات سنة تسع وثمانين ومائة على خلاف فيه وما كان المأمون ممن يقدم العباس على مثل الكسائي وأيضا فقد روى الصولي أنه رأى العباس بن الاحنف بعد موت الرشيد بعتزله بباب الشام والله أعلم أي ذلك كان ومن شعره

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني * جنونا فزدني من حديثك يا سعد
هواها هوى لم يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

ومنه أيضا

اذا أنت لم تعطفك الا شفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع
وأقسم ما تركي عتابك عن قلى * ولكن لعلمي أنه غير نافع
واني ان لم ألزم الصبر طائعا * فلا بد منه مكرها غير طائع

ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة

يا أيها الرجل المعذب نفسه * أقصر فان شفاءك الاقصار
نزف البكاء دموع عينك فاستعر * عينا لعينك دمعها مدرار
من ذا يعيرك عينه تبكي بها * أرأيت عينا للبكاء تعار

وشعره كله جيد وجميعه في الغزل لا يكاد يوجد فيه مديح رحمه الله تعالى

﴿سبوح لها منها عليها شواهد﴾

قائله أبو الطيب المتنبي من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة بن حمدان أولها

عواذل ذات الخال في حواسد * وان ضجيع الخود مني لماجد
يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد
متى يشتفي من لاعج الشوق في الحشا * محب لها في قربه متباعد
اذا كنت تخشى العار في كل خلوة * فلم تتصباك الحسان الخرائد
ألح علي السقم حتى ألفته * ومل طبيبي جانبي والعوائد

(وقد روى في طلاق الفرزدق النوار غير هذا) وليس هذا موضع ذكره (وروى) الحاتمي في كتاب حلية المحاضرة وغيره قال خرج جرير والفرزدق من العراق طالبي الرصافة لهشام بن عبد الملك وقد مدحاه فلما كانا ببعض الطريق نزل جرير ليبول فتلفتت ناقة الفرزدق فضربها بالسوط وقال

علام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي
متى تردي الرصافة تستريحي * من الانساع والدبر الدوامي

ثم قال لرواتهما الساعة يجيء ابن المراغة فأنشده البيتين فينقضهما بأن يقول

تلفت انها تحت ابن قين * الى الكيرين والفاس الكهام
متى ترد الرصافة تخز فيها * كخزيك في المواسم كل عام

فرجع جرير فوجد القوم يضحكون فقال ما الخبر فقال أحد الرواة يا أبا حرزة أن أخاك أبا فراس وقع له كيت وكيت وأنشده البيتين الاولين فارتجل البيتين الآخرين فعجب القوم من ذلك الاتفاق وقالوا والله يا أبا حرزة لهكذا زعم انك تقول فقال أوما علمتم أن شيطاننا واحد ﴿وروى﴾ أن معن بن أوس المزني كان قد قدم البصرة وجلس

أهم بشيء والليالي كأنها * تطاردني عن كونه وأطارد

وحيد من الخلان في كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد

وتسعدني في غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليها شواهد

ومنها قوله في المديح خليلي انى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وهي طويلة والسبوح الفرس الحسن الجري يقال فرس سابح وسبوح وخيل سوابح لسبحها بايديها في مسيرها وسبوح اسم فرس لربيعة بن جشم وهو مرفوع على أنه فاعل تسعدني (والمعنى) وتعينني على توارد الغمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هي لها منها أدلة عليها (والشاهد فيه) كثرة التكرار وتتابع الاضافات وهي قوله لها منها عليها والله تعالى أعلم

(حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي)

قائله ابن بابك الشاعر المشهور من قصيدة من الطويل وتمامه

* فأنت بمرأى من سعاد ومسمع *

والجرعاء هي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها أو الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعص لا ينبت أو الكثيب جانب منه حجارة وجانب رمل وحومة القتال معظمه وكذلك من الماء والرمل وغيره والجندل الحجارة والسجع هدير الحمام ونحوه (والمعنى) ياحمامة جرعا هذا الموضع اسجعي وترنمي طربا فأنت بمرأى من الحبيبة ومسمع فجدير بك أن تطربي اذ لا مانع لك منه (والشاهد فيه) تتابع الاضافات فانه أضاف حمامة الى جرعا وحومة الى الجندل وهو من عيوب الكلام قال القزويني وفيه نظر لان ذلك ان أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم أي بقوله من تنافر الكلمات مع فصاحتها والا فلا يخل بالفصاحة كيف وقد جاء في التنزيل مثل دأب قوم نوح وقد قال صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم قيل لا نسلم وجود تتابع الاضافات في الحديث الشريف اذ لفظة الابن صفة لما قبلها وليس ما قبلها مضافا اليها وعن الصاحب بن عباد اياك والاضافات المتداخلة فانها لا تحسن وذكر الشيخ عبد القاهر انها تستعمل في الهجاء كقول القائل

ياعلي بن حمزة بن عماره * أنت والله ثلجة في خياره

قال ولا شك في ثقل ذلك لكنه اذا سلم من الاستكراه ملح وظرف ومما حسن فيه قول ابن المعتز

وظلت تدير الراح أيدي جآذر * عتاق دنانير الوجوه ملاح

وقول الخالدي

ويعرف الشعر مثل معرفتي * وهو على أن يزيد مجتهد

وصيرفي القريض وزان دينار المعاني الدقاق منتقد

وهذان البيتان لسعيد بن هشام الخالدي الشاعر المشهور من قصيدة يصف فيها غلاما له وهي بديعة فأحببت ذكرها وهي ماهو عبد لكنه ولد * خولنيه المهيمن الصمد

وشد أزري بحسن خدمته * فهو يدي والذراع والعضد

صغير سن كبير منفعة * تمازج الضعف فيه والجلد

في سن بدر الدجى وصورته * فنسله يصطفي ويعتقد

معشوق الطرف كحله كحل * معطل الجيد حليه الجيد

وورد خديه والشقائق والتفاح والجلنار منتضد

رياض حسن زواهر أبدا * فيهن ماء النعيم مطرد

وغصن بان اذا بدا واذا * شدا فقمري بانة غرد

مبارك الوجه مذ حظيت به * بالحور حتى وعيشتي رغد

بالمربد ينشد الناس فوقف عليه الفرزدق وقال يامعن من الذي يقول

لعمرك ما معن بتارك حقه * ولا منسىء معن

بأخفاف بطأن ولا سنام

فقال معن هو الذي يقول

لعمرك ماتيم أهل فلج

بأرداف الملوك ولا كرام

فقال الفرزدق حسبك فانما جربتك فقال قد جربت وأنت أعلم فانصرف عنه الفرزدق (وروي) في مثل هذا أن خلف بن خليفة الشاعر كان قد سرق فقطعت يده فصنع كفا وأصابع من جلود واتفق أن مر بالفرزدق في بعض الايام فأراد العبث به فقال ياأبا فراس من القائل

هو القين وابن القين لاقين مثله

لفطح المساحي أو لجدل الاداهم

فقال الفرزدق هو الذي يقول

هو اللص وابن اللص لالص مثله

لنقب جدار أو لطر دراهم

فانصرف مخزيا (وروي لنا عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال) كنت في مجلس عبد الملك والاخطل ينشده اذ دخل الجحاف بن حكيم السلمي فقطع الاخطل انشاده والتفت اليه وقال

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر

أنسي ولهوي وكل مأربتي * مجتمع فيه لي ومنفرد
مسامري ان دجى الظلام فلي * منه حديث كأنه الشهد
ظريف مزح مليح نادرة * جوهر حسن شراره يقد
خازن ما في داري وحافظه * فليس شئ لدي مفتقد
ومنفق مشفق اذا أنا أسرفت وبذرت فهو مقتصد
يصون كتبي فكلها حسن * يطوي ثيابي فكلها جدد
وأكثر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثرد
وهو يدير المدام ان جليت * عروس بكر نقابها الزبد
يمزج كأسي بدا أناملها * تنحل من لينها وتنعقد
نفقه كيسه فلا عوج * في بعض أخلاقه ولا أود

وبعده البيتان وبعدهما أيضا

وكاتب توجد البلاغة في * ألفاظه والصواب والرشد
وواجد بي من المحبة والرأفة أضعاف ما به أجد
اذا تبسمت فهو مبتهج * وان تمردت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت * له صفات لم يحوها أحد

وقد عارضها الشهاب محمود بقصيدة يذم فيها غلاماله وهي

ما هو عبد كلا ولا ولد * الا عناء تضنى به الكبد
وفرط سقم أعيى الاساة فلا * جلد عليه يبقى ولا جلد
أقبح ما فيه كله ولقد * تساوت الروح منه والجسد
أشبه شئ بالقرد فهو له * ان كان للقرد في الورى ولد
ذو مقلة حشو جفنها رمص * تسيل دمعا وما بها رمد
ووجنة مثل صبغة الورس لكن ذاك صاف ولونها كمد
كأنما الخد في نظافته * قد أكلت فوق صحنه غدد
يقطر سما فضحكه أبدا * شر بكاء وبشره حرد
يجمع كفيه من مهانته * كأنه في الهجير مرتعد
يطرق لا من حيا ولا خجل * كأنه للتراب منتقد
أكل الا في الشتم ينبح كالكلاب ولو أن خصمه الاسد
يشتمني الناس حين يشتموه * اذ ليس يرضى بشتمه أحد
كسلان الا في الاكل فهو اذا * ما حضر الا كل جمرة تقد
كالنار يوم الرياح في الحطب اليابس تأتي على الذي تجد
يرفل في حلة منبتة * من قلة رقم طرزها طرد
أجل أوصافه النميمة والكذب ونقل الحديث والحسد
كل عيوب الورى به اجتمعت * وهو بأضعاف ذلك منفرد
ان قلت لم يدر ما أقول وان * قال كلانا في الفهم متحد
كأن مالي اذا تسلمه * ماء قراح وكفه سرد
حلته لي دوية حسنت * كنت عليها في الظرف أعتمد
كمثل زهر الرياض ما وجدت * عيني لها مشبها ولا تجد

بقتلي أصيبت من سليم وعامر
قال فنفض الجفاف يده في وجهه وقال
نعم سوف نبكيهم بكل مهند
ونبكي عميرا بالرماح الشواجر
وكان ذلك عقب مقتل عمير ابن الحباب ثم قال لقد ظننت يا ابن النصرانية أنك لا تجسر على بهذا القول ولو وجدتني أسيرا في يدك فابرح الاخطل حتى حم فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال هبك أجرتني منه يقظة فمن يجيرني منه مناما فضحك عبد الملك قال على ابن ظافر وجرى هذا القول يوم البشر على تغلب

(ومن ذلك) ما رواه أبو عبيدة وابن عائشة من سؤال عبد الملك بن مروان عمر بن أبي ربيعة المخزومي عن مناقضته للفضل بن عباس اللهبي وغلبة الفضل عليه فقال عمر بينا أنا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب فوافقني وأنا أتمثل بهذا البيت

وأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الارض ليس بها هشام

فأقبل علي وقال يا أخا بني مخزوم ان بلدة تبجح بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة بأن لا تقشعر

فتر يوما بها على رجـــل * لديه علم اللصوص يستند
أودعهـا عنـده ففـرّ بهـا * وما حواه من بعدها البلد
فجاء يبكى فظلت أضحك من * فعلى وقلبى بالغيظ يتقـد
وقال لى لا تخف فليتـه * مشهورة الشكل حين يفتقد
عليه ثوب وعمـــة وله * ذقن ووجـه وساعد ويد
وقائل بعه قلت خـذه ولا * وزن تجـازى به ولا عدد
فبى الذى قد أضاعه عوض * وهو على أن يزيد مجتهـد

ومثله قول راشد الكاتب فى ذم غلام له قد باعه وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا

بعنا خسيسا فلم يحزن له أحـد * وغاب عنا فغاب الهم والنكد
أهون به خارجا من بين أظهرنا * لم نفتقده وكلب الدار يفتقد
قد عريت من صنوف الخير خلقته * فلا رواء ولا عقـل ولا جلد
يدعو الفحول الى ما تحت مئزره * دعاء من فى استه النيران تتقد

﴿وقال فيه أيضا﴾ عرضنا خسيسا فاحتمى كل تاجر * شراه وأعيى بيعه كل دلال
وما بات فى قـوم يحبـون قربه * فأصبح الا والحبـــيب له قالى
فما فى يديه خـدمة يشـتهى لها * ولا عنـده معـنى يراد على حال
بلى ليس يخلو من معايب أهله * وان أصبحوا فى ذروة الشرف العالى
اذا لم يجـد فيهـم مقالا رماهم * ببعض عيوب الناس فى الزمن الخالى
ويحتال فى استخراج ما فى بيوتهم * بما قصرت عنـه يدا كل محتـال
وان جـــلوه سرّ أمر أذاعه * وكادهـم وفيـه كيادة مغتـال
ويبعث بالجـــيران حتى يملهم * ويبرم أهل الدار بالقيل والقال
تريهم صروف الدهر من حمقاته * أعاجيب لم تخطر بوهم ولا بال
أقول وقـد مر وابه يعرضـونه * الى النار فاذهب لا رجعت ولا مالى

وقال العلامة ابن الوردى رحمه الله يهجو عبد الله اسمه بهادر

بهادر عبد لا بهاء ولا درّ * فيا أناحرّ يوم قولى له حرّ

﴿وأما ابن بابك﴾ فهو عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور أحد الشعراء المجيدين المكثرين وهو بغدادى وله ديوان كبير وأسلوب رائق فى نظم الشعر طاف البـلاد ومدح الاكابر كعضد الدولة والصاحب بن عباد وغيرهما وأجزلوا له الجوائز وذكر صاحب اليتيمة أنه كان يشتو فى حضرة الصاحب بن عباد و يصيف فى وطنه وقد ذكر ذلك فى بعض قصائده قال وقرأت للصاحب فصلا فى ذكره فاستملحه وهو وأما ابن بابك وكثرة غشيانه بابك فانما يغشى منازل الكرام والمنهل العـذب كثير الزحام ومن شعره فى وصف الخمر من قصيدة

عقار عليها من دم الصب نقطة * ومن عبرات المستهام فواقع
معوّدة غصب العقول كأنما * لها عند ألباب الرجال ودائع
تحير دمع المزن فى كأسها كما * تحير فى ورد الخدود المدامع

وله من أخرى فى وصف اضرام النار فى بعض غياض طريقه الى الصاحب

ومقلة فى مجرّ الشمس مسحبها * أرعيتها فى شباب السدفة الشهبا
حتى أرتنى وعين الشمس فاترة * وجه الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلة بت ســـلوالهم أولها * وعدت آخرها أستنجد الطربا

لهشام وان أشعر من هذا البيت وأصدق قول الذى يقول
انما عبد مناف جوهر
زين الجوهر عبد المطلب
فأقبلت عليه وقلت يا أخا بنى هاشم وان أشعر من صاحبك الذى يقول
ان الدليل على الخيرات أجمعها
أبناء مخزوم للخيرات مخزوم
فقال أشعر والله من صاحبك الذى يقول
جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها
اذ أم هاشم لا أبناء مخزوم
فقلت فى نفسى غلبنى والله ثم حملنى الطمع فى انقطاعه على مخاطبتى فقلت بل أشعر منه الذى يقول
أبناء مخزوم الحريق اذا
حركت نيرانه ترى ضرما
يخرج منه الشرار مع لهب
من حاد عن حره فقد سلما
فوالله ما تلعثم أن أقبل بوجهه وقال أشعر من صاحبك يا أخا بنى مخزوم الذى يقول
هاشم بحر اذا هى وطمى
أخمد حرّ الحريق واضطرما
واعلم وخير المقال أصدقه
بان من رام هاشما هشما
فقال يا أمير المؤمنـــين فتمنيت والله أن الارض ساخت بى ثم تجلدت وقلت يا أخا بنى هاشم أشعر من صاحبك الذى يقول

في غيضة من غياض الحسن دانية * صد الظلام على أوراقها طنبا
يهدي اليها مجاج الحرسا كنها * وكلما دب فيها أغـرت لهبا
حتى اذا النار طاشت في ذوائبها * عاد الزمرذ من عسدانها ذهبا
هرقت منها وثغر الصبح مبتسم * الى أغر يرى المذخور ما وهبا

وله أيضا

أحببته أسود العينين والشعره * في عينه عدة للوصل منتظره
لدن المقلد مخطوف الحشا ثملا * رخص العظام أشم الانف والقصره
للظبي لفتته والغصن قتلته * والروض ما بثه والرمل ما ستره
تكاد عيني اذا خاضت محاسنه * اليه تشرب من رقة البشره
حتى اذا قلت قد أملتها شرهت * شوقا اليه وفي عين المحب شره

ومنه

زمر الغروب وأصوات النواعير * والشرب في ظل أكواخ المناظير
وصرعة بين ابريق وباطية * ونقرة بين مزمار وطنبور
أشهى الي من البيداء أعسفها * ومن طلوع الثنايا الشهب والقور
يارب يوم على القاطول جاذبني * صبح الزجاجة فيه فضلة النور
صدعت طرته والشمس قاصدة * في يلق من ضباب الدجن مزرور
كأن ما انهل من أهداب مزنته * دمع تساقط من أجفان مهجور
فمن رشاش على الريحان مقتحم * ومن رذاذ على المنثور منثور

ومن شعره أيضا وغدير ماء أفعمت أطرافه * كالدمع لما ضاق عنه مجال
قمر الرياض اذا الغصون تمذلت * واذا الغصون تهدلت فهلال

ومنه وهو غريب التشبيه

وافى الشتاء فبزالنور بهجته * فعل المشيب بشعر اللمة الرجل
ورد تفتح ثم ارتد مجتمعا * كما تجمعت الافواه للقبل

وقد أخذه الامير مجير الدين بن تميم مع زيادة التضمين فقال

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وهذا التضمين من بيت للمتنبي في وصف الناقة وهو

ويغيرني جذب الزمام لقلبها * فمها اليك كطالب تقبيلا

فنقله ابن تميم الى وصف ذر الورد فأحسن غاية الاحسان وهو من قول مسلم بن الوليد

والعيس عاطفة الرؤس كأنما * يطلبن سر محدث في المجلس

وفي مثل قول ابن تميم قول الخباز البلدي دو بيت

ووردة تحكي بسبق الورد * طليعة تسرعت من جند
قد ضمها في الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

وذكرت بهذا ما قاله صاعد اللغوي صاحب كتاب الفصوص يصف بها كورة ورد حملت الى أبي عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور أتتك أبا عامر وردة * يحاكي لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها

فاستحسن المنصور ما جاء به فحسده الحسين بن العريف فقال هي لعباس بن الاحنف فناكر صاعد فقام ابن العريف الى منزله ووضع أبياتا وأثبتها في صفح دفتر وقد نقض بعض أسطاره وأتى بها قبل افتراق المجلس وهي عشوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها

أبناء مخزوم أنجم طلعت * للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالنيل قبل تسأله * جودا هنيا وتضرب البهما
فأقبل على أسرع من البرق وقال أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول
هاشم شمس بالسعد مطلعها * اذا بدت أخفت النجوم معا
اختار منها ربي النبي فمن * قارعنا بعد أحمد قرعا
فاسودت الدنيا في عيني وأدير بي فانقطعت فلم أحر جوابا فقلت يا أخا بني هاشم ان كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما تسعنا مفاخرتك فقال كيف لا أم لك والله لو كان منك لفخرت به على فقلت صدقت وأستغفر الله والله انه لموضع الفخار صلى الله عليه وسلم وداخلني السرور لقطعه الكلام ولئلا ينسالني بعجز عن اجابته فافتضح ثم انه ابتدأ المناقضة فأفكر هنيهة ثم قال قد قلت فلم أجد بدا من الاستماع فقلت هات فقال
نحن الذين اذا سما لفخارهم * ذو الفخر أقعده الزمان القعدد
فافخر بنا ان كنت يوما فاخرا * تلق الالى فخروا بفخرك أفردوا
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر * منا المبارك ذو الرسالة أحمد
ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم

فألفيتها وهي في خدرها * وقد صدع السكر ايناسها فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت الى وردة كفها * يحاكي لك المسك أنفاسها كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها فوليت عنها على غفلة * ولا خنت ناسي ولا ناسها
قال فخجل صاعد وحلف فلم يقبل منه وافترق المجلس على انه سرقها وتمكنت في صاعد لانه كان يوصف
بغير الثقة فيما ينقله ومن شعر ابن بابك يصف زمام الناقة وهو معنى جيد

ولقد أتيت اليك تحمل بزتي * حرف يسكن طيشها الأذلان
يثني الزفير خطامها فكأنه * غار يحاول نقبه ثعبان

وقد زاد فيه على المتنبي وقد ذكر الخيل

تجاذب فرسان الصباح أعنة * كأن على الاعناق منها أفاعيا

وهو من قول ذي الرمة رجيعة أسقام كأن زمامها * شجاع على يسرى الذراعين مطرق
على أن ذا الرمة لم يزد على التشبيه شيأ والمتنبي أتى به في عرض بيته وزاد مقصدا آخر وهو أن الخيل
لا تترك الاعنة تستقر في أيدي فرسانها لما فيها من سورة المرح وحسن البقية بعد طول السرى فكأنما
الاعنة أفاعي تلدغ أعناقها اذا باشرتها فتجاذبها الفرسان الاعنة وهي تجاذبهم اياها وهذا لم يقصده ذو الرمة
ولا يؤخذ من بيته ومن شعر ابن بابك بيت من قصيدة في غاية الرقة وهو

ومر بي النسيم فرق حتى * كأني قد شكوت اليه ما بي

ونقل بعضهم أن ابن بابك لما وفد على الصاحب بن عباد وأنشده مدائحه فيه طعن عليه بعض الحاضرين
وذكر أنه منتحل وانه ينشد قصائد قالها ابن نباتة السعدي فأراد الصاحب بن عباد أن يمتحنه فاقترح
عليه أن يقول قصيدة يصف فيها الفيل على وزن قول عمرو بن معدي كرب

أعددت للحدثان سا * بغة وعداء علندا (فقال) فيما لقد نشر الحيا * بمناكب العلمين بردا
وتنفست عنبية * تستضحك الزهر المندى * وجرية اللبات تنثر من سقيط الدمع عقدا
نازعتها حلب الشؤ * ن وقلما استعبرت وجدا * ومساجل لي قد شققت لداته في الحدا
لا ترم بي فأنا الذي * صيرت حر الشعر عبدا * بشوارد شمس القيا * د يزدن عند القرب بعدا
وممسك البردين في * شبه النقاشية وقدا * وكأنما نسجت عليه يد الغمام الجون جلدا
واذا لوت صفاته * أعطاك نسء الروم نقدا * فكأن معصم غادة * في ما ضفيه اذا تصدى
وكأن عودا عاطلا * في صفحتيه اذا تبدى * يحدو قوائم أربعا * يتركن بالتلعات وهدا
جأب المطوق قد تفرد بالكراهة واستبدا * فاذا تجلل هضبة * فكأن ظل الليل مدا
واذا هوى فكأن ركنا من عمان قد تردى * واذا استقل رأيت في * أعطافه هزلا وجدا
متقرطا أذناتهي * زجر العسوف اذا تعدى * خرقاء لا يجد السرا * واذا تولجها امردا
أوطأته صرعى بسيفي واجتنبت وصال سعدى * ملك رأى الاحسان من * عدد النوائب فاستعدا
كافي الكفاة اذا انثنت * مقل القنا الخطار رمدا * تكسوه نشر العرف كف * من جفون الطل أندى
لا زلت بالأمل المنا * ة لغارط الاملاق وردا * فالق الليالي لابسا * عيشا برود الظل رغدا

فاستحسنها الصاحب ولام الطاعن عليه على كذبه وادعائه انه انتحل شعر غيره فقال يا مولانا هذا والله معه
ستون فيلية كلها على هذا الوزن لابن نباتة فضحك منه وكان الصاحب قد برز أمره لابن بابك وغيره من
الشعراء الذين بحضرته أن يصفوا الفيل على هذا الوزن فمن قصيدة لأبي الحسن الجوهري

يزهو بخرطوم كشكل الصولجان يرد ردا * متمدد كالافعوا * ن تعده الرمضاء مدا
أوكم راقصة تشربه الى الندمان وجدا * وكأنه بوق يحر * كه لينفخ فيه جدا
يسطو بصارمتي لحى * يحطمان الصخر هدا * أذناه مروحتان أسندتا الى الفودين عمدا

هيهات ذلك هل ينال الفرقد
فحصرت وتبلدت وقلت لك عندي جواب فأنظرني فأفكرت مليا ثم أنشأت أقول

لا فخر الا قد علاه محمد * فاذا فخرت به فاني أشهد
ان قد فخرت وفقت كل مفاخر * واليك في الشرف الرفيع المعمد
ولنا دعائم قد بناها أول * في المكرمات جرى عليها المولد
من رامها حاشى النبي وأهله * بالفخر غطمطه الخليج المزبد
دع ذا ورح لغناء خود بضة * مما انطقت به وغنى معبد
مع فتية تندى بطون أكفهم * جودا اذا غلج الحسرون الانكد
يتناولون سلافة عانية * لذت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجابني بجواب كان أشد علي من الشعر فقال يا أخا بني مخزوم أريك السهى وتريني القمر قال أبو عبد الله اليزيدي يريد أدلك على الامر الغامض وأنت لم تبلغ أن ترى الامر الواضح وهو مثل ثم قال تخرج من المفاخرة الى شرب الخمر المحرمة فقلت له أما علمت أصلحك الله

عينيه

عيناه غائرتان ضـيقتا الجـع الضوء عمدا * ومن قصيدة لابي محمد الخازن
وكأنما خرطومـه * راووق خمر مدمدا * أومشـلـكم مسبل * أرخته للتوديع سعدى
واذا التوى فكأنه الـشعبان من جبل تردّى * وكأنما انقلبت عصا * موسى غداة بها تحدّى
وكانت وفاته فى سنة عشر وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى

﴿شواهد الفن الاول وهو علم البيان﴾

﴿جاء شقيق عارضا رمحه * ان بنى عمك فيهم رماح﴾

البيت لحجل بن نضلة من السريع وبعده

هل أحدث الدهر لنا ذلة * أم هل رمت أم شقيق سلاح

شقيق هنا اسم رجل (والمعنى) جاء هذا الرجل واضعا رمحه عرضا مفتخرا بتصريف الرماح مدلا بشجاعته دالا ذلك على اعجاب شـديد منه واعتقاد بأنه لا يقوم اليه أحد من بنى أعمامه كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح فقيل له تنكب وخل لهم طريقهم لئلا تتزاحم عليك رماحهم وتترا كم عليك أسنتها ان بنى عمك فيهم رماح كثيرة (والشاهد فيه) تنزيل غير المنكر للشئ منزلة المنكر له اذا ظهر عليه شئ من أمارات الانكار وقد تقدم معناه وما أحسن قول ابن جابر الاندلسى مشيرا الى شطر البيت الاول

ساع بالوصـل على بخله * وقال لى أنت بوصـلى حقيق
فقلت ما رأيك فى نزهـة * ما بين كاسات وروض أنيـق
فقال بعـنى خـده والمـا * هذا هو الروض وهذا الرحيق
فبت من دمعى ومن خده * ما بين نعـمان وبين العقيق
واذ تدللت على حبـه * فقـال ما تخشى أما تستفيق
قدّى وخدّى خفهما يا فتى * هـذا هو الرمح وهذا شـقيق

وقد ضمنه أبو جعفر الاندلسى أيضا فقال

أبدت لنا الصدغ على خدها * فأطلع الليل لنا صبحه
خـدها مع قـدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقد ضمنه ابن الوردى أيضا فقال

لما رأى الزهر الشقيق انثنى * منهزما لم يسـتطع لمحـه
وقال من جاء فقلنا له * جاء شـقيق عارضا رمحه

وأما حجل بن نضلة فهو أحد بنى عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر

﴿أشاب الصغير وأفنى الكبيـ * ـر كرّ الغداة ومرّ العشى﴾

البيت للصلتان العبدى الحماسى من قصيدة من المتقارب ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه الابيات للصلتان السعدى وقال هو غير الصلتان العبدى وبعد البيت

اذا ليلة أهرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتى * نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى * اذا قلت يوما لمن قد ترى * أرونى السرى أروك الغنى
بنىّ بدا خب نجوى الرجال * فكن عند سرك خب النجى
فسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفى * فكن كابن ليل على اسود * اذا ما سواد بليل خشى
فكل سواد وان هبته * من الليل يخشى كما تختشى * أرد محكم الشعر ان قلته * فان الكلام كثير الروى
كما الصمت أدنى لبعض الملا * م بعض التكلم أدنى لعى

ان الله تعالى يقول فى الشعراء وأنهم يقولون ما لا يفعلون فقال قد صدقت وقد استثنى الله عز وجل قوما منهم فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا فان كنت منهم فقد دخلت فى الاستثناء واستحققت العقوبة بدعائك اليها وان لم تكن منهم فالشرك بالله عز وجل عليك أعظم من الخمر فقلت أصلحك الله لا أرى للمستجدى شيأ أعظم من السكوت فضحك وقال استغفر الله ثم قام عنى فضحك عبد الملك حتى كاد يموت ثم قال يا ابن أبى ربيعة أما علمت أن لبنى عبد مناف ألسنة لا تطاق ثم قضى حوائج عمر وصرفه (قال على بن ظافر) وأحسب الحكاية مصنوعة لان أشعارها ضعيفة (وروى) ورقاء العامرى أن الحجاج قال لليلى الاخيلية لما وفدت عليه ان شبابك قد هرم فولى واضمحل أمرك وأمر توبة بن الحمير فأقسم عليك الا ما صدقتنى هل كان بينكما ريبة قط أو خاطبك فى ذلك قط فقالت لا والله أيها الامير الا انه قال لى مرة كلمة فيها بعض الخضوع فقلت له
وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه *

(ومعنى البيت) أن كرور الايام ومرور الليالى يجعل الصغير كبيرا والطفل شابا والشيخ فانيا (والشاهد فيه) جعل اسناد الافناء الى كرور الايام ومرور الليالى على الحقيقة لكون اسناده الى ما هو له عند المتكلم فى الظاهر والصلتان العبدى هو قثم بن حبية بن عبد القيس وهو شاعر مشهور قيل له اقض بين جرير والفرزدق فقال أنا الصلتان الذى قد علمتموا * متى ما يحكم فهو بالحق صادع

أتتنى تميم حين هابت قضاتها * وانى لبالفصل المبين قاطع

كما أنفذ الاعشى قضية عامر * وما التميم فى قضائى رواجع

سأقضى قضاء بينهم غير جائر * فهل أنت للحكم المبين سامع

قضاء امرئ لا يتقى الشتم منهم * وليس له فى المدح منهم منافع

فان كنتما حكمتمانى فأنصتا * ولا تجزعا وليرض بالحق قانع

فان يك بحر الحنظليين واحدا * فما تستوى حيتانه والضفادع

وما يستوى صدر القناة وزجها * وما يستوى شم الذرى والاكارع

وليس الذنابى كالقدامى وريشه * وما تستوى فى الكف منك الاصابع

ألا انما تحظى كليب بشعرها * وبالمجد تحظى دارم والاقارع

أرى الخطفى بذ الفرزدق شأوه * ولكن خيرا من كليب مجاشع

فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله * جرير ولكن فى كليب تواضع

ويرفع من شعر الفرزدق أنه * له باذخ لذى الخسيسة رافع

وقد يحمد السيف الردىء بغمده * وتلقاه رثا جفنه وهو قاطع

يناشدنى النصر الفرزدق بعدما * ألاحت عليه من جرير صواقع

فقلت له انى ونصرك كالذى * يثبت أنفا كشمته الجوادع

وفى ذلك يقول جرير رحمه الله تعالى

أقول ولم أملك سوابق عبرة * متى كان حكم الله فى كرب النخل

(ميز عنه قنزعا عن قنزع * جذب الليالى أبطئى أو أسرعى * أفناه قيل الله للشمس اطلعى)

هذه الابيات لابى النجم العجلى من قصيدة من الرجز أولها

قد أصبحت أم الخيار تدعى * على ذنبا كله لم أصنع * من أن رأت رأسى كرأس الاصلع

وبعده الابيات وبعدها حتى اذا وارا الذ افق فارجعى والقنزعة الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبى أو هى ما ارتفع من الشعر وطال أو الشعر حوالى الرأس وجمعها قنازع وقنزعات وجذب الليالى هو مضيها واختلافها يقال جذب الشهر اذا مضى عامته وأبطئى أو أسرعى صفة الليالى أى المقول فيها أبطئى أو أسرعى وقيل حال منها أى الليالى مقولا فيها أبطئى أو أسرعى والصلع انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر فى تلك البقعة وقصورها عنه واستيلاء الجفاف عليها ولتطامن الدماغ عما يماسه من القحف فلا يسقيه سقيه اياه وهو ملاقيه والموارة الستر (ومعنى الابيات) أن هذه الحبيبة يعنى أم الخيار زوجته أصبحت تدعى على ذنبا لم أرتكب شيأ منها لرؤيتها رأسى كرأس الاصلع لكبرى وشيخوختى ميز وفصل مر الايام ومضى الليالى الشعر الذى بقى حوالى الرأس وجوانبه ثم قال أفناه قيل الله وأمره للشمس بالطلوع والغروب (والشاهد فيها) هو أن جعل اسناد تمييز الشعر الى جذب الليالى مجاز بقرينة قوله أفناه الى آخره (وأبو النجم) تقدم التعريف به فى شواهد المقدمة

(يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا)

البيت لابى نواس من قصيدة من الوافر يهجو فيها الاعراب والاعرابيات ويذم عيشهم وأولها

وأنت لاخرى صاحب وخليل

فلا والله ما سمعت بعدها منه نغمة فيها ريبة حتى فرق الموت بيننا فقال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك فقالت وجه صاحبا له الى حاضر نافقال اذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الى خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه * عزيز علينا حاجة لا ينالها

(ومن ذلك) ما روى أبو صالح الفزارى قال أقبل شقران مولى سلامان من البصرة بتمر قد امتاره فلقيه ابن ميادة الرماح بن أبرد فقال له ما هذا الذى معك قال تمر امترته لاهلى يقال له زب رباح فقال ابن ميادة

كأنك لم تنقل لاهلك مرة * اذا أنت لم تنقل بزب رباح

(فقال شقران)

فان كان هذا زبه فانطلق به * الى نسوة سود الوجوه قباح

فغضب ابن ميادة ومضى عليه بالسوط يضربه ثم انصرف مغضبا * وكان المغيرة بن حبناء يهاجى زياد الاعجم له بتميمى وكان بالمغيرة

دع الرسم الذى دثرا * يقاسى الريح والمطرا * وكن رجلا أضاع العمر * ض فى اللذات والخطرا
ألم ترمابنى كسرى * وسابور لمن عبرا * منازل بين دجلة والـ * ـفرات احفها شجرا
بأرض باعد الرحمـ * ـن عنها الطلح والعشرا * ولم يجعل مصايدها * يرابيعا ولا وجرا
ولكن حوو غزلان * ترعى بالملا بقرا * وان شئنا احتشنا الطيـ * ـر من حافاتها زمرا

الى أن قال: أما والله لا اشرا * حلفت به ولا بطرا

لوان مرقشا حى * تعلق قلبه ذكرا * كأن ثيابه أطلعـ * ـن من أزراره قمرا
ومربه بديوان الـ * ـخراج مضمخا عطرا * بوجه سابرى لو * تصوب ماؤه قطرا
وقد خطت حواضنه * له من عنبر طررا * بعين خالط التفتيـ * ـر فى أجفانها حورا
يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا * لأيقن أن حب المر * د يلقى سهله وعرا
ولاسيما وبعضهم * اذا حييته انتهرا

(والمعنى فى البيت) أن وجهه لما فيه من نهاية الحسن وغاية الكمال كلما كررت النظر فيه زاده الله عندك حسنا وبهاء مع أن تكرار النظر الى الشئ قلما يحلو وفى معناه قول الآخر

كلما زدت اليه نظرا * زاد حسنا عند تكرار النظر

وقول ابن الرومى

لاشئ الا وفيه أحسنه * فالعين منه اليه تنتقل
فوائد العين فيه طارفة * كأنما أخرياتها أول

وقول المتنبى وهو المضاعف حسنه ان كررا وقول عبدوس المغربى

ياغزالا وهلالا * خلقا خلقا عجيبا * وقضيبا وكثيبا * جمعا قدا غريبا
قد غضضنا دونك الالـ * ـحاظ خوفا أن تذوبا * كلما زدناك لحظا * زدتنا حسنا وطيبا

وقول ابن الخيمى

ماينتهى نظرى منهم الى رتب * فى الحسن الا ولاحت فوقها رتب

وقول قوام الدين المعروف بابن الطراح

وعدك لا ينقضى له أمد * ولا لليل المطال منك غد * عللتنى بالمنا غدا فغدا * ان غدا سرمدا هو الابد
تفصلت عن واضح مقبله * عذب برود كأنه البرد * أحوم من حوله وبى ظمأ * الى جنى ريقه ولا أرد
وكلما زدت وجهه نظرا * بدت عليه محاسن جدد

وقريب منه قول ابن المطرز

ياحبيبا كله حسن * لمحب كله نظر * وجهه من كل ناحية * حيثما قابلته قمر

ومن ظريف مايذكرهنا أن يعقوب بن الدقاق مستملى أبى نصر صاحب الاصمعى قال كنا يوم جمعة بقبة الشعراء فى رحبة مسجد المنصور نتناشد وكنت أعلاهم صوتا اذ صاح بى صائح من ورائى يامنتوف فتغافلت كأنى لم أسمع شيأ فقال ويلك ياأعمى ياأعمى لم لا تتكلم فقلت من هذا فقالوا أبو دانق الموسوس فالتفت اليه فقال ويلك هل تعرف أحسن من هذا البيت أو أشعر من قائله وهو

ماتنظر العين منه ناحية * الا أقامت منه على حسن

فقلت كالمجاوب له لا فقال لا أم لك هلا قلت نعم قوله

يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا

ثم وثب وثبة فجلس الى جانبى وأقبل على وقال لى ياأعمى صف لى صورتك الساعة والا أخرجتك من بزتك ثم أقبل على من كان حاضرا فقال ظلمناه ظلمناه هو ضرير لم ير وجهه فمن أحسن منا أن يصفه فليصفه وكان على الحقيقة أقبح الناس وجها وكان يحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه ويدهن قال فلم يتكلم أحد فقال اكتبوا صفته فى رأسه وأنشد

أشبه وأشبه لولا ولو * بهينه ونفنفة الساق * باضخم قرعة عظمت وعمت * فليس لها الذى التمييز ثان

وضح فقال فيه زياد يصف بياضه

عجبت لابيض الخصيين عبد * كأن عجانه الشعرى العبور

فقيل له ياأبا امامة لقد شرفته ورفعت من قدره اذ تقول كان عجانه الشعرى فقال أوهكذا ظنكم لأزيدنه شرفا ورفعة ثم صنع فيه من قطعة فقال

لاتبصر الدهر منهم خاريا أبدا * الا وجدت على باب استه قمرا

واتفق انهما اجتمعا يوما بمجلس المهلب فجرى بينهما مهاترة فقال المغيرة لزياد

أقول له وأنكر بعض مابى * ألم تعرف رقاب بنى تميم

(فقال زياد)

بلى لعرفتهن مقصرات * جباه مذلة وسبال لوم

فانقطع المغيرة (ومن ذلك) ماذكره المدائنى قال كان أرطاة بن سهية المرى يهاجى الربيع بن قعنب فاجتمعا يوما للمهاترة والمناقضة فقال أرطاة للربيع

لقد رأيتك عريانا ومؤتزرا * فمادريت أأنثى أنت أم ذكر

(فقال الربيع)

لكن سهية تدرى اذ تنيكم * على عجانها لما انحلت الازر

فانقطع ابن سهية (ويروى) ان صح وجود مجنون بنى عامر انه لما تزوجت ليلى

اذا عليت أسافلها أمالت * دعائم رأسها نحو اللبان
فكان لها مكان الجيد منها * اذا اتصلت بممسكة الجران
لها في كل شارقة وبيص * كأن بريقها لمع الدهان
فلا سلمت من حذري وخوفي * متى سلمت صفاتك من بناني

وثب الى تخالف الايدي بيني وبينه (والشاهد في البيت) معرفة حقيقة المجاز العقلي الخفية التي لا تظهر الا بعد نظر وتأمل ومثله قول محمد اليزيدي

أتيتك عائذا بك منك لما * ضاقت الحيل * وصيرني هواك وبي * لحيني يضرب المثل
فان سلمت لكم نفسي * فما لاقيته جلل * وان قتل الهوى رجلا * فاني ذلك الرجل

أي صيرني الله بهواك وحالي هذه وهي أن يضرب المثل بي لحيني أي أهلكني الله ابتلاء بسبب هواك والبيت الاخير مأخوذ من قول مسلم بن الوليد

متى ما تسمعي بقتيل أرض * أصيب فانني ذاك القتيل

(وأبو نواس) هو أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الاول بن الصباح الحكمي الشاعر المشهور وكان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان ونسبته اليه قيل انه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة مع والبة بن الحباب ثم صار الى بغداد وقيل انه ولد بالاهواز وقيل انه ولد بكورة من كور خوزستان في سنة احدى وأربعين ومائة ونقل الى البصرة فنشأ بها ثم انتقل الى بغداد وقد زاد سنه على الثلاثين ولم يلحق بها أحدا من الخلفاء قبل الرشيد وكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي قوله

حامل الهوى تعب * يستخفه الطرب * ان بكى يحق له * ليس ما به لعب
تضحكين لاهية * والمحب ينتحب * كلما انقضى سبب * منك جاء في سبب
تعجبين من سقمي * صحتي هي العجب وهي أبيات مشهورة

(وروي) أن الخصيب صاحب مصر سأل أبا نواس عن نسبه فقال أغناني أدبي عن نسبي وما زال العلماء والاشراف يروون شعر أبي نواس ويتفكهون به ويفضلونه على أشعار القدماء (قال محمد بن داود الجراح) كان أبو نواس من أجود الناس بديهة وأرقهم حاشية لسانا بالشعر يقوله في كل حال والردىء من شعره ما حفظ عنه في سكره (قال الجاحظ) لا أعرف بعد بشار مولدا أشعر من أبي نواس (وقال الاصمعي) ما أروي لاحد من أهل الزمان ما أرويه لابي نواس (وقال أبو عبيدة) أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للاولين لانه الذي فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعاني وقال ذهبت اليمن بجد الشعر وهزله فامرؤ القيس بجده وأبو نواس بهزله (وقال أبو الحسن الطوسي) شعراء اليمن ثلاثة امرؤ القيس وحسان وأبو نواس وكان خلف الاحمر ولاء في اليمن في الاشاعرة وكان عصبيا وكان من أميل خلق الله الى أبي نواس وهو الذي كناه بهذه الكنية لانه قال له أنت من أهل اليمن فتكن باسم من أسامي الذوين ثم أحصى له أسماءهم وخيره فقال ذو جدن وذو كلال وذو يزن وذو كلاع وذو نواس فاختار ذا نواس فكناه أبا نواس فصارت له وغلبت على أبي علي كنيته الاولى وكان أبو نواس يعجبه شعر النابغة ويفضله على زهير تفضيلا شديدا ثم يقول الاعشى ليس مثلهما وكان يتعصب لجرير على الفرزدق ويقول هو أشعر ويأتم ببشار ويقول هو غزير الشعر كثير الافتنان ويقول أدمنت قراءة شعر الكميت فوجدت قشعريرة ثم قرأت شعر الخزيمي فتشققت على حمى مبردة ثم قال وما شعري أشبه بشعر جرير فقيل له فما تقول في الاخطل قال امامي في الخمر فقيل الفرزدق قال ذاك الاب الاكبر (وقال ابن الاعرابي) قد ختمت بشعر أبي نواس فما رويت لشاعر بعده (وقال أبو عمرو الشيباني) لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الارفاث لاحتججنا بشعره لانه كان محكم القول لا يخطئ (وقال ابن دريد) سألت أبا حاتم عن أبي نواس فقال ان جد حسن وان هزل ظرف وان وصف بالغ يلقى الكلام على عواهنه لا يبالي من حيث أخذه (وقال أبو

عظم ذلك عليه واشتد همه وحزنه وأراد ابن عم له سفرا وكان طريقه على منزل ليلى فأتاه المجنون وقال له اذا مررت على منزل ليلى فارفع صوتك بهذا البيت قائلا

أما وجلال الله لو تذكرينني * كذكريك ما نهنهت للعين مدمعا

فلما بلغ منزلها صنع ما سأله اياه فخرجت ليلى اليه وقالت

بلى وجلال الله نذكر وانه * تضمنه صلد الصفا لتصدعا

قال علي بن ظافر والصحيح ان هذين البيتين من قصيدة للصمة القشيري ولكن نقلت هذه الحكاية من كتاب الاجوبة للقمي (روى) الحسن بن صاعد الكوفي قال حدثني خولان الاسدي قال نزلنا على ماء يعرف بماء السالي ونزل بجانب الماء حي آخر فعلق رجل منا بامرأة من ذلك الحي فلما أزمعنا الرحيل أخذ الرجل غلاما منا فرواه هذا البيت وهو

وما بين ذا الحيين أن يتفرقا * من الدهر الا ليلة وضحاها

حتى حفظه وقال له قم بازاء ذلك البيت الذي فيه الجارية وردد هذا البيت واحفظ ما يرد عليك ففعل الغلام وكانت الجارية جالسة وفي حجرها رأس أخ لها كبير تفليه وأخ لها

الغيث بن البحترى) سألت أبى لما حضرته الوفاة من أشعر الناس فقال أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين فقلت عن المحدثين فقال يا بنى لو قسم احسان أبى نواس على جميع الناس لوسعهم وان لاشجع السلمى لاحسانا وما علم الشعراء أكل الخبز بالشعر الا أبو تمام فقلت له أنت أشعر أم أبو تمام فقال سألت عما لا يزال يسأل عنه جيد أبى تمام خير من جيدى ورديئى خير من رديئه (وقال ابن الاعرابى) بعث الى المأمون فسرت اليه وهو مع يحيى بن أكثم يطوفان فى حديقة فلما نظرانى واياى ظهورهما فجلست فلما أقبلا لاقمت فقال المأمون يا محمد بن زياد من أشعر الشعراء فى نعت الخمر فجعلت أنشده للاعشى وقلت هو الذى يقول تريك القذى من دونها وهى فوقه * اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

ثم أنشدته للاخطل فلم يحفل بشئ مما أنشدته ثم قال يا ابن زياد أشعر الناس فى نعتها الذى يقول

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم * فعلت فى اللب اذ مزجت * مثل فعل النار فى الظلم

فاهتدى سارى الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

(وعن عمرو بن أبى عمرو الشيبانى) قال جاء أبو العتاهية ومسلم وأبو نواس يوما الى أبى فأنشده أبو العتاهية

وعظتك أجداث صمت * ونعتك أزمنة خفت * وأرتك قبرك فى القبو * ر وأنت حى لم تمت

وتكلمت عن أعين * تبلى وعن صور شتت * وحكت لك الساعات سا * عات اتيات بغت

وأنشده شعرا آخر يقول فيه على سرعة الشمس فى مرّها * دبيب الخلوقة فى الجدّة

قال فانصرفوا فلما كان بعد أيام عاد اليه مسلم وأبو نواس فأنشده مسلم

أجررت حبل خليع فى الصبا غزل حتى بلغ قوله

ينال بالرفق ما يعيى الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

فقال أبو عمرو أحسنت الا أنك أخذت قول أبى العتاهية

وحكت لك الساعات سا * عات اتيات بغت

قال ثم أنشده أبو نواس قوله يا شقيق النفس من حكم الى أن بلغ الى قوله

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

قال له أحسنت الا أنك أخذته أيضا من قول أبى العتاهية

على سرعة الشمس فى مرّها * دبيب الخلوقة فى الجدّة اه

وقد ذكر بعض أهل العلم أن بيت أبى نواس هذا مأخوذ من قول بعض الهذليين يصف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشى

فتمشى لا يحس به * كتمشى النار فى الضرم

ويقال ان أبا نواس أنشد بيته هذا بعض الشعراء فقال له أما كفاك أن سرقت حتى احلت فقال ومن أين سرقت فأنشده بيت الهذلى فقال كيف احلت قال بقولك كتمشى البرء فى السقم وهما جميعا عرضان والعرض لا يدخل على العرض فانقطع أبو نواس ثم غير بيته بعد ذلك بأن قال كتمشى النار فى الفحم وهذا بيت الهذلى بعينه ومعناه وعن الاصمعى أن أبا نواس سرق بيته من قول مسلم بن الوليد

تجرى محبتها فى قلب وامقها * جرى السلامة فى أعضاء منتكس

وهو أخذه من قول عمرو بن ربيعة حيث يقول

لقد دب الهوى لك فى فؤادى * دبيب دم الحياة الى العروق

وهو أخذه من قول بعض العدويين حيث يقول

وأشرب قلبى حبها ومشى به * كمشى حميا الكاس فى عقل شارب

ودب هواها فى عظامى وحبها * كما دب فى الملسوع سم العقارب

وهو أخذه من اسقف نجران حيث يقول

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى * وطلوعها حمراء صافية

صغير يصلح شيأ فقالت
لقد كان فى عيش رخى لوانه *
حوى حاجة فى نفسه فقضى
فقال أخوها الصغير
أما سمع المف[illegible] درّ در
رسالة صب بالسلام نحاها
(فقال الكبير)
لحى الله من يلحى المحب
على الهوى *
ومن يمنع النفس اللجوج
هواها
ثم دعا بالرجل فزوجه اياها
(وحدث المدائنى) قال كان
بين يحيى بن زياد الحارثى
وحماد الراوية ومعلى بن
هبيرة ما يكون مثله بين
الشعراء والرواة من المنافسة
وكان معلى يحب أن يطرح
حمادا فى لسان بعض
الشعراء قال حماد فقال
لى يوما بحضرة يحيى بن زياد
أتقول لابى عطاء السندى
قل زج وجرادة ومسجد
بنى شيطان قال على بن ظافر
وكان أبو عطاء يرتضخ لكنة
سندية يجعل فيها الجيم زايا
والشين سينا والطاء والضاد
دالا والعين همزة والحاء
هاء قال حماد فقلت ما تجعل
لى على ذلك قال بغلتى
بسرجها ولجامها قلت
وعدلها على يحيى بن زياد
ففعل وأخذت عليه بالوفاء
موثقا وجاء أبو عطاء فجلس
الينا وقال مرهبا هيا كم الله
فرحبنا به وعرضنا عليه
العشاء فأبى وقال هل من
نبيذ فأحضرناه فشرب

وغروبها صفراء كالورس * تجري على كبد السماء كما * يجري حمام الموت في النفس اهـ

وذكرت بهذه الابيات ما قال الاعشى وهو أعشى قيس في سكران

فراح ملسا كأن الذباب * يدب على كل عضو دبيبا

وقد أخذ أبو الشيص قول عمرو بن ربيعة فقال

لقد جرى الحب مني * مجرى دمي في عروقي

وأخذه أبو الطيب فقال جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي * فأصبح لي عن كل شغل بها شغل

وقال أبو الفرج بن عبدو فتمشت في قلبي الهموم * كتمشي الدرياق في المسموم

وأتى عبد الله بن الحجاج بهذا المعنى من غير تشبيه فقال

فبت أسقاها سلافا مدامة * لها في عظام الشاربين دبيب

وما أحسن قول بعضهم

وفي الظعائن مهضوم الحشا غنج * يخطو بأعطاف كسلان اذا طائل

ظبي مشى الورد من خطي بوجنته * مشي اللواحظ من عينيه في أجلي

وقال أبو حاتم لولا ان العامة ابتذلت هذين البيتين وهما لابي نواس لكتبتهما بالذهب وهما قوله

ولو أني استزدتك فوق ما بي * من البلوى لأعجزك المزيد

ولو عرضت على الموتى حياة * بعيش مثل عيشي لم يريدوا

وكان المأمون يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس

ألا كل حي هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

والبيت الاول ينظر الى قول امرئ القيس

فبعض اللوم عاذلتي فاني * سيكفيني التجارب وانتسابي

الى عرق الثرى وشجت عروقي * وهذا الموت يسلبني شبابي

وقال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة أنشدني لابي نواسكم فأنشده

ما هو الا له سبب * يبتدى منه وينشعب

فقال سفيان آمنت بالله الذي خلقه واجتمع أبو نواس مع العباس بن الاحنف في مجلس فقام العباس في حاجة فسئل أبو نواس عن رأيه فيه وفي شعره فقال لهو أرق من الوهم وأنفذ من الفهم وأمضى من السهم ثم عاد العباس وقام أبو نواس كذلك فسئل العباس عنه وعن رأيه فيه وفي شعره فقال انه لاقر للعين من وصل بعد هجر ووفاء بعد غدر وانجاز وعد بعد يأس فلما صار الى النبيذ أعلم كل واحد قول الآخر فيه فقال أبو نواس

اذا ارتدت فتى الكأس * فلا تعدل بعباس * فنعم المرء ان أرضعت يوما درة الكاس

فقال العباس اذا نازعت صفو الكاس يوما * أخا ثقة فمثل أبي نواس

فتى يشتد حبل الود منه * اذا ما خلة رثت لناس

فتناول أبو نواس قدحا وقال أبا الفضل اشرب كاسك * فاني شارب كاسي

فقال العباس نعم يا أوحد الناس * على العينين والراس

فقال أبو نواس فقد حف لنا المجلس * بالنسرين والآس

فقال العباس واخوان بها ليل * سراة سادة الناس

فقال أبو نواس وخود لذة المسموع * مثل العض للكاس

فقال العباس وقد ألبسها الرحمن * من أحسن الباس

حتى احمرت عيناه فقلت له يا أبا عطاء طرح علينا رجل أبياتا فيها اللغز ولست أقدر على اجابته فتفرج عني فقال هات فقلت

أبن لي ان سئلت أبا عطاء * يقينا كيف علمك بالمعاني

فقال مسرعا

خبير ام فاسألني تجدني * بها أدبا وآيات المثاني

(فقلت)

فما اسم حديدة في رأس رمح * دون الكعب ليست بالسنان

(فقال)

هو الزز الذي ان بات ديفا * لقلبك لم يزل لك أولتان

(فقلت)

فما صفراء تدعى أم عوف * كأن رجيلتيها منجلان

(فقال)

أردت زرادة وأدن دنا * بأنك ما قصدت سوى لساني

(فقلت)

أتعرف مسجد البني تميم * فويق الميل دون بني أبان

(فقال)

بنو سيطان دون بني أبان * كقرب أبيك من أبد المدان

قال حماد ورأيت عينيه قد احمرتا وعرف الغضب في وجهه فتخوفته فقلت يا أبا عطاء هذا مقام المستجير بك ولك النصف مما أخذت قال فأصدقني فأخبرته الخبر فقال أولى لك سلمت وسلم لك جعلك وانقلب بجعو معلى بن هبيرة فأخش

فقال أبو نواس   وقد زينت بأكليل * يواقيت على الراس

فقال العباس   فلا تحبس أخي كاسي * فاني غير حباس

فكان مانسي من معارضتهما في ذلك المجلس أكثر مما حفظ الا انه انصرف العباس وبقي أبو نواس فسئل عن العتابي والعباس فقال العتابي يتكلف والعباس يتدفق طبعا وكلام هذا سهل عذب وكلام ذاك متدفق كز وفي شعر هذا ماء ورقة وحلاوة وفي شعر ذاك جساوة وفظاظة وكان لابي نواس مع أهل عصره مناقضات ومعارضات يطول شرحها فقد ورد منها مانخف ذكره حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عاليا يطلبون هلال الفطر وكان سليمان بن أبي سهل في عينه سوء فقام أبو نواس بازائه ثم قال يا أبا أيوب كيف ترى الهلال من بعد وأنت لاتراني من قرب فقال له سليمان قد رأيتك تمشي القهقرى حتى تدخل في رحم جلبان يعني أمه فأحفظ ذلك أبا نواس فقال في سليمان

قل لسليمان وما شيمتي * ان أهدي النصح له مخلصا

ما أنت بالحر فالحى ولا * بالعبد أستعتبه بالعصا

فرحمة الله على آدم * رحمة من عم ومن خصصا

لو كان يدري انه خارج * مثلك من احليله لاختصى

فأجابه سليمان فقال   ان ابن هاني سلقه خالص * ماوحد الله ولا أخلصا

أغلى بذكرى شعره فاغتدى * بالعرض في أشباهه مرخصا

وكان في شعري وتغريبه * للخوف من قويه قد قلصا

كالكلب هز الليث حتى اذا * أهدى اليه مخلبا بصبصا

وكان لابي الشمقمق ضريبة على الشعراء فجاء يوما الى أبي نواس فقال هات ضريبتك فدخل المنزل وأخرج اليه رقعة فيها   أخذت بأير بغل حين أدلى * قويق الباع كالجذع المطوق

فان زلت أمرسه بكفي * الى أن صار كالسهم المفوق

فلما أن طمى وغا وأندى * جلدت به حرام أبي الشمقمق

فوقعت هذه الابيات في أفواه الصبيان وأجابه أبو الشمقمق بأبيات فلم نسر له وحدث الجماز قال اجتمعت أنا وأبو نواس والرقاشي في بعض منتزهات البصرة فنفد شرابنا فقلنا هلم فليقل كل واحد منا بيتا في السقيا لنبعث به الى عبد الملك بن ابراهيم فابتدأ أبو نواس فقال

يا ابن ابراهيم يا عبد الملك * وأتقى أقبلت بالله وبك * أنت للمال اذا أصلحته * فاذا أنفقته فالمال لك

وقال الرقاشي   اسقني الخمر ودع من لامني * في هوى نفسي فغيري من نسك

قال الجماز وقلت أنا وكان عبد الملك يعرف بالابنة

ونك المرد فما من لذة * نلتها ان لم تنكهم وتنك

فوقع البيت الرابع بموافقته وبعث الينا بها كفانا واجتمع أبو نواس يوما مع الرقاشي في مجلس فتذاكرا الشعر فقال له أبو نواس لقد سبقتني الى أبيات وددت أنها لي بجميع شعري قال وما هي قال قولك

نبهت ندماني الموفي بذمته * من بعد اتعاب طاسات وأقداح

فقال خذوا اسقني واشرب وغن لنا * يادار مثواي بالقاعين فالساحي

فما حسا ثانيا أو بعض ثالثة * حتى استدار ورد الراح بالراح

فقال له الرقاشي لكنك أنت سبقتني ببيتين وددت أنهما لي بكل شعري فقال أبو نواس وماهما قال قولك

ومستطيل على الصهباء باكرها * في فتية باصطباح الراح حذاق

فكل شيء رآه ظنه قدحا * وكل شخص رآه قال ذا ساقي

واجتمع يوما أبو نواس مع عنان فأقبل عليها وقال

وروى العسكري هذه الحكاية على غير هذا السياق فذكر أن حماد الراوية وحماد عجرد وحماد بن الزبرقان وبكر ابن مصعب الزهري اجتمعوا فقالوا لو بعثنا الى عطاء السندي ولم يذكر السبب الذي من أجله اقترح حماد على أبي عطاء مااقترح وذكر البيت الثاني

تردني والقران بها عليما
بصيرا بالمقاطع والمباني

وذكر البيت الثالث

فالسم حديدة في الرمح ترسا
دون الصدر ليست بالسنان

وذكر البيت الثامن

وذلك مسردا أنساه قدما
بنو سيطان مأروف المكان

(مدح) بشار بن برد يعقوب ابن داود وزير المهدي فلم يعبأ به وحرمه فوفد عليه وطال مقامه ببابه وهو لا يأذن فأحس به في بعض الايام فرفع بشار صوته فأنشد

طال الوقوف على رسوم المنزل

فأجابه يعقوب مسرعا وقال

فاذا تشاء أبا معاذ فارحل

فرحل بشار فهجاه بقوله فيه وفي المهدي

بني أمية هبوا طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا
خليفة الله بين الناي والعود

وهجا أخاه صالح بن داود وكان قد ولي ولاية فسقط به المنبر فقال فيه من قطعة

ان لى ايرا خبيثا * عادم الرأس فلوتا * لو رأى فى الجو فرجا * لنزى حتى يموتا
أو رأى فى السقف دبرا * لتحول عنكبوتا * أو رآه جوف بحر * صار للانعاظ حوتا

فقالت عنان
زوّجوا هذا بألف * وأظنّ الالف قوتا
انني أخشى عليه * داء سوء أن يموتا * قبل أن ينقلب الدا * ء فلا يأتى ويوتى

فقال أبو نواس
ألم ترقى لصب * يكفيه منك قطيره

فقالت عنان
اياى تعنى بهذا * عليك فاجلد عميره

فقال أبو نواس
أخاف ان رمت هذا * على يدى منك غيره

فقالت عنان
عليك أمك نكها * فانها كندفيره

ودخل أبو نواس يوما على الناطفى وعنان جالسة تبكى وخدها على رزة باب فقال

بكت عنان فجرى دمعها * كاللؤلؤ المرفض من خيطه

فقالت عنان والعبرة تخنقها

فليت من يضربها ظالما * تجف يمناه على سوطه

وكان الرشيد قد هم بشراء عنان جارية الناطفى فقيل له ان أبا نواس قد هجاها بقوله

ان عنان النطاف جارية * قد صار حرها للايرميدانا
لا يشتريها الا ابن زانية * أو قلطبان يكون من كانا

فقال لعنه الله لا حاجة لنا فيها فاجابته عنان عن هذين البيتين فقالت

عجبا من حلق * يدعى أصل اللواط * فاذا صار الى البيـ * ـت وخسف عن تواطى
فالذى يعلم يدرى * من يلى وجه البساط

فقال أبو نواس
فتحت حرها عنان * ثم نادت من ينيك * ثم أبدت عن مشق * مثل صحراء العتيك
فيه دراج وبط * ودجاجات وديك

فقالت عنان
ان ابن هانى بدائه كلف * يبيت عن نفسه يخادعها
أمسى بروس الحملان يعرف فى الـ * ـناس ومضماره كوارعها

ووجهت عنان مرة الى أبى نواس بوصيفة لها مع رقعة فيها

زرنا لتأكل معنا * ولا تغيبن عنا * فقد عزمنا على الشر * ب صبحة واجتمعنا

فلما وردت الوصيفة على أبى نواس قرأ رقعتها ثم تأملها فاستحلاها فخدعها وقضى وطره منها ثم كتب فى جواب الرقعة

نكنا رسول عنان * والرأى فيما فعلنا * فكان خبزا بلحم * قبل الشواء أكلنا
جذبتها فتجافت * كالغصن لما انثنى * فقلت ليس على ذا الـ * ـفعال كنا افترقنا
قالت فكم تتجنى * طولت نكا ودعنا

فلما قرأت عنان الرقعة قالت ان كان صادقا فقد زنى وهجرته ولقد ظرف ابن الابار عتابعته أبا نواس فى هذا المعنى حيث قال

زارنى خيفة الرقيب مريبا * يتشكى القضيب منه الكثيبا
رشأ راش لى سهام المنايا * من جفون يصمى بهن القلوبا
قال لى ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره أتى الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما نام الرقيب سريعا * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لابد أن تدب اليه * قلت أبغى رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد دفعت قريبا

هم جلوا فوق المنار صالحا
أخاك فضحت من أخيك
المنابر

فلما اشتهر هجاؤه دخل يعقوب على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان هذا المشرك هجاك بما لا أستطيع أن أذكره فلم يزل المهدى به حتى كتب له قوله

خليفة يزنى بعماته *
يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره *
ودس موسى فى حر الخيزران

فجر ذلك الى قتل بشار بن برد

(وذكر) أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب القيان والمغنين قال كانت بالكوفة جارية مغنية يقال لها سعاد جارية السكونى وكان مولاها من الظرفاء وفتيان طبقته مروءة وحسن عشرة ومساعدة فحضرت سعاد فى مجلس فيه مطيع بن اياس وحماد عجرد فقال مطيع

قبلينى سعاد بالله قبله
واسأليني بها فديتك نحله
فورب السماء لو قلت صل
لوجهى جعلت وجهك قبله

فقالت الجارية لحماد اكفنيه فقال

ان خلا لها سواك وفيا
لا غدور ابها ولا فيه مله
لا يباع التقبيل بيعا ولا ير
تشى ولا يجعل التعاشق عله

فقال له مطيع هذا هجاء وما أرادت الجارية هذا كله ولقد اشتفيت منى على لسان غيرك فقالت الجارية وكانت

فوثبنا على الغـزال ركوبا * ودبينـا الى الرقيب دبيبـا
فهل ابصرت أوسمعت بصب * نالك محبـوبه ونالك الرقيبـا

قال ابن بسام ولقد ظرف ابن الابار واستهتر ماشاء وأظنه لو قدر على ابليس الذى تولى له تنظم هـذا المسلك لدب اليه ووثب أيضا عليه ثم قال وأبو نواس سهل للناس هـذا السبيل حيث يقول وذكر الابيات انتهى

ومن أناشيد الثعالبى فى هذا المعنى لى اير أراحـنى الله منـه * صار همى به عريضا طويلا
نام اذ زارنى الحبيب عنادا * واذ يهدى به ينيك الرسولا
حسبت زورة لشقوة جدى * فافترقنا وماشفينا غليـلا

(ورجع الى أخبار أبى نواس) وأشرف يوما أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى وقد مات بعض أهله وعنـدهم مأتم وجنان جارية عبـد الوهاب واقفة مع النساء تلطم وفى يديها خضاب وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة وكان أبو نواس يهواها فقال

ياقـــــرا أبرزه مأتم * يندب شجوا بين أتراب * يبكى فيذرى الدمع من نرجس * ويلطم الورد بعناب
لاتبك ميتا حل فى حفرة * وابك قتيلا لك بالباب * أبرزه المأتم لى كارها * برغم دايات وحجاب
لازال دا با موت أصحابه * وداب أن أبصره دابى

وذكرت بالبيت الاول والثانى ماعكسه بعضهم منهما فى هجاء أعور وهو

يا أعورا أبرزه مأتم * يندب شجوا بتخاليط * يبكى فيذرى الدمع من كوة * ويلطم الشوك ببلوط

وحدث أبو نواس قال رأيت النابغة الذبيانى فى منامى فقال لى ماذا حبسك الرشيد فقلت له بقولى

اهجو نزارا وأفرجلدتها * وهتك الستر عن مثالبها

فقال لى أهل ذاك أنت يا ابن الزانيـة فقد استوجبت من كل نزارى عقوبة مثلها ما ارتكبت منها فقلت وأنت ماذا حبسك النعمان قال ببيت قلته ستره النعمان عن الناس قلت بقولك

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولتـــــه واتقتنا باليـد

فقال أوهذا مستور قلت فبقولك واذا لمست لمست أضخم جاثما * متحيزا بمكانه مـلء اليـد

قال اللهم غفرا قلت فبماذا قال بقولى فلكت عليا هاوأسفلها معا * وأخذتها قسرا وقلت لها اقعدى

فحدثت بهـذا الحديث اليزيدى فألحق البيت بقصيدة النابغة وحكى الاصمعى قال رأيت أبا نواس بعـد موته فى المنام فقلت له هل نسى من خمرياتك شئ قال أجودها قلت فاذكره فقال

اذكى سراجا وساقى الشرب يمزجها * فلاح فى البيت كالمصباح مصباح
كدنا على علمنا بالشك نسأله * أراحنـا نارنا أم نارنا الراح

وحكى عن عبد الله بن المعتز أنه قال رأيت أبا نواس فى المنام فقلت له لقد أحسنت فى قولك

جاءت باريقها من بيت تاجرهـا * روحا من الخمر فى جسم من النار

فقال لا بل أحسنت فى قولى

ياقابض الروح من جسم أسى زمنا * وغافر الذنب زحزحنى عن النـار

وقد أحسن أبو نواس ظنه بربه حيث يقول

تكثر ما استطعت من الخطايا * فانك بالغ ربا غفـورا * ستبصر ان وردت عليه عفوا
وتلقى سـيدا ملكا كبـيرا * تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة النار السرورا

ومن شعره سبحان ذى الملكوت أية ليلة * مخضت صبيحتها بيوم الموقف
لو أن عينا وهمتها نفسـها * مافى المعاد محصلا لم تطرف

ومنه خل جنبيك لرامى * وامض عنه بسلام * مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما العاقـل من الـجم * فاه بلجام * شبت يا هـذا وماتتـ * ـرك أخلاق الغلام

ظريفة بارعة صدق ما أردنا أن نسبه فقال حماد
أنا والله اشتهى مثلها منك يبذل والبذل فى ذاك حله
فأجيبى والنعمى وخذى البذ ل وأطفى لعاشق منك غله
قال فرضى مطيع ونجات الجارية وقالت أنا عائذة بكما من شر كافا كفيانيه وخذا فيما جئتماله (حدث) المداينى قال كان عثمان بن شيبة مبخلا وكان حماد عجرد يهجوه فجاء رجل كان يقول الشعر الى حماد فقال له
أعنى من غناك ببيت شعر على فقرى لعثمان بن شيبه
فقال حماد مسرعا
فانك ان رضيت به خليلا ملأت يديك من فقر وخيبه
فقال له الرجـل جزاك الله خيرا فقد عرفتنى من أخلاقه ماقطعنى عنه وصنت ماء وجهى عن بذله له (وروى) اسمعيـل بن يحيى اليزيدى عن أبيه قال كنت جالسـا أكتب كتابا فنظر فيه سلم الخاسر فقال
اير يحيى أخط من كف يحيى ان يحيى بايره لخطوط
قال فقلت مسرعا
أم سلم أدرى بذلك منه انها تحت ايره لضروط
ولها تحته اذا ماعلاها أزمل من وداقها وأطيط
ليت شعرى ما بال سلم بن عمرو كاسف البال حين يذكر لوط
لا يصلى عليه حين نصلى بل له عندذكره تثبيط

والمنايا آكلات * شاربات للانام

وأخباره كثيرة وديوان شعره مختلف الترتيب لاختلاف جامعيه وكانت وفاته سنة خمس وقيل ست وقيل ثمان وتسعين ومائة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي رحمه الله تعالى

﴿شواهد المسند اليه﴾

﴿قال لي كيف أنت قلت عليل﴾

هو من الخفيف ولا أعرف قائله وتمامه سهر دائم وحزن طويل

ومعناه ظاهر (والشاهد فيه) حذف المسند اليه للاحتراز عن العبث مع ضيق المقام وهو قوله قلت عليل أي أنا عليل لحذف المبتدأ الامتر ومثله قول أبي الطمحان القيني الشاعر الجاهلي وقال ابن قتيبة الصحيح أنه للقيط بن زرارة أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

أي هم نجوم سماء فحذف المسند اليه

﴿ان الذين ترونهم اخوانكم * يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا﴾

البيت لعبدة بن الطيب من قصيدة من الكامل يعظ فيها بنيه ويوصيهم بما هو المرضي شرعا وأولها

أبني اني قد كبرت ورابني * بصري وفي لمنظر مستمتع * فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا

تبقى لكم منها مآثر أربع * ذكر اذا ذكر الكرام يزينكم * ووراثة الحسب المقدم تنفع

ومقام أيام لهن فضيلة * عند الحفيظة والمجامع تجمع * ولها من الكسب الذي يغنيكم

يوما اذا احتضر النفوس المطمع * أوصيكم بتقى الاله فانه * يعطي الرغائب من يشاء ويمنع

وببر والدكم وطاعة أمره * ان الابر من البنين الاطوع * ان الكبير اذا عصاه أهله

ضاقت يداه بأمره ما يصنع * ودعوا الضغائن لا تكن من شأنكم * ان الضغائن للقرابة توضع

يزجي عقاربه ليبعث بينكم * حربا كما بعث العروق الاخدع * واذا مضيت الى سبيلي فابعثوا

رجلا له قلب حديد أصمع * ان الحوادث تخترمن وانما * عمر الفتى في أهله مستودع

يسعى ويجمع جاهدا مستهترا * جدا وليس بآكل ما يجمع

وترونهم من الاراءة المتعدية الى ثلاثة مفاعيل وجرى مجرى الظن لبنائه للمفعول وانتصب اخوانكم على انه مفعول ثان لترونهم والغليل بالمعجمة الحقد والضغن وأن تصرعوا في محل رفع على انه فاعل يشفي والصرع الطرح على الارض كالمصروع وهو موضعه (والمعنى) يا بني ان القوم الذين تظنونهم اخوانكم وتعتمدون عليهم في الشدائد عند ما ظننتم يشفي ما في صدورهم من غليل العداوة وحرقتها أن تصرعوا وتصابوا بالحوادث فاياكم واستئمانهم والاعتماد عليهم وفيه اشعار بقولهم الحزم سوء الظن والثقة بكل أحد عجز (والشاهد فيه) تنبيه المخاطب على الخطا في ظنه اذ في قوله ان الذين من التنبيه على الخطا ما ليس في قولك ان القوم الفلانيين ﴿وعبدة بن الطيب﴾ شاعر مجيد ليس بالمكثر والطيب لقب لابيه واسمه يزيد بن عمرو ينتهي نسبه لتميم وهو مخضرم أدرك الاسلام فأسلم وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها

هل حبل خولة بعد الهجر موصول * أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

حلت خويلة في دار مجاورة * أهل المدينة فيها الديك والفيل

يقارعون رؤس العجم ضاحية * منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقال الاصمعي أرثى بيت قالته العرب بيت عبدة بن الطيب

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

قال فقال لي سلم مالك ويلك جئت أي شيء دهاك الى هذا فقلت بدأت فانتصرت والبادي أظلم * وذكر أبو مروان صاحب كتاب المقتبس في أبناء أهل الاندلس أن أبا المخشي عاصم ابن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي ابن زيد بن علي العبادي شاعر الاندلس في زمانه كان خبيث اللسان كثير الهجاء وهو الذي قطع هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان لسانه لانه عرض به في قصيدة مدح بها أخاه أبا أيوب المعروف بالشامي وكان بين الاخوين تباعد مفرط والبيت الذي عرض فيه قوله

وليس كمن اذا ما سيل عرفا * يقلب مقلة فيها اعورار

وكان هشام في احدى عينيه نكتة بياض كجد أبيه هشام ابن عبد الملك ثم اتفق لابي المخشي أن مدح هشاما ووفد عليه على ماردة وهو يومئذ يتولى حربها لابيه فلما مثل بين يديه قال له يا عاصم ان النساء اللاتي هجوتهن لمعاداة أولادهن وهتكت أستارهن قد دعون عليك فاستجاب الله لهن فبعث عليك مني من يدرك منك ثارهن وينتقم لهن ثم أمر بقطع لسانه ثم نبت بعد ذلك وتكلم به وكان أبو

وقال رجل لخالد بن صفوان كان عبدة بن الطيب لا يحسن أن يهجو فقال لا تقل ذلك فوالله ما تركه من عي ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة كما يرى تركه مروءة وشرفا وأنشد

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال أخو العيوب

وعن ابن الاعرابي أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه أي المناديل أشرف فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقئ البيض وقال آخرون مناديل اليمن كأنها نور الربيع فقال عبد الملك مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطيب حيث يقول لما نزلنا ضربنا ظل أخبية * وفار للقوم باللحم المراجيل

وردوأشقر ما يؤتيه طابخه * ما غير الغلي منه فهو مأكول

ثمت قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لأيدينا مناديل

يعني بالمراجيل المراجل فزاد فيها الياء ضرورة

(ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول)

البيت للفرزدق وهو أول قصيدة طويلة من الكامل تزيد على مائة بيت وبعده

بيتا بناه لنا المليك وما بنى * ملك السماء فانه لا ينقل * بيتا زرارة محتب بفنائه

ومجاشع وأبو الفوارس نهشل * يلجون بيت مجاشع فاذا احتبوا * برزوا كأنهم الجبال المثل

يقال سمك الشيء سمكا اذا رفعه (ومعنى البيت ظاهر) والمراد بالبيت فيه الكعبة أو بيت المجد والشرف (والشاهد فيه) جعل الايماء الى وجه الخبر وسيلة الى التعريض بالتعظيم لشأنه وذلك في قوله ان الذي سمك السماء ففيه ايماء الى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الرفعة والبناء بخلاف مالو قيل ان الله أو الرحمن أو غير ذلك ثم فيه تعريض بتعظيم بناء بيته لكونه فعل من رفع السماء التي لا بناء أرفع منها ولا أعظم حدث سلمة بن عياش مولى بني عامر بن لؤي قال دخلت على الفرزدق السجن وهو محبوس وقد قال قصيدته

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

وقد أفحم وأحيل فقلت له الا أرفدك فقال وهل ذاك عندك فقلت نعم ثم قلت

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فاستجاد البيت وغاظه قولي فقال لي ممن أنت قلت من قريش قال من أيها قلت من بني عامر بن لؤي فقال لئام والله وضعة جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم فقلت ألأم والله منهم وأوضع قومك جاءك رسول مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم فأخذ بأذنك يقودك حتى حبسك فما اعترضه أحد ولا نصرك فقال قاتلك الله ما أمكرك وأخذ البيت فأدخله في قصيدته * ذكرت بقوله بيتا زرارة محتب بفنائه البيت ماذكره بعض أهل الادب قال ماشبهت تأويل الرافضة في قبح مذهبهم الا بتأويل بعض مجانين أهل مكة في الشعر فانه قال يوما ما سمعت بأكذب من بني تميم زعموا أن قول القائل

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

أن هذه أسماء رجال منهم قلت وما عندك أنت فيه قال البيت بيت الله وزرارة الحجر زرت حول البيت ومجاشع زمزم جشعت بالماء وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة قلت له فنهشل ففكر فيه ساعة ثم قال قد أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود فذاك النهشل * وذكرت أيضا هنا ما حدثه أبو مالك الراوية قال سمعت الفرزدق يقول أبق غلامان لرجل منا يقال له النضر فحدثني قال خرجت في طلبهما وأنا على ناقة لي عيساء كوماء أريد اليمامة فلما صرت في ماء لبني حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرخت عزاليها فعدلت الى بعض ديارهم وسألت القرى فأجابوا فدخلت دارهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظلة لهم من جريد النخل وفي الدار لهم جويرية سوداء اذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة وكأن عينيها كوكبان دريان فسألت الجارية لمن هذه العيساء تعني ناقتي فقيل لضيفكم هذا فعدلت الي فقالت السلام عليكم فرددت عليها السلام فقالت ممن الرجل فقلت من بني حنظلة فقالت من أيهم قلت

المخشي هذا يسكن بوادي سوس وكان بينه وبين ابن هبيرة مهاجاة شديدة فاجتمعا يوما للمناقضة فقال له ابن هبيرة وعيره بأن نسبه الى النصرانية لاجل ان آباءه كانوا نصارى بقوله

أفلفتك التي قطعت بسوس
دعتك الى هجاءي وانتقالي
والانتقال الشتم فقال أبو المخشي مسرعا

سألت وعند أملك من ختاني
جواب كان يغني عن سؤالي

فقطعه * وعلى ذكر أبي المخشي وقطع لسانه كان مالك رضوان الله عليه يفتي فيمن قطع لسانه رجل عمدا يقطع لسانه من غير انتظار ثم رجع لما انتهت اليه قصة أبي المخشي وانه نبت لسانه بعد أن قطع بمقدار سنة وأنه تكلم به فقال ينتظر سنة فقد ثبت عندي أن رجلا بالاندلس نبت لسانه بعد أن قطع في نحو هذه المدة * ونقلت من خط الفقيه أبي محمد عبد الخالق المسكي قال بشار لعنان

عنان يامنيتي ويا سكني
أما ترين أجول في سككك
حرمت منك الوفا معذبتي
فجدلي بالسجل من صككك
اني ورب السماء مجتهد
في حل ما قد عقدت من تككك

(فقالت مجاوبة له)
لم يبق مما تقول قافية
يقولها قائل سوى عككك

من بني نهشل فتبسمت وقالت أنت اذن ممن عناه الفرزدق بقوله وذكرت الابيات السابقة قال فقلت نعم
جعلت فداك وأعجبني ما سمعت منها فضحكت وقالت ان ابن الخطفى تعني جريرا قد هدم عليكم بيتكم هذا
الذي قد فخرتم به حيث يقول أخزى الذي رفع السماء مجاشعا * وبنى بناءك بالحضيض الاسفل
بيتا تحمم قينكم بفنائه * دنسا مقاعده خبيث المدخل
قال فوجمت فلما رأت ذلك في وجهي قالت لا بأس عليك فان الناس يقال فيهم ويقولون ثم قالت أين تؤم
قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت هاهي تيك أمامك ثم أنشأت تقول
تذكرني بلادا خير أهلي * بها أهل المروءة والكرامه * ألا فسقى الاله أجش صوب
يسح بدره بلد اليمامه * وحي بالسلام أبا نجيد * فأهل للتحية والسلامه
قال فأنست بها ثم قلت أذات خدر أم ذات بعل فأنشأت تقول
اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم الى الصباح * تقطع قلبه الذكرى وقلبي
فلا هو بالخلي ولا بصاحي * سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحن الى الرواح
قال فقلت لها من عمرو هذا فأنشأت تقول
سألت ولو علمت كففت عنه * ومن لك بالجواب سوى الخبير * فان تك ذا قبول ان عمرا
لكالقمر المضيء المستنير * وما لي بالتبعل مستراح * ولو رد التبعل لي أسيري
قال ثم سكتت سكتة كأنها تسمع الى كلامه ثم تهافتت وأنشأت تقول
يخيل لي أبا عمرو بن كعب * بانك قد حملت على سرير * يسير بك الهوينا القوم لما
رماك الحب بالقلق اليسير * فان تك هكذا أبا عمرو فاني * مبكرة عليك الى القبور
ثم شهقت شهقة فخرت ميتة فقلت لهم من هذه فقالوا هذه عقيلة بنت الضحاك بن عمرو بن محرق بن
النعمان بن المنذر بن ماء السماء فقلت لهم فمن عمرو هذا فقالوا ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق فارتحلت
من عندهم فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فاذا هو قد دفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه
ما قالت والفرزدق قد تقدم ذكره في شواهد المقدمة

(هذا أبو الصقر فردا في محاسنه)

قائله ابن الرومي وتمامه * من نسل شيبان بين الضال والسلم * وهذا البيت من قصيدة من البسيط
وشيبان بن ذهل وشيبان بن ثعلبة قبيلتان والضال والسلم شجرتان من شجر البادية وفردا منصوب على
المدح أو الحال (والمعنى) هذا المشار اليه صاحب الاسم المشهور اذا ذكر رجلا فردا في محاسنه وفضائله
من نسل شيبان وأولاد هذه القبيلة المقيمين بالبادية والاقامة بها مما تتمدح به العرب لان فقد العز في الحضر
(والشاهد فيه) تعريف المسند اليه بايراده اسم اشارة متى صلح المقام له واتصل به غرض وصلاحيته بأن
يصح احضاره في ذهن السامع بواسطة الاشارة اليه حسا ثم الغرض الموجب له أو المرجح تفصيل يأتي
ضمن الشواهد ان شاء الله تعالى وتعريفه بالاشارة هنا لتمييزه أكمل تمييز وذلك في قوله هذا أبو الصقر
لصحة احضاره في ذهن السامع بواسطة الاشارة حسا ومثله قول المتنبي
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وقول مادح حاتم الطائي واذا تأمل شخص ضيف مقبل * متسربل سربال ليل أغبر
أومأ الى الكوماء هذا طارق * نحرتني الاعداء ان لم تنحري
(وابن الرومي) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج وقيل هو أبو جرجيس الشاعر المشهور وصاحب
النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن
قالب وكان اذا أخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقية ومعانيه غريبة جيدة (وحكى
ابن درستويه وغيره) أن لائما لامه فقال له لم لا تشبه كتشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه فقال له أنشدني

فقال
بلى وان شئت قلت فيشله
تسكن الهائجات من حككاك
قال علي بن ظافر عنان لم
يدركها بشار وانما كان
يشاغبها أبو نواس ولهما في
مثل هذا أخبار كثيرة
وهذه القافية مما يعاب به
وعلى ذكرها كان بمصر
رجل زجلي كثير الوسخ
قذر الجلدة والثوب لا تكاد
تفارقه قفة فيها كراريس
يعرف بالمقشراني ويلقب
أديب القفة وكان يصنع
مقامات مضحكة فيها غرائب
وعجائب يزعم أنه يضاهي
بها مقامات الحريري وكان
يقول أنا موازنه في كل شيء
حتى في اسمه ولقبه هو أبو
القاسم محمد وأنا أبو القاسم
محمد وهو ابن علي وأنا ابن
علي وهو الحريري وأنا
الحريري وهو البصري وأنا
المصري ويجعل هذا من
أوضح البراهين وأقوى
الادلة على مساواته في كل
قصيدة ومما أنشدنيه لنفسه
في الزيادة على هذه القافية
وانما ذكرته على سبيل
الاطراف فلقد كان عجيب
الشأن قوله
يا سحاقي بركاك
وصائدا في شبكاك
لا تحقرن ككتي
فككتي ككككاك
والككة مركب من
مراكب صعيد مصر ليس
فيها مسمار (وروى)

شيأ من قوله الذي استعجزتني عن مثله فأنشده قوله في الهلال

انظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال له زدني فأنشده قوله في الاذريون وهو زهر أصفر في وسطه خمل أسود وليس بطيب الرائحة والفرس تعظمه بالنظر اليه وفرشه في المنزل

كأن آذريونها * والشمس فيه كاليه * مداهن من ذهب * فيه بقايا غاليه

فصاح واغوثاه تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن خليفة وأنا أي شئ أصف ولكن انظروا اذا أنا وصفت ما أعرف أين يقع قولي من الناس هل لاحد قط قول مثل قولي في قوس الغمام وأنشد

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا * على الجو دكنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب بأخضر * على أحمر في أصفر اثر مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

وبعضهم ينسبها لسيف الدولة بن حمدان منهم صاحب اليتيمة وقولي في صانع الرقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * في لجة الماء يلقى فيه بالحجر

وقولي في قالي الزلابية

ومستقر على كرسيه تعب * روحي الفداء له من منصب نصب
رأيته سحرا يقلي زلابية * في رقة القشر والتجويف كالقصب
كأنما زيته المقلي حين بدا * كالكيمياء التي قالوا ولم تصب
يلقي العجين لجينا من أنامله * فيستحيل شبابيكا من الذهب

ومن معانيه البديعة قوله

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله * وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاءه

وقد كرر ابن الرومي هذا المعنى في نظمه فقال

اذا عز رفد استرفد * أطال المديح له المادح * وقدما اذا استبعد المستقى * أطال الرشا له الماتح

وقد أخذه السراج الوراق فقال

سامح بفضلك عبدا * مقصرا في الثناء * رأى قليبا قريبا * فلم يطل في الرشاء

وعلى ذكر أبياته السائرة في صانع الرقاق ذكرت ما حكي عن الاديب أبي عمرو النميري أن هذه الابيات أنشدت في حلقته فقال بعض تلامذته ما أظن أن يقدر على الزيادة فيها فقال

فكدت أضرط اعجابا لرؤيتها * ومن رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضر وقالوا البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتي هذا ليس يعجبكم * فجملوا محوه أو فالعقوه طري

ومن معاني ابن الرومي البديعة قوله يهجو

لخالد شاعر نازوجة * لها حر يبلغ مثليها * قوامة بالليل لكنها * تستغفر الله برجليها

وقوله فيها هذا المعنى أيضا

مرفوعة تحت الدجا رجلاها * كأنما يستغفران الله

وقد أخذ هذا المعنى أبو محمد البصري فقال من أبيات

ولا تتزوجن لهم ببنت * فللسودان عندهم مراح * بأرجلهن يستغفرن دأبا * فأرجلهن للدعوات راح

رجع الى شعر ابن الرومي فمنه قوله

أن أبا نواس خرج يوما وهو مخمور الى الكناسة فاستقبله اعرابي ومعه غنم فقال له أبو نواس

أيا صاحب الذود اللواتي تسوقها * بكم ذلك الكبش الذي قد تقدما

(فقال الاعرابي)

أبيعكه ان كنت تبغي شراءه * ولم تك مزاحا بعشرين درهما

(فقال أبو نواس)

أخذت هداك الله رجعي جوابنا * فأحسن الينا ان أردت تكرما

(فقال الاعرابي)

أحط من العشرين خمسا لانني * أراك ظريفا فاخرجنها مسلما

فقيل للاعرابي أتدري من يكلمك منذ اليوم فقال لا فقيل أبو نواس فرجع فلحقه فحلف بصدقة غنمه ان لم يقبله

(وروى) انه مر به أعرابي معه نعجة وكبش وجمل صغير فقال أبو نواس لمن معه ما رأيكم في تخجيله فقالوا له افعل فقال

بكم النعجة التي * خلفها الكبش والجمل

(فقال الاعرابي)

بثلاثين درهما * جدد أيها الاجل

(وروى) أنه دخل على عنان فكتب رقعة وناولها اياها فاذا فيها

ماذا تقولين فيمن * يريد منك نظيره

فكتبت تحتها عجلة

ايأي تعني بهذا

طامن حاشالك فلا محالة واقع * بل ماتحب من الامور وتكره
واذا أتاك من الامور مقدّر * وهربت منه فنحوه تتوجه

ومنه قوله يهجو غضبت وظلت من سفه وطيش * تهز هزلحية في قدر رقش
فما افترقت لغضبتك الثريا * ولا اجتمعت لذاك بنات نعش

ومنه قوله أيضا ان كنت من جهل حقي غير معتذر * وكنت عن ردّ مدحي غير منقلب
فأعطني ثمن الطرس الذي كتبت * فيه القصيدة أو كفارة الكذب

وقد تبعه الفاضل علي بن مليك الحموي وأخذ غالب ألفاظه فقال
مدحتكم طمعا فيما أؤمله * فلم أنل غير حط الاثم والوصب
ان لم تكن صلة منكم لذي أدب * فأجرة الخط أو كفارة الكذب

ولابن الرومي في مثله ردّوا علي صحائفا سوّدتها * فيكم بلا حق ولا استحقاق

وقد سبق الى هذا المعنى أبو تمام بقوله في المطلب الخزاعي
أقول عدلا فيك فيما أرى * انك لا تقبل قول الكذب
مدحتكم كذبا فجازيتني * بخلا لقد أنصفت يا مطلب

قال ابن زيدون قل للوزير وقد قطعت بمدحه * عمري فكان السجن منه ثوابي
لا تخش لاغتي عاقد جئته * من ذاك في ولا توق عتابي
لم تخط في أمري الصواب موفقا * هذا جزاء الشاعر الكذاب

ولابن مليك وقد مدح بعض رؤساء العصر بقصيدة فريدة فقوبلت بالحرمان
قالوا قصيدك بالحرمان لم رجعت * بالله بالله خبرنا عن السبب
فقلت ماقوبلت بالمنع عن خطا * الا لكثرة مافيها من الكذب

ومن شعر ابن الرومي يهجو ابراهيم بن المهدي وهو قريب من هذا المعنى
رددت الى شعري بعد مطل * وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلت امدح به من شئت بعدي * ومن ذا يقبل المدح الرديدا
ولا سيما وقد أعلقت فيه * مخازيك اللواتي لن تبيدا
وهل للحي في أثواب ميت * لبوس بعدما امتلأت صديدا

وقال ابو جعفر بن وضاح في أبي الوليد بن مالك وقد قعد عن بره
ابلغ لديك المالكي رسالة * مشحوذة مثل السنان اللهذم
ألبست امداحي كأزهار الربا * وجزيتني بقطيعة وتجهم
فاردد علي مدائحي موفورة * هذا السوار لغير ذاك المعصم

﴿ولطيف قول أبي المظفر الابيوردي﴾
ومدائح تحكي الرياض أضعتها * في باخل أعيت به الاحساب
فاذا تناشدها الرواة وأبصروا الـ * ـممدوح قالوا ساحر كذاب

﴿وقول أبي بكر بن مجبر الاندلسي﴾
وقائلة تقول وقد رأتني * أقاسي الجدب في المرعى الخصيب
أما عطف الفقيه وأنت تشكو * له شكوى العليل الى الطبيب
وقد مر الثناء بعطفيه * كامر النسيم على القضيب
فقلت على شكر وامتداح * وليس على تقليب القلوب

وما أحسن قول بشار وكان قد مدح المهدي بقصيدة فحرمه الثواب فقيل له حرمك أمير المؤمنين فقال
والله

عليك فاجلد عميره
ثم ناولته الرقعة فكتب
تحتها عجلا
أريد هذا وأخشى
على يدي منك غيره
فخجلت وقالت تعست
وتعس من يغار عليك
(وروى) الجماز أنه دخل
عليها قبل تعارفهما فأنشد
ان لي ايراخبيثا
عادم الرأس فلوتا
لو رأى الحِر بصير
عاد للقامة حوتا
أو رآه فوق جو
لتزى حتى يموتا
أو رآه جوف بيت
صار فيه عنكبوتا
(فقالت ارتجالا)
زوجوا هذا بألف
وأظن الالف قوتا
انني أخشى عليه
ان تمادى أن يموتا
بادروا ما حل بالمسـ
ـكين خوفا أن يفوتا
قبل ان ينعكس الحا
ل فلا يأتي ويوتى
فعجب الحاضرون منهما
واستظرف كل منهما صاحبه
ودامت صحبتهما بعد ذلك
(وروى) المدائني قال اجتمع
أبو نواس واسمعيل بن نوبخت
وأبو الشمقمق في بيت ابن
اذين قال علي بن ظافر هو أبو
عبد الله الجماز فبينما هم
عنده اذ جاء أبو العتاهية
يسأل عن ابن اذين وكان بينه
وبين أبي الشمقمق شر
فخبأوه من أبي العتاهية في

والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر ما خشى صرفه على أحد ولكنني كذبت في العمل فكذبت في الامل ولطيف قول ابن جكينا البغدادي

تقضوا لواعذروه في مماطلتي * أنا أحق وحق الله من عتبا

ولا تلوموه في وعد يردده * في وقت مدحي له علمته الكذبا

ولابن جكينا المذكور يعتذر عن بخل الممدوحين لغرض عرض له

قد بان لي عذر الكرام فصدهم * عن أكثر الشعراء ليس بعار

لم ييأسوا بذل النوال وانما * جمد الندى لبرودة الاشعار

وقال بعضهم في تمهيد عذر الهجائين تدانت طرق الياس * فطالت طرق النجح

رأجدى مكسب الغش * فاكدى مكسب النصح * وكان الاثم في الهجو * فصار الاثم في المدح

ومن هذا المعنى قول ابن جحظة

تساوى الناس في فعل المساوى * فما يستحسنون سوى القبيح * وصار الجود عندهم جنونا

فما يستثقلون سوى النصيح * وكانوا يهربون من الاهاجى * فصاروا يهربون من المديح

ومنه قول الآخر كان الكرام وأبناء الكرام اذا * تسامعوا بكريم مسه عدم

تسابقوا فيواسيه أخو كرم * منهم ويرجع باقيهم وقد ندموا

واليوم لاشك قد صار الندى سفها * وينكرون على المعطى اذا علموا

ومدح أبو الحسن بن الفضل أحد الوزراء برا كش وكان أقرع فلم يثبه فقال

أعددت مدحي للوزير الذي * دعا به المجد فلم يسمع * فحامل الشعر اليه كمن * يهدي به مشطا الى أقرع

وما أحذق قول أبي رياش في الوزير المهلبي وقد مدحه وتأخرت صلته وطال تردده اليه

وقائلة قد مدحت الوزير * وهو المؤمل والمستماح * فماذا أفادك ذاك المديح

وهذا الغدو وهذا الرواح * فقلت لها ليس يدري امرؤ * بأي الامور يكون الصلاح

على التقلب والاضطراب * بجهدي وليس على النجاح

وهو قريب من معنى أبيات ابن جبير السابقة قريبا ولابن الرومي في ذم الخضاب وهو من معانيه المخترعة

اذا دام للمرء الشباب وأخلقت * شبيبته ظن السواد خضابا

وكيف يظن الشيخ أن خضابه * يظن سوادا أو يخال شبابا

وقد ذكرت بهذين البيتين اعتذار عبدان المعروف بالحوزي عن الخضاب وهو أحسن شئ رأيته في معناه

في مشيبي شماتة لعداتي * وهو ناع منغص لحياتي * ويعيب الخضاب قوم وفيه

لي انس الى حضور وفاتي * لا ومن يعلم السرائر مني * ما به رمت خلة الغانيات

انما رمت أن أغيب عني * ما تريني كل يوم مراتي

هو ناع الى نفسي ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

وعلى ذكر عبدان هذا فقد كان مع فضله وجزالة شعره خفيف الحال متكاف المعيشة قاعد اتحت قول أبي الشيص ليس المقل عن الزمان براض وهو القائل

قلت للدهر من فضولي قولا * وحداني عليه طيب الاماني * أتراني بحيلة انا احيى

ذات يوم وفاخر الحملان * قال هيهات أنت والنحس تربا * ن وقد كنتما رضيعي لبان

لا تؤمل ركوب شئ سوى النعـ * ـش ولا خلعة سوى الاكفان

وله من أبيات يكلفني التصبر والتسلي * وهل يستطاع الا المستطاع

وقالوا قصة نزلت بعدل * فقلنا ليته جور مشاع

وكان أبو العلاء الاسدي عرضة لاهاجيه فمن ملحه فيه قوله

بيت ودخل أبو العتاهية فنظر الى غلام عندهم فيه تأنيث فظنه جارية فقال لابن أذين متى استطرفت هذه فقال قريبا يا أبا اسحق فقل فيها شيأ فمد أبو العتاهية يده الى الغلام وقال

مددت كفي نحوكم سائلا * ماذا تردون على السائل

فصاح أبو الشمقمق من داخل البيت قائلا

نرد في كفك ذا فيشة * تشفي جوى في استك من داخل

فقام أبو العتاهية مغضبا وهو يطلب الباب ويقول شمقمق والله وضحك القوم حتى كادوا يهلكون (وذكر الخالديان) في كتاب أخبار مسلم بن الوليد هذه الحكاية وذكرها غيرهما بأبسط مما ذكرناها فكتبناها بلفظ الاكثر (قال دعبل بن على الخزاعي) بينما أنا بباب الكرخ اذا أنا بقينة تسمى قرة معروفة بظرف وجمال وشعر وأدب وغناء وقد اجتازت فتعرضت لها وقلت

دموع عيني لها انبساط
ونوم عيني به انقباض

فقالت

وذا قليل لمن دهته
بصرها الاعين المراض

فقلت

فهل لمولاي عطف قلب
أوللذي في الحشى انقراض

فقالت مسرعة من غير

أبا العلاء اسكت ولا تؤذنا * بشين هذا النسب البارد * وتدّعى من أسد نسبة
لا تثبت الدعوى بلا شاهد * أقم لنا والدة أولا * وأنت فى حل من الوالد

وقوله أيضا
قابل هديت أبا العلاء نصيحتى * بقبولها و بواجب الشكر
لا تهجون أسنّ منك فربما * تهجو أباك وأنت لا تدرى

وقوله
أضحى الملوم أبا العلاء يسبنى * وأنا أبوه يعقنى و يعادى
والمنتمون اليه من أولاده * الله يعلم انهم أولادى

﴿ولنرجع الى شعر ابن الرومى﴾ قال فى بغداد وقد غاب عنها فى بعض أسفاره وهو معنى جيد
بلد صحبت به الشبيبة والصبا * والبست ثوب اللهو وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

ومحاسنه كثيرة وديوان شعره رتبه الصولى على الحروف وكان كثير التطير جدا وله فيه أخبار غريبة وكان أصحابه يعبثون به فيرسلون اليه من يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته أصلا ويمتنع من التصرف سائر يومه وأرسل اليه بعض أصحابه يوما غلاما حسن الصورة اسمه حسن فطرق الباب عليه فقال من قال حسن فتفاءل به وخرج واذا على باب داره حانوت خياط قد صلب عليها درفتين كهيئة اللام ألف ورأى تحتها نوى تمر فتطير وقال هذا يشير بأن لا تمر ورجع ولم يذهب معه وكان الاخفش على بن سليمان قد تولع به فكان يقرع عليه الباب اذا أصبح فاذا قال من القارع قال مرة بن حنظلة ونحو ذلك من الاسماء التى يتطير بذكرها فيحبس نفسه فى بيته ولا يخرج يومه أجمع فكتب اليه ينهاه و يتوعده بالهجاء فقال
قولوا لنحوينا أبى حسن * ان حسامى متى ضربت مضى * وان نبلى اذا همت به
ارمى غدا نصلها بجمرغضا * لا تحسبن الهجاء يحمده الرفع ولا خفض خافض خفضا

ومنها
عندى له السوط ان تلاءم فى السير وعندى اللجام ان ركضا

وكان الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد يخاف هجوه وفلتات لسانه فدس عليه ابن فراس فأطعمه خشكنانجة مسمومة فلما أكلها أحس بالسم فقام فقال له الوزير الى أين تذهب فقال الى الموضع الذى بعثت بى اليه فقال له سلم على والدى فقال ليس طريقى على النار وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات وكان الطبيب يتردد اليه ويعالجه بالادوية النافعة للسم فزعم انه غلط عليه فى بعض العقاقير قال نفطويه النحوى رأيت ابن الرومى وهو يجود بنفسه فقلت ما حالك فأنشد
غلط الطبيب على غلطة مورد * عجزت موارده عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة الاقدار

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر دخلت على ابن الرومى أعوده فوجدته يجود بنفسه فلما قمت من عنده قال
أبا عثمان أنت حميد قومك * وجودك للعشيرة دون لومك
تزود من أخيك فلا أراه * يراك ولا تراه بعد يومك

وكانت ولادته ببغداد بعد طلوع فجر يوم الاربعاء لليلتين خلتا من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين وتوفى يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وقيل أربع وثمانين وقيل وسبعين ومائتين ودفن فى مقبرة باب البستان رحمه الله

﴿أولئك آبائى فجئنى بمثلهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع﴾

البيت للفرزدق من قصيدة من الطويل يفتخر فيها على جرير وأولها
منا الذى اختير الرجال سماحة * وخيرا اذا هب الرياح الزعازع * ومنا الذى أعطى الرسول عطية
أسارى تميم والعيون دوامع * ومنا الذى يعطى المئين ويشترى الـ غوالى و يعلو فضله من يدافع
ومنا خطيب لا يعاب وحامل * أعز اذا التفت عليه المجامع * ومنا الذى أحيى الوئيد وغالب

وعمرو

تلبث
ان كنت تبغى الوصال منا
فالوصل فى دينناقراض
قال دعبل فلا أعلم أنى خاطبت جارية تقطع الانفاس بعذوبة ألفاظها وتختلس الارواح ببلاغة منطقها وتذهل الالباب برخيم نغمتها مع تلاعة جيد ورشاقة قد وكمال عقل وبراعة شكل واعتدال خلق قبلها فحار والله البصر وذهل اللب وجل الخطب وتلجلج اللسان وتعقلت الرجلان وما ظنك بالحلفاء أدنيت من النيران ثم ثاب الى عقلى وراجعنى حلمى وذكرت قول بشار
لا يؤيسنك من مخبأة
قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة
والصعب يمكن بعد ما جمحا
هذا لمن حاول ما دون الطمع فيه اليأس منه فكيف بمن وعد دون المسئلة وبذل قبل الطلبة فنقلتها من تلك القافية وقلت
أترى الزمان يسرنا بتلاق
ويضم مشتاقا الى مشتاق
فقالت مسرعة
ما للزمان تقول فيه وانما
أنت الزمان فسرنا بتلاق
قال دعبل فاستتبعتها وذلك فى زمن املاقى فقلت ليس لى الا بيت مسلم بن الوليد صريع الغوانى فصرت الى بابه فاستوقفتها وناديته فخرج فقلت أجمل اليك

وعمرو ومنا حاجب والاقرع * ومنا غداة الروع فتيان غارة * اذا امتنعت بعد الزجاج الاجاشع
ومنا الذي قاد الجياد على الوجى * لنجران حتى صبحته الترائع

وبعده البيت وهي طويلة (ومعنى البيت) التعجيز لانه قد تحقق عنده أن ليس للمخاطب مثل آبائه (والشاهد فيه) ايراد المسند اليه اسم اشارة للتعريض بغباوة السامع حتى كأنه لا يدرك غير المحسوس وذلك ظاهر في البيت

(هواى مع الركب اليمانين مصعد)

قائله جعفر بن علبة من أبيات من الطويل قالها وهو مسجون وتمامه * جنيب وجثماني بمكة موثق والابيات

عجبت لمسراها وأنى تخلصت * الىّ وباب السجن بالقفل مغلق
ألمت فحيت ثم ولت فودعت * فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبي أني تخشعت بعدكم * لشئ ولا أني من الموت أفرق
ولا أن قلبي يزدهيه وعيدكم * ولا أنني بالمشي في القيد أخرق
ولكن عرتني من هواك ضمانة * كما كنت ألقى منك اذ أنا مطلق

والركب ركبان الابل اسم جمع أو جمع وهم العشرة فصاعدا وقد يكون للخيل ويجمع على اركب وركوب والاركوب بالضم أكثر من الركب والركبة محركة اقل ومصعد من اصعد أي ذهب في الارض وأبعد وجنيب أي مجنوب مستتبع والجثمان الجسم والشخص والجسمان جماعة البدن والاعضاء من الناس وسائر الانواع العظيمة الخلق وذكر الخليل انهما بمعنى واحد والموثق المقيد (والمعنى فيه) هواي منضم الى ركبان الابل القاصدين الى اليمن لكون الحبيب معهم وبدني مأسور مقيد بمكة (والشاهد فيه) تعريف المسند اليه باضافته الى شئ من المعارف اذ هي أخصر طريق الى احضاره في ذهن السامع وهو في البيت قوله هواي أي مهوي وهو أخصر من قولهم الذي أهواه أو غير ذلك والاختصار مطلوب لضيق المقام وفرط السآمة لكونه في السجن وحبيبه على الرحيل (وجعفر بن علبة) هو ابن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية ابن صلاة بن المعقل بن كعب بن الحرث بن كعب ويكنى أبا عارم وعارم ابن له وقد ذكره في شعره وهو من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية شاعر مقل غزل فارس مذكور في فوارس قومه وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعرا أيضا ومات جعفر هذا مقتولا في قصاص اختلف في سببه فقيل ان جعفر بن علبة وعلىّ بن جعدب الحارثي العبابي والنضر بن مضارب المعاوي خرجوا فأغاروا على بني عقيل وان بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطرق ووضعوا عليهم الارصاد في المضايق فكانوا كلما أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى حتى انتهوا الى بلاد بني نمر فرجعت عنهم بنو عقيل وقد كانوا قتلوا فيهم فاستعدت عليهم بنو عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لابي جعفر المنصور فأرسل الى أبيه علبة بن ربيعة فأخذه بهم وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم اليه فأما النضر فاستقيد منه بجراحة وأما علىّ بن جعدب فأفلت من السجن وأما جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة انه قتل صاحبهم فقتل به وذكر ابن الكلبي أن الذي أثار الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن اياس بن يزيد الحارثي واسمعيل بن أحمد العقيلي اجتمعا عند أمة لشعيب بن صامت الحارثي وهي في ابل لمولاها في موضع يقال له صمعر من بلاد بلحرث فتحدثا عندها فمالت الى العقيلي فدخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم فانقطعت عمامة الحارثي وخنقه العقيلي حتى صرعه ثم تفرقا وجاء العقيليون الى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم ثم بلغهم بيت قيل وهو

ألم تسأل العبد الزيادىّ ما رأى * بصمعر والعبد الزيادى قائم

فغضب اياس من ذلك فلقي هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلي وهو اسماعيل بن أحمد فشجه شجتين وخنقه فصار الحارثيون الى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم ثم لقي العقيليون جعفر بن علبة الحارثي فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلا ثم أطلقوه فبلغ ذلك اياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن * تغر اذا ما كان أمر تحاذره

انظر معي وجه مليح تقل له الدنيا بأفهام ما أنا فيه من ضيقة وعسر فقال والله لقد شكوت ما كدت أبادرك بشكواه اثبتها فلما دخلت قال والله ما أملك سوى هذا المنديل فقلت هو البغية ناولنيه فقال خذه لا بارك الرحمن فيه فأخذته فبعته بدينار وكسر واشتريت به لحما وخبزا ونبيذا ثم صرت اليهما فاذا هما يتساقطان حديثا كأنه الدر فقال ما صنعت فأخبرته فقال كيف يصلح طعام وشراب وجلوس مع وجه مليح بغير نقل ولا ريحان ولا طيب اذهب فألطف بتمام ما كنت أوله قال فخرجت فاضطربت في ذلك حتى أتيت به فألفيت باب الدار مفتوحا فدخلت فلم أر لهما ولا لشئ مما كنت جئت به أثرا فأسقطت في يدي وقلت أرى صاحب الربع أخذهما وبقيت متلهفا حائر أرجم الظن وأجيل الفكر سائر يومي فلما أمسيت قلت في نفسي أفلا أدور في البيت لعل الطلب يوقفني على أثر ففعلت فوقعت في سرداب واذا بهما قد نزلا فيه وأنزلا معهما ما احتاجا اليه فلما أحسست بهما دليت رأسي ثم صحت مسلم ثلاثا فكان من اجابته أن غرد بصوته وقال

فلا صلح حتى يخفق السيف خفقة * بكف فتى جرت عليه جرائره

ثم ان جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جندب والنضر بن مضارب واياس بن يزيد فلقوا المهدى بن عاصم وكعب بن محمد بخبيرة وهو موضع بالقاعة فضربوهما ضربا مبرحا ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق فوجدوا العقيليين وهم تسعة نفر فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل جعفر بن علبة رجلا من عقيل يقال له حسينة فاستعدى العقيليون ابراهيم بن هشام المخزومى عامل مكة فرفع الحارثيين وهم أربعة من نجران حتى حبسهم بمكة ثم أفلت منهم رجل فخرج هاربا فاحضرت عقيل قسامة حلفوا أن جعفرا قتل صاحبهم فأقاده ابراهيم بن هشام وقال جعفر وهو محبوس الابيات السابقة وقال لاخيه يحرضه

قل لابى عون اذا ما لقيته * ومن دونه عرض الفلاة يحول

تعلم وعد الشط انى تشفنى * ثلاثة أحراس معا وكبول

اذا رمت مشيا أو تبوأت مضجعا * تبيت لها فوق الكعاب صليل

ولو بك كانت لابتعثت مطيتى * بعود الحفا أخفافها ويجول

الى العدل حتى يصدر الامر مصدرا * وتبرأ منكم قالة وعدول

وفى رواية ان جعفر بن علبة كان يزور نساء من عقيل بن كعب وكانوا متجاورين هم وبنو الحرث بن كعب فاخذته عقيل فكشفوا دبر قميصه وربطوه الى جمته وضربوه بالسياط وكتفوه ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتى كان يتحدث اليهن على تلك السبيل ليغيظوهن ويفضحوه عندهن فقال لهم يا قوم لا تفعلوا فان هذا الفعل مثلة وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم أن لا أزور بيوتكم أبدا ولا ألجها فلم يقبلوا منه فقال لهم فان لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ومنوا على بالكف عنى فانى أعده نعمة لكم ويدا لا أكفرها أبدا أو فاقتلونى وأريحونى فاكون رجلا آذى قومه فى دارهم فقتلوه فلم يفعلوا وجعلوا يكشفون عورته بين أيدى النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شفوا أنفسهم منه ثم خلوا سبيله فلم تمض الا أيام قلائل حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ثم مضى فلما كان فى نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه وكانت عقيل أقفى خلق الله للاثر فتبعوه حتى انتهوا اليه والى صاحبيه وكان العقيليون مغترين ليس مع أحد منهم عصا ولا سلاح فوثب عليهم جعفر وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلا وجرحوا آخر وافترقوا فاستعدت عليهم عقيل السرى بن عبد الله الهاشمى عامل المنصور على مكة فأحضرهم وحبسهم وأقاد من الجارح ودافع عن جعفر بن علبة وكان يحب أن يدرأ عنه الحد لخؤولة السفاح فى بنى الحرث ولان أخت جعفر كانت تحت السرى بن عبد الله وكانت حظية عنده الى أن أقاموا عنده قسامة أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج الى أبى جعفر المنصور والتظلم اليه فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه وأفلت على بن جعدب من السجن فهرب فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه أسقيك شربة من ماء بارد فقال اسكت لا أم لك انى اذا لمهياف وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه فقال له رجل أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه فقال أشد قبال نعلى أن يرانى * عدوى للحوادث مستكينا

وكان الذى ضرب عنق جعفر بن علبة نخبة بن كليب أخو المجنون وهو أحد بنى عامر بن عقيل فقال فى ذلك

شفى النفس ما قال ابن علبة جعفر * وقولى له اصبر ليس ينفعك الصبر * هوى رأسه من حيث كان كما هوى عقاب تدلى طالبا خانه الوكر * أبا عارم فينا عرام وشدة * وبسطة ايمان سواعدها شعر

هم ضربوا بالسيف هامة جعفر * ولم ينجه بر عريض ولا بحر

وقدناه قود البكر قسرا وعنوة * الى القبر حتى ضم أثوابه القبر

وقال علبة يرثى ابنه جعفرا لعمرك انى يوم أسلمت جعفرا * وأصحابه للموت لما أقاتل

لمجتنب حب المنايا وانما * يهيج المنايا كل حق وباطل * فراح بهم قوم ولا قوم عندهم

مغللة أيديهم فى السلاسل * ورب أخ لى غاب لو كان شاهدا * رآه التباليون لى غير خاذل

وقال

بت فى درعها وبات رفيقى
جنب القلب طاهر
الاطراف
ثم قال دعبل ويلك من يقول
هذا وقال
من له فى حرامه ألف اير
قد أنافت على علو مناف
قال فضحكا ثم سكتا
واستجلبت كلامهما فلم
يجيبانى بشىء وباتا فى لذتهما
وبت ليلة يقصر عمر الدنيا
عن ساعة منها طولا وغما
وهما حتى أصبحت ولم
أكد فخرج الى مسلم وهى
معه فجعلت أشتمه وأفترى
عليه فلما أكثرت قال يا أحمق
منزلى دخلت ومنديلى
بعت ودراهمى أنفقت
فعلى من تترب يا قواد فقلت
مهما كذبت على فما
كذبت فى الحمق والقيادة
وانصرفت وتركتهما

(وذكر) صاحب نجباء
الابناء أن الرشيد اطلع من
مستشرف له على قصره
فرأى ولده عبد الله المأمون
يكتب على حائط وهو صغير
فقال للخادم انطلق حتى
تنظر ماذا يكتب عبد الله
واحرص على أن لا يفطن
لك فذهب الخادم فتسلل
حتى قام من خلفه وهو
مقبل على الحائط فنظر
وعاد الى الرشيد فأخبره
انه كتب
قل لابن حمزة ما ترى
فى زيرباج محكمه
ثم قال الخادم انى تسللت

وقال علبة أيضا لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر

لعمرك ان الليل يا أم جعفر * على وان عللتني لطويل
أحاذر أخبارا من القوم قد دنت * ورجعة أنقاض لهن دليل

فأجابته امرأته فقالت أبا جعفر سلمت للقوم جعفرا * فمت كمدا أوعش وأنت ذليل

وذكر شداد بن ابراهيم أن بنتا ليحيى بن زياد الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريها وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله وهي

أحقا عباد الله أن لست رائيا * صحارى نجد والرياح الذواريا * ولا زائرا شم العرانين أنتمي
الى عامر يحللن رملا معاليا * اذا ما أتيت الحارثيات فانعني * لهن وخبرهن أن لا تلاقيا
وقود قلوصي بينهن فانها * ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا * أوصيكم ان مت يوما بعارم
ليغني شيأ أو يكون مكانيا * ولم أترك لي ريبة غير أنني * وددت معاذا كان فيمن أتانيا

أراد وددت أن معاذا كان أتاني معهم فقتلته فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض له انه قتل ظلما لانهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حتى قتل ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه الا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه

أبا جعفر سلم بنجران واحتسب * أبا عارم والمسمنات العواليا * وقود قلوصا أتلف السيف ربها
بغير دم في القوم الا تماريا * اذا ذكرته معصر حارثية * جرى دمع عينيها على الخد صافيا
فلا تحسبن الدين يا علب منسأ * ولا الثائر الحران ينسى التقاضيا * سنقتل منكم بالقتيل ثلاثة
ونغلي وان كانت دماء غواليا * تمنيت أن تلقى معاذا سفاهة * ستلقى معاذا والقضيب اليمانيا

وعن أبي عبيدة قال لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحي يبكين عليه وقام أبوه الى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال ابكين معنا على جعفر فما زالت النوق ترغو والشاء تثغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهن فما رؤي يوم كان أوجع وأحرق مأتما في العرب من يومئذ

(له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب)

البيت لابن أبي السمط من أبيات من الطويل منها

فتى لا يبالي المدلجون بنوره * الى بابه أن لا تضيء الكواكب
يصم عن الفحشاء حتى كأنه * اذا ذكرت في مجلس القوم غائب

والحاجب المانع والشين العيب والعرف والمعروف الاحسان (والشاهد فيه) تنكير الحاجب الاول للتعظيم والثاني للتحقير أي ليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم ومثله قول الشاعر

ولله مني جانب لا أضيعه * وللهو مني والخلاعة جانب

(وابن أبي السمط)

(الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا)

البيت لاوس بن حجر من قصيدة من المنسرح قالها في فضالة بن كلدة يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته أولها

أيتها النفس أجملي جزعا * ان الذي تحذرين قد وقعا
ان الذي جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا

وبعده البيت وبعده

المخلف المتلف المرزأ لم * يمتع بضعف ولم يمت طبعا
والحافظ الناس في قحوط اذا * لم يرسلوا خلف رائد ربعا
وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا

عليه حتى فت من خلفه وهو لا يعلم لغلبة الفكر عليه فقال له الرشيد ارجع فسله عما يكتب فسيقول لك اني مفكر في التتميم على هذا البيت فقل له اكتب تحته

قال ابن حمزة يا بني
هزلت مجتريا فيه

فانطلق الخادم فسأله فكان منه ما ظنه الرشيد ففعل الغلام ما أمره به فأطرق المأمون قليلا ثم قال لولا انك مأمور لم تنج من يدي فرجع الخادم الى الرشيد فأخبره فقال نجوت ثم دعا ابن حمزة الكسائي وقال له من أين علم عبد الله أن الخادم مأمور فقال الكسائي علمه من قوله هزلت مجتريا فيه اذ كان الخادم لا يقدر على مخاطبته بذلك الا عن أمر (وذكر أبو عبد الله) محمد بن عبدون الجهشياري في كتاب الوزراء قال ذكر أبو الفضل بن عبد الحميد في كتابه أن الاحول المحرر شخص مع محمد بن يزداذ عند شخوص المأمون الى دمشق وانه شكا يوما الى أبي هرون خليفة محمد بن يزداذ الوحدة والغربة وقلة ذات اليد فسأله في أن يسأل له ابن يزداذ أن يكلم المأمون في أمره فيبره بشيء ففعل أبو هرون ذلك ورأى محمد بن يزداذ من المأمون طيب نفس فكلمه له

الالمعي واليلمعي الذكي المتوقد ذكاء وسئل الاصمعي عن معنى الالمعي فانشد البيت ولم يزد عليه وهو اما مرفوع خبر ان أو منصوب صفة لاسمها أو بتقدير أعني وخبرها في قوله بعد أبيات

أودى فما تنفع الاشاحة من * أمر لمن قد يحاول البدعا

(والشاهد فيه) كون جملة قوله الذي يظن بك الظن وصفا كاشفا عن معنى الالمعي لا كونه وصفا للمسند اليه وبيت أوس هذا تداول معناه الشعراء قال أبو تمام

ولذاك قيل من الظنون جبلة * علم وفي بعض القلوب عيون

وقال المتنبي ماضي الجنان يريه الحزم قبل غد * بقلبه ما ترى عيناه بعد غد

وقال أيضا ذكي تظنيه طليعة عينه * يرى قلبه في يومه ما يرى غدا

وقال أيضا ويعرف الامر قبل موقعه * فما له بعد فعله ندم

وقال أيضا مستنبط من علمه ما في غد * فكأن ما سيكون فيه دونا

وهذا المعنى يقرب منه قول أبي نواس

ما تنطوي عنه القلوب بفجوة * الا تحدته به العينان

وقول علي بن الخليل كلمني لحظك عن كل ما * أضمره قلبك من غدر

وقول الخليع أماتقرأ في عيني عنوان الذي عندي

وقد سبق اليه المتقدمون قال الثقفي تخبرني العينان ما القلب كاتم * ولا حب بالبغضاء والنظر الشزر

وقال يزيد بن الحكم الثقفي تكاشرني كرها كأنك ناصح * وعينك تبدي أن قلبك لي دوي

وما أحسن قوله بعده عدوي يخشى صولتي ان لقيته * وأنت عدوي ليس هذا بمستوي

تصافح من لاقيته ذا عداوة * صفاحا وعني بين عينيك منزوي

وقال المتنبي في معناه تخفى العداوة وهي غير خفية * نظر العدو بما أسر يبوح

وقال غيره عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء لولاهما ما كنت أدريها

والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

وللمؤلف من أبيات ويظاهر ودا تشهد العين زوره * ويقضي بذاك القلب والقلب أخبر

وله في معناه من كان في لقياه لا يتودد * فأنا الذي في وده أتردد

فالقلب عما قد أجن ضميره * لصديقه عند التلاقي يرشد

واذا خفي حال وأشكل أمره * فالعين تخبر بالخفي وتشهد

وما أحسن قول أبي نصر بن نباتة ألا ان عين المرء عنوان قلبه * تخبر عن أسراره شاء أم أبى

وبديع قول عمارة بن عقيل تبدي لك العين ما في نفس صاحبها * من الشناءة والود الذي كانا

ان البغيض له عين يصد بها * لا يستطيع لما في القلب كتمانا

وعين ذي الود لا تنفك مقبلة * ترى لها محجرا بشا وانسانا

والعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقول الآخر تريك أعينهم ما في صدورهم * ان الصدور يؤدي غيبها البصر

وقول المعتمد بن عباد صاحب الاندلس

تميز البغض في الالفاظ ان نطقوا * وتعرف الحقد في الالحاظ ان نظروا

وقول الآخر ستبدي لك العينان في اللحظ ما الذي * يجن ضمير المرء والعين تصدق

وقول محمد بن ايدمر صاحب كتاب الدر الفريد

صديقك من عدوك ليس يخفى * وعنوان الدعاوى في العيون

تخبرك العيون بما أجنت * ضمائرها من السر المصون

وعظه عليه فقال له المأمون أنا أعرف الناس بانه لا يزال بخير ما لم يكن معه شيء فاذا رزق قوت القوت بذرة أفسده ذلك ولكن قد أمرت له لشفاعتك بأربعة آلاف درهم فدعا ابن يزداذ بالاحول فعرفه ما جرى ونهاه عن الفساد وأمر له بالمال فلما قبضه ابتاع غلاما بمائة دينار واشترى سيفا ومتاعا وأسرف فيما معه حتى لم يبق معه شيء فلما رأى الغلام ذلك أخذ كل ما كان في بيته وهرب فبقي عريانا بأسوإ حال فجاء الى أبي هرون خليفة محمد بن يزداذ فأخبره فأخذ أبو هرون نصف طومار فكتب في آخره

قل للغلام فطار قلب الاحول

وأنا الشفيع وأنت خير مؤمل

ثم ختمه وقال له امض الى محمد بن يزداذ فمضى وأوصله اليه فلما رآه محمد قال له ما في كتابك قال لا أدري قال وهذا من حمقك تحمل كتابا لا تدري ما فيه ثم فضه فلم ير شيأ فجعل ينشره وهو يضحك حتى انتهى الى آخره فوقف على البيت فكتب تحته

لولا تعبث أحول بغلامه كان الغلام ربيطة في المنزل ثم ختمه وناوله اياه وأمره

وقول محمد بن شبل من قصيدة فالعين تقرأ من لحاظ جليسها * ما خط منه فى ضمير الخاطر

ولكم قطوب عن وداد خالص * وتبسم عن غل صدر واغر

وما أحسن قوله فيها ما ان أريد بصدق قولى شاهدا * حسبى بسرك عالما بسرائرى

واذا تعارفت القلوب تألفت * ويصد منها نافر عن نافر

فتوق من يأباه قلبك انه * سيبين باطنه بأمر ظاهر

وقول العينى كأنك مطلع فى القلوب * اذا ما تناجت باسرارها

فكرات طرفك مرتدة * اليك بغامض أخبارها

ومثله قول المتنبى كأنك ناظر فى كل قلب * فما يخفى عليك محل غاش

وقد قال مضرس بن ربعى فى عكس ذلك

كأن على ذى الظن عينا بصيرة * بمنطقه أو منظر هو ناظره

يحاذر حتى يحسب الناس كلهم * من الخوف لا تخفى عليهم سرائره

وبديع قول المتنبى فى معنى ما سبق

ووكل الظن بالاسرار فانكشفت * له ضمائر أهل السهل والجبل

وهذا المعنى هو الاول وانما الفرق بينهما أن ذلك فى العواقب وهذا فى الاسرار والضمائر والمراد منهما صحة الحدس وجودة الظن وبديع قول الآخر فى معناه

كأنما رأيه فى كل مشكلة * عين على كل ما يخفى ويستتر

(وأوس بن حجر هذا) هو ابن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير ينتهى نسبه لتميم بن مرة مع اختلاف فيه وكان من شعراء الجاهلية وفحولها وعن أبى عمرو قال كان أوس بن حجر شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير فهو شاعر بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع وقال الاصمعى أوس أشعر من زهير ولكن النابغة طاطأ منه قال أوس ترى الارض منا بالعطاء مريضة * معضلة منا بجمع عرمرم

وقال النابغة جيش يظل به الفضاء معضلا * يدع الأكام كأنهن صحارى

فجاء بمعناه وزاد وقالت الشعراء فى نفار الناقة وفزعها فاكثرت ولم تعد ذكر الهر المقرون بها وابن آوى وقال أوس كأن هرا جنيبا عند غرضتها * والتف ديك برجليها وخنزير

قالوا وجمع ثلاثة ألفاظ أعجمية فى بيت واحد فقال

وفارقت وهى لم تجزن وباع لها * من الفصافص بالنمى سفسير

الفصافص الرطب وهى بالفارسية اسيست والنمى الفلوس بالرومية والسفسير السمسار وعن أبى عبيدة قال كان أوس بن حجر غزلا مغرما بالنساء فخرج فى سفر حتى اذا كان بأرض بنى أسد بين شرج وناظرة فبينما هو يسير ليلا اذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذه فبات مكانه حتى اذا أصبح غدت جوارى الحى يجتنين الكمأة وغيرها من نبات الارض والناس فى ربيع فبينما هن كذلك اذ أبصرن ناقته تجول وقد علق زمامها بشجرة وأبصرنه ملقى ففزعن منه وهربن فدعا بجارية منهن فقال لها من أنت قالت أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة وكانت أصغرهن فأعطاها حجرا وقال لها اذهبى الى أبيك فقولى ان ابن هذا يقرئك السلام فأتته فأخبرته فقال يا بنية لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيتا حيث صرع وقال لا أتحول أبدا حتى تبرأ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقل فقال أوس فى ذلك خذلت على ليلة ساهره * بصحراء شرج الى ناظره * تزاد ليالى من طولها

فليست بطلق ولا ساكره * أنوء برجل بها وهيها * وأعيت بها أختها العاثره

وقال فى حليمة لعمرك ما ملت ثواء ثويها * حليمة اذ ألقت فراشى ومقعدى

ولكن تلقت باليدين ضمانتى * وحل بشرج مالقبائل عودى

أن يرده الى خليفته فقال الله الله فى جعلنى الله فداك ارحمنى من الحالة التى قد صرت اليها فرق له ووعده أن يكلم المأمون فكلمه وشرح له الحال ووصف له ضعف عقل الاحول ووهى عقدته فامر المأمون باحضاره فلما مثل بين يديه قال له يا عدو الله تأخذ مالى وتشترى به غلاما حتى يفر منك فارتاع لذلك وتلجلج لسانه فقال جعلنى الله فداك ما فعلت فقال ضع يدك على رأسى واحلف أنك لم تفعل فارتاع وجعل ابن يزداذ يأخذ بيده لذلك والمأمون يضحك ويشير اليه أن ينحيها ثم أمر باجراء رزق واسع له كل شهر ووصله مرة بعد مرة حتى أغناه الله لانه كان يحب خطه (أنبأنا الفقيه) الحافظ التقى أبو محمد عبد الخالق المسكى اجازة أنبأنا الحافظ السلفى اجازة أنبأنا أبو محمد جعفر ابن أحمد السراج اللغوى وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستانى الحافظ قال أخبرنا النجيرمى أبو يعقوب حدثنا المهلبى قال لما حضرت المأمون الوفاة جلست عند رأسه جارية كان بها مشغوفا وقد أخذته غشية فجعلت تبكيه وأنشأت تقول

يا ملكا لست بناسيه

ولم تلههـا تلك التكاليف انها * كما شئت من أكرومـة وتخرد
سأجزيك أو يجزيك عني مثوب * وقصرك أن يثني عليك وتحمدي
ثم مات فضالة بن كلدة وكان يكنى أبا دليجة فقال فيه أوس يرثيه
ياعيني لابد من سكب وتهمال * على فضالة جل الرزء والعالى
وهي طويلة وله فيه عدة قصائد ومما يستجاد من شعره قوله
واني رأيت الناس الا أقلهم * خفاف العهود يكثرون التنقلا * بني أم ذي المال الكثير يرونه
وان كان عبدا سيد الامر جحفلا * وهم لمقل المال أولاد علة * وان كان محضا في العمومة مخولا
وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يسوءك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكن أخوك الناء ما كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا
ويستجاد له من هذه القصيدة قوله في السيف
كأن مدب النمل تتبع الربا * ومدرج ذر خاف بردا فاسهلا

(والذي حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد)

البيت لابي العلاء المعري من قصيدة من الخفيف يرثي بها فقيها حنفيا أولها
غير مجد في ملتي واعتقادي * نوح باك ولا ترنم شادي
وشبيه صوت النعي اذا قيـ * ـس بصوت البشير في كل نادي
أبكت تلكم الحمامة أم غنـ * ـت على فرع غصنها المياد
صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ * ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن اديم الارض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهـ * ـد هوان الآباء والاجداد
سر ان اسطعت في الهواء رويدا * لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا * ضاحك من تزاحم الاضداد
ودفين على بقايا دفين * في طويل الازمان والآباد
فاسأل الفرقدين عمن أحسا * من قبيل وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهار * وأنارا لمدلج في سواد
تعب كلها الحياة وما أعـ * ـجب الامن راغب في ازدياد
ان حزنا في ساعة الموت أضعا * ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت * أمة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار أعما * ل الى دار شقوة أو رشاد
وهي طويلة ومنها بان أمر الاله واختلف النا * س فداع الى ضلال وهادي
وبعده البيت وبعده فاللبيب اللبيب من ليس يغـ * ـتر بكون مصيره للفساد
يقول تحيرت البرية في المعاد الجسماني والنشور الذي ليس بنفساني وفي أن أبدان الاموات كيف تحيى من الرفات وبعضهم يقول به وبعضهم ينكره وبهذا تبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجماد ليس آدم عليه السلام ولا ناقة صالح ولا ثعبان موسى عليهما السلام اذ لا يناسب السياق وقال الامام أبو محمد ابن السيد البطليوسي حين شرح سقط الزند في هذا البيت يريد أن الجسم موات بطبعه وانما يصير حساسا متحركا باتصال النفس به فاذا فارقته عند الموت عاد الى طبعه فالحياة للنفس جوهرية وللجسم عرضية فلذلك يعدم الجسم الحياة اذا فارقته النفس ولا تعدمها النفس (والشاهد فيه) تقديم المسند اليه على المسند ليتمكن الخبر في ذهن السامع لان في المبتدا تشويقا اليه (وأبو العلاء) هو أحمد بن عبد الله

وليتني بالنفس أفديه
فأفاق من غشيته ونظر
اليها وأنشأ يقول
يا كيتي من جزع أقصري
قد غلق الرهن بما فيه
(ومن حسن الجواب بالشعر بديها) ما روى طماس قال جاء ابن دنفش الحاجب الى دار محمد بن عبد الملك الزيات يستدعيه وقد كان المعتصم طلبه فدخل المجلس ليلبس ثيابه فرأى ابن دنفش في صحن الدار غلاما له روقة فقال وهو يظن أن محمد بن عبد الملك لا يسمعه وعلى اللواط فلا تلومن كاتبا
ان اللواط سجية الكتاب
فقال محمد مسرعا
وكما اللواط سجية الكتاب
فكذا الحلاق سجية الحجاب
فاستحيا ابن دنفش واعتذر بأن هذا شئ جرى على لسانه من غير قصد فقال له محمد ابن عبد الملك انما يحسن الاعتذار اذا لم يقع القصاص (وذكر الصولي) في كتاب الوزراء قال حدثنا محمد بن موسى اليزيدي قال دخل الحسن بن وهب على محمد ابن عبد الملك وهو في بستان له وأقبل غلام لمحمد بن عبد الملك حسن الوجه فقال للحسن أجز
كيف ترى هذا الغلام الذي
أقبل يحكي البدر في المطلع
فقال الحسن
لا تسألني يا أبا جعفر
عن مثله في مثل ذا الموضع

ابن سليمان المعري التنوخي من أهل معرة النعمان العالم المشهور صاحب التصانيف المشهورة ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة وجدر في السنة الثالثة من عمره فعمي منه وكان يقول لا أعرف من الالوان الا الاحمر لأني ألبست في الجدري ثوبا مصبوغا بالعصفر لا أعقل غير ذلك وعن ابن غريب الايادي انه دخل مع عمه على أبي العلاء يزوره فوجده قاعدا على سجادة لبد وهو شيخ فان قال فدعا لي ومسح على رأسي قال وكأني أنظر اليه الساعة والى عينيه احداهما نادرة والاخرى غائرة جدا وهو مجدور الوجه نحيف الجسم وعن المصيصي الشاعر قال لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب رأيت أعمى شاعرا ظريفا يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الهزل والجد يكنى أبا العلاء وسمعته يقول أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر وهو من بيت علم وفضل ورياسة له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء قال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة أو اثنتي عشرة سنة ورحل الى بغداد ثم رجع الى المعرة وكان رحيله اليها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وأقام بها سنة وسبعة أشهر ودخل على المرتضى أبي القاسم فعثر برجل فقال من هذا الكلب فقال أبو العلاء الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما وسمعه المرتضى وأدناه واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء فأقبل عليه اقبالا كثيرا وله معه نكتة تأتي في التلميح ان شاء الله تعالى ولما رجع المعري الى بلده لزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين يعني حبس نفسه في منزله وحبس بصره بالعمى وكان عجيبا في الذكاء المفرط والحافظة ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي أنه كان قاعدا في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ شيأ من تصانيفه قال وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحدا من أهل بلدي فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته فعرفته وتغيرت من الفرح فقال لي أبو العلاء أي شيء أصابك فحكيت له اني رأيت جارا لي بعد أن لم ألق أحدا من أهل بلدي سنين فقال لي قم فكلمه فقلت حتى أتمم النسق فقال لي قم وأنا أنتظرك فقمت وكلمته بلسان الاذربيجانية شيأ كثيرا الى أن سألت عن كل ما أردت فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لي أي لسان هذا قلت هذا لسان أذربيجان فقال لي ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أني حفظت ما قلتما ثم أعاد علي اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه بل جميع ما قلت وما قال جاري فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ ما لم يفهمه وللناس حكايات يضعونها في عجائب ذكائه وهي مشهورة وغالبها مستحيل وكان قد رحل أولا الى طرابلس وكان بها خزائن كتب موقوفة فأخذ منها ما أخذ من العلم واجتاز باللاذقية ونزل ديرا كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع كلامه فحصل له شكوك وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمرا باهرا والناس مختلفون في أمره والاكثرون على الحاده واكفاره وأورد له الرازي في الاربعين قوله

قلتم لنا صانع قديم * قلنا صدقتم كذا نقول

ثم زعمتم بلا مكان * ولا زمان ألا فقولوا

هذا كلام له خبيء * معناه ليست لنا عقول

ثم قال الرازي وقد هذى هذا في شعره وقال ياقوت كان متهما في دينه يرى رأي البراهمة لا يرى افساد الصورة ولا يأكل لحما ولا يؤمن بالرسل ولا البعث ولا النشور اه ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تدينا ولا ما تولد من الحيوان رحمة له وخوفا من ازهاق النفوس والى ذلك أشار علي بن همام حين رثاه فقال من قصيدة طويلة

ان كنت لم ترق الدماء زهادة * فلقد أرقت اليوم من عيني دما

سيرت ذكرك في البلاد كأنه * مسك فسامعه يضمخ أو فما

وأرى الحجيج اذا أرادوا ليلة * ذكراك أوجب فدية من أحرما

ولقيه رجل فقال له لم لا تأكل اللحم فقال أرحم الحيوان قال فما تقول في السباع التي لا طعام لها الا لحوم الحيوان فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه وان كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن فسكت وقال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني قال لي المعري لم أهج أحدا قط قلت له صدقت الا الانبياء عليهم السلام فتغير لونه أو قال وجهه ودخل عليه القاضي المنازي فذكر له ما يسمعه

فقال أبو الجهم أحمد بن سيف وكان حاضرا

أتيت بها والله جلة
وخيمة المربع والمرتع

فقال الحسن يعترض بأبي الجهم

اذا ما حامت العقبان يوما
تسترت الجوارح بالغياض

فقال أبو الجهم يجيبه

ألم يخفق فؤادك يا ابن وهب
لذكري دون رميك في عراضي
وهل ثبتت عقاب في مكان
اذا نسر تحامل في انقضاض

فأقسم عليهما محمد بأن يمسكا وأقبل يردد بيت الحسن الذي أوله لا تسألني فقال الحسن

نعم وان أحببت ياسيدي
فسر ما أجلته فاسمع

فقال محمد

ان كنت تهواه فخذه فقد
جدت لك الآن به فاقطع

فقال الحسن

ان كنت تهوى الصدق فأذن له
يخرج اذا حان خروجي معي

قال فخرج معه بالغلام فأنت له (وروى) علي بن الجهم قال كنت يوما عند فضل الشاعرة فلحظتها الحظة رابتها فقالت

يارب رام حسن تعرضه
يرمي ولا أشعر أني غرضه

فقلت

أي فتى لحظك ليس يمرضه
وأي عهد محكم لا ينقضه

فضحكت وقالت خذ في

عن الناس من الطعن عليه ثم قال مالى وللناس وقد تركت دنياهم فقال له القاضى وأخراهم فقال يا قاضى وأخراهم وجعل يكررها وعن أبى زكريا الرازى قال قال لى المعرى ما الذى تعتقد فقلت فى نفسى اليوم يتبين لى اعتقاده فقلت له ما أنا الا شاك فقال لى وهكذا شيخك وحكى عن الشيخ كمال الدين الزملكانى أنه قال فى حقه هو جوهرة جاءت الى الوجود وذهبت وعن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كان يقول فى حقه هو فى حيرة قال الصلاح الصفدى وهذا أحسن ما يقال فى أمره لانه قال

خلق الناس للبقاء فضلت * أمة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار أعما * ل الى دار شقوة أو رشاد

ثم قال

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا * زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

وهذه الاشياء كثيرة فى كلامه وهو تناقض منه والى الله ترجع الامور قال السلفى ومما يدل على صحة عقيدته ما سمعت الحافظ الخطيب حامد بن بختيار النميرى يحدث بالسمسانية مدينة بالخابور وقال سمعت القاضى أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجى يقول سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول دخلت على أبى العلاء التنوخى بالمعرة ذات يوم فى وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد اليه وأقرأ عليه فسمعته ينشد من قيله

كم بودرت غادة كعوب * وعمرت أمها العجوز * أحرزها الوالدان خوفا
والقبر حرز لها حريز * يجوز أن تبطئ المنايا * والخلد فى الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات وتلا ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد ثم صاح وبكى بكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع رأسه ومسح وجهه وقال سبحان من تكلم بهذا فى القدم سبحان من هذا كلامه فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد على وقال متى أتيت فقلت الساعة ثم قلت يا سيدى أرى فى وجهك أثر غيظ فقال لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيأ من كلام المخلوق وتلوت شيأ من كلام الخالق فلحقنى ما ترى فتحققت صحة دينه وقوة يقينه وقال السلفى أيضا سمعت أبا المكارم بأبهر وكان من أفراد الزمان ثقة مالكى المذهب قال لما توفى أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعرا وختم عند قبره فى أسبوع واحد مائتا ختمة وعن أبى اليسر المعرى أن أبا العلاء كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الاشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصدا لهلاكه وايثارا لاتلاف نفسه وفى ذلك يقول

حاول اهوانى قوم فما * واجهتهم الا باهوانى * يحرشونى بسعاياتهم
فغيروا نية اخوانى * لو استطاعوا لوشوا بى الى الـمريخ والشهب وكيوان

قال الصلاح الصفدى أما الموضوع على لسانه فلعله لا يخفى على ذى لب وأما الاشياء التى دونها وقالها فى لزوم ما لا يلزم وفى استغفر واستغفرى فما فيه حيلة وهو كثير من القول بالتعطيل واستخفافه بالنبوات ويحتمل انه ارعوى وتاب بعد ذلك كله وكان أكله العدس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه اللباد وحصيره برديه وتصانيفه كثيرة جدا وشعره كثير الى الغاية وأحسنه سقط الزند ومن نظمه فى الغزل

يا ظبية علقتنى فى تصيدها * أشراكها وهى لم تعلق باشراكى * رعيت قلبى وما راعيت حرمته
فلم رعيت وما راعيت مرعاك * أتحرقين فؤادا قد حللت به * بنار حبك عمدا وهو مأواك
أسكنته حيث لم يسكن به سكن * وليس يحسن أن تسخى بسكناك * ما بال داعى غرامى حين يأمرنى
بأن أكابد حر الوجد ينهاك * وكم غدا القلب ذا يأس وذا طمع * يرجوك أن ترحميه وهو يخشاك

ومن شعره قوله

الى الله أشكو أننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لا شك واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

ومنه قوله

اضرب وليدك تأديبا على رشد * ولا تقل هو طفل غير محتلم

غير هذا الحديث وكان أبو الفضل بن المضاء أحد أمراء بنى الاغلب يخضب فأنشده يوما أبو شراحيل شريح بن عبد الله بن غانم بن العاص يعرض به

لعمرك ما الخضاب اذا تولى * شباب المرء الا كالسراب

فقال يعقوب يجيبه بديها

فلا تعجل رويدك عن قريب * كأنك بالمشيب وبالخضاب

(وذكر الصولى) فى كتاب الوزراء حدثنى محمد بن العلاء السجزى قال دخل أبو ناضرة الى عبيد الله بن سليمان فقال

أيظعن فى جملة الظاعنين * غدا أم يقيم أبو ناضره

فقال الوزير

يقيم يقيم على رغمه * وتحلق لحيته الوافره

فقال عبيد الله بن الفرج كاتب عبيد الله سرا

ويصفع من غير ما حشمة * وتوطى حليلته الفاجره

(وذكر) أبو على التنوخى فى كتاب نشوان المحاضرة قال حدثنى محمد بن الحسن البصرى قال حدثنى الهمدانى الشاعر قال قصدت ابن الشلمغانى فى مادرايا فأنشدته قصيدة قد مدحته بها وتأنقت فيها وجودتها فلم يحفل بها فكنت أغاديه كل يوم وأحضر مجلسه الى أن يتقوض الناس فلا أرى للثواب طريقا بحضرته

فرب شق برأس جرّ منفعة * وقس على شق رأس السهم والقلم

ومن شعره وقد أهدى كتابا من تصانيفه

قبول الهدايا سنة مستحبة * اذا هي لم تسلك طريق تحابى

وما أنا الا قطرة من سحابة * ولو انني صنفت ألف كتاب

ومن شعره المؤاخذ به قوله اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

علمنا بأن الخلق من نسل فاجر * وأن جميع الخلق من عنصر الزنا

فأجابه القاضي أبو محمد الحسن اليمني بقوله

لعمري أما فيك فالقول صادق * وتكذب في الباقين من شط أودنا

كذلك اقرار الفتى لازم له * وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

ومنه قوله يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت في ربع دينار

تحكم ما لنا الا السكوت له * وأن نعوذ بمولانا من النار

فأجابه علم الدين السخاوي بقوله

عز الأمانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

ومنه قوله هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت * ومجوس حارت واليهود مضلله

اثنان أهل الارض ذو عقل بلا * دين وآخر دين لا عقل له

فقال ذو الفضائل الاخسيكتي رادا عليه

الدين آخذه وتاركه * لم يخف رشدهما وغيهما

اثنان أهل الارض قلت فقل * ياشيخ سوء أنت أيهما

ومنه أيضا قوله دين وكفر وأنباء تقال وفر * قان ينص وتوراة وانجيل

في كل جيل أباطيل يدان بها * فهل تفرد يوما بالهدى جيل

فأجابه شيخ الاسلام الحافظ الذهبي بقوله

نعم أبو القاسم الهادي وأمته * فزادك الله ذلا يادجيجيل

ومنه أيضا قوله وهو الطامة الكبرى

قران المشترى زحلا يرجى * لايقاظ النواظر من كراها * تقضى الناس جيلا بعد جيل

وخالفت النجوم كما تراها * تقدم صاحب التوراة موسى * وأوقع في الخسار من افتراها

فقال رجاله وحي أتاه * وقال الآخرون بل افتراها * وما حجى الى أحجار بيت

كؤس الخمر تشرب في ذراها * اذا رجع الحكيم الى حجاه * تهاون بالشرائع وازدراها

لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم اللهم انى أستغفرك من تطير هذه الاباطيل التى تشمئز منها القلوب وتنفر عنها الخواطر وأسألك التوفيق لى ولسائر المسلمين ومن جيد شعره قوله

رددت الى مليك الخلق أمرى * فلم أسأل متى يقع الكسوف

وكم سلم الجهول من المنايا * وعوجل بالحمام الفيلسوف

وهو أخذه من قول أبى الطيب المتنبي

يموت راعى الضأن في جهله * ميتة جالينوس في طبه

وربما زاد على عمره * وزاد في الامن على سربه

وقد تلاعب الشعراء بهجائه ومن هجاه أبو جعفر الجياني الزوزني بقصيدة أولها

كلب عوى بمعرة النعمان * لما خلا عن ربقة الايمان

أمعرة النعمان ما أنجبت اذ * أخرجت منك معرة العميان

يوما وقد احتشد مجلسه فقام شاعر فأنشد نونية الى أن بلغ فيها الى بيت وهو

فليت الارض كانت مادرايا وليت الناس آل الشلغاني

فعنّ لى في الوقت هذا البيت فقمت وقلت مسرعا

اذا كانت بطون الارض كنفا

وكل الناس أولاد الزواني

فضحك وأمرني بالجلوس وقال نحن أحوجناك الى هذا وأمر لى بجائزة سنية فأخذتها وانصرفت (وكان) أبو عمر أحمد بن عبد ربه صديقا لابى محمد يحيى القلفاط الشاعر ثم فسد ما بينهما وتهاجيا وكان سبب الفساد بينهما أن ابن عبد ربه مر به يوما وكان في مشيته اضطراب فقال يا أبا عمر ما علمت أنك آدر الا اليوم لما رأيت مشيتك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

ياعرس أحمد انى مزمع سفرا فودعيني سرا من أبى عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقبه بطلاس لانه كان أطلس لالحية له ويسمى كتاب العقد حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف

وقصبته معوزر بمحمود بن صالح صاحب حلب شهيرة فلا حاجة الى التطويل بذكرها وكانت وفاته ليلة الجمعة ثالث وقيل ثاني شهر ربيع الاول وقيل ثالث عشره سنة تسع وأربعين وأربعمائة قال ابن غرس النعمة وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا الحاده ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والعفة فلما كان من الغد حكى لنا قال رأيت في منامي البارحة شيخا ضريرا وعلى عاتقه افعيان متدليان الى فخذيه وكل منهما يرفع فمه الى وجهه فيقطع منه لحما يزدرده وهو يستغيث فقلت وقد هالني من هذا فقيل لي هذا المعري الملحد وقال القفطي أتيت قبره سنة خمسين وستمائة فاذا هو في ساحة من دور أهله وعليه باب فدخلت فاذا القبر لا احتفال به ورأيت عليه خبازي يابسة والموضع على غاية ما يكون من الشعث والاهمال قال الذهبي وقد رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطي فرأيت نحوا مما حكى اه ويقال انه أوصى أن يكتب على قبره هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد وهو أيضا متعلق باعتقاد الحكماء فانهم يقولون ايجاد الولد واخراجه الى العالم جناية عليه لانه يعرض للحوادث والآفات والله تعالى أعلم بأمره

(ما كل ما يتمنى المرء يدركه)

قائله المتنبي من قصيدة من البسيط يمدح بها كافور الاخشيدي صاحب مصر ولم ينشدها اياه وكان اتصل به أن قوما نعوه في مجلس سيف الدولة وأولها

بم التعلل لا أهل ولا وطن * ولا نديم ولا كاس ولا سكن
أريد من زمني ذا أن يبلغني * ما ليس يبلغه في نفسه الزمن
لا تلق دهرك الا غير مكترث * ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرور ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
مما أضر بأهل العشق أنهم * هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفني عيونهم دمعا وأنفسهم * في اثر كل قبيح وجهه حسن
تحملوا حملتكم كل ناجية * فكل بين علي اليوم مؤتمن
ما في هوادجكم من مهجتي عوض * ان مت شوقا ولا فيها لها ثمن
يا من نعيت على بعد بمجلسه * كل بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم * ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفني قبل قولهم * جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وهي طويلة بديعة (والشاهد في البيت) أن كل اذا تأخرت عن أداة النفي سواء كانت معمولة لها أولا وسواء كان الخبر فعلا كما في البيت أو غير فعل توجه النفي الى الشمول خاصة لا الى أصل الفعل وأفاد الكلام ثبوت الفعل أو الوصف لبعض ما أضيف اليه كل ان كانت في المعنى فاعلا للفعل أو الوصف الذي حمل عليها أو عمل فيها أو تعلق الفعل أو الوصف ببعض ان كانت كل في المعنى مفعولا للفعل أو الوصف المحمول عليها أو العامل فيها ومعنى شعر البيت مأخوذ من قول طرفة بن العبد البكري

فيالك من ذي حاجة حيل دونها * وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله

وقد أخذه بعضهم وضمنه في قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم فخرج اليه وهو بمصر ليأخذ جائزته فوجده قد مات فقال

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي * وأخلفني منها الذي كنت آمل
فيالك من ذي حاجة حيل دونها * وما كل ما يهوى امرؤ هو نائل
وما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

وهذا البيت بعينه للحطيئة في علقمة بن علاثة والظاهر انه ضمنه أيضا وقد تقدم ذكر أبي الطيب المتنبي في شواهد المقدمة

(قد أصبحت أم الخيار تدعي * علي ذنبا كله لم أصنع)

البيت لابي النجم العجلي المتقدم ذكره وهو أول أرجوزته السابقة وأم الخيار هذه زوجته (والشاهد فيه) أن كل اذا تقدمت على النفي لفظا ولم تقع معمولة للفعل المنفي عم النفي كل فرد مما أضيف اليه كل وأفاد

حالك اليوم مع أبي عمرو فقال مرتجلا
حالي لا بأس لي عن رائه
وكنت في قعدد أبنائه
فبادره ابن عبد ربه فقال
ان كنت في قعدد أبنائه
فقد سقى أمك من مائه
فانقطع القلفاط خجلا
(أنبأنا) الشيخ النبيه الفقيه أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي عن الفقيه أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي قال أخبرني أبو محمد علي بن أحمد الفقيه ابن حزم قال أخبرني الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن قال وجدت بخط أبي قال أمرنا الحاكم المستنصر بالله بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبي علي اسمعيل بن القاسم البغدادي وابني سعيد في دار الملك التي بقصر قرطبة وأحضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد التي رواها بمصر عن ابن ولاد فتر لناصدر من الكتاب بالمقابلة فدخل علينا المستنصر في بعض الايام فسألنا عن النسخ فقلنا له ان نسخة القاضي التي كتبها بخطه محترقة وأريناه مواضع مغيرة وأبياتا مكسورة وأسمعناه ألفاظا مصحفة ولغات مبدلة فعجب من ذلك وسأل أبا علي فقال له نحو

نفي أصل الفعل عن كل فرد ومن ثم أتى بكل مرفوعة عادلا عن نصبها الغير المحتاج الى تقدير ضمير لانه لا يفيد نفي عموم ما ادّعته أمّ الخيار عليه والله أعلم

﴿ كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا ﴾
﴿ هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا ﴾

البيتان لابن الراوندي من البسيط وقبلهما

سبحان من وضع الاشياء موضعها * وفرّق العز والاذلال تفريقا

وعاقل الثاني صفة لعاقل الاول بمعنى كامل العقل متناه فيه كما يقال مررت برجل رجل أي كامل في الرجولية ومعنى أعيت مذاهبه أعجزته وصعبت عليه طرق معايشه والنحرير بكسر النون الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكل شئ لانه ينحر العلم نحرا والزنديق بكسر الزاي من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرب زن دين أي دين المرأة (والشاهد فيه) وضع المظهر الذي هو اسم الاشارة موضع المضمر لكمال العناية بتمييز المسند اليه لاختصاصه بحكم بديع عجيب الشان وهو هنا جعل الاوهام حائرة والعالم المتقن زنديقا وما أحسن قول الغزي في معنى البيتين

كم عالم لم يلج بالقرع بابمنى * وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وما أحسن قول الحكيم أبي بكر الخسروي السرخسي وهو كالرد على قول ابن الراوندي

عجبت من ربي وربي حكيم * أن يحرم العاقل فضل النعيم
ما ظلم الباري ولكنه * أراد أن يظهر عجز الحكيم

وقول أبي الطيب غاية في هذا الباب وهو

وما الجمع بين الماء والنار في يد * باصعب من أن أجمع الجد والفهما

وهو ينظر الى قول أبي تمام

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد في كف امرئ والدراهم

وما أحسن قول أبي تمام أيضا

ينال الفتى من دهره وهو جاهل * ويكدى الفتى من دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تأتي على الحجا * اذن هلكت من جهلهن البهائم

ومثله قول أبي الخير المروزي الضرير تنافى العقل والمال * فما بينهما شكل هما كالورد والنرجس لا يحويهما فصل فعقل حيث لا مال * ومال حيث لا عقل ومنه قول أبي اسحق الصابي اذا جمعت بين امرئين صناعة * فأحببت أن تدري الذي هو أحذق

فلا تتفقدنهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرّق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع * وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

ومثله قول عبد الجليل بن وهبون المرسي

يعز على العلياء أني خامل * وان أبصرت مني خمود شهابي
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثم ترى زند السعادة كابي

ولطيف قول بعضهم أيضا كم من غبي غني * ومن فقيه فقير

وبديع قول أبي بكر بن محمد المازني

ثنتان من سير الزمان تحيرت * فيهما عقول ذوي التفلسف والنهى
مثر من الاموال مبخوس الحجا * وموفر الآداب منقوص الغنى

ذلك واتصل المجلس بالقاضي فكتب الى المستنصر رقعة فيها

جزى الله الخليل الخير عنا
بافضل ما جزى فهو المجازي
وما خطا الخليل سوى المغيلي
وعصر وطين في دار الطراز
فصار القوم زربة كل زار
وسخرية وهزأة كل هاز

فلما دخلنا على المستنصر قال لنا أما القاضي فقد هجا كم وناولنا الرقعة بخط القاضي وكانت تحت شئ بين يديه فقرأناها وقلنا يا مولانا نحن نجل مجلسك الكريم عن انتقاص أحد فيه لاسيما مثل القاضي في سنه ومنصبه فان أحب مولانا أن يقف على حقيقة ما استدركناه فليحضره وليحضر الاستاذ أبا علي ثم نتكلم على كل كلمة استدركناها عليه فقال قد ابتدأ كم والبادي أظلم وليس على من انتصر لوم قال أبي فمددت يدي الى الدواة وكتبت بين يديه

هلم فقد دعوت الى البراز
وقد ناجزت قرنا ذا انجاز
ولا تمش الضراء فقد أثرت الـ
أسود الغلب تخطو باحتفاز
وأصحر للقاء تكن صريعا
بماضي الحد مصقول جراز
رويت عن الخليل الوهم جهرا
لجهلك بالحقيقة والمجاز
دعوت له بخير ثم أخنت
يد الشعر على مفاخره العزاز
تهدمها وتجعل ماء لاها
أسافلها استجز بك الجوازي

وما أحسن قول ابن لنكك فعاقل ماتبل أغلة * وجاهل باليدين يغترف
وقول الآخر زمان تحيرت في أمره * كثير التعدي على حره
فلو غد ماشئت من نفعه * ولم تر ماشئت من ضره
وأعجب ما في تصاريفه * صيال البعوض على صقره
وقول الآخر وغد له نعمة مؤثلة * وسيد لا يزال يقترض
ومدار ذلك جميعه على الحظ وعدمه وما أحسن قول ابن الخياط الدمشقي فيه أيضا
ومازال شوم الحظ من كل طالب * كفيلا يبعد المطلب المتداني
وقد يحرم الجلد الحريص مرامه * ويعطى مناه العاجز المتواني
وقول الآخر قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف المال عن ذي الحيلة الداهي
وقول الآخر أيضا ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالقادر
وما أحسن قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يامحنة الدهر كفي * ان لم تكفي فخفي
ما آن أن ترحمينا * من طول هذا التشفي * فلا علوي تجدي * ولا صناعة كفي
ثور ينال الثريا * وعالم متخفي * ذهبت أطلب بختي * فقيل لي قد توفي
ومن الغايات في هذا الباب قول الامام الشافعي رحمه الله تعالى
لو أن بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أفلاك السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق
فاذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق
أو أن محظوظا غدا في كفه * عود فأورق في يديه فحقق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق
ولبعضهم في معناه لو وردت البحار أطلب ماء * جف عند الورود ماء البحار
أو رمى باسمي النجوم الدراري * لا تزوى ضوءها عن الابصار
أو لامست العود النضير بكفي * لذوى بعد نعمة واخضرار
ولو اني بعثت القناديل يوما * أدغم الليل في بياض النهار
ومثله قول بعضهم ولما التمست الرزق فانجذ حبله * ولم يصف لي من بحره العذب مشرب
خطبت الى الاعدام احدى بناته * فزوجنيها الفقر اذ جئت أخطب
فأولدتها الحزن الشقي فماله * على الارض غيري والدحين ينسب
فلو تهت في البيداء والليل مسبل * على جناحيه لما لاح كوكب
ولو خفت شرا فاستترت بظلمة * لاقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد انسان علي بدرهم * لرحت الى رحلي وفي الكف عقرب
ولو عطر الناس الدنانير لم يكن * بشيء سوى الحصباء رأسي يخضب
وان يقترف ذنبا بيرقة مذنب * فان برأسي ذلك الذنب يعصب
وان أر خيرا في المنام فنازح * وان أر شرا فهو مني مقترب
أمامي من الحرمان جيش عرمرم * ومنه وراءي جحفل حين أركب
وقول الآخر لو ركبت البحار صارت فجاجا * لا ترى في متونها أمواجا
ولو اني وضعت ياقوتة حمراء في راحتي لصارت زجاجا
ولو اني وردت عذبا فراتا * عاد لاشك فيه ملحا أجاجا
وما أحسن قول أبي الاسود الدؤلي

جزى الله الامام العدل عنا
جزاء الخير فهو له مجازي
به وربت زناد العلم قدما
وشرف طالبيه باعتزاز
وجلي عن كتاب العين دجنا
واظلاما بنور ذي امتياز
باستاذ اللغات أبي علي
وأخدان بناحية الطراز
بهم صح الكتاب وصيروه
من التصحيف في ظل احتراز
قال الحميدي وأسقطنا نحن
منها أبياتا تجاوز الحذق فيها
قال ثم أنشدتها المستنصر
بالله فضحك وقال قد انتصرت
وزدت وأمر بها فختمت ثم
وجه بها الى القاضي فلم تسمع
له بعد كلمة (أنبأنا) الفقيه أبو
محمد عبد الخالق المسكي قال
نزلت من قرافة مصر لوداع
الشيخ الاجل أبي الحسين بن
جبير فقال لي كنت على
المجيء اليك فقلت وهمة
سيدنا هي التي أتت بي فسألني
عن القرافة فقلت هي موضع
يصلح للخير والشر من طلب
شيأ وجده فقال خذ هذه
الحكاية قال لي بعض مشايخنا
عن ابن الفرضي كنت في
موضع يتفرج فيه وبت به
ثم أقبلت باكرا منه فلقيني
بعض من يقرأ علي فقال
من أين أقبلت يامن لا نظير له
ومن هو الشمس والدنيا له فلك
فأجبته مسرعا
من موضع تجب النساك
خلوته
وفيه ستر على الفتاك ان
فتكوا

يحمد المرء سعيه من جده * حتى يزين بالذى لم يعمل
وترى الشقى اذا تكامل جده * يرمى ويقذف بالذى لم يفعل

وبديع قول أبى العلاء المعرى

سيطلبنى رزقى الذى لو طلبته * لما زاد والدنيا حظوظ واقبال
اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تكرى وان كذب الخال

الجد هنا الحظ والعم الجماعة وتكرى من كرى الزاد اذا نقص وافترى كذب والخال المخيلة (وظريف هنا)
قول ابن شرف القيروانى اذا صحب الفتى سعد وجد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء * وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وقد أخذه ابن النقيب فقال لو لحن الموسر فى مجلس * لقيل عنه انه يعرب
ولو فسا يوما لقالوا له * من أين هذا النفس الطيب

وقول أبى العلاء المعرى غاية هنا وهو

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وقد أخذ أبو اسحق الغزى هذا المعنى فقال

والحسن والقبح قد تحويهما صفة * شان البياض وزان الشيب والشنبا
ظبا المخارف أقلام مكسرة * وشهن وأقلام السعيد ظبا

وله أيضا لا تعتبن الزمان ان ذهبت * نيوب ليث العرين من نوبه
فالحول لولا الجدود ما قصرت * أيدى جماداه عن علا رجبه

وقد أخذ هذا المعنى الصلاح الصفدى فقال

لئن رحت مع فضلى من الحظ خاليا * وغيرى على نقص به قد غدا حالى
فانى كشهر الصوم أصبح عاطلا * وطوق هلال العيد فى جيد شوال

بل ربما أخذه من قول ابن قلاقس فانه أصرح منه حيث قال

ان تأخرت فالمحرم عطل * من حلى العيد وهى فى شوال

وقال ابن قلاقس أيضا لولا الجدود لما غدت لمسافر * كف الغنى وتعلقت بعقيم
والحظ حتى فى الحروف مؤثر * يختص بالترقيق والتفخيم

وقال مهيار الديلمى لا تحسب الهمة العلياء موجبة * رزقا على قسمة الارزاق لم يجب
لو كان أفضل ما فى الناس أسعدهم * ما انحطت الشمس عن عال من الشهب
أو كان أيسر ما فى الافق أسلمه * دام الهلال فلم يمحق ولم يغب

وقال الطغرائى وأعظم ما بى أننى بفضائلى * حرمت ومالى غيرهن ذرائع
اذا لم يزد فى موردى غير علة * فلا صدرت بالواردين مشارع

وقال القاضى الفاضل ما ضر جهل الجاهلين * ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى * زيادة فى نقص رزقى

وقال ابن دانيال قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا عند قسمة الارزاق

وقال ابن عنين كان فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد فى بنيه كواو عمرو * وملغى الحظ فيه كراء واصل

(قال بديع الزمان الهمذانى) كنت عند الصاحب كافى الكفاة أبى القاسم اسمعيل ابن عباد يوما وقد دخل عليه شاعر من شعراء العجم فأنشده قصيدة يفضل فيها قومه على العرب وهى

غنينا بالطبول عن الطلول * وعن عنس عذافرة ذمول
وأذهلنى عقار عن عقار * ففى است ام القضاة مع العدول
فلست بتارك ايوان كسرى * لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب * بها يعوى وليث وسط غيل
يسلون السيوف لرأس ضب * حراشا بالغداة وبالاصيل
اذا ذبحوا فذلك يوم عيد * وان نحروا ففى عرس جليل
أما لو لم يكن للفرس الا * نجار الصاحب القرم النبيل
لكان لهم بذلك خير فخر * وجيلهم بذلك خير جيل

فلما وصل الى هذا الموضع من انشاده قال له الصاحب فذلك ثم اشرأب ينظر الى الزوايا وأهل المجلس وكنت جالسا فى زاوية من البهو فلم يرنى فقال ابن أبى الفضل فقمت وقبلت الارض وقلت أمرك قال أجب عن ثلاثتك قلت وما هى قال أدبك ونسبك ومذهبك فأقبلت على الشاعر فقلت لا فسحة للقول ولا راحة للطبع الا السرد كما تسمع ثم أنشدت أقول

وقال السراج الوراق يمنعني باخل وسمح * وليس لي منهما نصير
وغايتي أن ألوم حظي * وحظي الحائط القصير
وقال ابن سنا الملك ورب مليح لا يحب وضده * تقبل منه العين والخد والفم
هو الجد خذه ان أردت مسلما * ولا تطلب التعليل فالامر مبهم
وما أرشق قول ابن رشيق أشق لعقلك أن تكون أديبا * أو أن يرى فيك الورى تهذيبا
مادمت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنا ختمه * حتى يكون بناؤه مقلوبا
وما ألطف قول السراج الوراق
الباء والخاء من بختي قد اقترنا * بالباء والخاء من بخل لانسان
واللام والتاء من هذا وذاك هما * لت المسائل عن أسباب حرماني

وهذا الباب واسع جدا والاختصار فيه أولى (وابن الراوندي) هو أحمد بن يحيى بن اسحق أبو الحسين من أهل مرو الروذ وراوند بفتح الراء والواو بينهما ألف وسكون النون وبعدها دال مهملة قرية من قرى قاسان بالسين المهملة بنواحي أصبهان وهي غير قاشان التي بالمعجمة المجاورة لقم سكن المذكور بغداد وكان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحدا زنديقا وقال القاضي أبو علي التنوخي كان أبو الحسين بن الراوندي يلازم أهل الالحاد فاذا عوتب في ذلك قال انما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم انه كاشف وناظر ويقال ان أباه كان يهوديا فأسلم وكان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا ويقال أن أبا الحسين قال لليهود قولوا ان موسى قال لا نبي بعدي وذكر أبو العباس الطبري أن ابن الراوندي كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال حتى انه صنف لليهود كتاب البصيرة ردا على الاسلام لاربعمائة درهم أخذها فيما بلغني من يهود سامرا فلما قبض المال رام نقضها حتى أعطوه مائة درهم أخرى فأمسك عن النقض وحكى البلخي في كتاب محاسن خراسان أن ابن الراوندي هذا كان من المتكلمين ولم يكن في زمانه أحذق منه بالكلام ولا أعرف بدقيقه وجليله وكان في أول أمره حسن السيرة حميد المذهب كثير الحياء ثم انسلخ من ذلك كله لاسباب عرضت له وكان علمه أكثر من عقله فكان مثله كما قال الشاعر

ومن يطيق مزكى عند صبوته * ومن يقوم لمستور اذا خلعا

قال وقد حكى جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه وأظهر الندم واعترف بأنه انما صار اليه حمية وأنفة من جفاء أصحابه له وتنحيتهم اياه من مجالسهم وأكثر كتبه الكفريات ألفها لابي عيسى اليهودي الاهوازي وفي منزله هلك ومما ألفه من كتبه الملعونة كتاب التاج يحتج فيه لقدم العالم وكتاب الزمردة يحتج فيه على الرسل ويبرهن على ابطال الرسالة وكتاب الفريد في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب اللؤلؤة في تناهي الحركات وقد نقض هو أكثرها وغيره ولابي على الجبائي وغيره ردود عليه كثيرة فمما قاله في كتاب الزمردة انه انما سماه بالزمردة لان من خاصية الزمرد أن الحيات اذا نظرت اليه ذابت وسالت أعينها فكذلك هذا الكتاب اذا طالعه الخصم ذاب وهذا الكتاب يشتمل على ابطال الشريعة الشريفة والازدراء على النبوات المنيفة فمما قاله فيه لعنه الله وأبعده انا نجد في كلام أكثم بن صيفي شيأ أحسن من انا أعطيناك الكوثر وان الانبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم وقال قوله يعني نبينا عليه الصلاة والسلام لعمار رضي الله عنه تقتلك الفئة الباغية كل المنجمين يقولون مثل هذا ولقد كذب لعنه الله وأخزاه وجعل النار مستقره ومثواه فان المنجم ان لم يسأل الانسان عن اسمه واسم أمه ويعرف طالعه لا يقدر أن يتكلم على أحواله ولا يخبره بشئ من متجدداته وخطؤه أكثر من صوابه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالمغيبات من غير أن يعرف طالعا أو يسأل عن اسم أو نسب ولم يعهد عنه غير ماذكر صلى الله عليه وسلم

أراك على شفا خطر مهول
بما أودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمنا دليلا
متى احتاج النهار الى دليل
ألسنا الضاربين جزى عليكم
وان الجزى أولى بالذليل
متى قرع المنابر فارسي
متى عرف الاغر من الحجول
متى عرفت وأنت بها زعيم
أكف الفرس أعراف الخيول
فخرت بملء ماضغتيك هجرا
على قحطان والبيت الاصيل
وتفخر أن مأكولا ولبسا
وذلك فخر ربات الحجول
ففاخرهن في خد أسيل
وفرع في مفارقها رسيل
وأمجد من أبيك اذا تزيا
عراة كالليوث على الخيول
قال فلما أتممت انشادي
التفت اليه الصاحب وقال
له كيف رأيت قال لوسمعت
به ماصدقت قال فاذن
جائزتك جوازك ان رأيتك
بعدها ضربت عنقك ثم
قال لا أدري أحدا يفضل
العجم على العرب الا وفيه
عرق من المجوسية ينزع
اليه قال العميد أبو الحسن
علي بن الحسن بن أبي الطيب
الباخرزي في كتابه المعروف
بدمية القصر وعصرة أهل
العصر جرى بين القاضي
أبي سعيد علي بن عبد الله
الناصحي وبين الحاكم أبي
سعد دوست مباهدة قال
له القاضي
وما وصل الكتاب الى حتى
أجيبت الى الذي استدعاه مني

فبان الفرق وقال في كتاب الدامغ ان الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من الدواء الا القتل فعل العدو الحنق الغضوب فما حاجته الى كتاب ورسول قال ويزعم أنه يعلم الغيب فيقول وما تسقط من ورقة الا يعلمها ثم يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم وقال في وصف الجنة فيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه وهو الحليب ولا يكاد يشتهيه الا الجائع وذكر العسل ولا يطلب صرفا والزنجبيل وليس من لذيذ الاشربة والسندس يفترش ولا يلبس وكذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج ومن تخايل انه في الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الاكراد والنبط ولعمري لقد أعمى الله بصره وبصيرته عن قوله تعالى وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وعن قوله عز وجل ولحم طير مما يشتهون ومع ذلك ففيها اللبن والعسل وليس هو كلبن الدنيا ولا عسلها وغليظ الحرير يريد به الصفيق المتحم النسج وهو أفخر ما يلبس ولو ذهبت أورد ما ذكره هذا الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والالحاد لطال الامر والاشتغال بغيره أولى والله تعالى منزه سبحانه عما يقول الكافرون والملحدون علوا كبيرا وكذلك كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم ولقد سرد ابن الجوزي من زندقته أكثر من ثلاث ورقات وأنا أعوذ بالله من هذا القول وأستغفره مما جرى به قلمي مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله عليه الصلاة والسلام وكتابه الحكيم واجتمع ابن الراوندي هو وأبو علي الجبائي يوما على جسر بغداد فقال له يا أبا علي ألا تسمع شيأ من معارضتي للقرآن ونقضي له فقال له أنا أعلم بمخازي علومك وعلوم أهل دهرك ولكن أحاكمك الى نفسك فهل تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة وتشاكلا وتلازما ونظما كنظمه وحلاوة كحلاوته قال لا والله قال قد كفيتني فانصرف حيث شئت ومن شعره

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك كالاعياد

ملك الاكارم فاسترق رقابهم * وتراه رقا في يد الاوغاد

ومنه وقيل أنشده لغيره أليس عجيبا بأن امرءا * لطيف الخصام دقيق الكلام

يموت وما حصلت نفسه * سوى علمه انه ما علم

(وذكر أبو علي الجبائي) أن السلطان طلب ابن الراوندي وأبا عيسى الوراق فأما أبو عيسى فحبس حتى مات وأما ابن الراوندي فهرب الى ابن لاوى اليهودي ووضع له كتاب الدامغ في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى القرآن الكريم ثم لم يلبث الا أياما يسيرة حتى مرض ومات وذكر أبو الوفاء بن عقيل أن بعض السلاطين طلبه وانه هلك وله ست وثلاثون سنة مع ما انتهى اليه من المخازي وذكر ابن خلكان أنه هلك في سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك بن طوق وقيل ببغداد وتقدير عمره أربعون سنة ويقال انه عاش أكثر من ثمانين سنة وقيل انه هلك سنة خمسين ومائتين وقال ابن النجار بلغني أنه هلك سنة ثمان وتسعين ومائتين لعنه الله وأخزاه ان كان مات على اعتقاده هذا

﴿تعاللت كي أشجى وما بك علة * تريدين قتلي قد ظفرت بذلك﴾

البيت لابن الدمينة من قصيدة من الطويل أولها

قفي يا أميم القلب نقض لبانة * ونشكو الهوى ثم افعلي ما بدا لك

سلي البانة الغناء بالاجرع الذي * به الماء هل حييت اطلال دارك

وهل قمت في اظلالهن عشية * مقام أخي البأساء واخترت ذلك

وهل كفكفت عيناي بالدار عبرة * فرادى كنظم اللؤلؤ المتسالك

ويروى أن أولها قفي قبل وشك البين يا ابنة مالك * ولا تحرمينا نظرة من جمالك

بعده البيت وبعده وقولك للعواد كيف ترونه * فقالوا قتيلا قلت أيسر هالك

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك

ليهنك امساكي بكفي على الحشا * ورقراق دمعي رهبة من مطالك

(فقال أبو سعد)

جزاك الله عن مولاك خيرا
وخفف ثقل هذا الشكر عني

(فقال القاضي)

وأولى الشيخ عز امستفادا
وحقق فيه مأمولي وظني

(فقال أبو سعد)

وكم لك نعمة من غير ذكر
وكم لك منة من غير من

(وكان) حسان بن عجل الكلبي المعروف بعرقلة أعور وكان يجلس على حانوت خياط بدمشق يعرف بأبي الحسن الاعرج وكان له طبع في قول الشعر فقال له عرقلة يوما يداعبه

ألا قل للرقيع أبي الحسين
أراني الله عينك مثل عيني

فقال الاعرج مجاوبا له

ألا قل لابن كلب لا ابن عجل
أراني الله رجلك مثل رجلي

فخجل عرقلة من قوله وانصرف

(الباب الثالث في بدائع بدائه الاجازة)

الاجازة أن ينظم الشاعر على شعر غيره في معناه ما يكون به تمامه وكماله وقد يكون بين متعاصرين وغير متعاصرين وهي مشتقة من الاجازة في السقي يقال أجاز فلان فلانا اذا سقاه أوسقى له فكأنهم شبهوا عمل الشاعر المجيز لعمل الشاعر المجاز شعره بسقي الشخص للشخص (قال) يعقوب بن السكيت يقال للذي يرد الماء مستجيز وأنشد

فلو قلت طأ في النار أعلم انه * رضالك أو مدن لنا من وصالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها * هدى منك لي أو ضلة من ضلالك
أرى الناس يرجون الربيع وانما * ربيعي الذي أرجوه خير نوالك
أبيني أفي يمنى يديك جعلتني * فأفرح أم صيرتني في شمالك

ومعنى أبيني أحزن من شجي يشجي وأما شجا يشجو فهو متعد وانما قال قد ظفرت بذلك ولم يقل بقتلي لادعائه أن قتله ظاهر ظهور المحسوس بالبصر المشار اليه باسم الاشارة (والشاهد فيه) وضع اسم الاشارة موضع المضمر لادعاء كمال ظهوره وان كان من غير باب المسند اليه (وابن الدمينة) اسمه عبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر بن تيم الله والدمينة أمه وهي سلولية ويكنى ابن الدمينة أبا السري وهو شاعر مشهور له غزل رقيق الالفاظ دقيق المعاني وكان الناس في الصدر الاول يستحلون شعره ويتغنون به (حدث) اسحق ابن ابراهيم الموصلي قال كان العباس بن الاحنف اذا سمع شيأ يستحسنه أطرفني به وأنا أفعل مثل ذلك فجاءني يوما فوقف بين الناس وأنشد لابن الدمينة

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادني مسراك وجدا على وجد
لئن هتفت ورقاء في رونق الضحى * على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم أكن * جزوعا وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم ترنح ساعة ترنح النشوان ودمج أخرى ثم قال أنطح العمود برأسي من حسن هذا فقلت لا ارفق بنفسك (وحدث) ابن ربيع راوية ابن هرمة قال لقي ابن هرمة بعض أصحابه بالبلاط فقال له من أين أقبلت قال من المسجد فقال فأي شئ صنعت هناك قال كنت جالسا مع ابراهيم بن الوليد المخزومي قال فأي شئ قال لك قال أمرني أن أطلق امرأتي قال فأي شئ قلت له قال ماقلت له شيأ قال فوالله ماقال لك هذا الا لامر أظهرته عليه وكتمتنيه أفرأيت لو أمرته بطلاق امرأته أكان يطلقها قال لا والله قال فابن الدمينة كان أنصف منك كان يهوى امرأة من قومه فأرسلت اليه ان أهلي قد نهوني عن لقائك ومراسلتك فأرسل اليها يقول

أريت الامر يلك بقطع حبلي * مريهم في أحبتهم بذاك
فان هم طاوعوك فطاوعيهم * وان عاصوك فاعصي من عصاك
أما والراقصات بكل فج * ومن صلى بنعمان الاراك
لقد أضمرت حبك في فؤادي * وما أضمرت حبا من سواك

ومثل هذا الخبر ما حكاه الاصمعي قال مررت بالكوفة واذا أنا بجارية تطلع من جدار الى الطريق وفتى واقف وظهره الي وهو يقول أسهر فيك وتنامين عني وتضحكين مني وأبكي وتستريحين وأتعب وأمحضك المحبة وتغذقينها وأصدقك وتنافقيني ويأمرك عدوي بهجري فتطيعينه ويأمرني نصيحي بذلك فأعصيه ثم تنفس وأجهش باكيا فقالت له ان أهلي يمنعوني منك وينهوني عنك فكيف أصنع فقال لها

أريت الامر يلك بقطع حبلي * مريهم في أحبتهم بذاك
فان هم طاوعوك فطاوعيهم * وان عاصوك فاعصي من عصاك

ثم التفت فرآني فقال يا فتى ما تقول أنت فيما قالت فقلت له والله لو عاش ابن أبي ليلى ما حكم الا بمثل حكمك (وحدث) ابن أبي السري عن هشام قال هوي ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أميمة فهام بها مدة فلما واصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ثم أقبلت عليه فقالت والشعر لها

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني * وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني

وقالوا مقيم قيم الماء فاستجز
عبادة ان المستجير على فتر
(قال) أبو علي حسن بن رشيق مولى الازد ويجوز أن يكون من أجزت عن فلان الكأس اذا صرفتها عنه دون أن يشربها الى من يليه وكأنهم شبهوا الشاعر لما تمم اتمام شعره بمجيز الكأس قال أبو نواس

وقلت لساقيها أجزها فلم يكن
ليأبى أمير المؤمنين وأشرب
فجوزها عني عقارا ترى لها
على الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

(وقد) ذكرنا أن الاجازة تكون بين عصريين وغير عصريين ونحن الآن نجعلها لك في فصلين ونذكر ما ورد في كل فصل من الاخبار على ترتيب الاعصار وهو شرطنا في هذا الكتاب

(الفصل الاول في اجازة الشاعر لمعاصره)

فمن هذا القسم ما تكون الاجازة فيه بقسيم لقسيم كما روى الزبير بن بكار قال استنشد عبد الله بن عباس رضوان الله عليه عمر بن أبي ربيعة فأنشده

تشط غدا دار جيراننا

فبدره ابن عباس فقال

وللدار بعد غد أبعد

فقال له عمر كذلك قالت أصلحك الله أفسمعته قال لا ولكن كذلك ينبغي أن يكون (وروى) عمران بن عبد العزيز الزهري أن عمر

وأبرزتني للناس ثم تركتني * لهم غرضاً أرمي وأنت سليم
فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا * بجسمي من قول الوشاة كلوم

قال فأجابها ابن الدمينة فقال وأنت التي كلفتني دلج السرى * وجون القطا بالجلهتين جثوم
وأنت التي قطعت قلبي حرارة * ومزقت جرح القلب فهو كليم
وأنت التي أحفظت قومي فكلهم * بعيد الرضى داني الصدود كظيم

قال ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده كما سيأتي (وحدث) أبو الحسن الينبعي قال بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً فإذا بظل نسوة في القمر فالتفتنا فإذا بجماعة نسوة فسمعت واحدة منهن تقول أهو أهو فقالت الأخرى نعم والله إنه لهو هو فدنت مني ثم قالت يا كهل قل لهذا الذي معك

ليست ليالينك في خاخ بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت له أجب فقد سمعت فقال قد والله قطع بي وأرتج علي فأجب عني فالتفت إليها ثم قلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة * إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

فقالت المرأة أوّاه ثم مضت ومضينا حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت إلى منزلي فإذا بجارية تجذب طرف ردائي فالتفت إليها فقالت المرأة التي كلمتك تدعوك فمضيت معها حتى دخلت داراً ثم صرت إلى بيت فيه حصير وثنيت لي وسادة فجلست ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها ثم جاءت المرأة فجلست عليها وقالت لي أأنت المجيب قلت نعم قالت ما كان أفظ جوابك وأغلظه قلت والله ما حضرني غيره فبكت ثم قالت لي والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من إنسان كان معك قلت وأنا الضامن عنه لك ما تحبين قالت أوتفعل قلت نعم فوعدتها أن آتيها به في الليلة القابلة وانصرفت فإذا الفتى بِبابي فقلت ما جاء بك قال علمت أنها ستُرسل إليك وسألت عنك فلم أجدك فعلمت أنك عندها فجلست أنتظرك فقلت له قد كان كل ما ظننت ووعدتها أن آتيها بك في الليلة القابلة فمضى ثم أصبحنا فتهيأنا وأروحنا فإذا الجارية تنتظرنا فمضت أمامنا حتى دخلنا الدار فإذا برائحة الطيب وجاءت فجلست ملياً ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلاً ثم ذكرت الأبيات التي أنشدتها امرأة ابن الدمينة ثم سكتت فسكت الفتى هنيهة ثم قال

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن * وفي دون هذا للمحب عزاء
جزيتك ضعف الود ثم صرمتني * فحبك في قلبي إليك أداء

فالتفتت إلي وقالت ألا تسمع ما يقول قد أخبرتك قال فغمزته فكف ثم قالت

تجاهلت وصلي حين لجت عمايتي * فهلا صرمت الحبل إذ أنا مبصر
ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته * نصيب وإذ رأيي جميع موفر
ولكنما آذنت بالصرم بغتة * ولست على مثل الذي جئت أقدر

فقال الفتى مجيباً لها لقد جعلت نفسي وأنت اخترمته * وكنت أحب الناس عنك تطيب

فبكت ثم قالت أوقد طابت نفسك لا والله ما فيك خير بعدها فعليك السلام ثم التفت إلي وقالت قد علمت أنك لا تفي بضمانك عنه وانصرفنا (وكان السبب) في قتل ابن الدمينة أن رجلاً من سلول يقال له مزاحم ابن عمرو كان يرمى بامرأة ابن الدمينة وكان اسمها حماء وقيل حمادة فكان يأتيها ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك فمنعه ابن الدمينة من إتيانها واشتد عليها فقال مزاحم يذكر ذلك

يا ابن الدمينة والأخبار يرفعها * وخد النجائب والمحقور يخفيها
يا ابن الدمينة إن تغضب لما فعلت * فطال خزيك أو تغضب مواليها
أو تبغضوني فكم من طعنة نفذت * بغذ وخلال اختلاج الجوف غاديها
جاهدت فيها لكم إني لكم أبداً * أبغي معايبكم عمداً فآتيها
فذاك عندي لكم حتى تغيبني * غبراء مظلمة هار نواحيها

ابن أبي ربيعة شبب بزينب بنت موسى أخت قدامة ابن موسى الجمحي وكان سبب تشبيبه بها أن ابن أبي عتيق ذكرها له فأطنب في وصفها بالحسن والجمال فصنع فيها قصيدته التي أولها

يا خليلي من ملام دعاني * وألما الغداة بالأظعان

فبلغ ذلك ابن أبي عتيق فلامه في ذكرها فقال له

لا تلمني في ذكرها ابن عتيق * إن عندي عتيق ما قد كفاني
لا تلمني فأنت زينتها لي

فبدره ابن عتيق فقال أنت مثل الشيطان للإنسان فقال عمر وهكذا ورب الكعبة قلته فقال ابن عتيق إن شيطانك ورب العزة ربما ألم بي فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته فيصيب منك وأصاب منه (ومن ذلك) ما روى أبو عبيدة أن راكباً أقبل من اليمامة فمر بالفرزدق وهو جالس فقال له من أين أقبلت قال من اليمامة فقال هل أحدث ابن المراغة بعدي من شيء قال نعم قال هات فأنشد

هاج الهوى بفؤادك المهتاج

(فقال الفرزدق)

فانظر بتوضح باكر الأحداج

(فأنشد الرجل)

هذا هوى شغف الفؤاد مبرّح

(فقال الفرزدق)

أغنى نساء بنى تيم اذا هجعت * عنى العيون ولا أبغى مقاربها
كم كاعب من بنى تيم قعدت لها * وعانس حين ذاق النوم حاميها
كقعدة الاعسر الحاصوق منتحيا * متينة من متين النبل يرميها
علامة كية ما بين عانتها * وبين سبتها لا شل كاويها
وشهقة عند حس الماء تشهقها * وقول ركبتها قض حين تثنيها
وتعدل الايران زاغت فتمعنه * حتى يقيم برفق صدره فيها
بين الصفوقين فى مستهدف ومد * ذى حرة ذاق طعم الموت صاليها
ماذا ترى يا عبيد الله فى امرأة * ليست بمحصنة عذراء حاويها
أيام أنت طريد لا تقاربها * وصادف القوس فى الغرات باريها
ترى عجوز بنى تيم ملفعة * شمطا عوارضها ربدا دواهيها
اذ تجعل الدفنس الورهاء عذرتها * قشارة من أديم الارض تفريها
حتى يظل هدان القوم يحسبها * بكرا وقبل هوى فى الدار هاويها

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته فقال لها قد قال فيك هذا الرجل ما قال وقد بلغك قالت والله ما رأى منى ذلك قط قال فن أين له العلامات قالت وصفتهن له النساء قال هيهات والله أن يكون ذلك كذلك ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحما قد نسى القصة ثم أعاد عليها القول وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء فقال لها والله لئن لم تمكنينى منه لأقتلنك فعلمت أنه سيفعل ذلك فبعثت اليه وواعدته ليلا وقعد له ابن الدمينة وصاحب له فجاءها للوعد فجعل يكلمها وهى مكانها فلم تكلمه فقال لها يا حماء ما هذا الجفاء الليلة قال فتقول له هى بصوت ضعيف ادخل فدخل فأهوى بيده ليضعها عليها فوضعها على ابن الدمينة فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصائى ثوب فضربه به كبده حتى قتله وأخرجه فطرحه ميتا فجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أثر السلاح فعلموا أن ابن الدمينة قتله وقد قال ابن الدمينة فى تحقيق ذلك قالوا اهجيت سلول اليوم مخفية * فاليوم أهجو سلولا لا أخافيها

قالوا اهجالك سلولى فقلت لهم * قد أنصف الصخرة الصماء راميها
رجالهم شر من يمشى ونسوتهم * شر البرية استاذل حاميها
يحككن بالصخر استاها المناقب * كما يحك نقاب الجرب طاليها

وقال أيضا يذكر دخول مزاحم ووضع يده عليه

لك الخيران واعدت جما فالقها * نهارا ولا تدلج اذا الليل أظلما
فانك لا تدرى أبيضاء طفلة * تعانق أم ليثا من القوم قشعما
فلما سرى عن ساعدى ولحيتى * وأيقن انى لست جما تجمجما

ثم أتى ابن الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة ثم جلس عليها حتى قتلها فلما ماتت قال

اذا قعدت على عرنين جارية * فوق القطيفة فادعوا الى حفار

فبكت بنت له منها فضرب بها الارض فقتلها أيضا وقال متمثلا لا تغذوا من كلب سوء جروا فخرج جناح أخو المقتول الى أحمد بن اسمعيل فاستعداه على ابن الدمينة فبعث اليه فحبسه وقالت أم أبان والدة مزاحم المقتول وهى من بنى خثعم ترثى ابنها وتحرض مصعبا وجناحا أخويه

باهلى ومالى بل بجل عشيرتى * قتيل بنى تيم بغير سلاح * فهلا قتلتم بالسلاح ابن أختكم
فتظهر فيه للشهود جراح * فلا تطمعوا فى الصلح مادمت حية * ومادام حيا مصعب وجناح
ألم تعلموا أن الدوائر بيننا * تدور وأن الطالبين شحاح

ولما طال حبس ابن الدمينة ولم يجد عليه أحمد بن اسمعيل سبيلا ولا حجة خلاه وقتلت بنو سلول من خثعم

ونوى تقاذف غير ذات خداج
(فأنشد الرجل)
ان الغراب بما كرهت لمولع
(فقال الفرزدق)
بنوى الاحبة دائم التسحاج
فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتها من غيرى قال لا ولكن هكذا ينبغى أن يقال أو ما علمت أن شيطاننا واحد ثم قال امدح بها الحجاج قال نعم قال اياه أراد (ومن ذلك) ما أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى أخبرنا أبو طاهر السلفى اجازة أنبانا أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدينى قال كتب الى القاضى أبو الحسين على بن محمد بن صخر الازدى أن أبا القاسم عمر بن محمد بن سيف أذن لهم فى الرواية عنه أخبرنا أبو خليفة عن ابن سلام قال قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لابن عبد الاعلى اتمم هذا البيت وأنت أشعر العرب
نروح ونغدو وكل يوم وليلة
(فقال مجيبا)
وعما قليل لا نروح ولا نغدو
(ومن ذلك) ما روى سلمة النميرى قال حضرت مجلس هشام بن عبد الملك وبين يديه جرير والفرزدق والاخطل فأحضرت بين يدى هشام ناقة فقال
أنيخها ما بدا لى ثم أرحلها
أيكم أتمه كما أريد فهى له
فبدر جرير فقال
كأنها معنق تعدو بصحراء

رجـلا مكان المقتول وقتلت خثعم بعـد ذلك نفرا من سلول ولهم قصص وأخبار كثيرة ثم ان ابن الدمينة أقبل حاجا بعد مدة فنزل بتبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه وكانت أمه حرّضته وقالت له اقتل ابن الدمينة فانه قتل أخاك وهجا قومك وذمّ أختك وقد كنت أعذرك قبل هذا لانك كنت صغيرا والآن قد كبرت فلما أكثرت عليه خرج من عندها وبصر بابن الدمينة واقفا ينشد الناس فعدا الى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه بها جراحتين فقيل انه مات لوقته وقيل بل سلم من تلك الدفعة ومر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العبلاء ينشد أيضا فعلاه بسيفه حتى قتله وعدا وتبعه الناس حتى اقتحم دارا وأغلقها عليه فجاءه رجل من قومه فصاح به يا مصعب ان لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك العامة فاخرج فلما عرفه قال له أنا في ذمتك حتى تسلمني الى السلطان فقذفه السلطان في سجن تبالة قال ومكث ابن الدمينة جريحا ليلة ثم مات في غد وقال في تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم

هتفت بأكلب ودعوت قيسا * فلا خذلا دعوت ولا قبيلا
ثأرت مزاحما وسررت قيسا * وكنت لما هممت به فعولا
فلا تشلل يداك ولا تزالا * تفيدان الغنائم والجزيلا
فلو كان ابن عبد الله حيا * لاصبح في منازلها سلولا

وبلغ مصعبا أخا المقتول أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه فقال يحرض قومه

لقيت أبا السري وقد تكالا * له حق العداوة في فؤادي
فكاد الغيظ يفرطني اليه * بطعن دونه طعن الشداد
اذا نبحت كلاب السجن حولي * طمعت هشاشة وهفا فؤادي
طماعا أن يدق السجن قومي * وخوفا أن تبيتني الاعادي
فظاني بقومي شر ظن * ولا أن يسلموني في البلاد
وقد جدلت قاتلهم فأمسى * يمج دم الوتين على الوساد

فجاءت بنو عقيل اليه ليلا فكسروا السجن وأخرجوه منه فهرب الى صنعاء ومن شعر ابن الدمينة الابيات المشهورة

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل شاقتني اليك المضاجع
لقد ثبتت في القلب منك محبة * كما ثبتت في الراحتين الاصابع

وهي من قصيدة طويلة يخلطها الناس كثيرا بقصيدة لمجنون ليلى لانها توافقها في الوزن والقافية

(الهي عبدك العاصي أتاكا)

هو من الوافر ولا أعلم قائله وتمامه

مقرا بالذنوب وقد دعاكا
فان تغفر فأنت لذاك أهل * وان تطرد فمن يرحم سواكا

والطرد الابعاد (والشاهد فيه) وضع المظهر وهو عبدك موضع المضمر وهو أنا للاستعطاف وهو طلب العطف والرحمة اذ ليس فيه ما في المظهر من استحقاق الرحمة وترقب الرأفة وان كان من غير باب المسند اليه أيضا

(تطاول ليلك بالاثمد)

قائله امرؤ القيس الكندي الصحابي رضي الله تعالى عنه وهو أول قصيدة من المتقارب وتمامه

ونام الخلي ولم ترقد وبعده

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبا جاءني * وأنبئته عن أبي الاسود
ولو عن نثا غيره جاءني * وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول ما لا يزا * ل يؤثر عني يد المسند
بأي علاقتنا ترغبو * ن أعن دم عمرو على مرثد
فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الداء لا نقعد
وان تقتلونا نقاتلكمو * وان تقصدوا الدم نقصد
متى عهدنا بطعان الكما * ة والمجد والحمد والسودد
وبني القباب وملء الجفا * ن والنار والحطب الموقد

والاثمد بفتح الهمزة وضم الميم وروي بكسرهما اسم موضع والعائر بالمهملة هو القذى يقع في العين وقيل

فقال لم تصنع شيأ فقال الفرزدق

كأنها كاسر بالدو فتخاء

فقال ولا أنت فقال الاخطل

ترخي المشافر واللحيين ارخاء

فقال اركبها لا حملك الله (ومن ذلك) ما روي أن بعض الشعراء قال لابي العتاهية أجز

برد الماء وطابا

(فقال أبو العتاهية)

حبذا الماء شرابا

(ومن ذلك) ما روي عن دعبل بن علي الخزاعي أنه قال كنت أنا ومحمد بن وهب نسمر عند معقل بن عيسى ابن ادريس العجلي أخي أبي دلف فطلعت الثريا ليلة فقال معقل أجيزوا أما ترون الثريا فبدر محمد بن وهب فقال كأنها عقد ريا (ومن ذلك) ما روي حماد بن اسحق عن أبيه قال قلت

وصف الصد لمن أهوى فصد

ثم اجبلت فمكثت عدة ليال لا أقدر على تمامه فدخل علي عبد الله بن عمار فرآني مفكرا فقال لي ما قصتك فأخبرته فقال في الحال

وبدا يمزح بالهجر فجد

قال اسحق ثم تممتها بعد فقلت

ماله يعدل عني وجهه
وهو لا يعدله عندي أحد

(ومن ذلك) ما روي محمد ابن داود بن الجراح قال كان أبو تمام حبيب بن أوس الطائي عند الحسن بن وهب

هو نفس الرمد (والشاهد فيه) الالتفات وهو في قوله ليلك لانه خطاب لنفسه ومقتضى الظاهر ليلي بالتكلم (وامرؤ القيس) هو ابن عانس بنون وسين مهملة ابن المنذر بن امرئ القيس بن السمط بن عمرو ابن معاوية بن الحرث ينتهي نسبه لكندة الكندي الشاعر له صحبة وشهد رضي الله عنه فتح النجير باليمن وهو حصن قرب حضرموت ثم حضر الكنديين حين ارتدوا وثبت على اسلامه ولم يكن فيمن ارتد ثم نزل الكوفة ولما خرجوا ليقتتلوا وثب على عمه فقال له ويحك يا امرأ القيس أتقتل عمك فقال له أنت عمي والله عز وجل ربي وهو الذي خاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعة بن عيدان بكسر العين والياء التحتية ويقال فيه عبدان بالباء الموحدة مكسورة مع تشديد الدال ويقال بفتح العين وسكون الباء وكانت المخاصمة في أرض فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بينتك قال ليس لي بينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه وهو القائل رضي الله عنه

قف بالديار وقوف حابس * وتأن انك غير آنس * لعبت بهن العاصفا * ت الرائحات الى الروامس ماذا عليك من الوقو * ف بها مد الطلل دارس * يا رب باكية علي * ومنشد لي في المجالس أو قائل يا فارسا * ماذا رزئت من الفوارس * لا تعجبوا أن تسمعوا * هلك امرؤ القيس بن عانس

وفي الصحابة أيضا امرؤ القيس بن أبي الاصبع الكلابي وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح الخولاني

﴿طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب﴾
﴿يكلفني ليلى وقد شط وليها * وعادت عواد بيننا وخطوب﴾

البيتان لعلقمة بن عبدة الفحل من قصيدة من الطويل يمدح بها الحرث بن جبلة بن أبي شمر الغساني وكان أسر أخاه شاسا فرحل اليه يطلب فكه وبعد البيتين

منعمة لا يستطاع كلامها * على بابها من أن تزار رقيب
اذا غاب عنها البعل لم تفش سره * وترضي اياب البعل حين يؤوب
فلا تعدلي بيني وبين مغمر * سقتك روايا المزن حين تصوب
سقاك يمان ذو حبي وعارض * تروح به جنح العشي جنوب
وما أنت اما ذكرها ربعية * يخط لها من ثرمداء قليب
فان تسألوني بالنساء فانني * خبير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه * وشرخ شباب عندهن عجيب

وهي طويلة يقول في غرضه منها

وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب

فلما سمع الحرث هذا البيت قال نعم واذنبة ولما سمع قوله في وصف النساء قال صدق فوك الله أو لك أنت طبيبهن والخبير بأدوائهن وقد أخذه من قول امرئ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

ومن لطيف ما يذكر من كراهة النساء الشيب قول محمد بن عيسى المخزومي

قالت أحبك قلت كاذبة * غري بذا من ليس ينتقد * لو قلت لي أشناك قلت نعم * الشيب ليس يحبه أحد

(ومعنى) طحا بك أي اتسع وذهب بك كل مذهب وطروب مأخوذ من الطرب وهو استخفاف القلب في الفرح أي له طرب في طلب الحسان ونشاط في مراودتهن ومعنى بعيد الشباب حين ولى وكاد ينصرم ومعنى عصر حان مشيب أي بزمان قرب المشيب واقباله على الهجوم ومعنى شط بعد والولي القرب والعوادي الصوارف وعوادي الدهر عوائقه والخطوب جمع خطب وهو الامر العظيم (والشاهد فيه)

فدخل عليهما أبو نهشل بن حميد فلما رآه أبو تمام قال اعضك الله أبا نهشل ثم قال للحسن أجز فقال

بخدر يم أبيض أكحل

ثم قال أجز أبا نهشل فقال

تطمع في الوصل فان رمته
صار مع العيوق في منزل

وهذا فيه اجازة بيت بيت (ومن ذلك) ما روى النميري قال دخل أبي على المعتز بالله وكان من جلسائه فوقع بين الجلساء تنازع فيها هم حتى أضجروه قال النميري فقال له أبي عادتك الصفح والذنوب لنا فقال المعتز

كذلك فعل العبيد والملك

(وذكر) عبيد الله بن أحمد ابن أبي طاهر في تاريخه الذي ذيل به كتاب أبيه قال حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن المنجم أنه أول ما قال الشعر حضر أبو الصقر اسمعيل بن بلبل عند أبيه في مجلس فيه أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن ووالدي أحمد بن أبي طاهر وجماعة من أهل الأدب فاستنشدني أبو الصقر شيأ من شعري فأنشدته فاستنكره أبو الصقر ثم قال أريد أن أمتحنك في شيء تجيزه فقلت له ذلك فنكر ثم قال

أنت غلام شاعر خبيث

(فقلت من غير تلبث)

أنت امرؤ بجوده يغيث
بجمل ما يعطي ولا يريث
لك القديم ولك الحديث

فقال أبو عبد الله بن أبي فنن

الالتفات من الخطاب في طحابك الى التكلم في يكلفني وفاعله ضمير القلب وليلى مفعوله الثاني وروى بالتاء الفوقانية على انه مسند الى ليلى والمفعول محذوف أي تكلفني شدائد فراقها أو على انه خطاب للقلب ففيه التفات آخر من الغيبة إلى الخطاب وفي طحابك التفات آخر عند السكاكي لا عند الجمهور وأشار علقمة بصدر البيت الذي قبل الاخير هذا الى أن المال يستر شين الشيب ويحسن قبيحه كما قال بعضهم

وخود دعتني الى وصلها * وعصر الشبيبة مني ذهب * فقلت مشيبي ما ينطلي * فقالت بلى ينطلي بالذهب

وذكرت بهذين البيتين واقعة ظريفة وهي انه مما أنشد في مجلس كان فيه بعض ظرفاء الادباء فقال ما أعرف القافية في هذين البيتين الا بحرف الراء فقال له المنشد كيف فقال وعصر الشبيبة مني سري فقال وكيف تصنع في البيت الثاني فقال فقالت بلى ينطلي بالخرا فاستحيى المنشد وانصرف من المجلس خجلا

(وعلقمة) بن عبدة بن عبد النعم النعماني ينتهي نسبه الى نزار وكان يقال له الفحل لانه حاف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له عليه بأنه أشعر منه وكان من خبر ذلك ما حكاه أبو عبيدة قال كان تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم فنزل بهم علقمة الفحل التميمي فقال كل واحد منهما لصاحبه أنا أشعر منك فتحاكما اليها فأنشدها امرؤ القيس قوله

خليلي مرا بي على ام جندب * لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

حتى مر بقوله منها فللسوط ألهوب وللساق درة * وللزجر منه وقع أهوج متعب

وأنشدها علقمة قوله ذهبت من الهجران في غير مذهب حتى انتهى الى قوله

فأدركهن ثانيا من عنانه * يمر كغيث رائح متحلب

فقالت له علقمة أشعر منك قال وكيف قالت لانك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك وانه جاء هذا الصيد ثانيا من عنانه فغضب امرؤ القيس وقال ليس كما قلت ولكنك هويته فطلقها فتزوجها علقمة بعد ذلك فسمي علقمة الفحل وما زالت العرب تسميه بذلك قال الفرزدق

والفحل علقمة الذي كانت له * حلل الملوك كلامه تتنحل

وعن حماد الراوية قال كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوا منه كان مقبولا وما ردوا منه كان مردودا فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي أولها

هل ما علمت وما استودعت مكتوم * أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا هذا سمط الدهر ثم عاد اليهم في العام القابل فأنشدهم قوله

طحابك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا هذان سمط الدهر وعن حماد بن اسحق قال سمعت أبي يقول سرق ذو الرمة قوله يطفو اذا ما تلقته الجراثيم من قول العجاج اذا تلقته العقاقيل طفا وسرقه العجاج أيضا من علقمة بن عبدة حيث يقول * يطفو اذا ما تلقته العرانين (وحدث) العمري عن لقيط قال تحاكم علقمة بن عبدة التميمي والزبرقان بن بدر السعدي والمخبل وعمرو بن الاهتم الى ربيعة بن حذار الاسدي فقال أما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لا أنضج فيؤكل ولا ترك فينتفع به وأما أنت يا عمرو فشعرك كبرد حبرة يتلألأ فيه البصر فكلما أعدته نقص وأما أنت يا مخبل فانك قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الاسلام وأما أنت يا علقمة فان شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء

(ومهمه مغبرة أرجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه)

البيت لرؤبة العجاج من الرجز والمهمه المفازة البعيدة والبلد المقفر الجمع مهامه والمغبرة المتلونة بالغبرة والارجاء الاطراف والنواحي جمع رجا مقصورا (والشاهد فيه) القلب وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه وهو هنا في المصراع الثاني ومعناه كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه وفيه

اذهب يا غلام فأنت أشعر الاولين والآخرين ثم حضرت المائدة وحضر عليها كتاب رشيدي فقال ابن أبي فنن كتاب رشيدي اذا ما رأيته ثم قال أجز فقلت وان كنت شبعانا قرمت الى الاكل ثم قال ابن أبي فنن ما سمعت أحسن من هذا ما لهذا الصدر عجز أولى به من هذا وهذه الحكاية صدرها من باب الاجوبة وآخرها من هذا الباب (وذكر) الرئيس هلال بن المحسن ابن الصابي في كتاب الوزراء والكتاب قال حدثت أبو الفرج الاصبهاني قال سكر الوزير المهلبي ليلة ولم يبق بحضرته من ندمائه غيري فقال لي يا أبا الفرج أنا أعلم أنك تهجوني سرا فاهجني الساعة جهرا فقلت الله في أيها الوزير ان كنت قد ثقلت عليك فرني فلا أعود أجيبك أبدا وان كنت تريد قتلي فبالسيف أهون فقال دع هذا فلا بد والله أن تهجوني وكنت قد سكرت فقلت

اير بغل مكوكب

فبدر فقال في حرأم المهلبي هات مصراعا آخر فقلت الطلاق لازم لي ان زدت على هذا كلمة (وروى) عبد الجبار بن حمديس الصقلي قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسي الشاعر لنا نزهة بوادي اشبيلية فأقمنا

من الاستعارة ما ليس فى تركه لاشعاره بأن لون السماء قد بلغ من الغبرة الى حيث يشبه به لون الارض فيها ومن القلب قول الشاعر كانت فريضة ما تقول كما * كان الزناء فريضة الرجم
ومنه قول أبى تمام يصف قلم الممدوح

لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته ايد عواسل

وقول الآخر فديت بنفسه نفسى ومالى وقول الآخر يمشى فيقعس أو يكب فيعثر
ورؤبة بن العجاج تقدم ذكره فى شواهد المقدمة

(كما طينت بالفدن السياعا)

قائله القطامى من قصيدة من الوافر يمدح بها زفر بن الحرث الكلابى حين أحاطت به قيس بنواحى الجزيرة وأرادوا قتله فحال زفر بينه وبينهم وحماه ومنعه وكساه وأعطاه مائة ناقة وخلى سبيله فقال يمدحه وأول القصيدة

قفى قبل التفرق ياضباعا * ولا يك موقف منك الوداعا
قفى فادى أسيرك ان قومى * وقومك لا أرى لهم اجتماعا

الى أن قال يمدح زفر بن الحرث

ومن يكن استلام الى ثوى * فقد أحسنت يازفر المتاعا * أكفرا بعد رد الموت عنى
وبعد عطائك المائة الرتاعا * فلما أن جرى سمن عليها * كما طينت بالفدن السياعا
أمرت بها الرجال ليأخذوها * ونحن نظن أن لن تستطاعا * فلا بعد لأى أدركوها
على ما كان اذ طرحوا الرقاعا * فلو بيدى سواك غداة زلت * بى القدمان لم أرج اطلاعا
اذن لهلكت لو كانت صغارا * من الاخلاق تبتدع ابتداعا * فلم أر منعمين أقل منا
وأكرم عند ما اصطنعوا اصطناعا * من البيض الوجوه بنى نفيل * أبت أخلاقهم الا اتساعا

وهى طويلة والفدن محركة القصر المشيد والسياع بفتح السين المهملة الطين بالتبن يطين به (والشاهد فيه) القلب أيضا ومعناه كما طينت الفدن بالسياع وهذا من قبيل القلب المردود لان العدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه خروج عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال (والقطامى) بفتح القاف وضمها اسمه عمير بن شييم والقطامى لقب غلب عليه وكان نصرانيا وأسلم قاله ابن عساكر فى تاريخ دمشق وهو شاعر اسلامى مقل فحل مجيد (وعن الشعبى رحمه الله) قال قال عبد الملك وأنا حاضر للاخطل يا أبا مالك أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب قال اللهم لا الا شاعرا منا مغدف القناع خامل الذكر حديث السن ان يكن فى أحد خير فسيكون فيه ولوددت أنى سبقته الى قوله

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادى
فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وحدث محمد بن صالح بن النطاح قال القطامى أول من لقب صريع الغوانى بقوله

صريع غوان راقهن ورقنه * لدن شب حتى شاب سود الذوائب

ونزل القطامى فى بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس فنسبها فقالت أنا من قوم يشتوون القد من الجوع قال ومن هؤلاء ويحك قالت محارب ولم تقره فبات عندها بأسوأ ليلة فقال فيها قصيدة أولها

نأتك بليلى نية لم تقارب * وما حب ليلى من فؤادى بذاهب

الى أن قال فيها ولا بد أن الضيف يخبر ما رأى * مخبر أهل أو مخبر صاحب

سأخبرك الانباء عن أم منزل * تضيفتها بين العذيب فراسب
تلفعت فى طل وريح تلفنى * وفى طرمساء غير ذات كواكب
الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلى بها برد العشاء ولم تكن * تخال وميض النار يبدو لراكب

فيه يوما فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا

حاك الريح من الماء زرد

فأجاز كل بما تيسر له فقال لى أبو تمام غالب بن رباح الحجام كيف قلت يا أبا محمد فأعدت القسيم له فقال

أى درع لقتال لو جمد

فحفظ القسيمان ونسى ما عداهما (قال على بن ظافر) وقد أنبأنى الفقيه أبو محمد المسكى اجازة قال كتب الى الحافظ السلفى أنشدنى أبو الفضل أحمد بن عبد الكريم بن مقاتل المقرى الصنهاجى بالاسكندرية قال أخبرنى محمد بن حمديس قال كنا مع المعتمد بن عباد بحمص الاندلس فخرج على اضاة قد راح عليها الصبا فأثبت على وجه الماء مثل الزرد فقال

نسج الريح على الماء زرد

وطلب الاجازة من شعرائه فلم يجبه أحد فقلت أنا

أى درع لقتال لو جمد

فاستحسن ذلك منى وكنت وقت الانشاد رابعا فجعلنى ثانيا وأمر لى بجائزة سنية (قال على بن ظافر) والحكاية الاولى منصوصة فى ديوان أحمد بن حمديس الذى دونه لنفسه وهو موجود فى أيدى الناس والحكاية الثانية رويناها من هذا الطريق وقد نقله ابن حمديس الى غير هذا

فما راعها الا بغام مطيـة * تريح بمحسور من الصوت لاغب

تقول وقد قربت كورى وناقتى * اليك فلا تذعر علىّ ركائبى

فلما تنازعنا الحديث سألتها * من الحىّ قالت معشر من محارب

من المشتوين القد مما تراهم * جياعا وريف الناس ليس بعازب

فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن * علىّ مناخ السوء ضربة لازب

ألا انما نيران قيس اذا اشتووا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

والى هذه العجوز أشار عبد الصمد بن المعذل فى هجاء أخيه أحمد اذ يقول

ليت لى منك يا أخى * جارة من محارب نارها كل شتوة * مثل نار الحباحب

وسيأتى ذكر عبد الصمد بن المعذل وأخيه عند ترجمة أبيهما المعذل فى شواهد الاطناب ان شاء الله تعالى قال أبو عمرو رحمه الله أول ما حرك من القطامى فرفع ذكره انه قدم فى خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحه فقيل له انه بخيل لا يعطى الشعراء وقيل بل قدمها فى خلافة عمر بن عبد العزيز فقيل له ان الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطى عليه شيأ وهذا عبد الواحد بن سليمان فامدحه فمدحه بقصيدته التى أولها

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فقال له كم أملت من أمير المؤمنين قال أملت أن يعطينى ثلاثين ناقة قال قد أمرت لك بثلاثين ناقة موقورة برا وتمرا وثيابا ثم أمر بدفع ذلك اليه وقال أبو عمرو الشيبانى لو قال القطامى بيته

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل

فى صفة النساء لكان أشعر الناس ولو قال كثير عزة

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

فى مرثية أو صفة حزن لكان أشعر الناس (وقال) رجل كان يديم الاسفار سافرت مرة الى الشام على طريق البر فجعلت أتمثل بقول القطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعى أعرابى قد استأجرت منه مركبى فقال ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبط الناس عن الحزم فهلا قال بعد قوله هذا وربما ضر بعض الناس حزمهم * وكان خيرا لهم لو أنهم عجلوا

والقطامى أخذ معنى بيته هذا من قول عدى بن زيد العبادى

قد يدرك المبطئ من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

وعدى نظر الى قول جانة الجعفى

ومستعجل والمكث أدنى لرشده * ولم يدر فى استعجاله ما يبادر

وما أحسن قول ابن هندو رحمه الله

تأن فالمرء ان تأنى * أدرك لا شك ما تمنى

وما للمستوفز العجول * حظ سوى انه تعنى

ومن أحسن ما قيل فى عيب الاناة قول ابن الرومى

عيب الاناة وان سرت عواقبها * أن لا خلود وأن ليس الفتى حجرا

وللقطامى عدة قصائد فى مدح زفر بن الحرث الكلابى سيأتى منها شئ فى أثناء الكتاب ان شاء الله تعالى

شواهد المسند

فانى وقيار بها لغريب

قائله ضابئ بن الحرث البرجمى وهو من قصيدة من الطويل قالها وهو محبوس فى المدينة المنورة فى

الموصوف فقال

نثر الجو على الترب برد * أى در لنحور لو جمد

فتناقض المعنى بقوله البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ما جمده البرد اللهم الا أن يريد بقوله لو جمد لو دام جوده فيصح ويبعد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة

ولربما سلت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا

طبعته لجيا فذابت صفحة * منه ولو جمدت لكان مهندا

(قال على بن ظافر) وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول على بن التونسى الايادى من قصيدته الطائية المشهورة

أو لو قطر هذا الجو أم نقط * ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء (قال على بن الرومى) من قطعة فى العنب الرازقى

لو أنه يبقى على الدهور * قرط آذان الحسان الحور

(أنبأنا) الشيخان الاجل العلامة أبو اليمن تاج الدين الكندى والشيخ الفقيه جمال الدين بن الحرستانى اجازة عن الامام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن

زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي

ومن يك أمسى بالمدينة رحله * فاني وقيار بها لغريب
ورب أمور لا تضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب
وما عاجلات الطير تدني من الفتى * نجاحا ولا عن ريثهن يخيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم فترة * ويخطئ في الحدس الفتى ويصيب
ولست بمستبق صديقا ولا أخا * اذا لم تعد الشيء وهو مريب

ومعنى البيت التحسر على الغربة والرحل السكن وما يستصحبه من الاثاث وقيار جمل ضابئ أو فرسه (والشاهد فيه) ترك المسند وهو غريب والمعنى انى لغريب وقيار أيضا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث في الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر ومحافظة الوزن ولا يجوز أن يكون غريب خبرا عنهما بانفراده لامتناع العطف على محل اسم ان قبل مضي الخبر وقيار مرفوع اما عطفا على محل اسم ان أو بالابتداء والمحذوف خبره والسر في تقديم قيار على خبر ان قصد التسوية بينهما في التحسر على الاغتراب كأنه أثر في غير ذوي العقول أيضا اذ لو أخر لجاز أن يتوهم مزيته عليه في التأثر عن الغربة لان ثبوت الحكم أولا أقوى (وضابئ) بالضاد المعجمة وبعد الالف باء موحدة ثم همزة ابن الحرث البرجمي ينتهي نسبه الى تميم ذكر فيمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ثم انه جنى جناية في زمن عثمان رضي الله عنه فحبسه فجاء ابنه عمير وأراد الفتك بعثمان رضي الله عنه ثم جبن عنه وفي ذلك يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

ويقول فيها أيضا وقائلة لا يبعد الله ضابئا * ولا تبعدن أخلاقه وشمائله

الى أن يقول فيها أيضا

ولا تقربن أمر الصريمة بامرئ * اذا رام أمرا عوقته عواذله
فلا الفتك ما أمرت فيه ولا الذي * تحدث من لاقيت انك قاتله
وما الفتك الا لامرئ ذي حفيظة * اذا هم لم ترعد عليه مفاصله

ثم لما قتل عثمان رضي الله عنه وثب عليه عمير المذكور فكسر ضلعين من أضلاعه ثم ان الحجاج قتله كما سيأتي مشروحا في شواهد الايجاز عند قوله أنا ابن جلا ان شاء الله تعالى * وكان السبب في حبس عثمان لضابئ انه كان استعار من بعض بني حنظلة كلبا يصيد به فطالبوه به فامتنع من اعطائه فأخذوه منه قهرا فغضب ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله

تجشم نحوى وفد قرحان سربخا * تظل به الوجناء وهي حسير
فأردفتهم كلبا فراحوا كأنما * حباهم بتاج الهرمزان أمير
وقلدتهم مالو رميت متالعا * به وهو مغبر لكاد يطير
فيا راكبا اما عرضت فبلغن * أمامة عني والامور تدور
فأمكم لا تتركوها وكلبكم * فان عقوق الوالدين كبير
فانك كلب قد ضريت بما ترى * سميع بما فوق الفراش بصير
اذا عبقت من آخر الليل دخنة * يبيت له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه فحبسه وقال والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حيا لنزلت فيك آية وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك (وحدث) أبو بكر بن عياش قال كان عثمان رضي الله عنه يحبس في الهجاء فهجا ضابئ قوما فحبسه عثمان رضي الله عنه ثم استعرضه فأخذ سكينا فجعلها في أسفل نعله فأعلم عثمان بذلك فضربه ورده الى الحبس

هبة الله بن عساكر سماعا قال أنبأنا أبو الفرج غيث ابن علي الصوري حدثني أبي قال سمعت بكار بن علي الرياحي بدمشق يقول لما وصل عبد المحسن الصوري الى هنا جاءني المجدي الشاعر فعرفني به وقال هل لك في أن تمضي اليه وتسلم عليه فأجبت ووقت معه حتى أتينا الى منزله وكان ينزل دائما اذا قدم في سوق القمح وكان بين يديه دكان قطان وفيها رجل أعمى فوقفت به عجوز كبيرة فكلمها بشيء وهي منصتة له فقال المجدي في الحال

منصتة تسمع ما يقول

فقال عبد المحسن في الحال

كأنها لما قابلته الغول

فقال له المجدي أحسنت والله يا أبا محمد أتيت بتشبيهين في نصف بيت أعيذك بالله (قال) علي بن ظافر وأخبرني من أثق به وهو الشيخ أبو عبد الله محمد ابن علي الحمصي القرموني الزجال بما معناه قال ركب المعتمد على أبو القاسم بن عباد للتنزه بظاهر اشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقا فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت

(نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف)

البيت لقيس بن الخطيم من قصيدة من المنسرح أولها

ردّ الخليط الجمال فانصرفوا * ماذا عليهم لو انهم وقفوا
لو وقفوا ساعة نسائلهم * ريث يضحى جماله السلف
فيهم لعوب لعساء آنسة الشدل عروب يسوءها الخلف
بين شكول النساء خلقتها * خدوا فلا جبلة ولا قضف
تنام عن كبر شأنها فاذا * قامت رويدا تكاد تنعطف

الى أن قال منها أيضا

أبلغ بنى مذحج وقومهم * خطيم أناوراءهم انف
انا وان قل نصرنا لهم * أكبادنا من ورائهم تجف
وانا دون ما يسومهم ا * لاعداء من ضيم خطة نكف
الحافظو عورة العشيرة لا * يأتيهم من ورائنا وكف
يامال والسيد المعمم قد * يطرأ فى بعض رأيه السرف
نحن المكيثون حيث يحمد بالمكث ونحن المصالت الانف
يامال والحق ان قنعت به * فالحق فيه لامرنا نصف
خالفت فى الرأى كل ذى فخر * والبغى يامال غير ما نصف
ان بجيرا مولى لقومكم * والحق نوفى به ونعترف

والرأى الاعتقاد ويجمع على آراء وأرآء (والشاهد فيه) ترك المسند وهو راضون فقوله راض خبر المبتدا الثانى وخبر الاول محذوف على عكس البيت السابق ومثله قول الشاعر

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريأ ومن أجل الغوىّ رمانى

وقول المتنبى

قالت وقد رأت اصفرارى من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

أى المتنهد هو المطالب به (وقيس بن الخطيم) بالخاء المعجمة شاعر جاهلىّ وابنه ثابت رضى الله عنه مذكور فى الصحابة رضى الله عنهم وشهد مع علىّ كرّم الله وجهه صفين والجمل والنهروان وقيس هذا قتل أبوه وهو صغير فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشأت بسبب ذلك حروب بين قومه وبين الخزرج فى خبر يطول ذكره وكان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين براق الثنايا كأن بينها برقا ما رأته حليلة رجل قط الا ذهب عقلها وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه للخنساء اهجى قيس بن الخطيم فقالت لا أهجو أحدا حتى أراه فجاءته يوما فرأته فى مشربة ملتفا بكساء له فنخسته برجلها وقالت قم فقام فقالت أقبل فأقبل ثم قالت أدبر فأدبر ثم قالت أقبل فأقبل قال والله لكأنها والية تعترض عبدا تشتريه ثم عادت الى حاله ناعسا فوات وقالت والله لا أهجو هذا أبدا وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه قدم النابغة السوق فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه واعتمد على عصاه ثم أنشأ يقول

عرفت منازلا بعرنتنات * فأعلى الجزع للحىّ المبين

فقلت هلك الشيخ ورأيته تبع قافية منكرة قال ويقال انه قالها فى موضعه فما زال ينشد حتى أتى على آخرها ثم قال ألا رجل ينشد فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشد

أتعرف رسما كاطراد المذاهب حتى فرغ منها فقال له أنت أشعر الناس يا ابن أخى قال حسان رضى الله عنه فدخلنى منه من ذلك وانى مع ذلك لأجد القوة فى نفسى عليهما ثم تقدمت فجلست بين يديه فقال أنشد فوالله انك لشاعر قبل أن تتكلم قال وكان يعرفنى قبل ذلك فأنشدته فقال أنت أشعر الناس * وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه الا خزرجى فاستنشدهم

فى أعلاها فأطربه ما رأى من حسنها ونباتها والتفت ليخبر من لحقه من أصحابه فرأى ابن حاج الصباغ أوّل لاحق به فقال أجز

كأنها فوق العصا

فأجابه مسرعا

هامة زنجى عصى

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية (قال على بن ظافر) وأخبرنى أيضا أن سبب اشتهار ابن حاج هذا أن الوزير أبا بكر ابن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر بباد ولا يستفزه عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن أرباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن حاج هذا قبل اشتهاره فمرّ على حانوته وهو آخذ فى صباغته والنيل قد جزع على يده ذيلا وأعاد نهارها ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده فقال

كم بين زند وزند

فقال ما بين وصل وصد

فعجب من سرعة ارتجاله مع مضيه فى عمله واستعجاله وجذب بضبعه وبالغ فى الاحسان اليه غاية وسعه (وأخبرنى) أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى فمرّ عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال

صلى الله عليه وسلم قصيدة قيس بن الخطيم وهى

أتعرف رسما كاطراد المذاهب * لعمرة وحشا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم اياها فلما وصل الى قوله منها

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

فالتفت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل كان كما ذكر فشهد ثابت بن قيس بن شماس وقال والذى بعثك بالحق يارسول الله لقد خرج الينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورّسة فجالدنا كما ذكر هذا فى هذه الرواية وهذه القصيدة من غرر القصائد وبيتها هو قوله

تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وعن المفضل أن حرب الاوس والخزرج لما هدأت تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم فتآمروا وتواعدوا على قتله فخرج عشية من منزله بين ملاءتين يريد مالاله بالشوط قالت وهو حائط عند جبل أحد فلما مر بأطم بنى حارثة رمى من الاطم بثلاثة أسهم فوقع أحدها فى صدره فصاح صيحة سمعها رهطه فجاؤه فحملوه الى منزله فلم يروا له كفؤا الا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مبذول النجارى فاندس اليه رجل حتى اغتاله فى منزله فقتله بأن ضرب عنقه واحتمل رأسه وأتى به قيسا وهو بآخر رمق فألقاه بين يديه وقال ياقيس قد أدركت بثأرك فقال عضضت بأير أبيك ان كان غير أبى صعصعة قال هو أبو صعصعة وأراه الرأس فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات وكان موته على كفره قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة ومن شعره من قصيدة

ومابعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى الاعناء

وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الموت ليس له دواء

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما يشاء

وكل شديدة نزلت بقوم * سيأتى بعد شدتها رخاء

ولا يعطى الحريص غنى بحرص * وقد ينمى على الجود الثراء

غناء النفس ما عمرت غناء * وفقر النفس ما عمرت شقاء

وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه السخاء

وبعض القول ليس له عياج * كمخض الماء ليس له اتاء

وبعض الداء ملتمس شفاه * وداء النوك ليس له دواء

(ان محلا وان مرتحلا)

قائله الاعشى الاكبر من قصيدة من المنسرح يمدح بها سلامة ذا فايش واسمه سلامة بن يزيد اليحصبى وكان يظهر للناس فى العام مرة مبرقعا (حدث) سماك بن حرب قال قال الاعشى أتيت سلامة ذا فايش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت اليه بعد مدة طويلة فأنشدته

ان محلا وان مرتحلا * وان فى شعر من مضى مثلا

استأثر الله بالوفاء وبالـ * ـعدل وأولى الملامة الرجلا

والارض حمالة لما حمل الله * وما ان يردّ ما فعلا

يوما تراها كشبه أردية الـ * ـعصب ويوما أديمها نغلا

الشعر قلدته سلامة ذا * فايش والشئ حيثما جعلا

فقال صدقت الشئ حيثما جعل وأمر لى بمائة من الابل وكسانى حللا وأعطانى كرشا مدبوغة مملوءة عنبرا وقال لى اياك أن تخدع عما فيها قال فأتيت الحيرة فبعتها بثلثمائة ناقة حمراء والمحل بفتح الحاء المهملة المنزل والمرتحل بالفتح أيضا المكان المرتحل عنه (والشاهد فيه) حذف المسند الذى هو هنا ظرف والمعنى ان لنا فى

لحم سباط الخرفان مهزول فقال

يقول للفلسين مه زولوا

(وأخبرنى) الشيخ الاجل الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد القرطبى أيده الله قال قال أبو محمد عبد المؤمن ابن على صاحب قرطبة والمغرب يوما فى مجلسه وقد عوفى من مرض

الحمد لله رب العالمين على

ثم طلب اجازته من أهل المجلس فلم يجبه أحد فقال أبو العباس بن حيوس

برء الامام الذى فى الآمنين علا

قال لى الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن دحية صنع شيخنا قاضى الجماعة أبو العباس بن مضاء اجازة له

برء الامام الذى فى الناس قد عدلا

ثم عمل فيها أبياتا (وأخبرنى) الاجل شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير الملك العزيز رحمه الله تعالى قال أخبرنى البهاء الحسن على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى قال سايرت الفقيه مرتضى الدين نصر الشيرازى رحمه الله تعالى فجرى من الحديث ما أوجب أن قال

ان هذى النفوس للموت تسعى

فاستجازنى فقلت

فاذا قيل مات لم يك بدعا

(وأخبرنى) القاضى الموفق بهاء الدين أبو على بن الديباجى

الدنيا حاولا وانا عنها الى الآخرة ارتحالا وقد اختلف فى حذف خبران فأجازه سيبويه اذا علم سواء كان الاسم معرفة أو نكرة وهو الصحيح وأجازه الكوفيون ان كان الاسم نكرة وقال الفراء لا يجوز معرفة كان أو نكرة الا اذا كان بالتكرير كهذا البيت (والاعشى) اسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل ينتهى نسبه لنزار وكان يقال لابيه قتيل الجوع سمى بذلك لانه دخل غارا يستظل فيه من الحر فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا وفيه يقول جهنام واسمه عمرو وكان يتهاجى هو والاعشى

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل * وخالك عبد من خماعة راضع

وكان الاعشى يكنى أبا بصير وهو أحد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولها وسئل يونس النحوى من أشعر الناس فقال لا أومئ الى رجل بعينه ولكنى أقول امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب وقال أبو عبيدة من قدم الاعشى احتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره ويقول هو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصى البلاد وكان يغنى بشعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب (وحدث) يحيى بن سليم الكاتب قال بعثنى أبو جعفر المنصور بالكوفة الى حماد الراوية أسأله عن أشعر الناس قال فأتيت حمادا فاستأذنت وقلت يا غلام فأجابنى انسان من أقصى بيت فى الدار فقال من أنت فقلت يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين فقال ادخل رحمك الله فدخلت أتسمت الصوت حتى وقفت على باب البيت فاذا حماد عريان وعلى سوءته شاهشفرم قات وهو الريحان فقلت له ان أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس قال نعم ذلك الاعشى صناجها (وحدث) رجل من أهل البصرة انه حج فقال انى لأسير فى ليلة اضحيانة اذ نظرت الى رجل شاب راكب على ظليم قد زمه وخطمه وهو يذهب عليه ويجىء قال وهو مع ذلك يرتجز ويقول

هل يبلغنيهم الى الصباح * هقل كأن راسه جماح

فعلمت أنه ليس بانسى فاستوحشت منه فتردد على ذاهبا وراجعا حتى أنست به فقلت من أشعر الناس قال الذى يقول وما ذرفت عيناك الا لتضربى * بسهميك فى أعشار قلب مقتل

فقلت ومن هو قال امرؤ القيس قلت ومن الثانى قال الذى يقول

تطرد القربحر ساخن * وعكيك القيظ ان جاء بقر

قلت ومن يقوله قال الاعشى ثم ذهب (وقال الشعبى رحمه الله) الاعشى أغزل الناس فى بيت واحد وأخنث الناس فى بيت واحد وأشجع الناس فى بيت واحد فأما أغزل بيت فقوله

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوجل

وأما أخنث بيت فقوله

قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلى عليك وويلى منك يا رجل

وأما أشجع بيت فقوله

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل

وهذه الابيات من قصيدة للاعشى طنانة مطلعها

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقد ذكرت بها ما أنشده السراج الوراق مداعبا لشخص يدعى النجم وكان اشترى جارية اسمها زبيدة من سيدها جميل الوجه يسمى فخر الدين بن عثمان فحملت سيدها النجم على أن أزارها بيت سيدها الاول

ذابت زبيدة من شوق لسيدها * عثمان والنجم بالنيران مشتعل
وما تلام ونيل الفخر يعجبها * وبالزيارة لم يبرح لها شغل
فقل لطائر عقل قد أتاه بها * ويلى عليك وويلى منك يا رجل
لو كنت يا سطل ذا أذن تصيخ الى * عذل عذلتك لو يجدى لك العذل
تقود ظبية آرام الى أسد * لو التقى لمضت أنيابه العصل
ومن يرى ذلك الوجه الجميل ولا * يود من قصلك المشهور ينفصل

الكاتب قال أنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم بن سناء الملك رحمه الله تعالى

اذا مت مهجورا فلا عاش عاشق

وقد أعيانى اتمامه على هذا النمط من الجناس فقلت

ولا طار للاحباب بعدى طارق

فقال انما مرادى أن يكون الجناس متصلا مثل الاول فقلت

وبعدى للاحباب لا طار طارق

(قال) على بن ظافر سايرت فى بعض أسفارى سنة ثلاث وستمائة أبا الحسن البونى وأنا عائد من ميافارقين الى ماردين وكان الشتاء كليا والبرد قويا والوحل شديدا فلقينا فى تلك العقاب عشا فقال

عقاب فى ثناياها عقاب

واستجازنى فقلت

للوقت فما هى بالعذاب بل العذاب

(قال على بن ظافر) وبتنا ليلة بالقرافة فرأى بعض أصحابنا الزهرة وقد قارنت المشترى وهما مشرقان فى حندس الظلماء فأفرط فى استحسانهما فقال أبو الفضل الوجيه جعفر بن جعفر الحموى

تقارن الزهرة والمشترى

فقلت

كالزج والمهذم فى السمهرى

فأفرط الجماعة فى استحسانه ثم وقع لى أن أشبههما بالهذم

هذى بثينة والمجنون قائدها * الى جميل أجاد الحي بالجل * وهب عف أما تبقى محاسنها
فى قلبه بالكاع الوقت بازحل * أف لعقلك بامتبوع انك ذو * رأس خفيف وذاك الطود والجبل
والويل والك ان ذاقت عسيلته * وبات يجتمعان الزبد والعسل * لا انشدنك ان ودعتها سفها
ودع هريرة ان الركب مرتحل * وان يكن ذاك أعشى كنت أنت اذا * أعمى فلا اتضحت يوما لك السبل

(رجع الى أخبار الاعشى) قدم الاخطل الكوفة فأتاه الشعبي يسمع من شعره قال فوجدته يتغدى فدعانى الى الغداء فأبيت فقال ما حاجتك قلت أحب أن أسمع من شعرك فأنشدني * صرمت أمامة حبلها ورعوم
فلما انتهى الى قوله وإذا تعاورت الاكف ختامها * نفحت فنال رياحها المزكوم
قال لى يا شعبي ... الاخطل أمهات الشعراء بهذا البيت فقلت الاعشى فى هذا أشعر منك يا أبا مالك قال وكيف قلت لانه قال من خمر عانة قد أتى لختامه * حول تسل غمامة المزكوم
فقال وضرب بالكأس الارض هو والمسيح أشعر منى ... والله الاعشى أمهات الشعراء الا أنا (وحدث) هشام بن القسم الغزى وكان علامة بأمر الاعشى انه وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التى أولها ألم تكتحل عيناك ليلة أرمدا * وعادك ما عاد السليم المسهدا
وماذاك من عشق النساء وانما * تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

(وفيها أيضا يقول لناقته)

فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من حفى حتى تزور محمدا * نبي يرى ما لا ترون وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا * متى ما تناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندا
فبلغ خبره قريشا فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صناجة العرب ما مدح أحدا قط الا رفع من قدره فلما ورد عليهم قالوا أين أردت يا أبا بصير قال أردت صاحبكم هذا لأسلم على يديه قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق قال وما هن قال أبو سفيان بن حرب الزنا قال لقد تركنى الزنا وما تركته قال ثم ماذا قال القمار قال لعلى ان لقيته أصبت منه عوضا من القمار قال ثم ماذا قال الربا قال ما دنت وما أدنت قط قال ثم ماذا قال الخمر قال أوه أرجع الى صبابة بقيت لى فى المهراس فأشربها فقال له أبو سفيان فهل لك فى شئ خير لك مما هممت به قال وما هو قال نحن وهو الآن فى هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه حتى تنظر ما يصير اليه أمرنا فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا وان ظهر علينا أتيته قال ما أكره ذلك قال أبو سفيان يا معشر قريش هذا الاعشى فوالله لئن أتى محمدا واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده فلما كان بقاع منفوحة رماه بعيره فقتله (وحدث) محمد بن ادريس بن سليمان بن أبي حفصة قال قبر الاعشى بمنفوحة وأنا رأيته فاذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبوا عليه فضلات الاقداح انتهى والله أعلم

(ليبك يزيد ضارع لخصومة)

قائله ضرار بن نهشل يرثى أخاه يزيد من قصيدة من الطويل أولها

لعمرى لئن أمسى يزيد بن نهشل * حشا جدث تسفى عليه الروائح
لقد كان ممن يبسط الكف بالندى * اذا ضن بالخير الاكف الشحائح
فبعدك أبدى ذو الضغينة ضغنه * وشد لى الطرف العيون الكواشح
ذكرت الذى مات الندى عند موته * بعافية اذ صالح القوم صالح
اذا أرقى أفنى من الليل ما مضى * تمطى به ثنى من الليل راجح
ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح
عرى بعد ما جف الثرى عن نقابه * بعصماء تدرى كيف تمشى المنائح

من ذهب وزج من فضة لاصفرار الزهرة وشدة بياض المشترى فقلت أما ترى المشترى وقد قارن الـ * ـزهرة يبغى دنوه مقترب كصعدة زجها ولهذمها ذاك لجين وذا من الذهب (قال على بن ظافر) اجتمعت أنا والقاضى الاعز أبو الحسن على بن المؤيد الغسانى رحمه الله يوما بالرصد فرأينا شعاع الاصيل فوق بياض الماء فقلت له أجز
أذكت الشمس على الماء لهب
فقال
فكست فضته منها ذهب
وقلت له يوما أجز
طار نسيم الروض من وكر الزهر
فقال
وجاء مبلول الجناح بالمطر
(وذكر) أبو على حسن بن رشيق فى كتاب الانموذج حكاية مطبوعة قال جلست فى دكان أبى لقمان الصفار وكان يتهم فى شعره مع جماعة من الشعراء وأبو لقمان والدركادو يلعبان بالشطرنج ونحن نضحك لما يجرى بينهما من غريب المهاترة فقال الدركادو أجز يا أبا لقمان
حيتان حبك فى طنجير بلوائى
فقال أبو لقمان
وفحم وجهك فى كانون أحشائى
فقال له أحمد بن ابراهيم المكمونى أحسنت يا أبا لقمان

والضارع الخاضع المستكين من الضراعة وهى الخضوع والتذلل والجار والمجرور متعلق بضارع وان لم يعتمد على شئ لان الجار والمجرور تكفيه رائحة الفعل أى يبكيه من يذل لاجل خصومة لانه كان ملجأ وظهيرا للاذلاء والضعفاء وتعليقه بيبكى ليس بقوى والمختبط الذى يأتيك للمعروف من غير وسيلة وأصله من الخبط وهو ضرب الشجر ليسقط ورقها للابل والطوائح جمع مطيحة وهى القواذف على غير قياس كلواقح جمع ملقحة يقال طوحته الطوائح أى نزلت به المهالك ولا يقال المطوحات وهو نادر (والشاهد فيه) وقوع الكلام جوابا لسؤال مقدر مشتمل على المسند وعدل عن بنائه للفاعل الى بنائه للمفعول لتكرير الاسناد اجمالا وتفصيلا اذ هو أوكد وأقوى وأوقع فى النفس والله أعلم

﴿أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم﴾

البيت لطريف بن تميم العنبرى من أبيات من الكامل وبعده

فتوسمونى اننى أنا ذلكم * شاكى سلاحى فى الحوادث معلم

تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم

حولى أسيد والهجيم ومازن * واذا حللت فحول بيتى خضم

وعكاظ سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون أى يتفاخرون ويتناشدون ومنه الاديم العكاظى والقبيلة بنو أب واحد والعريف رئيس القوم لانه عرف بذلك أو النقيب وهو دون الرئيس والتوسم التخيل والتفرس (والمعنى) ان لى على كل قبيلة جناية فاذا وردوا عكاظ طلبنى القيم بأمرهم وكانت فرسان العرب اذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا تقنعوا حتى لا يعرفوا وذكر عن طريف هذا وكان من الشجعان أنه كان لا يتقنع كما يتقنعون فوافى عكاظ سنة وقد حشدت بكر بن وائل وكان طريف هذا قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيبانى فقال حصيصة بن شراحيل أرونى طريفا فأروه اياه فجعل كلما مر به طريف تأمله ونظر اليه حتى فطن له طريف فقال له مالك تنظر الى مرة بعد مرة فقال أتوسمك لأعرفك فلله على لئن لقيتك فى حرب لأقتلنك أو لتقتلنى فقال طريف عند ذلك الابيات المارة (والشاهد فيه) مجئ المسند فعلا ليفيد حدوث التجدد حالا بعد حال وهو هنا يتوسم أى يتفرس الوجوه ويتصفحها يحدث منه ذلك شيأ فشيأ ولحظة فلحظة ثم ان بنى عائذة حلفاء بنى ربيعة من ذهل بن شيبان خرج منها رجلان يصيدان فعرض لهما رجل من بنى شيبان فذعر عليهما صيدهما فوثبا عليه فقتلاه فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك فقال هانئ بن مسعود وهو رئيسهم يا بنى ربيعة ان اخوانكم قد أرادوا ظلمكم فانحازوا عنهم ففارقوهم فساروا حتى نزلوا بمنابض ماء لهم فأبق عبد لرجل من بنى ربيعة وسار الى بلاد تميم فأخبرهم أن حيا جريدا من بنى بكر بن وائل نزل على منابض وهم بنو ربيعة والحى الجريد المنتقى من قومه فقال طريف بن العنبرى هؤلاء ثارى يا آل تميم انما هم أكلة رأس وأقبل فى بنى عمرو بن تميم فأنذرت بهم بنو ربيعة فانحاز بهم هانئ بن مسعود رئيسهم الى علم منابض وأقاموا عليه وسرحوا بالاموال والسرح وصبحتهم تميم فقال لهم طريف افرغوا من هؤلاء الاكلب يصف لكم ماوراءهم فقال له بعض رؤساء قومه أنقاتل أكلبا أحرزوا أنفسهم ونترك أموالهم ماهذا برأى وأبوا عليه وقال هانئ لاصحابه لا يقاتل رجل منكم فلحقت تميم بالنعم والعيال فأغاروا عليهما فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هانئ لاصحابه احملوا عليهم فهزموهم وقتل يومئذ طريف بن العنبرى قتله حصيصة الشيبانى ابن شراحيل وقال فى ذلك

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * سفها وأنت بمعلم قد تعلم

وأتيت حيا فى الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستهزم

فوجدت قوما يمنعون ذمارهم * بسلا اذا هاب الفوارس أقدموا

واذا دعوا بنى ربيعة شمروا * بكتائب دون السماء تلملم

حشدوا عليك وعجلوا بقراهم

قسمك خير من قسمه فزهى أبو لقمان وقال أدافع فى بديع الشعر وهذا شعرى فى الهتف واغالم أورد هذه الحكاية فى الحكايات المتقدمة على ترتيب الاعصار والازمنة اذ كان حقها أن تكون بين الحكايات المنسوبة الى أبى الفرج والمهلبى والمنسوبة الى ابن حمديس لانها ليست من بدائع البداهة ولم أر اخلاء الكتاب منها لما فيها من الحلاوة (ومن الاجازة اجازة قسيم بقسيم وبيت ببيت) كما روى لنا من أن الرشيد هرون رحمه الله تعالى صنع قسيما وهو الملك لله وحده ثم ارتج عليه فقال استدعوا من بالباب من الشعراء فدخل عليه جماعة منهم الجماز فقال أجيزوا وأنشدهم القسيم فبدرهم الجماز فقال وللخليفة بعده فقال له الرشيد زد فقال وللمحب اذا ما حبيبه بات عنده فقال له الرشيد أحسنت ولم تعد ما فى نفسى وأجازه بعشرة آلاف درهم (وذكر) عبد الله بن أحمد ابن أبى طاهر فى تاريخ بغداد قال حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم قال استزارنى أحمد بن سعيد الدمشقى وأناصبى وسأل أبى أبا الحسن الاذن لى فى المصير اليه وأخبره أن أحمد

وحموا ذمار أبيهم أن يشتموا * سلبوك درعك والاغر كليهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

(لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق)

البيت للنضر بن جؤية بن النضر من أبيات من البسيط وقبله

قالت طريفة ماتبقى دراهمنا * ومابنا سرف فيها ولا خرق

انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق

وبعده البيت وبعده حتى يصير الى نذل يخلده * يكاد من صره اياه يمزق

ونسبه صاحب المغرب الملك افريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الازدي (والشاهد فيه) مجيء المسند اسما لافادة الثبوت والدوام لا التقييد والتجدد يعني أن الاطلاق ثابت له من غير اعتبار تجدد وفي معنى البيت قول المتنبي وكلما التقى الدينار صاحبه * في ملكه افترقا من قبل يصطحبا

مال كأن غراب البين يرقبه * فكلما قيل هذا مجتد نعبا

(وما أحسن قول ابن النقيب في معناه)

ومابين كفي والدراهم عامر * ولست لها دون الورى بخليل

وما استوطنتها قط يوما وانما * تمر عليها عابرات سبيل

(وما ألطف قول السراج الوراق)

ان الدراهم مسها * ألم يشق على الكرام الضرب أول أمرها * والحبس في أيدي اللئام

ماذا على شؤم الدرا * هم من مقاساة الانام ولخوفها من ذا وذا * لك تفر من أيدي الكرام

ولطيف قول بعضهم رأيت الدراهم أبغضتني * كأني قتلت أبا الدرهم

(له همم لا منتهى لكبارها)

قائله حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة من الطويل وتمامه * وهمته الصغرى أجل من الدهر * وذكر بعضهم انه لبكر بن النطاح في أبي دلف العجلي ولعل الحامل له على هذا ما حكي أن أبا دلف لحق أكرادا قطعوا الطريق في عمله وقد أردف فارس منهم رفيقا له خلفه فطعنهما جميعا فأنفذهما فتحدث الناس انه أنفذ بطعنة واحدة فارسين فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح فأنشده قوله فيه

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا

لا تعجبوا فلو ان طول قناته * ميل اذن نظم الفوارس ميلا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم فقال بكر فيه أيضا

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر

ولو أن خلق الله في جسم فارس * وبارزه كان الخلي من العمر

أبا دلف بوركت في كل بلدة * كما بوركت في شهرها ليلة القدر

فلما كانت هذه الابيات موافقة لذلك البيت في الوزن والقافية نسب لبكر بن النطاح المذكور والذي يقوي انه ليس لبكر بن النطاح انه لم يوجد في أخباره الا الابيات الثلاثة المذكورة وهذا البيت جليل بالنسبة اليها فلو كان منها لنص عليه بالذكر ونقل بعضهم أن أعرابيا دخل على أمير فقال يمدحه

فتى تهرب الاموال من جود كفه * كما يهرب الشيطان من ليلة القدر

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر

فقال له الامير احتكم أو فوض الي الحكم فقال الاعرابي بل أحتكم بكل بيت ألف درهم فقال الممدوح

لو

ابن أبي طاهر وأبا طالب بن مسلمة وعلي بن مهدي وجماعة من أهل الادب عنده فأذن لي فصرت اليه فصادفت عنده أبا الحسن جحظة فلما أردنا القيام الى صفة في داره للاكل لبس الجماعة نعالهم وبقي جحظة بغير نعل فسمعته يقول يا قوم من لي بنعل فقلت في بيت تصحيف نعل فضحكت الجماعة وغضب الدمشقي فقلت

وليس ذا قول جد

لكنه قول هزل

فضحك وتعجب القوم من بديهتي (قال علي بن ظافر) صنع المتوكل على الله عمر بن الافطس صاحب بطليوس من بلاد الاندلس قسيما وهو الشعر خطة خسف وارتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون أحد وزراء دولته وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف (وأفادني أبي) الشيخ الاجل الحافظ العلامة ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن الحسن الرحي الكلبي اجازة عن الاستاذ المفيد أبي بكر محمد بن خير بقراءته عليه عن الفقيه الحافظ أبي القاسم خلف ابن يوسف الشنتريني عرف بابن الابرش عن أبي الحسين ابن بسام في كتاب الذخيرة

لو فوضت الينا الحكم لكان خير الك فقال لم يكن فى الدنيا ما يسع حكمك فقال أنت فى كلامك أشعر من شعرك وأمر له مكان كل ألف بأربعة آلاف والهمم واحدها همة بالكسر وتفتح وهى ماهم به من أمر ليفعل (والشاهد فيه) تقديم المسند وهو له للتنبيه من أول وهلة على انه خبر لهمم لانعت له اذ لو أخر لتوهم انه نعت له لاخبر (وحسان) بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجى رضى الله عنه وأمه الفريعة ويكنى أبا الوليد وهو من فحول الشعراء وقد قيل انه أشعر أهل المدن وكان أحد المعمرين المخضرمين عمر مائة وعشرين سنة منها ستون فى الجاهلية وستون فى الاسلام وعن سليمان بن يسار قال رأيت حسان بن ثابت رضى الله عنه وله ناصية قد سدلها بين عينيه وعن محمد النوفلى رحمه الله قال كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ولا يخضب سائر لحيته فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت لم تفعل هذا قال لأكون كأنى أسد ولغ فى دم وعن أبى عبيدة قال فضل حسان بن ثابت الشعراء بثلاثة كان شاعر الانصار فى الجاهلية وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة وشاعر اليمن كلها فى الاسلام وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال جاء حسان رضى الله عنه الى نفر فيهم أبو هريرة فقال أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجب عنى ثم قال اللهم أيده بروح القدس قال أبو هريرة اللهم نعم (وحدث) سماك بن حرب قال قام حسان فقال يا رسول الله ائذن لى فيه يعنى أبا سفيان بن حرب وكان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم وأخرج له لسانا أسود وقال يا رسول الله لو شئت لفريت به المزاد ائذن لى فيه قال اذهب الى أبى بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك فأتى أبا بكر فأعلمه بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقال كف عن فلانة واذكر فلانة وكف عن فلان واذكر فلانا فقال

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء * فان أبى ووالدتى وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء * أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء

(وحدث) جويرية ابن أسماء قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأشفى وعن جابر رضى الله عنه قال لما كان عام الاحزاب ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا قال النبى صلى الله عليه وسلم من يحمى أعراض المسلمين فقال كعب رضى الله عنه أنا يا رسول الله وقال عبد الله بن رواحة أنا يا رسول الله وقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله قال عليه السلام نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال جاء رجل الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال قد جاء اللعين حسان من الشام فقال ابن عباس ما هو بلعين لقد نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه وعن مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان وهو يقول

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة رضى الله عنها لكن أنت لست كذلك فقلت لها أيدخل هذا عليك وقد قال الله عز وجل والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت أما تراه فى عذاب عظيم وقد ذهب بصره (وحدث) مالك بن عامر قال بينا نحن جلوس عند حسان بن ثابت وحسان مضطجع مسند رجليه الى فارع وقد رفعهما عليه اذ قال مه ما رأيتم ما مر بكم الساعة قال مالك فقلنا لا والله وما هو فقال حسان فاختة مرت بكم الساعة بينى وبين فارع فصدمتنى أو قال فزحمتنى قال فقلنا وما هى قال ستأتيكم غدا أحاديث جة فأصغوا لها آذانكم وتسمعوا قال مالك بن عامر فصبحنا من الغد حديث صفين (وحدث) العلاء بن جزء العنبرى قال بينا حسان ابن ثابت بالخيف وهو مكفوف اذ زفر زفرة ثم قال

وكأن حافرها بكل خميلة * صاع يكيل به شحيح معدم
عارى الاشاجع من ثقيف أصله * عبد ويزعم انه من يقدم

قال والمغيرة بن شعبة الثقفى جالس قريبا فسمع ما يقول فبعث اليه بخمسة آلاف درهم فقال من بعث الى

أن قائل القسم الاول الاستاذ أبو الوليد ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة (وبهذا الاسناد) قال ابن بسام ذكر أبو على الحسين بن الغليظ المالقى قال قالت يوما لاديب أبى عبد الله بن السراج المالقى ونحن على جرية ماء أجز شربنا على ماء كأن خريره
فقال مبادرا
بكاء محب بان عنه حبيبه
فمن كان مشغوفا كئيبا ألفه
فانى مشغوف به وكئيبه
(وبه أيضا) ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة قال اجتمع ابن عبادة وعبد الله بن القابلة السبتى بالمرية فنظر الى غلام وسيم يسبح فى البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز
انظر الى البدر الذى لاح لك
فقال ابن القابلة
فى وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء سماء له
وصير الفلك مكان الفلك
(قال على بن ظافر) وكل ما أسنده الى ابن بسام فبهذا الاسناد (ومنها اجازة قسيم بقسيم وأكثر من بيت) أنبأنى الشيخان تاج الدين أبو اليمن الكندى وجمال الدين بن الحراسانى اجازة عن الحافظ أبى القاسم على ابن الحسن بن عساكر سماعا عليه أخبرنا أبو بكر بن المرزوقى أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن

بهذه فقالوا المغيرة بن شعبة سمع ماقلت فقال واسوء تاه وقبلها (وحدث) الاصمعي قال جاء الحرث بن عوف الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أجرني من شعر حسان فلو مزج البحر بشعره لمزجه وكان السبب في ذلك أن الحرث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابعث معي من يدعو الى دينك فاني له جار فأرسل صلى الله عليه وسلم معه رجلا من الانصار فغدرت بالحرث عشيرته فقتلوا الانصاري فقدم الحرث على النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤنب أحدا في وجهه فقال ادعوا الى حسان فلما رأى الحرث أنشده يا حار من يغدر بذمة جاره * منكم فان محمدا لم يغدر

ان تغدروا فالغدر منكم شيمة * والغدر ينبت في أصول السخبر

فقال الحرث اكففه عني يا محمد وأؤدي اليك دية الخفارة فأدى الى النبي صلى الله عليه وسلم سبعين عشراء وكذلك كانت دية الخفارة وقال يا محمد اني عائذ بك من شعره فلو مزج البحر بشعره لمزجه (وحدث) يوسف ابن ماهك عن أمه قالت كنت أطوف مع عائشة رضي الله عنها فذكرت حسان فسببته فقالت بئس ماقلت تسبينه وهو الذي يقول فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

فقالت أليس ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيأ ولكنه الذي قال

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فان كان ماقد جاء عني قلته * فلا رفعت سوطي الي أناملي

وكان حسان رضي الله عنه جبانا حدث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت يوم الخندق قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا ان أتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل قال مالي الى سلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب وروي أن حسان أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد غدوت أمام القوم منتطقا * بصارم مثل لون الملح قطاع

تحفز عني نجاد السيف سابغة * فضفاضة مثل لون النهر بالقاع

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن حسان انه ضحك من صفته نفسه مع جبنه وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة أربع وخمسين من الهجرة رضي الله عنه

(ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر)

البيت لمحمد بن وهيب من البسيط يمدح المعتصم وأبو اسحق كنيته واسمه محمد (حدث) أبو محلم قال اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث اليهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال لهم ان أمير المؤمنين يقول لكم من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النميري في الرشيد

خليفة الله ان الجود أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن ببني العباس معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان أخلف القطر لم تخلف مخايله * أوضاق أمر ذكرناه فيتسع

فليدخل والا فلينصرف فقام محمد بن وهيب فقال فينا من يقول مثله قال وأي شيء قلت فقال

الحسين بن عبد العزيز العسكري أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الصلت المجبر حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني أخبرني جعفر بن قدامة حدثني أحمد بن أبي طاهر قال دخلت يوما على بنت جارية محفرانه وكانت حسنة الوجه والغناء فقلت لها قد قلت مصراعا فأجيزيه فقالت لي قل فقلت

يابدر حسنك يغشي بهجة القمر فقالت

وقد كاد حسنك أن يبتز بصري

ثم وقفت أفكر فسبقتني فقالت

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت

ريا الرياض عليه في دجى السحر

فزاد فكري فبادرتني فقالت

فهل لنا منك حظ في مواصلة

أولا فاني راض منك بالنظر

فقمت عنها خجلا ثم عرضت بعد ذلك على المعتمد فاشتراها بمشورة علي بن يحيى بثلاثين ألفا وذكر أحمد بن الطيب عن بعض الكتاب أنها عرضت بعد ذلك على المعتمد فامتحنها في الغناء والكتابة فرضي بما ظهر منها وكان أول ما غنته لحنا غريبا والشعر في المعتمد فقالت

سنة وشهر قابلا بسعود

فطرب المعتمد وتبرك بغنائها ثم قال لاحمد بن حمدون

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر
فالشمس تحكيه فى الاشراق طالعة * اذا تقطع عن ادراكها النظر
والبدر يحكيه فى الظلماء منبلجا * اذا استنارت لياليه به الغرر
يحكى أفاعيله فى كل نائبة * الغيث والليث والصمصامة الذكر
فالغيث يحكى ندى كفيه منهمرا * اذا استهل بصوب الديمة المطر
وربما صال أحيانا على حنق * شبيه صولته الضرغامة الهصر
والهندوانى يحكى من عزائمه * صريمة الرأى منه النقض والمرر
وكلها مشبه شيأ على حدة * وقد تخالف فيها الفعل والصور
وأنت جامع مافيهن من حسن * فقد تكامل فيك النفع والضرر
فالخلق جسم له رأس يدبره * وأنت جارحتاه السمع والبصر

فأمر بادخاله وأحسن جائزته ومما يشبه ذلك قول القاسم بن هانئ يمدح جعفرا صاحب المسيلة

المدنفان من البرية كلها * جسمى وطرف بابلى أحور
والمشرقات النيرات ثلاثة * الشمس والقمر المنير وجعفر

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيآن حدث بالقساوة عنهما * قلب الفتى يهواه قلبى والحجر
وثلاثة بالجود حدث عنهم * البحر والملك المعظم والمطر

ويقرب منه قول ابن مطروح فى الناصر داود

ثلاثة ليس لهم رابع * عليهم معتمد الجود الغيث والبحر وعزهما * بالملك الناصر داود

وقول أبى محمد اليافى ثلاثة مااجتمعن فى رجل * الا وأسلمنه الى الاجل
ذل اغتراب وفاقة وهوى * وكلها سائق على عجل
ياعاذل العاشقين انك لو * عذرتهم كنت تبت من عذل

وقول ابن سكرة فى وجه انسانة كلفت بها * أربعة مااجتمعن فى أحد
الوجه بدر والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

وما أصدق قول السراج الوراق

ثلاثة ان صحبت ثلاثة * أعيت علاج بدوها والحضر
عداوة مع حسد وفاقة * مع كسل وعلة مع كبر

وبديع قول ابن نباتة المصرى

تناسبت فيمن تعشقته * ثلاثة تعجب كل البشر
من مقلة سهم ومن حاجب * قوس ومن نغمة صوت وتر

ومما يناسب هذا المقام ماحكاه المداينى قال بينا سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما تسير ذات ليلة اذ سمعت جاديا يحدو ويقول * لولا ثلاث هن عيش الدهر * فقالت لقائد قطارها الحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ماهذه الثلاثة فطال طلبه لذلك حتى أتعبها فقالت لغلام لها سر أنت حتى تسمع منه فرجع اليها فقال سمعته يقول الماء والنوم وأم عمرو * فقالت قبحه الله أتعبنى منذ الليلة ومما يجرى من ذلك مجرى الملح ما أنشده الخليل فى كتاب العين وهو

ان فى دارنا ثلاث حبالى * فوددنا لو قد وضعن جميعا
جارتى ثم هرتى ثم شاتى * فاذا ماولدن كن ربيعا
جارتى للرضاع والهر للفا * ر وشاتى اذا اشتهينا مجيعا

قارضها فقال
وهبت نفسى للهوى
فقالت فجار لما أن ملك
فقال فصرت عبدا خاضعا
فقالت بسلك بى حيث سلك
فأمر المعتمد بابتياعها
فاشتريت بثلاثين ألفا
(وبالاسناد المتقدم عن ابن
بسام) قال روى أبو عامر
ابن شهيد قال لما قدم زهير
الصقلى حضرة قرطبة من
المرية وجه أبو جعفر بن
عباس وزيره الى ملة من
أصحابنا منهم ابن برد وأبو بكر
المروانى وابن الخياط والطبنى
فحضروا وسألهم عنى وقال
وجهوا اليه فوافانى رسوله
مع دابة بسرج محلى فسرت
اليه ودخلت المجلس وأبو
جعفر غائب فتحرك المجلس
لدخولى وقاموا جميعا الى
حتى طلع أبو جعفر علينا
ساحبا ذيلا لم أر أحدا
سحبه قبله وهو يترنم
فسلمت عليه سلام من
يعرف قدر الرجال فرد ردا
لطيفا فعلمت أن فى أنفه
نعرة لاتخرج الا بسعوط
الكلام ولاتراض الا
بمستحصد النظام ورأيت
أصحابى يصيحون الى ترغه
فقال لى ابن الخياط وكان
كثير الانحاء على جالب الى
المحافل مايسوء الاولياء الى
الوزير بحضرة قسيم وهو
يسألنا اجازته فعلمت أنى
المراد فاستنشدته فأنشد
مرض الجفون ولثغة فى
المنطق

ومن هذا الباب قول جرجيس بن جوطبيا

عليله المسكين من شؤمه * في بحره الك ماله ساحل
ثلاثة تدخل في دفعة * طلعته والنعش والغاسل

وقول الآخر
ثلاثة طاب بها المجلس * الورد والتفاح والنرجس

وقول الآخر
ثلاثة طاب بها العمر * وجهك والبستان والخمر

وقول الآخر
ثلاثة عن غيرها كافيه * هي المنا والأمن والعافيه

وقول أبي بكر البلخي
ثلاثة فقدها كبير * الخبز واللحم والشعير
والبيت من كلها خلاء * فجد بها أيها الأمير

وقول الآخر
ثلاثة ليس بها اشتراك * المشط والمرآة والسواك

وقول أبي الحسن العلوي
ثلاثة موصوفة تجلو البصر * الماء والوجه الجميل والخضر

وقول الآخر
ثلاثة تذهب عن قلبي الحزن * الماء والخضرة والوجه الحسن

وقول ابن لنكك بديع هنا
أعد الورى للبرد جندا من الصلا * ولاقيته من بينهم بجنود
ثلاثة نيران فنار مدامة * ونار صبابات ونار وقود

وفي معناه قول الصنوبري
نار راح ونار خد ونار * لحشا الصب بينهن استعار
ما أبالي ما كان ذا الصيف عندي * كيف كان الشتاء والامطار

وظريف قول بعضهم
ثلاثة يمنة تدور * الطست والكاس والبخور

وقول غانم المالقي
ثلاثة يجهل مقدارها * الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو أنه در وياقوت

وظريف قول عبد الرحمن بن محمد الواسطي
ما العيش الا خمسة لا سادس * لهم وان قصرت بها الاعمار
زمن الربيع وشرخ أيام الصبا * والكاس والمعشوق والدينار

وأنشد ثعلب النحوي
ثلاث خلال للصديق جعلتها * مضارعة للصوم والصلوات
مواساته والصفح عن كل زلة * وترك ابتذال السر في الخلوات

(والشاهد في البيت) تقديم المسند وهو ثلاثة للتشويق الى ذكر المسند اليه وهو شمس الضحى وما عطف عليه ومثله قول أبي العلاء المعري

وكالنار الحياة فمن رماد * أواخرها وأولها دخان

فتقديم كالنار ومن رماد كلاهما للتشويق (ومحمد بن وهيب) حميري شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وكان يستميح الناس بشعره و يتكسب بالمديح ثم توصل الى الحسن بن سهل برجاء بن أبي الضحاك ومدحه فأوصله اليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه اليه وأوصله الى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته ثم لم يزل منقطعا اليه حتى مات وكان يتشيع وله مراث في أهل البيت رضوان الله عليهم وهو متوسط بين شعراء طبقته (حدث عن نفسه) قال لما ولي الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك الجبل قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن علي الخزاعي وأبا سعيد المخزومي وأبا تمام الطائي فاستحسنوا الشعر وقالوا هذا لعمري من الاشعار التي تلقى بها الملوك فخرجت الى الجبل فلما صرت الى همذان

فقلت لمن حضر لا تجهدوا
نفوسكم فلستم المراد ثم
أخذت الدواة فكتبت

سبحان جراعشق من لم يعشق
من لي بألثغ لا يزال حديثه
يذكي على الأكباد جمرة محرق
يثني فينبو في الكلام لسانه
فكأنه من خمر عينيه سقي
لا ينعش الالفاظ من عثراتها
ولو انها كتبت له في مهرق

ثم قمت عنهم فلم ألبث أن
وردوا علي وأخبروني أن أبا
جعفر لم يرض بما جئت به
من البديهة وسألوني أن
أحمل مكاوي الهجاء على
حتاره وزعموا أن ادريس
بن اليماني هجاه فأفحش فقلت

أبو جعفر كاتب شاعر
مليح سني الخط حلو الخطابه
تملأ شحما ولحما وما
يليق تملؤه بالكتابه
له عرق ليس ماء الجباه
ولكنه رشح ماء الجنابه
جرى الماء في سفله جري لين
فأحدث في العلو منه صلابه

(قال علي بن ظافر) وأحسب
أن الذي هجاه به ادريس
وأفحش فيه قوله وقد كان
وفد عليه بالمرية وامتدحه
بقصيدة فلم يحفل به فأنفذ
اليه عند خروجه منها يقول
له أبا جعفر المرجى

ما بال طيري خلاف طيرك
أهديت رقراقة المعاني
لم أهد أمثالها لغيرك
فلم تغرها ولم تمرني
ولم تمرها بفضل ميرك
فصار شعري لديك بكرا
قد يئست من فلاح ايرك

أخبره الحاجب بمكاني فأذن لي فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولي

أجارتنا ان التعفف بالياس * وصبرا على استدرار دنيا بالباس * حريان أن لا يقذفا بمذلة
كريما وأن لا يحوجاه الى الناس * أجارتنا ان القداح كواذب * وأكثر أسباب النجاح مع الياس

فأمر حاجبه باضافتي فأقمت بحضرته كلما دخلت اليه لم أنصرف الا بحملان وخلعة وجائزة حتى انصرم الصيف فقال لي يا محمد ان الشتاء عندنا علج فأعد يوما للوداع فقلت خدمة الامير أحب الي فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لي هذا يوم الوداع فأنشدني الثلاثة الابيات فلقد فهمت الشعر كله فلما أنشدته

أجارتنا ان القداح كواذب * وأكثر أسباب النجاح مع الياس

قال صدقت ثم قال عدوا أبيات القصيدة وأعطوه بكل بيت ألف درهم فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم وكان فيما أنشدته في مقامي واستحسنه قولي

دماء المحبين ما تعقل * أما في الهوى حكم يعدل تعبدني حور الغانيات * ودان الشباب له الاخضل
ونظرة عين تعللتها * غرارا كما ينظر الاحول مقسمة بين وجه الحبيب * وطرف الرقيب متى يغفل

(وحدث) خال أبي هفان قال كنت عند أبي دلف فدخل عليه محمد بن وهيب الشاعر فأعظمه جدا فلما انصرف قال معقل أخوه يا أخي فعلت بهذا ما لم يستأهله ما هو في بيت من الشرف ولا في كمال من الادب ولا بموضع من السلطان فقال لي يا أخي انه لحقيق بذلك أو لا يستحقه وهو القائل

يدل على انه عاشق * من الدمع مستشهد ناطق ولي مالك أنا عبد له * مقر بأني له وامق
اذا ما سموت الى وصله * تعرض لي دونه عائق وحاربني فيه ريب الزمان * كأن الزمان له عاشق

(وحدث) الحسن بن رجاء قال كان محمد بن وهيب الحميري لما قدم المأمون من خراسان مضاعا مطرحا انما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم ويحظى باليسير فلما هدأت الامور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوما منفردا بأهله وخاصته وذوي مودته ومن يقرب من انسه فتوسل اليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله اليه مع الشعراء فلما انتهى اليه القول استأذنه في الانشاد فأذن له فأنشد قصيدته التي أولها

ودائع أسرار طوتها السرائر * وباحت بمكتوماتهن النواظر * تمكن في طي الضمير وتحته
شبا لوعة عضب الغرار بن باتر * فأعجم عنها ناطق وهو معرب * وأعربت العجم الجفون النواظر

الى أن قال فيها تعظمه الاوهام قبل عيانه * ويصدر عنه الطرف والطرف حاسر
به تجتدى النعما ويستدرك المنى * وتستكمل الحسنى وترعى الاواصر
أصات بنا داعي نوالك مؤذنا * بجود الا أنه لا يحاور
قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا * فمالك موتور وسيفك واتر

الى أن قال في آخرها ولو لم تكن الا بنفسك فاخرا * لما انتسبت الا اليك المفاخر

قال فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره الى الارض وقال أحسنت والله وأجملت ولو لم تقل قط ولا قلت في باقي دهرك غير هذا لما احتجت الى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار فأحضرت واقتطعه الى نفسه فلم يزل في كنفه أيام ولايته وبعد ذلك الى أن مات ما تصدى لغيره (وحدث) ميمون بن هرون قال كان محمد بن وهيب الشاعر قد مدح علي بن هشام وتردد الى بابه دفعات فحجبه ولقيه يوما في طريق فسلم عليه فلم يرجع اليه طرفه وكان فيه تيه شديد فكتب اليه رقعة يعاتبه فيها فلما وصلت اليه مزقها وقال أي شئ يريد هذا الثقيل السيء الادب فقيل له ذلك فانصرف مغضبا وقال والله ما أردت ماله وانما أردت التوسل بجاهه وسيغني الله عنه والله لئذمن مغبة فعله وقال يهجوه

أزرى عليه بجود خيفة العدم * فصدّ منهزما عن شأو ذي الهمم
لو كان من فارس في بيت مكرمة * أو كان من ولد الاملاك والعجم

(وذكر) العميد أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخرزي في كتابه دمية القصر وعصرة العصر قال حدثني الاديب يعقوب ابن أحمد قال أنشدت بحضرة أبي كامل مفرج بن دغفل الطائي

صهل الكميت فقلت مالك تصهل

فغيره بعض الحاضرين فقال

نعب الغراب فقلت مالك تنعب

(فقال أبو كامل بديها)

أنأى أليفك أم لحال ترهب
أم بت تخبرنا بفرقة جيرة
قد آن في شعبان أن يتشعبوا
عزموا على ترك النفوس ورائهم
ماء يسيل على لظى يتلهب

(وأنباني) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي قال أنباني الفقيه أبو القاسم مخلوف ابن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن سعيد السرقسطي عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن عمر الاشبوني قال قصد ابن جاخ الشاعر فخر الدولة أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد فلما وصل اليه ودخل عليه قال أجز

اذا مررت بركب العيس حييها

فقال ابن جاخ في الحال

يا ناقتي فعسى أحبابنا فيها

(ثم زاد فقال)

أوكان أوله أهل البطاح أوالـ * ـركب الملبين اهلالا الى الحرم
أيام تتخذ الاصنام آلهة * فلا ترى عاكفا الا على صنم
لشجعته على فعل الملوك لهم * طبائع لم ترعها خيفة العدم
لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم ينـد سيفك مذ قلدته بدم
كنت امرءا رفعته فتنة فعلا * أيامها غادرا بالعهد والذمم
حتى اذا انكشفت عنا عمايتها * ورتب الناس بالاحساب والقدم
مات التخلق وارتادتك مرتجعا * طبيعة نذلة الاخلاق والشيم
كذاك من كان لا رأس ولا ذنب * كذا اليدين حديث العهد بالنعم
هيهات ليس بحمال الديات ولا * معطى الجزيل ولا الموهوب ذى النعم

فلما بلغت الابيات على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع لها وقال لعن الله اللجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام وقال الله يعلم انى لا أدخل على الخليفة وعلى السيف وأنا مستحى منه أذكر قول محمد بن وهيب فى

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم ينـد سيفك مذ قلدته بدم

وسمع ابن الاعرابى وهو يقول أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهيب وأنشد البيت (وحدث) الحسن ابن رجاء عن أبيه قال لما قدم المأمون ولقيه أبو محمد الحسن دخلا جميعا فعارضهما ابن وهيب فقال

اليوم جددت النعماء والمنن * فالحمد لله حلت العقدة الزمن
اليوم أظهرت الدنيا محاسنها * للناس لما التقى المأمون والحسن

قال فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال هذا رجل من حمير شاعر مطبوع اتصل بى متوسلا الى أمير المؤمنين وطالبا الوصول مع نظرائه فأمر المأمون بايصاله مع الشعراء فلما وقف بين يديه وأذن له فى الانشاد أنشد قوله

طللان طال عليهما الامد * دثرا فلا علم ولا نضد * لبسا البلا فكأنما وجدا
بعد الاحبة مثل ما أجد * حييتما طللين حالهما * بعد الاحبة غير ما عهدوا
ان ما طلولك سلوغانية * فهواك لا امل ولا فند * ان كنت صادقة الهوى فردى
فى الحب منهله الذى أرد * أدمى أرقت وأنت آمنة * أن ليس لى عقل ولا قود
ان كنت فت وخاننى نشب * فلربما لم يحظ مجتهد حتى انتهى الى مدح المأمون فقال
يا خير منتسب لمكرمة * فى المجد حيث تضخ العدد * فى كل أغلة لراحته * نوء يسح وعارض حشد
واذا القنا رعفت أسنتها * علقا وصم كعوبها قصد * فكأن ضوء جبينه قمر * وكأنه فى صولة أسد
وكأنه روح تدبرنا * حركاته وكأنها جسد

فاستحسنها المأمون وقال لابى محمد احتكم له فقال أمير المؤمنين أولى بالحكم ولكن ان أذن لى فى المسئلة سألت فأما الحكم فلا فقال سل فقال تلحقه بجوائز مروان بن أبى حفصة فقال ذلك والله أردت وأمر أن تعد الابيات فكانت خمسين فأعطاه خمسين ألف درهم وعن أحمد بن أبى كامل قال كان محمد بن وهيب تياها شديد الزهاء بنفسه فلما قدم الافشين وقد قتل بابك مدحه بقصيدته التى أولها

طلول ومغانيها * تناجيها وتبكيها (يقول فيها) بعثت الخيل والخير * عقيد بنواصيها

وهى من جيد شعره فأنشدناها اياها ثم قال ما بها عيب سوى أنه لا أخت لها قال وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الافشين بثلثمائة ألف درهم جرت تفرقتها على يد ابن أبى دواد فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفا وأعطى أبا تمام عشرة آلاف قال ابن أبى كامل فقلت لعلى بن يحيى بن المنجم أولا تعجب من هذا الحظ يعطى أبو تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفا وبينهما كما بين السماء والارض فقال لذلك علة لا تعرفها كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان فلذلك وصل الى هذا الحال (وحدث) أحمد بن أبى كامل

يا ناق عوجى على الاطلال علّ بها
منهم غريبا برانى كيف أبكيها
أم كيف أروض طيب العيش بعدهم
أم كيف أسكب دمعا فى مغانيها
انى لاكتم أشواقى وأسترها
جهدى ولكن دموع العين تبديها
(وذكر) الوزير أبو لبابة الدانى فى كتاب سقط الدرر ولقط الزهر قال صنع المعتمد على الله بن عباد رحمه الله تعالى قسيما فى القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهى وهو
سعد السعود يتيه فوق الزاهى
ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبيد الله الرشيد
وكلاهما فى حسنه متناه
ومن اغتدى سكناهما كمحمد
قد جل فى العليا عن الاشباه
لا زال يخلد فيهما ما شاءه
ودهت عداه من الخطوب دواهى
وكذلك ما روى أن القاضى الفقيه أبا الحسين على بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الاوسط تنزه مع جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبونى ورجل يسمى بأبى موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضى أبو الحسن معابثا له

أيضا قال كنا في مجلس ومعنا أبو يوسف الكندي وأحمد بن أبي فنن فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب فطعن عليه ابن أبي فنن وقال هو متكلف حسود اذا أنشد شعر النفسه قرظه ووصفه في نصف يوم وشكا انه مظلوم منحوس الحظ وانه لا يقصر به عن مراتب القدماء حال واذا أنشد شعر غيره حسد وان كان على نبيذ عربد عليه وان كان صاحبا عاداه واعتقد فيه كل مكروه فقلت له كلا كالى صديق وما أمتنع من وصفكما جميعا بالتقدم وحسن الشعر فأخبرني عما أسألك عنه اخبار منصف أيما متكلفا من يقول

أبى لى اغضاء الجفون على القذى * يقينى أن لا عسر الا مفرج

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله * فيظهر ما بين الاسنة مخرج

أو يعد متكلفا من يقول

رأت وضحا في مفرق الرأس راعها * شريحين مبيض به وبهيم

وأمسك ابن أبي فنن واندفع الكندي فقال كان ابن وهيب ثنويا فقلت له من أين علمت ذلك أكلمك على مذهب الثنوية قط قال لا ولكني استدللت من شعره على مذهبه فقلت ماذا قال حيث يقول

طللان طال عليهما الامد * وحيث يقول * تفتر عن سمطين من ذهب * الى غير ذلك مما يستعمله في شعره من ذكر الاثنين فشغلني والله الضحك عن جوابه وقلت له يا أبا يوسف مثلك لا ينبغي أن يتكلم فيما لم ينفذ فيه علمه ودخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه فرأى بين يديه غلمانا روقة مرداوخدما بيضا افترها في غاية الحسن والجمال والنظافة فدهش لما رأى وبقي متحيرا متبلدا لا ينطق حرفا فضحك أحمد منه وقال له مالك ويحك تكلم بما تريد فقال

قد كانت الاصنام وهي قديمة * كسرت وجدّ عهن ابراهيم

وصفت لهن نضارة ونعيم * وبنا الى صنم نلوذ بركنه * فقروا نت اذا هززت كريم

فقال له اختر من شئت فاختار واحدا منهم فأعطاه اياه وقال يمدحه

فضلت مكارمه على الاقوام * وعلا فحاز مكارم الايام

وعلته أبهة الجمال كأنه * قمر بدا لك من خلال غمام

ان الامير على البرية كلها * بعد الخليفة أحمد بن هشام

(وحدث) محمد بن وهيب قال جلست بالبصرة الى عطار فاذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خلوقا فقلت له تجدها اشترته لابنتها وما ابنتها الا خنفساء فالتفتت الى متضاحكة وقالت لا والله الا مهاة جيداء ان قامت فقناة وان قعدت فحصاة وان مشت فقطاة أسفلها كثيب وأعلاها قضيب لا كفتياتكم اللواتي تسمنونهن بالقتوت ثم انصرفت وهي تقول

ان القتوت للفتاة مضرطه * يكربها في البطن حتى تثلطه

فلا أعلم اني ذكرتها الا أضحكني ذكرها وبلغ محمد بن وهيب أن دعبلا الخزاعي قال أنا ابن قولى

لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال أنا ابن قولى

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

فقال محمد بن وهيب وأنا ابن قولى

ما لمن تمت محاسنه * أن يعادي طرف من رمقا

لك أن تبدي لنا حسنا * ولنا أن نعمل الحدقا

(وحدث) أبو ذكوان قال حدثني من دخل الى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل قال فسألته عن خبره فتشكى ما به ثم قال نفوس المنايا بالنفوس تشعبت * وكل له من مذهب الموت مذهب

نراع لذكر الموت ساعة ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب

وشاعر أثقل من جسمه
ثم استجاز ابن سوار فقال
تأتي معانيه على حكمه
يهجو ولا يهجى فهل عندكم
ظلامة تعدى على ظلمه
لسانه في هجوه حية
منية الحية في سمه
أما أبو موسى ففي كفه
عصا ابنه والسحر في نظمه
يصيب سر المرء في رميه
كأنما العالم في علمه
(وأخبرني) القاضي الاعز ابن المؤيد المقدم ذكره رحمه الله قال أخبرني الشيخ أبو الحسن على بن عمر المستقر الاندلسي قال كتب أبو بكر البلنسي الى الاديب أبي بحر صفوان بن ادريس هذين البيتين يستجيزه القسم الاخير منهما وهما
خليلي أبا بحر وما قوف اللي
بأعذب من قولى خليلي أبا بحر
أجز غير مأمور قسيما نظمته
تأمل على بحر المياه حلى الزهر
فأجازه بقوله
كمهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم
سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع
لتسمع ما تتلوه من سور الشعر
(قال) وهذان الرجلان من الفضلاء في عصرنا هذا
(ومنها الاجازة بيت بيت)
فمن ذلك ما روى يونس بن حبيب قال لما بني يوسف ابن زياد داره بالساحة صنع طعاما ودعا أصحابه فدخلوا

وآجالنا في كل يوم وليلة * الينا على غراتنا تتقرب
أأيقن أن الشيب ينفى حياته * وهو لا خلاق الخطيئة يذهب
يقين كأن الشك أغلب أمره * عليه وعرفان الى الجهل ينسب
وقد ذمت الدنيا الى نعيمها * وخاطبني اعجامها وهو معرب
ولكنني منها خلقت لغيرها * وما كنت منه فهو عندي محبب

وسأل محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها فوقف عليه ثم قال له

طبع الكريم على وفائه * وعلى التفضل في اخائه
تغني عنايته الصديق عن التعرض لاقتضائه
حسب الكريم حياؤه * فكل الكريم الى حيائه

فقال له حسبك فقد بلغت الى ما أحببت والحاجة تسبقك الى منزلك ومن شعره الجيد قوله

أي خير يرجو بنو الدهر في الدهر وما زال قاتلا لبنيه
من يعمر يفجع بفقد الاحبا * ومن مات فالمصيبة فيه

ومثله قول الآخر

من يتمنى العمر فليدرع * صبرا على فقد أحبائه
ومن يعمر يلق في نفسه * ما يتمناه لاعدائه

﴿شواهد أحوال متعلقات الفعل﴾

(شجو حساده وغيظ عداه * أن يرى مبصر ويسمع واعي)

البيت للبحتري من قصيدة من الخفيف يمدح بها المعتز بالله بن المتوكل على الله ويعرض بالمستعين بالله أحمد ابن المعتصم أولها

لك عهد لدي غير مضاع * بات شوقي طوعاله وبراعي
وهوى كلما جرى منه دمع * أيس العاذلون من اقلاعي
لو توليت عنه خيف رجوعي * أو تجوزت فيه خيف ارتجاعي

الى أن يقول في مديحها

بهت الوفد في أسرة وجه * ساطع الضوء مستنير الشعاع
من جهير الخطاب يضعف فضلا * عند حالي تأمل واستماع

وبعده البيت وهي طويلة (والشاهد فيه) جعل الفعل مطلقا كناية عنه متعلقا بمفعول مخصوص وهو هنا يرى ويسمع فانه كما قال التفتازاني رحمه الله تعالى نزلهما منزلة اللازم أي تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه وكذلك بين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار الى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راء ويسمعها كل واع بل لا يبصر الرائي الا آثاره ولا يسمع الواعي الا أخباره فذكر الملزوم وأراد اللازم على ما هو طريق الكناية ولا يخفى فوات هذا المعنى عند ذكر المفعول وتقديره لما في التغافل عن ذكره والاعراض عنه من الايذان بأن فضائله يكفي فيها أن يكون ذو بصر وسمع حتى يعلم انه المنفرد بالفضل ومثله قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فلو ان قومي أنطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

يريد أن يثبت انه كان من الرماح اجرار وحبس للالسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهي انها اجرته أي شقت لسانه ومثله قول طفيل الغنوي

جزى الله خيرا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا

تلاقي

الحمام المعروفة بحمام فيل ثم خرجوا فتغدوا عنده وركبوا تلك المهاليج والمقاريف والبغال واجتاز وابحارثة ابن بدر الغداني وأبي الاسود وهما جالسان فقال أبو الاسود لعمر أبيك ما حمام كسرى على الثلثين من حمام فيل

(فقال حارثة)

ولا ايجافنا خلف الموالي بسنتنا على عهد الرسول

(وروى) حبيب بن نصر المهلبي قال حج يزيد بن معاوية بالاخطل فاشتاق يزيد أهله فقال

بكى كل ذي شجو من الشام شاقه
تهام فأني يلتقي الشجنان

وقال أجز يا أخطل فقال

يغور الذي بالشام أو ينجد الذي
بغور تهامات فيلتقيان

(وروى) عمر بن عبد الله العتكي عن الرقاشي عن أبي عبيدة قال كان حارثة ابن بدر يدير كوارا يتنزه فقال ألم تر أن حارثة بن بدر
أقام بدير أبلق من كوارا
ثم قال للجند الذين كانوا معه من أجاز هذا البيت فله حكمه فقال رجل منهم على أن تجعل لي الامان من غضبك وتجعلني رسولك الى البصرة وتطلب لي النفل من الامير قال ذلك لك ثم ردد عليه البيت فقال

مقيم يشرب الصهباء صرفا
اذا ما قلت تصرعه استدارا

فقال له حارثة لك شرطك

تلاقى الذى يلقون منا الملت * هم خلطونا بالنفوس وألجأوا * الى حجرات أدفأت وأظلت

أراد ملتنا وأدفأتنا وأظلتنا الا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطاوبه بطريق الكناية (والبحترى) هو الوليد بن عبيد بن يحيى ينتهى نسبه الى طئ ويكنى أبا عبادة وهو شاعر فصيح فاضل حسن المشرب والمذهب نقى الكلام مطبوع وله تصرف فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة وجيده منه قليل وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن انه لما حضره الموت دعا به وقال له اجمع كل شئ قلته فى الهجاء ففعل فأمره باحراقه وكان البحترى يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو حذو مذهبه وينحو نحوه فى البدائع التى كان أبو تمام يستعملها ويراه صاحبا واماما ويقدمه على نفسه ويقول فى الفرق بينه وبينه قول منصف ان جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه وكذا هو حكم لنفسه وسئل أبو العلاء المعرى أى الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحترى أم المتنبى فقال هما حكيمان والشاعر البحترى وقد شرح المعرى دواوين الثلاثة فسمى شرح ديوان أبى تمام ذكرى حبيب وشرح ديوان البحترى عبث الوليد وشرح ديوان المتنبى معجز أحمد (وحدث) محمد بن يحيى قال سمعت عبد الله بن الحسين يقول للبحترى وقد اجتمعا فى دار عبد الله بالخلد وعنده المبرد وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين وقد أنشد شعرا لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر قال كلا والله ان أبا تمام الرئيس والاستاذ والله ما أكلت الخبز الا به فقال له المبرد لله درك يا أبا الحسن وكان يكنى به أيضا فانك تأبى الا شرفا من جميع جوانبك (وحدث) البحترى قال كان أول أمرى فى الشعر ونباهتى أن صرت الى أبى تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعرى وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم فأقبل على وترك سائر من حضر فلما تفرقوا قال لى أنت أشعر من أنشدنى فكيف حالك فشكوت اليه خلة فكتب الى أهل معرة النعمان وشهد لى بالحذق فى الشعر وشفع لى اليهم وقال امتدحهم فسرت اليهم فأكرمونى بكتابه ووظفوا الى أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته (وحدث) البحترى قال أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتى التى مطلعها

أأفاق صب من هوى فأفيقا * أو خان عهدا أو أطاع شفيقا

فسر بها أبو سعيد وقال أحسنت والله يا فتى وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر فى مجلسه تكاد تمس ركبته ركبته فأقبل على وقال يا فتى أما تستحى منى هذا شعرى وتنتحله وتنشده بحضرتى فقال له أبو سعيد أحقا ما تقول قال نعم وانما علقه منى فسبقنى به اليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككنى علم الله فى نفسى وبقيت متحيرا فأقبل على أبو سعيد فقال لى يا فتى لقد كان فى قرابتك مناو ودك لنا ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف بكل محرجة من الايمان ان الشعر لى وما سبقنى اليه أحد ولا سمعته ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيأ وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت انى سخت فى الارض فقمت منكسر البال أجر رجلى فخرجت فما هو الا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردونى فأقبل على الرجل فقال الشعر لك يا بنى والله ما قلته قط ولا سمعته الا منك ولكننى ظننت انك تهاونت بموضعى فأقدمت على الانشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتى ومكاثرتى حتى عرفنى الامير نسبك وموضعك ولوددت أن لا تلد طائية الا مثلك وجعل أبو سعيد يضحك فدعانى أبو تمام فضمنى اليه وعانقنى وأقبل يقرظنى ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به ثم ان البحترى اختص بأبى سعيد وكان مداحا له طول أيامه ولابنه من بعده ورثاهما بعد مقتلهما وأجاد ومراثيه فيهما أجود من مدائحه وروى أنه قيل له فى ذلك فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح لا كما قال الآخر * وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال كنا نعمل للرجاء ونحن الآن نعمل للوفاء وبينهما بعد وكان البحترى من أوسخ خلق الله ثوبا وآلة وأبخلهم على كل شئ وكان له أخ وغلام معه فى داره فكان يقتلهما جوعا فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان فيرمى اليهما بثمن أقواتهما مضيقا مقترا ويقول كلا أجاع الله أكبادكما وأعرى أجلادكما وأطال اجتهادكما

ولو كنت قلت لنا اقولا تسرنا لسررناك (وروى) أبو روح الراسبى قال لما ولى خالد بن عبد الله القسرى مالك بن المنذر شرطة البصرة قال الفرزدق

يبغض فينا شرطة المصر أننى رأيت عليها مالكا اثر الكاى

قال فقال مالك على به فبلغه فقال

أقول لنفسى اذ تغص بريقها ألا ليت شعرى ما لها عند مالك

فسمع مالك على طرازه وقال لها عنده أن يرجع الله ريقها اليها وتنجو من عظيم المهالك

قال الفرزدق هذا أشعر الناس أوليعودن مجنونا يصيح به الصبيان فكان كما قال (وروى) أن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه خرج وهو أمير المدينة ومعه عبد الله ابن الحسن فنزلوا تحت سرحة وتغدوا وأخذ عبد الله حجرا وكتب به على ساق السرحة يقول

خبرينا خصصت بالغيث ياسر ح بصدق فالصدق فيه شفاء

فأخذ عبد العزيز الحجر وكتب تحته

هل يموت المحب من ألم الحب ويشفى من الحبيب اللقاء

ثم ركبوا وداموا ومضوا غير بعيد فاذا السماء قد أقبلت عليهم فرجعوا مسرعين الى السرحة فأصابوا تحت ما كتبوا

ان جهلا سؤالك السرح عما ليس يوما به عليك خفاء

(وحدث) محمد بن بحر الاصبهانى الكاتب قال دخلت على البحترى يوما فاحتبسنى عنده ودعا بطعام له ودعانى اليه فامتنعت من أكله وعنده شيخ شامى لا أعرفه فدعاه الى الطعام فتقدم فأكل معه أكلا عنيفا فغاظه ذلك ثم انه التفت الى فقال لى أتعرف هذا الشيخ قلت لا قال هذا شيخ من بنى الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة * حمر اللحى متناسبو الالوان

لو يسمعون بأكلة أوشربة * بعمان أضحى جمعهم بعمان

قال فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك ومن شعره يهجو انسانا فى لسانه حبسة

أنت كاو دعلت مضطرب الشهية والقد ظاهر الخلف

ورنة تحت غنة قدرت * من هالك الراء دامس الالف

كأن فى فيه لقمة عقلت * لسانه فالتوى على حنف

محرك رأسه توهمه * قد قام من عطسة على شرف

وهو بليغ التشبيه فى معناه وأنشد البحترى شيأ من شعر أبى سهل بن نوبخت فجعل يحرك رأسه فقيل له ماتقول فيه فقال هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى وقد نظمت هذا الغرض عرض لى فقلت

رب خذ الشعر من زمن * أسمعونا منه ما أضنى مثل طعم الماء ليس له * فى فم طعم ولا معنى

ورأيت بعد ذلك بيتا آخر فى المعنى وهو

حديث مثل لعق الماء بحتا * وليس للعق بحت الماء طعم

والبحت بالمثناة فوق الصرف وذكرت بأبيات البحترى فى الحبسة ما نظمته قديما وهو

ان قال شعرا خلته * علكا ولو يا علك وان شدا فصوته * صوت دجاج يسلك

واجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهى أحسن من القمر فقال ما اسمك قالت برهان قال ولمن هذا الماء قالت لستى قبيحة قال صبيه فى حلقى فشرب به عن آخره ثم قال للبحترى قل فى هذا شيأ فقال

ماقهوة من رحيق كأسها ذهب * جاءت بها الحور من جنات رضوان

يوما بأطيب من ماء بلا عطش * شربته عبثا من كف برهان

(وحدث) أبو الغوث ابن البحترى قال كتبت الى أبى يوما أطلب منه نبيذا فبعث الى بنصف قنينة دردى وكتب الى دونكها يابنى فانها تكشف القحط وتقوت الرهط (وحدث) جحظة قال سمعت البحترى يقول كنت أعشق غلاما من أهل منبج يقال له شقران فاتفق لى سفر فخرجت فيه وأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى فقلت فيه وكان أول شعر قلته

نبتت لحية شقرا * ن شقيق النفس بعدى حلقت كيف أتته * قبل أن ينجز وعدى

(وحدث) جحظة قال كان نسيم غلام البحترى الذى يقول فيه

دعا عبرتى تجرى على الجور والقصد * أظن نسيما فارق الهجر من بعدى

خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه * فواعجبا للدهر فقدا على فقد

غلاما روميا ليس بحسن الوجه وكان قد جعله بابا من أبواب الحيل على الناس فكان يبيعه ويعتمد أن يصير الى ملك بعض أهل المروآت ومن ينفق عنده الأدب فاذا حصل فى ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره وقد قال ابن نباتة المصرى مشيرا الى ذلك

وغانية توافقنى اذا ما * صبوت لها بذا العقل السليم

وأعذران بكيت على رياض * بكاء البحترى على نسيم

(وحدث) الاخفش قال كتب البحترى الى محمد بن القاسم البقمى يستهديه نبيذا فبعث اليه نبيذا مع غلام له أمرد فخمشه البحترى فغضب الغلام غضبا شديدا فظن البحترى انه سيخبر مولاه بما جرى فكتب اليه

أبا جعفر كان تخميشنا * غلامك احدى الهنات الدنيه

ليس للعاشق المحب من العشق سوى لذة الوصال دواء

(حدث) المدائنى قال وهب نصر بن سيار لابى عطاء السندى جارية فبات معها فلما أصبح غدا على نصر فقال له كيف كانت ليلتك معها قال كان بينى وبينها ما شرد منامى وقضى مرامى قال فهل قلت فى ذلك شعرا قال نعم وأنشد

ان النكاح وان هزلت لصالح خلف العينى من لذيذ المرود

(فقال نصر)

ذاك الشفاء فلا تظنن غيره ليس المجرب مثل من لم يشهد

(وروى) زحر بن حصن قال خرجنا من مكة مع المنصور فى زمان صائف فلما كان بزبالة ركب نجيبا والشمس تلعب بين عينيه وعليه جبة وشى فالتفت الينا وقال انى قائل بيتا فن أجازه فله جبتى هذه قلنا يقول أمير المؤمنين فأنشد

وهاجرة نصبت لها جبينى يقطع حرها ظهر العظايه

(فبدر بشار فقال)

وقفت لها القلوص ففاض دمعى على خدى وأسعد واعظايه

فخرج له عن الجبة ثم لقيته فذكر أنه باعها بخمسمائة دينار وقد ذكرها الصولى فى كتاب الاوراق على غير هذا السياق (وروى) أن رسول علية بنت المهدى أو عائشة بنت الرشيد خرج يوما الى الشعراء فقال تقرئكم

بعثت الينا بشمس المدام * تضيء لنا مع شمس البريه
فليت الهدية كان الرسول * وليت الرسول الينا الهديه

فبعث محمد بن القاسم بالغلام اليه هدية فانقطع البحتري بعد ذلك عنه مدة لخلاء ما جرى فكتب اليه محمد ابن القاسم

هجرت كأن البر أعقب حشمة * ولم أر برا قبل ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدة يمدحه

اني هجرتك اذ هجرتك حشمة * لا العود يذهبها ولا الابداء
أخجلتني بندا يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالبر حتى انني * متوهم أن لا يكون لقاء
صلة غدت في الناس وهي قطيعة * عجب وبر راح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعر سائر * يرويك فيه لحسنه الاعداء
حتى يتم لك الثناء مخلدا * أبدا كما تمت لك النعماء
فتظل تحسدك الملوك الصيد بي * وأظل تحسدني بك الشعراء

(وحدث) البحتري قال أنشدت أبا تمام شيأ من شعري فتمثل ببيت أوس بن حجر

اذا مقدم منا ذوي حذنابه * تخمط منا ناب آخر مقدم

ثم قال لي نعيت والله الي نفسي فقلت أعيذك بالله من هذا القول فقال ان عمري لن يطول وقد نشأ في طيء مثلك أما علمت ان خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبة وهو بين رهطه يتكلم فقال يا بني لقد نعى الي نفسي احسانك في كلامك لانا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط الا مات الذي من قبله قلت بل يبقيك الله ويجعلني فداءك قال ومات أبو تمام رحمه الله بعد سنة (وحدث) أبو عنبس الصيمري قال كنت عند المتوكل والبحتري ينشده قوله

عن أي ثغر تبتسم * وبأي طرف تحتكم

حتى بلغ الى قوله فيه

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم
والمجتدى ابن المجتدى * والمنعم بن المنتقم
أسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم

قال وكان البحتري من أبغض الناس انشادا يتشادق و يتزاور في مشيته مرة جانبا ومرة القهقرى ويهز رأسه مرة ومنكبه أخرى ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين فيقول مالكم لا تقولون لي أحسنت هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علي فقال أما تسمع ما يقول يا صيمري فقلت بلى يا سيدي فمرني فيه بما أحببت فقال بحياتي أهجه على هذا الروي الذي أنشدنيه فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول فدعا بدواة وقرطاس وحضرني على البديهة

أدخلت رأسك في الحرم * وعلمت انك تنهزم
يا بحتري حذار ويـ * ـحك من قضاقضة ضغم
فلقد أسلت بوالديـ * ـك من الهجا سيل العرم
فبأي عرض تعتصم * وبهتكه جف القلم
والله حلفة صادق * وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الاما * م ابن الامام المعتصم
لأصيرنك شهرة * بين المسيل الى العلم

في أبيات أخر من هذا النمط قال فخرج مغضبا يعدو وجعلت أصيح به

أدخلت رأسك في الحرم * وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك ويصفق بيديه حتى غاب عنه وأمر لي بالصلة التي أعدت للبحتري وقال أحمد بن يزيد حدثني أبي قال جاءني البحتري فقال لي يا أبا خالد أنت عشيري وابن عمي وصديقي وقد رأيت ما جرى علي أفترى أني أخرج الى منبج بغير اذن فقد ضاع العلم وهلك الادب فقلت له لا تفعل من هذا شيأ فان للملوك أن تمزح بأكثر من هذا ومضيت معه الى الفتح بن خاقان فشكا اليه ذلك فقال له نحوا من قولي ووصله

سيدتي السلام وتقول من أجاز هذا البيت منكم فله مائة دينار فقالوا وما هو فأنشد

أنيلي نوالا وجودي لنا * فقد بلغت نفسي الترقوه

فبدرهم مسلم بن الوليد الصريع فقال

واني كالدلو في حبكم * هويت اذا انقطعت عرقوه

فخرجت له المائة دينار (وروى) محمد بن حسن الحاتمي عن أبي العيناء عن العتبي قال دخل يحيى بن خالد بستان داره ومعه جاريته دنانير فرأى بهجة الورد على شجره فقال أجيزي

الورد أحسن منظرا * فتمتعوا بالحظ منه

(فقالت مسرعة)

فاذا انقضت أيامه * ورد الخدود ينوب عنه

فاستحسن ذلك منها وأمر لها بمال جزيل بعد أن قبل خدها (وروى) الحسن ابن الضحاك قال كنت أمشي مع أبي العتاهية فمررنا بقبرة فاذا امرأة تبكي ولدا لها فقال أبو العتاهية

فما تنفك باكية بعين * غزير دمعها كدحشاها

أجز يا حسن فقلت

تنادي حفرة أعيت جوابا * فقد ولهت وصم بها صداها

(وروى) أن أبا نواس دخل على عنان جارية الناطفي في بعض أيام الربيع فقال أجيزي

وخلع عليه وسكن منه فسكن الى ذلك وقد ذكرت بحال البحترى فى انشاده فصلا ذكره الصاحب بن عباد فى وصف أبى الحسن المنجم الشاعر فأحببت اثباته وهو لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمرى يرثيه

يا وحشة الدنيا على جعفر * على الهمام الملك الازهر
على قتيل من بنى هاشم * بين سرير الملك والمنبر
والله رب البيت والمشعر * والله لو أن قتل البحترى
لثار بالشام له ثائر * فى ألف بغل من بنى عصفر
يقدمهم كل أخى ذلة * على حمار دبر أعور

فشاعت الابيات حتى بلغت البحترى فضحك ثم قال هذا الاحمق الاعور يرى انى أجيبه عن مثل هذا ولو عاش امرؤ القيس فقال مثل هذا القول لم أجبه وقال أبو العباس بن طومار كنت أنادم المتوكل ومعنا البحترى و بين يديه غلام اسمه راح حسن الوجه فقال المتوكل يا فتح ان البحترى يعشق راحا فانظر اليه الفتح وأدمن النظر فلم يره ينظر اليه فقال الفتح يا أمير المؤمنين أرى البحترى فى شغل عنه فقال ذلك دليل عليه يا راح خذ قدحا بلورا واملأه شرابا وناوله اياه فلما ناوله بهت البحترى ينظر اليه فقال المتوكل كيف ترى ثم قال يا بحترى قل فى راح شعرا ولا تصرح باسمه فقال

جاز بالود فتى أمسى رهينا بك مدنف * اسم من أهواه فى شعرى مقلوب مصحف

وقال الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول لولم يكن للبحترى الا قصيدته السينية فى وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها وقصيدته فى وصف البركة لكان أشعر الناس فى زمانه والقصيدة السينية أولها

صنت نفسى عما يدنس نفسى * وترفعت عن جدا كل جبس

الى أن قال فيها

وكأن الايوان من عجب الصنعة جوب فى جنب أرعن جلس
يتظنى من الكآبة أن يبدو لعينى مصبح أو ممسى
مزعجا بالفراق عن انس الف * عز أو مرهقا بتطليق عرس
عكست حظه الليالى وبات المشترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدى تجلدا وعليه * كلكل من كلاكل الدهر مرسى
لم يعبه أن بز من بسط الديباج واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات * رفعت فى رؤس رضوى وقدس
ليس ندرى أصنع انس لجن * سكنوه أم صنع جن لانس
غير أنى أراه يشهد أن لم * يك بانيه فى الملوك بنكس

(وحدث) الاخفش قال سألنى القاسم بن عبيد الله عن خبر البحترى وقد كان اسكت ومات بتلك العلة فأخبرته بوفاته وانه مات بالسكتة فقال ويحه رمى فى أحسنه * وقد جمع الصولى ديوانه ورتبه على الحروف وجمعه ابن حمزة ورتبه على الانواع وقد جمع البحترى كتاب الحماسة كما فعل أبو تمام وله كتاب معانى الشعر وعاش ثمانين سنة وانتقل فى آخر عمره الى الشأم وتوفى بمنبج سنة ثلاث وقيل سنة أربع وقيل خمس وثمانين ومائتين رحمه الله تعالى

(ولو شئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع)

البيت للخزيمى من قصيدة من الطويل يرثى بها أبا الهيذام وأولها

قضى وطرا منك الحبيب المودع * وحل الذى لا يستطاع فيدفع

الى أن قال فيها

وأعددته ذخرا لكل ملمة * وسهم الرزايا بالذخائر مولع
وانى وان أظهرت منى جلادة * وصانعت أعدائى عليه لموجع

كل يوم عن اقحوان جديد
تضحك الارض من بكاء السماء

(فقالت مسرعة)

فهو كالوشى من ثياب عروس
جلبتها التجار من صنعاء

(قال على بن ظافر) والبيت الاول أظنه لابن مطير من قصيدة الا أنه منسوب فى الموضع الذى نقلت منه الى أبى نواس فأوردته كما وجدته (وروى) أنه دخل عليها يوما وهى تبكى وقد كان مولاها ضربها فقال

بكت عنان فجرى دمعها
كاللؤلؤ ينسل من خيطه

(فقالت)

فليت من يضربها ظالما
تجف يمناه على سوطه

(وقد روى) أبو الفرج الاصبهانى هذه الحكاية عن مروان بن أبى حفصة وانه الذى استجازها البيت الاول (وروى) محمد بن الاشعث قال قال دعبل بن على الخزاعى مررت أنا ورزين العروضى بقوم من بنى مخزوم فلم يقرونا فقلت فيهم

عصابة من بنى مخزوم بت بهم
بحيث لا تطمع المسحاة فى الطين

ثم قلت لرزين أجز فقال

فى مضمغ أعراضهم من خبزهم عوض
بنو النفاق وآباء الملاعين

قال ابن الاشعث وكان هذا أقوى الاسباب فى مهاجاته

ملكت دموع العين حتى رددتها * الى ناظرى اذا عين القلب تدمع

و بعده البيت والساحة الفضاء بين الدور (والشاهد فيه) ذكر المفعول وهو دما لكون تعلق فعل المشيئة به غريبا وقد تفنن الشعراء فى بكاء الدم وتشعبت مسالكهم فى ايراده فمن ذلك قول أبى القاسم بن كيكس

بكيت دما حتى بقيت بلا دم * بكاء فتى فرد على سكن فرد
أأبكى الذى أهواه بالدمع وحده * لقد جل قدر الدمع فيه اذا عندى

﴿وقول الشريف الرضى﴾

و يوم وقفنا للوداع فكلنا * يعد مطيع الشوق من كان أحزما
فصرت بقلب لا يعنف فى الهوى * وعين متى استمطرتها أمطرت دما

﴿ومثله قول مهيار الديلمى﴾

بكيت على الوادى فحرمت ماءه * وكيف يحل الماء أكثره دم

﴿وقول أبى الحسين الباخرزى﴾

عجبت من دمعتى وعينى * من قبل بين و بعد بين
قد كان عينى بغير دمع * فصار دمعى بغير عين

ومثله قول مؤلفه فى مطلع قصيدة

أوّاه من دمع بلا عين * يجرى على الخدين من عينى

وما أحسن قول بعضهم

ولما التقينا للوداع عشية * وقد راعها صبرى لدى موقف البين
أتت بصحاح الجوهرى دموعها * فعارضت من دمعى بمختصر العين

ولابى الفتح البكتمرى قالوا بكيت دما فقلت محت مسعت من خدّى خلوقا

أبصرت لؤلؤ ثغره * فنثرت من جفنى عقيقا
لولا التمسك بالهوى * لحلت من دمعى غريقا

ولابن حمديس غشيت بحرها دموعى حمرا * وهى من لوعة الهوى تتحدّر

فاتروت بالشهيق خوفا وظنت * حب رمان صدرها قد تنثر
قلت عند اختبارها بيديها * ثمرا صانه جيب مزرّر
لم يكن ما ظننت حقا ولكن * صبغة الوجد صبغ دمعى أحمر

وهو ينظر الى قول المنازى يصف واديا

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظما زلالا * أرق من المدامة للنديم
يصدّ الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها و يأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

أردت البيت الاخير وقد قلب الشيخ بدر الدين بن الصاحب غالب هذه الابيات هجوا فى حمام فقال

وحمام قليل الماء داج * وفيه ألف شيطان رجيم * ولا غير المزاحم من رفيق
ولا غير المدافع من حميم * طلبنا ماءه فحنا علينا * حنوّ المرضعات على الفطيم
ونقطنا برشح بعد رشح * كمص من أباريق النديم * يصدّ الحر عنا فى شتاء
فيحجبه و يأذن للنسيم * يروع بهوله من حل فيه * فيحسب انه هول الجحيم

رجع الى وصف الدمع ولابى بكر الخالدى فيه

لابى سعيد المخزومى (و روى) لنا أن العباس بن الاحنف دخل على الذلفاء جارية ابن طرخان فقال لها أجيزى

أهدى له أحبابه اترجة * فبكى وأشفق من عيافة زاجر

(فقالت ارتجالا)

خاف التلون فى الوداد لانها * لونان باطنها خلاف الظاهر

فخرج استحسانا وحلف لها وكانت تعززه ان ادعته ما دخل دارها فتركته له فاستلحقه (وذكر) ابن القمى فى كتاب النباهة قال دخل أبو السمراء على نخاس فسمع بكاء من داخل البيت وقائلة

وكنا كزوج من قطا فى مفازة * لدى خفض عيش مونق مغجب رغد
أصابهما ريب الزمان فأفردا * ولم تر شيأ أقط أوحش من فرد

فقال للنخاس أخرجها فقال ان صاحبها مات وهى شعثة مغبرة قال فخرجت فقال لها قولى فى معنى هذا قالت أى معنى قال فى معنى هذين البيتين اللذين تمثلت بهما فقالت

وكنا كغصنى بانة وسط روضة * نشم جنى الجنات فى عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع * فيا فردة باتت تحن الى فرد

فكتب الى عبد الله بن طاهر يخبرها فكتب ان أجازت هذا البيت فاشترها وهو

بكى الى غداة البين حين رأى * دمعي يفيض وحالي حال مبهوت
فدمعتي ذوب ياقوت على ذهب * ودمعه ذوب در فوق ياقوت

وللواوا الدمشقي في معناه

كل دمع فبالتكلف يجري * غير دمع المحب والمهجور
ورد البين دمع عيني فأضحى * كعقيق أذيب في بلور

وله أيضا في مثل ذلك

فامزج بمائك نار كأسك واسقني * فلقد مزجت مدامعي بدمائي

ولابن نباتة المصري

يا غزال الأرنا وغصنا تثنى * وهلالا سما وصبحا أنارا
كان دمعي على هواك لجينا * فأحالته نار قلبي نضارا

وما أبدع قوله بعده مع حسن التضمين

حلية لا أعيرها بحب * شغل الحلي أهله أن يعارا

ولابن قلاقس

مضى معهم قلبي فلله دره * لقد سرني اذ مر مع من يسره
وأطول من هجر الحبيب وصبوتي * ويوم النوى ليلي وهمي وشعره
وليس دما ماء الجفون وانما * فؤادي بماء الدمع قد ذاب جمره

وما أحسن قول أسعد بن ابراهيم بن أسعد بن بليطة

ظلت به والدموع جارية * أقبل الخد منه واللبتا
تقطر درا حتى اذا وردت * روضة خديه عدن ياقوتا

وقوله أيضا

ليس ليوم البين عندي سوى * مدامع تجيعها سكب
كأنما فض بأجفانها * رمانة فانتثر الحب

وللطوعي أيضا

لما استقلت بهم عير النوى أصلا * وشتتهم صروف البين تشتيتا
جعلت أنظم في وصف النوى دررا * والعين تنثر من دمعي يواقيتا

وما أحسن قول المسعودي

قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي * فالعينك جادت * بعد الدماء بماء
فقلت ماذاك مني * لسلوة وعزاء * لكن دموعي شابت * من طول عمر بكائي

وهو يشبه قول القائل أيضا

قالوا ودمعي قد صفا لفراقهم * انا عهدنا منك دمعا أحمرا
فأجبتهم ان الصبابة عمرت * فيكم وشاب الدمع لما عمرا

وأحسن منه قول الآخر

وقائلة ما بال دمعك أبيضا * فقلت لها يا مي هذا الذي بقي
ألم تعلمي أن النوى طال عمره * فشابت دموعي مثل ما شاب مفرقي

ومثله أيضا قول ابن الغويرة

كانت دموعي حمرا قبل بينهم * فمذ نأوا قصرتها لوعة الحرق
قطفت للحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البعد ماء الورد من حدقي

ومثله قول محمد بن هبة الله الشهير بأبي دلف الكاتب ويروى لعبد الكافي اليهودي الهاروني

يامن يقرب وصلي منه موعده * لولا عوائق من خلف تباعده
لا تحسبن دموعي البيض غير دمي * وانما نفسي الحامي يصعده

وقول أبي القاسم بن العطار بديع وهو

هذا
بعيد وصل بديع صد
جعلته في الهوى ملاذا
(فقالت مسرعة)
فعاتبوه فزاد شوقا
فمات عشقا فكان ماذا
فاشتراها أبو السمراء فماتت من الغد (وروى) ابراهيم ابن محمد اليزيدي قال كنت عند المأمون يوما وبحضرته غريب فقال لي على سبيل الولع والعبث يا سعاوس وكانت جواري المأمون يلقبني بها عبثا فقلت

قل لغريب لا تكوني مسعلسه
وكوني كتتريف وكوني كونسه

قال فبدرني المأمون فارتجل

فان كثرت منك الاقاويل لم يكن
هنالك شك أن ذا منك وسوسه

فقلت له كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول وعجبت من ذهن المأمون وجودة طبعه (وأنبأنا الفقيه) أبو محمد عبد الخالق المسكي عن السلفي قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن السراج اللغوي وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله ابن سعيد السجستاني الحافظ قال أخبرنا أبو يعقوب النجيرمي حدثنا ابن سيف قال حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي أبي أحمد بن محمد اليزيدي قال واللفظ من رواية أخرى

ماأدمعي تنهل نصائحا * هي مهجتي سالت من الآماق

وهذا الباب واسع جدا وفيما أوردناه مقنع (وأبو الهيذام المرثي هنا) هو عامر بن عمارة بن خزيم وهو والد المحدث موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم وراوي كتبه وكان أمير عرب الشام وزعيم قيس وفارسها المشهور وهو قائد العرب المضرية في الفتنة العظمى الكائنة بدمشق بين القيسية واليمانية في دولة الرشيد وهي التي من أجلها قال الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي ليس لهذا الامر الا أنا وأنت فاما أن تتوجه أو أتوجه أنا فمضى جعفر الى الشام وأخمد الفتن وكان قد خرج على الرشيد لكونه قتل أخاه فظفر به وحمل اليه مقيدا فلما مثل بين يديه أنشده أبياتا يستعطفه بها منها

فأحسن أمير المؤمنين فانه * أبى الله الا أن يكون لك الفضل

فمن عليه وعفا عنه ومن شعره في أخيه

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا * فان بها مايطلب الماجد الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة * يعصرها في جفن مقلته عصرا
وانا أناس ماتفيض دموعنا * على هالك منا وان قصم الظهرا

وقيل انه توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة (والخزيمي) هو اسحق بن حسان ويكنى بأبي يعقوب وهو من العجم وكان مولى ابن خزيم الذي يقال لابيه خزيم الناعم وهو خزيم بن عمرو من بني مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان وكان لخزيم ابن يقال له عمارة ولعمارة ابنان يقال لهما عثمان وأبو الهيذام وفي عثمان هذا يقول الخزيمي

جزى الله عثمان الخزيمي خيرما * جزى صاحبا جزل المواهب مفضلا
كفى جفوة الاخوان طول حياته * وأورث مما كان أعطى وأخولا

وكان عظيم القدر وأحد القواد وعمي الخزيمي بعد ما أسن وكان يقول في ذلك فمنه قوله

فان تك عيني خبا نورها * فكم قبلها نور عيني خبا * فلم يعم قلبي ولكنما
أرى نور عيني اليه سرى * فأسرج فيه الى نوره * سراجا من العلم يشفي العمى

وأخذ هذا من قول حبر الامة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عمي فقال

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وكان أبو يعقوب الخزيمي متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة وله فيه مدائح جياد ثم رثاه بعد موته فقيل له ياأبا يعقوب مراثيك لآل منصور بن زياد أحسن من مدائحك وأجود فقال كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن الآن نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد وهو القائل في عمى عينيه

أصغي الى قائدي ليخبرني * اذا التقينا عمن يحييني * أريد أن أعدل السلام وان
أفصل بين الشريف والدون * أسمع مالا أرى فأكره أن * أخطئ والسمع غير مأمون
لله عيني التي فجعت بها * لو أن دهرا بها يواتيني * لو كنت خيرت ما أخذت بها
تعمير نوح في ملك قارون * حتى أخلاي أن يعودوني * وأن يعزوا عيني ويبكوني

وهو القائل أيضا

اذا مامات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب
يمنيني الطبيب شفاء عيني * وهل غير الاله لها طبيب

ومن جيد شعره قوله

الناس أحلامهم شتى وان جبلوا * على تشابه أرواح وأجساد * للخير والشر أهل وكلوا بهما
كل له من دواعي نفسه هادي * منهم خليل صفاء ذو محافظة * أرسى الوفاء أواخيه بأوتاد
ومشعر الغدر محني أضالعه * على سريرة غمر غلها بادي * مشاكس خدع جم غوائله
يبدي الصفاء ويخفي ضربة الهادي * يأتيك بالبغي في أهل الصفاء ولا * ينفك يسعى باصلاح لافساد

قريب من لفظ هذا الاسناد قال دعا المعتصم أخاه المأمون ذات يوم الى داره فأتاه فأجلسه في بيت على سقفه جامات فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم وكان أحسن تركي على وجه الارض وكان المعتصم أوجد خلق الله به فصاح المأمون لاحمد بن محمد اليزيدي فقال انظر ويلك الى ضوء الشمس على وجه سيما أرأيت أحسن من هذا قط وقد قلت

قد طلعت شمس على شمس
فزالت الوحشة بالانس

فأجز فقال أحمد

قد كنت أشنى الشمس من قبل ذا
فصرت أرتاح الى الشمس

ففطن المعتصم فعض شفته لاحمد فقال أحمد للمأمون والله ياأمير المؤمنين ان لم يعلم الامير حقيقة الامر منك لا قتلني معه فيما أكره فدعاه المأمون فأخبره الخبر فضحك المعتصم فقال له المأمون كثر الله ياأخي في غلمانك مثله انما استحسنت شيأ يجري ماسمعت لاغير * وقد وقعت لنا هذه الحكاية باسناد أخصر من هذا عن ابن سيف هو مذكور في اجازة قسيم بقسيم (وحكى) صاحب كتاب المقتبس أن الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام صاحب الاندلس خرج في بعض

ومن جيد شعره أيضا قوله

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وهو القائل

وان أشد الناس في الحشر حسرة * لمورث مال غيره وهو كاسبه
كفى سفها بالكهل أن يتبع الصبا * وأن يأتي الامر الذي هو عائبه

وهو القائل أيضا

ما أحسن الغيرة في حينها * وأقبح الغيرة في كل حين
من لم يزل متهما عرسه * مناصبا فيها لريب الظنون
أوشك أن يغريها بالذي * يخاف أن يبرزها للعيون
حسبك من تحصينها وضعها * منك الى عرض صحيح ودين
لا تطلع منك على ريبة * فيتبع المقرون حبل القرين

(ولم يبق مني الشوق غير تفكري * فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا)

البيت لابي الحسن علي بن أحمد الجوهري من قصيدة من الطويل والشوق نزاع النفس وحركة الهوى (والشاهد فيه) أن عدم حذف المفعول فيه لانتفاء القرينة لا لغرابة المفعول لان المراد بالبكاء الاول في البيت البكاء الحقيقي لا التفكري فكأنه يقول أفناني الشوق فلم يبق مني غير التفكر فلو شئت البكاء وعصرت عيني ليسيل دمعها لم يخرج منها دمع وخرج بدله التفكر فالبكاء الذي أراد ايقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير معدى الى الفكر البتة والبكاء الثاني مقيد معدى الى التفكر فلا يصلح تفسيرا للاول وبيانا كذا قاله التفتازاني نقلا عن دلائل الاعجاز (والجوهري) هو ٣ بياض بالاصل

(وكم ذدت عني من تحامل حادث * وسورة أيام حززن الى العظم)

البيت للبحتري من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا الصقر وأولها

أعن سفه يوم الابيرق أم حلم * وقوف بربع أو بكاء على رسم
وما يعذر الموسوم بالشيب أن يرى * معار لباس للتصابي ولا وسم
تخبر أيامي الحديثات انني * تركت السرور وعند أيامي القدم
وأولعت بالكتمان حتى كأنني * طويت على ضغن من الدين أو وغم
فان تلقني نضو العظام فانها * جريرة قلبي منذ كنت على جسمي

وهي طويلة فمنها في المدح

كأنك من جذم من الناس مفرد * وسائر من يأتي الدنيات من جذم
كأن عدوا ملتقى ما تقاربت * بنا الدار الا ازدغرمك في غمي

وبعده البيت وبعده

أحارب قوما لا أسر بسوءهم * ولكنني أرمي من الناس من ترمي

والذود الطرد والدفع والتحامل تكليف الامر المشق يقال تحامل على فلان اذا كلفه ما لا يطاق وسورة الايام شدتها وصولتها واعتداؤها والحز القطع (والشاهد فيه) حذف المفعول لدفع توهم ارادة غير المراد من الكلام ابتداء وهو هنا اللحم اذ لو ذكر لتوهم قبل ذكر العظم أن الحز لم ينته اليه فترك دفعا لهذا الوهم وتقدم ذكر البحتري قريبا

(قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ * دد والمجد والمكارم مثلا)

البيت للبحتري من قصيدة من الخفيف يمدح بها المعتز بالله وأولها

أن سير الخليط حين استقلا * كان عونا للدمع لما استهلا
فالنوى خطة من الهجر ما ينـ * فك يشجى بها المحب ويبلى

أسفاره فطرقه خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله وكانت أعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه لا يزال كلفا بها هائما بحبها فانتبه وهو يقول

شاقك من قرطبة الساري * في الليل لم يدر به الداري

ثم انتبه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار خيالي ظلام الدجى * أحبب به من زائر ساري

(وذكر) الصولي في كتاب الاوراق برواية تنتهي الى جعفر بن محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال دخلت على المتوكل على الله لما توفيت أمه معزيا فقال يا جعفر اني ربما قلت البيت الواحد فاذا جاوزته توقفت وقد قلت

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسي بالنبي محمد

قال فأجازه بعض من حضر المجلس فقال

وقلنا لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت في يومه مات في غد

قال الصولي فظننا أن جعفر ابن محمد بن عبد الواحد قائل البيت (قال) مروان بن الجنوب دخلت على المتوكل فرمى الي برقعة فيها بيت شعر وهو

أدرت الهوى حتى اذا صار كالرحى * جعلت محل القلب في موضع القلب

وتحت البيت أجز يا مروان فكتبت تحته

فأقلا فى غلوة اللوم انى * زائد فى الغرام ان لم تقلا

وهى طويلة فنها فى المديح لم يزل حقك المقدم يعو * باطل المستعار حتى اضمحلا

وبعده البيت وبعده أنت أندى كفا وأشرف أخلا * قا وأزكى قولا وأكرم فعلا

يعرض بذم المستعين والسؤدد بالهمز السيادة والمجد نيل الشرف والكرم أولا يكون الا بالآباء والمكارم فعل الكرم والمثل الشبه (والشاهد فيه) حذف المفعول لارادة ذكره ثانيا على وجه يتضمن ايقاع الفعل على صريح لفظ المفعول اظهارا لكمال العناية بوقوع الفعل عليه وترفعا عن ايقاعه على ضميره وان كان كناية عنه لانه لو قال قد طلبنا لك مثلا لناسب أن يقول فلم نجده وفيه تفويت غرض ايقاع نفى الوجدان على صريح لفظ المثل لكمال العناية بعدم وجدانه ولهذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة فى قوله

ولم أمدح لأرضيه بشعرى * لئيما أن يكون أصاب مالا

فانه أعمل الفعل الاول الذى هو أمدح فى صريح لفظ اللئيم لا الثانى الذى هو أرضى اذ كان غرضه ايقاع نفى المدح على اللئيم صريحا دون الارضاء ويجوز أن يكون سبب حذف المفعول ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له مبالغة فى التأدب اذ التصريح بطلب المثل يجوز وجوده لان طلب العاقل مبنى عليه

شواهد القصر

(أنا الذائد الحامى الذمار وانما * يدافع عن احسابهم انا أو مثلى)

البيت للفرزدق من قصيدة من الطويل وسببها أن نساء بنى مجاشع بلغهن فحش جرير بهن فأتين الفرزدق وهو مقيد وقد تقدم فى ترجمته أنه قيد نفسه لحفظ القرآن فقلن قبح الله قيدك وقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم فاحفظنه ففك القيد وقال

ألا استهزأت منى سويدة اذ رأت * أسيرا يدانى خطوه حلق الحجل

ولو علمت أن الوثاق أشده * الى النار قالت لى مقالة ذى عقل

لعمرى لئن قيدت نفسى لطالما * سعيت وأوضعت المطية فى الجهل

ثلاثين عاما ما أرى من عماية * اذا برقت الا أشد لها رحلى

أتتنى أحاديث البعيث ودونه * زرود فشامات العقيق من الرمل

فقلت أظن ابن الخبيثة أننى * غفلت عن الرامى الكنانة بالنبل

فان يك قيدى كان نذرا نذرته * فمالى عن أحساب قومى من شغل

وبعده البيت وبعده

ولو ضاع ما قالوا ارع منا وجدتهم * شحاحا على الغالى من الحسب الجزل

وهى طويلة والذمار بكسر المعجمة ما يلزمك حفظه وحمايته والاحساب جمع حسب وهو ما يعد من مفاخر الآباء أو هو المال أو الدين أو الكرم أو الشرف فى الفعل أو الشرف الثابت فى الآباء وقد يكون الحسب والكرم لمن لا آباء له شرفاء بخلاف المجد كما تقدم ومثل قول الفرزدق قول عمرو بن معدى كرب

قد علمت سلمى وجاراتها * ما قطر الفارس الا أنا

(والشاهد فيه) صحة انفصال الضمير مع انما الا أنه لما كان غرضه أن يخص المدافع لا المدافع عنه فصل الضمير وهو أنا وأخره اذ لو قال وانما أدافع عن أحسابهم لصارت المدافعة مقصورة على أحسابهم دون غيرها وليس هذا معناه بل معناه أن المدافع عن أحسابهم هو لا غيره

شواهد الانشاء

(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى)

قائله امرؤ القيس بن حجر الكندى من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة وقبله

فلما جعلت القلب تحت رحى الهوى
ندمت وصار القلب فى موضع صعب

(وذكر) يزيد بن محمد المهلبى قال كان ابن المعتز شرب يوما فى بستان مملوء بالنمام وشقائق النعمان فدخل عليه يونس بن بغا وعليه قباء أخضر فقال ابن المعتز لما رآه ارتجالا

شبهت حمرة خده فى ثوبه
بشقائق النعمان فى النمام

ثم قال أجيزوا فبدر بنان المغنى وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت فقال

والقد منه وقد بدا فى قرطق
بالغصن فى لين وحسن قوام

فطرب ابن المعتز وقال له غن فيه الآن فصنع فيه لحنا (وذكر) عبد الله بن أحمد ابن أبى طاهر فى تاريخه قال حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم قال صرت الى أبى زيد عمر بن شبة فقال لى قد قلت بيتا تعذر على ثان له فأحب أن تجيزه فقلت وما هو فقال

كبرت وغالتنى خطوب تتابعت
ومن يصحب الايام لا بد يهرم

(فقلت)

ومن يصحب الايام تنقص خطوبها
قواه ويجهل بعض ما كان يعلم

فأعجب به وحدث الناس عا بيتنا فكتبوه عنه (وأنبأنى) الفقيه النبيه أبو الحسن

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

والاصباح الصبح وهو الفجر أو أول النهار والانجلاء الانكشاف ومعناه انه تمنى زوال ظلام الليل بضياء الصبح ثم قال وليس الصبح بأمثل منك عندي لاستوائهما في مقاساة الهموم أو لان نهاره يظلم في عينه لتوارد الهموم فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل لانه لا يقدر عليه لكنه يتمناه تخلصا عما يعرض له فيه ولاستطالته تلك الليلة كأنه لا يرتقب انجلاءها ولا يتوقعه فلهذا يحمل على التمني دون الترجي (والشاهد فيه) استعمال صيغة الامر للتمني وقد أخذ الطرماح هذا البيت وغير قافيته فقال

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح * بيوم وما الاصباح منك بأروح

وما أحسن قول أبي العلاء المعري في طول الليل

وليلين حال بالكواكب جوزه * وآخر من حلى الكواكب عاطل * كأن دجاه الهجر والفجر موعد بوصل وضوء الصبح حب مماطل * قطعت به بحرا يعب عبابه * وليس له الا التبلج ساحل

وللوأواء الدمشقي فيه أيضا

أطال ليل الصدود حتى * أيست من غرة الصباح كأنه اذ دجا غراب * قد حضن الارض بالجناح

وما أحسن قول الخطيري

شابت ذوائب صبري يا معذبتي * في ليلتي وعذار الليل لم يشب
ودون صبحي ستر من زمردة * مسمر بمسامير من الذهب

ولبعضهم فيه من قصيدة وأحسن ما شاء

تراه كملك الزنج من فرط كفره * اذا رام مشيا في تبختره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد علق الجوزاء في أذنه قرطا

ولشرف الدين بن منقذ فيه أيضا

ولرب ليل تاه فيه نجمه * فقطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فأجابني * لو كان في قيد الحياة تنفسا

ومثله قول الآخر

مات الصباح بليل * أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * بعيش كان تنفس

ولابن منقذ أيضا

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافرا * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

وللوأواء الدمشقي

وليل مثل يوم البين طولا * اذا أفلت كواكبه تعوذ
بدائع نومها فيه انتباه * فأعينها مفتحة رقود

وله أيضا

وليل مثل يوم الحشر طولا * كأن ظلامه لون الصدود
بياض هلاله فيه سواد * كأثر اللطم في يقق الخدود

وما أحسن اعتذار الارجاني عن طول الليل

لا أدعي جور الزمان ولا أرى * ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفسي * للهم أصدأ وجهها المصقولا

وقد أخذه من قول علي بن هشام

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تغور

ابن المقدسي عن أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد السرقسطي عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر ابن عبد الله الحميدي قال حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الاعلى بن هاشم القاضي المعروف بابن الغليظ أن صهيب بن منيع قال على ابن ظافر وكان قاضيا ببعض بلاد الاندلس ومات بها في أيام الناصر عبد الرحمن سنة ثمان وعشرين وثلثمائة كان نقش خاتمه

يا عليما كل غيب
كن رؤفا بصهيب

وانه كان يشرب النبيذ لعله كان يذهب مذهب أهل العراق فشرب مرة عند الحاجب موسى ابن جدير وكان من عظماء الدولة الاموية فسكر ونام فأمر موسى باختلاس خاتمه وأحضر نقاشا فنقش تحت البيت المذكور

واستر العيب عليه
ان فيه كل عيب

ورد الخاتم عليه وختم به زمانا حتى فطن له (وأنبأني) الشيخان الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي والفقيه جمال الدين بن الحرستاني عن الشيخ الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر سماعا أخبرنا أبو النجم بدر الدين عبد الله السنجي أخبرنا أبو بكر

ليلى كما شاءت فان لم تجد * طال وان جادت فليلى قصير

وهو من قول علي بن الخليل

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تزول

ليلى كما شاءت قصيرا اذا * جادت فان صدت فليلى يطول

وأورد ابن الصولي لابن الخليل أيضا قوله

يقولون طال الليل والليل لم يطل * ولكن من يهوى من الشوق يسهر

أنام اذا ما الليل مهد مضجعي * وأفقد نومي حين أجفى وأهجر

فكم ليلة طالت على لصدها * وأخرى ألاقيها بوصل فتقصر

وفي معناه قول الاديب الحراني

جاءت تسائل عن ليلي فقلت لها * وسورة الهم تمحو سيرة الجذل

ليلي بكفيك فاغني عن سؤالك لي * ان بنت طال وان واصلت لم يطل

وقول بعض المتأخرين

ليلي وليلى نفى نومي خلافهما * حتى لقد صيراني في الهوى مثلا

يجود بالطول ليلي كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقول ابن أبي حصينة يا ليل ما طلت عما كنت أعرفه * وانما طال بي فيك الذي أجد

وما أحسن قول بعضهم فيه

سهرت ليلات وصلي فرحة بهم * وليلة الهجر كم قضيتها سهرا

اذا انقضى زماني كله سهرا * فما أبالي أطال الليل أم قصرا

﴿ومثله قول الآخر﴾

في الهجر والوصل ما تذوق كرى * عيني فما ينقضي تسهدها

فليلة الهجر لا رقاد بها * وليلة الوصل كيف أرقدها

وقول أبي الحسن البصري

ولما تعرض لي زائرا * وما كان عندي له موعد * سهرت اغتناما لليل الوصال

لعلمي به انه ينفد * فقال وقد رق لي قلبه * وأيقن اني به مكمد

اذا كنت تسهر ليل الوصال * وليل النوى فمتى ترقد

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى وفيما أوردته مقنع

﴿شواهد الوصل والفصل﴾

﴿لا والذي هو عالم أن النوى * مر وأن أبا الحسين كريم﴾

البيت لابي تمام الطائي من قصيدة من الكامل يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم وأولها

أسقى طلولهم أجش هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم

جادت معاهدهم عهاد سحابة * ما عهدها عند الديار ذميم

سفه الفراق عليك يوم تحملوا * ربما أراه وهو عنك حليم

ظلمتك ظالمة البرئ ظلوم * والظلم من ذي قدرة مذموم

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا * منها طلول باللوى ورسوم

لا والذي هو عالم البيت وبعده

ما حلت عن سنن الوفاء ولا غدت * نفسي على الف سواك تحوم

الحبيب أنبأنا علي بن أبي علي المعدل حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن أبي بكر المحرف العلاف الشاعر وكان أحد ندماء المعتضد قال كنت ليلة في دار المعتضد وقد أطلنا الجلوس بحضرته ثم نهضنا الى مجلسنا في حجرة كانت مرسومة بالندماء فلما أخذنا مضاجعنا وهدأت العيون أحسسنا بفتح الابواب وتفتيح الاقفال بسرعة فارتاعت الجماعة لذلك وجلسنا في فرشنا فدخل الينا خادم من خدم المعتضد فقال لنا ان أمير المؤمنين يقول لكم أرقت الليلة بعد انصرافكم فعملت هذا البيت

ولما انتبهنا للخيال الذي سرى * اذا الدار قفرى والمزار بعيد

وقد ارتج على تمامه فأجيزوه ومن أجازه بما يوافق غرضي أجزلت عطيته وفي الجماعة كل شاعر مجيد مذكور وأديب فاضل مشهور فأفحمت الجماعة وأطالوا الفكر فقلت مبتدرا

فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي * لعل خيالا طارقا سيعود

فرجع الخادم اليه بهذا الجواب ثم عاد فقال أمير المؤمنين يقول لك أحسنت وما قصرت وقد وقع بيتك الموقع الذي أريده وقد أمرت لك بجائزة وها هي فأخذتها فازداد غيظ الجماعة

والنوى الفراق (والشاهد فيه) أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة جامعة ولا كذلك في هذا البيت اذلا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى سواء كان نواه أو نوى غيره فهذا العطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعولي العلم لان وجود الجامع شرط فيهما ولهذا عيب على أبي تمام كما سيأتي في حسن التخلص ان شاء الله تعالى

﴿وقال رائدهم أرسوا نزاولها﴾

هو من البسيط وقائله الاخطل كذا ذكره سيبويه وليس هو في ديوانه وتمامه

وكل حتف امرئ يجري بمقدار * وبعده

اما نموت كراما أو نفوز بها * فواحد الدهر من كد وأسفار

والرائد المرسل في طلب الكلا وأرسوا بقطع الهمزة من رست السفينة ترسو رسوا ورسوّا اذا وقفت على الانجر معرب لنكر وهو مرساة السفينة وهي خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة اذا رست رست السفينة أو هو من رست أقدامهم في الحرب أي ثبتت ونزاولها من المزاولة وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشئ والضمير للسفينة وقيل للحرب وقيل للخمر وهو لا يناسب ظاهر البيت الذي بعده (والشاهد في قوله نزاولها) فانه فصله عن قوله أرسوا لان الاول أمر والثاني خبر فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبرا وطلبا لفظا ومعنى ومن هذا الضرب قول اليزيدي أو ابراهيم المدايني

ملكته حبلي ولكنه * ألقاه من زهد على غارب وقال اني في الهوى كاذب * انتقم الله من الكاذب

وحمله الشيخ عبد القاهر على الاستئناف بتقدير قلت قال الشيرازي وهو أنسب بالمقام (والاخطل) هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة ينتهي نسبه لتغلب ويكنى أبا مالك والاخطل لقبه عن أبي عبيدة أن السبب فيه انه هجا رجلا من قومه فقال له ياغلام انك لاخطل والاخطل السفيه وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومحله في الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة جعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ولم يقع اجماع على أحدهم انه أفضلهم ولكل واحد منهم عصبة تفضله على الجماعة وقال أبو عمرو لو أدرك الاخطل يوما واحدا من الجاهلية ماقدمت عليه أحدا وقال الاصمعي انما أدرك جرير الاخطل وهو شيخ قد تحطم وكان الاخطل أسن من جرير وكان أبو عبيدة يشبه الاخطل بالنابغة لصحة شعره وكان حماد يفضل الاخطل على جرير والفرزدق فقال له الفرزدق انما تفضله لانه فاسق مثلك فقال لو فضلته بالفسق لفضلتك وقال الاخطل لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة يعني جريرا انه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) سنة فما بلغت ما أردت فقال عبد الملك أسمعناها يا أخطل فلما أنشدها قال له عبد الملك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق انك أشعر العرب قال أكتفي بقول أمير المؤمنين وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملئت له دراهم وألقيت عليه خلع وخرج به مولى لعبد الملك على الناس وهو يقول هذا شاعر أمير المؤمنين هذا أشعر العرب وأنشد لعبد الملك قول كثير فيه

فما تركوها عنوة عن مودة * ولكن بحد المشرفي استقالها

فأعجب به فقال له الاخطل ماقلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه قال وما قلت قال قلت

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا * موالي ملك لا طريف ولا غصب

جعلته لك حقا وجعله لك غصبا قال صدقت وأصبح عبد الملك يوما في غداة باردة فتمثل بقول الاخطل

اذا اصطبح الفتى منها ثلاثا * بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشية لاشك فيها * وأرخى من مآزره فضولا

ثم قال كأني أنظر اليه الساعة محلل الازار مستقبلا للشمس في حانوت من حوانيت دمشق ثم بعث رجلا يطلبه فوجده كذلك وقدم الاخطل مرة على عبد الملك بن مروان فنزل على ابن سرجون كاتبه فقال له على

منى (وقال) يزيد بن أبي اليسر الرياضي في كتابه الامثال دخل رجون القارسي على أبي وهو مريض فقال له كيف أصبحت فقال

يكاد جسمي من نحول الضنا
تحمله أنفاس عوادي

فقال رجون هل ترى أن أزيد عليه يا أبا اليسر فقال نعم فقال رجون

لم يبق الا الروح في مهجة
يروح أو يغدو بها الغادي

(أنبأني) القاضي الفقيه الامام نبيه الدين أبو الحسن ابن علي بن المفضل المقدسي رحمه الله قال أخبرني الشيخ الفقيه أبو القاسم علي بن مهدي بن قلنبا الاسكندري قال أخبرنا أبو الحسن علي ابن عبد الجبار بن سلامة الهذلي قال أخبرنا أبو القاسم علي بن جعفر بن علي الصقلي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي ابن الحسن التميمي قال أخبرنا أبو محمد اسمعيل بن محمد النيسابوري قال أخبرنا أبو منصور الثعالبي في كتاب اليتيمة أن الصاحب ابن عباد اتهم بعض المرد في مجلسه بسرقة بعض كتبه فقال

سرقت يا ظبي كتبي
ألحقت كتبي بقلبي

وأمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردي باجازته فقال

فلو فعلت جميلا
رددت قلبي وكتبي

وكل ما أسنده الى اليتيمة فبهذا الاسناد (وذكر)

من نزلت فأخبره فقال له قاتلك الله ما أخبرك بصالح المنازل فما تريد أن ننزلك قال في درمك من درمككم هذا ولحم وخمر من بيت رأس فضحك عبد الملك وقال ويلك وعلى أي شيء اقتتلنا الا على هذا ثم قال له ألا تسلم فنفرض لك ألفين في عطائك وتوصل بعشرة آلاف درهم قال فكيف بالخمر قال وما تصنع بها وان أولها لمر وان آخرها السكر قال أما ان قلت ذلك فان بينهما المنزلة ما ملكك فيها الا كلعقة من ماء الفرات بالاصبع فضحك عبد الملك ثم قال ألا تزور الحجاج فانه كتب يستزيرك فقال أطائع أم كاره قال بل طائع قال ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك اني اذا لكما قال الشاعر

كمبتاع ليركبه حمارا * بغيره من الفرس الكريم

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره أن يمدح الحجاج فمدحه بقوله

صرمت حبالك زينب ورعوم * وبدا المجمجم منهما المكتوم

ووجه بالقصيدة مع ابنه اليه ودخل الاخطل على بشر بن مروان وعنده الراعي الشاعر فقال له بشر أأنت أشعر أم هذا قال أنا أشعر منه وأكرم فقال للراعي ما تقول فقال أما أشعر مني فعسى وأما أكرم مني فان كان في أمهاته من ولدت مثل الامير فنعم فلما خرج الاخطل قال له رجل أتقول لخال الامير أنا أكرم منك فقال ويحك ان أبا نسطوس قد وضع في رأسي أكؤسا لا أنا والله لا أعقل معها (وحدث) محفافة المري قال دخل الاخطل على عبد الملك فاستنشده فقال قد يبس حلقي فمر من يسقيني فقال اسقوه ماء فقال هو شراب الحمار وهو عندنا كثير قال فاسقوه لبنا قال عن اللبن فطمت قال فاسقوه عسلا قال شراب المريض قال فتريد ماذا قال خمرا يا أمير المؤمنين قال أو عهدتني أسقي الخمر لا أم لك لولا حرمتك بنا لفعلت وفعلت فخرج فلقي فراشا لعبد الملك فقال ويلك ان أمير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي فاسقني شربة خمر فسقاه رطلا فقال اعدله بآخر فسقاه رطلا آخر فقال تركتهما يعتركان في بطني فاسقني ثالثا فسقاه ثالثا فقال تركتني أمشي على واحدة اعدل ميلي برابع فسقاه رابعا فدخل على عبد الملك فأنشده

خف القطين فراحوا منك أو بكروا * فقال لا بل منك وتطير من قوله قال ومر في القصيدة حتى بلغ الى قوله

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فقال عبد الملك خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره وأحسن جائزته ثم قال ان لكل قوم شاعرا وان شاعر بني أمية الاخطل وقال أبو عبد الملك كانت بكر بن وائل اذا تشاجرت في شيء رضيت بالاخطل وكان يدخل المسجد فيقومون اليه ورأيته بالجزيرة وقد شكا الى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصيء كما يصيء الفرخ فقلت له أين هذا مما كنت فيه بالكوفة فقال يا ابن أخي اذا جاء الدين ذللنا (وحدث) اسحق بن عبد الله المطلبي قال قدمت الشام وأنا شاب مع أبي فكنت أطوف في كنائسها ومساجدها فدخلت كنيسة دمشق فاذا الاخطل فيها محبوس فسأل عني فأخبر بنسبي فقال يا فتى انك رجل شريف وأنا أسألك حاجة فقلت له حاجتك مقضية فقال ان القس قد حبسني هنا فتكلمه ليخلي عني فأتيت القس فانتسبت له فرحب بي وعظم فقلت ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك فقلت الاخطل تخلي عنه فقال أعيذك بالله من هذا فان مثلك لا يتكلم فيه فانه فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم فلم أزل أطلب اليه حتى مضى متكئا على عصاه فوقف عليه ورفع عصاه وقال له يا عدو الله أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات وهو يقول لست بعائد ولا أفعل ويستخذي له فقلت يا أبا مالك الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك في الناس رفيع وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له قال فجعل يقول لي انه الدين (وحدث) الهيثم قال كانت امرأة الاخطل حاملا وكان متمسكا بدينه فتقربه الاسقف يوما وقال لها الحقيه فتمسحي به فعدت وراءه فلم تلحق الا ذنب حماره فتمسحت به ورجعت فأخبرته فقال لها هو وذنب حماره سواء وسمع هشام الاخطل وهو يقول

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال

الرئيس هلال بن الصابي أن الصاحب بن عباد قال أرسل الي الاستاذ الرئيس أبو الفضل بن العميد يستدعيني في وقت لم تجر عادته باستدعائي في مثله فتهيأت للمضي فجاءني رسول ثان فركبت فلقيني ثالث يستحثني فارتبت وارتعت فلما دخلت عليه قال انني قلت بيتا ثم اعييت عن اتمامه وهو

وجاوا بظبي كمثل الغزال بنالك على الرسم في مثله

(فقلت في الحال)

فأدخلت بعضي في بعضه فمالت كلي في كله

فجعل يكثر التعجب مني ثم انصرفت (وأنبأنا) العماد أبو حامد الاصفهاني قال ذكر السمعاني في تاريخه قال سمعت أبا المظفر منصور ابن محمد بن سعيد بن مسعود المسعودي المروزي في مذاكرتي اياه يقول دخلت على العزيز الخشاب وشبل الدولة عنده حاضر فقال العزيز قلت اليوم بيتا وأنشده

صفو دن العمر في عصر الصبا وزمان الشيب دردي محيل

وقال لشبل الدولة أجزه فقال مبادرا

والذي يطلب صفوا بعده انما يطلب شيأ مستحيل

(أخبرني) الشيخ أبو عبد الله ابن علي الحمصي القرموني قال سمعت أبا بكر البكي الشاعر وهو بجامع عدوة القرويين بفاس يحكي لابي

فقال له هنيأ لك يا أبا مالك هذا الاسلام فقال له يا أمير المؤمنين مازلت مسلما في ديني (وحدث) أبو محمد اليزيدي قال خرج الفرزدق يوما مع بعض ملوك بني أمية فرفع له في طريقه بيت أحمر من أدم فدنا منه وسأل فقيل له الاخطل فاستقرى فقيل له انزل فقام اليه الاخطل وهو لا يعرف الا انه ضيف فجلسا يتحادثان فقال له الاخطل ممن الرجل قال من تميم قال فأنت اذن من رهط أخي الفرزدق فهل تحفظ من شعره شيأ قلت نعم كثيرا فما زالا يتناشدان ويتعجب الاخطل من حفظه شعر الفرزدق الى أن عمل فيه الشراب وقد كان الاخطل قال له قبل ذلك أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا فقال الفرزدق

خفض عليك قليلا * وهات لي من شرابك

فلما عملت الراح فيه قال والله أنا الذي أقول في جرير وأنشده فقام الاخطل وقبل رأسه وقال لا جزاك الله عني خيرا لم كتمتني نفسك منذ اليوم وأخذا في شرابهما وتناشدا الى أن قال له الاخطل والله انك واياي لأشعر من جرير ولكنه أوتي من سير الشعر مالم نؤته قلت أنا بيتا ما أعلم أحدا قال أهجى منه قلت وما هو قال الاخطل قلت قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار

فلم يروه الا حكماء أهل الشعر وقال هو

والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

فلم تبق سغلة ولا أمثالها الا رووه قال فقضوا له انه أسير شعرا منهما وعن محمد بن سلام قال قيل انه لما حضرت الاخطل الوفاة قيل له يا أبا مالك ألا توصي قال بلى ثم قال

أوصي الفرزدق عند الممات * بأم جرير وأعيارها
وزار القبور أبو مالك * برغم العداة وأوتارها

(أقول له ارحل لا تقيمن عندنا * والا فكن في السر والجهر مسلما)

البيت من الطويل ولا أعرف قائله وكذلك ذكر العيني في شواهده (ومعناه) ان لم ترحل فكن على مايكون عليه المسلم من استواء الحالين في السر والجهر (والشاهد فيه) كون الجملتين بينهما كمال الاتصال لكون الثانية أوفى بتأدية المراد من الاولى فتنزلت منزلة بدل الاشتمال فلم تعطف عليها وهما ههنا قوله ارحل وقوله لا تقيمن عندنا لان في قوله ارحل كمال اظهار الكراهة لاقامة المخاطب وقوله لا تقيمن عندنا أوفى بتأدية المراد لدلالته على اظهار الكراهة لاقامته بالمطابقة مع التأكيد الحاصل من اللفظين

(أقسم بالله أبو حفص عمر)

هو من الرجز وقائله أعرابي وبعده

مان بها من نقب ولا دبر * اغفر له اللهم ان كان فجر

يروى أن هذا الاعرابي جاء الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ان أهلي ببادية بعيدة واني على ناقة دبراء عجفاء نقباء واستحمله فظنه كاذبا فلم يحمله فانطلق الاعرابي فحمل ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول الابيات وعمر رضي الله عنه مقبل من أعلى الوادي فجعل اذا قال اغفر له اللهم ان كان فجر قال اللهم صدق حتى التقيا فأخذ بيده وقال له ضع عن راحلتك فوضع فاذا هي كما وصف فحمله على بعير وزوده وكساه والنقب رقة الاخفاف والدبر قرحة الدابة (والشاهد فيه) جعل عمر بيانا وتوضيحا لابي حفص

(وتظن سلمى انني أبغي بها * بدلا أراها في الضلال تهيم)

البيت من الكامل ولا أعرف قائله وكذلك ذكر العيني أيضا والضلال ضد الهدى (والشاهد فيه) عدم عطف الجملة الثانية لكونه موهما لعطفها على غيرها لان بين الجملتين الخبريتين وهما وتظن سلمى وأراها مناسبة ظاهرة لاتحادهما في المسند لان معنى أراها أظنها والمسند اليه في الاولى محبوب وفي الثانية محب فلو عطف أراها على تظن لتوهم انه عطف على أبغي وهو أقرب اليه فيكون من مظنونات سلمى وليس كذلك

قال

والجماعة معه قال خرجت من فاس قاصدا تلمسان فدخلت في بعض الخانات وكانت ليلة مطيرة جدا فأنزلني صاحب الخان في بيت مفرد وأوقد لي قنديلا فبينما أنا جالس واذا برجل قد فتح الباب ودخل علي وعلى وجهه سلهامة قد سترته فجلس وقد عرفني ولم أعرفه فسألته عن صناعته فقال أنا شاعر فقلت له كالمستهزئ به أجز وضربت بعيني الى شئ أصفه فلم أجد غير القنديل فقلت

وقنديل كأن الضوء فيه
محيا من أحب اذا تجلى

(فقال في الحال)

أشار الى الدجى بلسان أفعى
فشمر ذيله هربا وولى

فجننت استحسانا لما أتى فكشف السلهامة عن وجهه فاذا هو أبو العباس الجراوي الشاعر فقال كيف ترى هذا الكهن وما جاءك منه وبتنا بأطيب ليلة فلما قام الركب للسفر سار هو الى فاس وسرت أنا الى تلمسان (وأخبرني) القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله ابن سناء الملك رحمه الله قال أخبرني الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال اجتمعت في بعض الايام بأمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن صاعد قال علي بن ظافر هو المعروف بابن التلميذ وانما أمه من بنات التلميذ فعرف

(قال لي كيف أنت قلت عليل * سهر دائم وحزن طويل)

البيت من الخفيف وتقدم في شواهد المسند اليه والشاهد فيه هنا وقوع الجملة الثانية مستأنفة جوابا عن الجملة الاولى المتضمنة للسؤال عن سبب مطلق أي ما بال علتك فقال سهر وذلك لان العادة جرت بأنه اذا قيل فلان عليل أن يسأل عن سبب علته لا أن يقال هل سبب علته كذا أو كذا لا سيما السهر والحزن فانه قلما يقال هل سبب مرضه السهر والحزن لانه أبعد أسبابه فعلم أن السؤال عن السبب المطلق دون السبب الخاص وعدم التوكيد يشعر به ومثله قول أبي العلاء المعري

وقد غرضت من الدنيا فهل زمني * معط حياتي لغر بعد ما غرضا
جربت دهري وأهليه فما تركت * لي التجارب في ود امرئ غرضا

أي لم تقول هذا وما ألجأك اليه فقال جربت الخ

(زعم العواذل انني في غمرة * صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي)

البيت من الكامل ولا أعرف قائله والعواذل جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة لا امرأة عاذلة بدليل قوله صدقوا وغمرة الشيء شدته ومزدحمه (والشاهد فيه) وقوع الجملة المستأنفة جوابا للسؤال عن غير سبب مطلق أو خاص كأنه قيل أصدقوا في هذا الزعم أم كذبوا فقال صدقوا وفصله عما قبله لكونه استئنافا ومنه قول جندب بن عمار

زعم العواذل أن ناقة جندب * بجنوب خبت عريت وأجمت
كذب العواذل لو رأين مناخنا * بالقادسية قلن لج وذلت

ومثله قول لبيد

عرفت المنزل الخالي * عفا من بعد أحوال
عفاه كل هتان * عسوف الوبل هطال

وقول أبي الطيب المتنبي وما عفت الرياح لهم محلا * عفاه من حدا بهم وساقا

(زعمتم أن اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف)

البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير من الوافر يهجو بني أسد وبعده

أولئك أومنوا جوعا وخوفا * وقد جاعت بنو أسد وخافوا

والزعم ادعاء العلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم زعموا مطية الكذب وعن شريح رحمه الله لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا لكن سيبويه رحمه الله يكثر في كتابه من قول زعم الخليل لا يريد بذلك ابطال قوله وقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم

ودعوتني وزعمت انك صادق * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وقريش هي القبيلة المشهورة سموا بذلك لتجمعهم في الحرم أو لانهم كانوا يتقرشون المبايعات فيشترونها أو لان النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه فقيل تقرش أو لانه جاء الى قومه فقالوا كأنه جمل قريش أي شديد أو سموا بمصغر القرش وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها والالف والايلاف العهد وشبه الاجازة بالخفارة وأول من أخذها هاشم من ملك الشام فكان هاشم يولف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بحبال هذه الاخوة فلا يتعرض لهم أحد وكان كل أخ منهم قد أخذ حبلا من ملك ناحية سفره أمانا له (والشاهد فيه) حذف الاستئناف وقيام شيء مقامه فكأنهم قالوا أصدقنا في هذا الزعم أم كذبنا فقيل كذبتم فحذف هذا الاستئناف وأقيم قوله لهم الف وليس لكم الاف مقامه لدلالته عليه (ومساور) بن هند بن قيس بن زهير العبسي شاعر وكان جده قيس مشهورا في الجاهلية ولا سيما في حرب داحس والغبراء وذكر الاصمعي ما يدل على أن له ادراكا للنبي صلى الله عليه وسلم قال وكان هو وأبو عمرو بن العلاء رحمهما الله في السن وقال حدثني من رأى مساور بن هند أنه ولد في حرب داحس والغبراء قبل الاسلام بخمسين عاما وذكره المرزباني في معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان وفي حكاية الاصمعي انه لما عمر صغرت

بذلك قال فأخذنا في ذم الدهر واخنائه على أهل الفضل واذا بكلاب الصيد التي برسم الخليفة قد أبرزت في جلال الوشي والديباج فخرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه في ذم الدهر فقلت

من كان يكسو الكلاب وشـ * ـيا ثم يقنع لي بجلدي

(واستجزته فقال)

الكلب خير عنده * مني وخير منه عندي

(وأخبرني) الاجل بهاء الدين ابن الساعاتي المقدم ذكره قال حضرت مجلس سماع عند بعض الرؤساء فغنى مغن قبيح النغمة سيئ الضرب فقال بعض الحاضرين

من منصفي ممن اذا * ما ناح نحت لقبح نغمه

(واستجازني فقلت)

هو خارج وقت الغنا * ء وداخل في رحم أمه

(وأخبرني) الفقيه أبو ثابت ابن حسن الكروني بالاسكندرية قال حضرت أنا والاديب عبد المنعم بن صالح الحريري صاحبنا ببعض الاماكن ورجل يقرأ المقامات التي صنفها الحريري على رجل آخر وهما يصحفان فيها فقال عبد المنعم

يا أيها الثور البهيم الذي * يقرا المقامات على الثور

(ثم استجازني فقلت)

دع المقامات لاربابها * وعد الى الناقات والدور

(قال) علي بن ظافر حضر

عيناه وكبرت أذناه فجعلوه في بيت صغير ووكلوا به امرأة فرأى ذات يوم غفلة فخرج فجلس في وسط البيت وكوّم كومة من تراب ثم أخذ بعرتين فقال هذه فلانة وهذه فلانة لفرسين كان يعرفهما ثم أرسلهما من رأس الكومة ثم نظر فقال سبقت فلانة ثم أحس بالمرأة فقام وهرب وقال الاصمعي بلغني انه أتي به الى الحجاج فقال له ما تصنع بقول الشعر وقد كبرت فقال أسقي به الماء وأرعى به الكلأ وتقضى لي به الحاجة فان كفيتني ذلك تركته وقال المرزباني كان أعور وهو من المتقدمين في الاسلام وهو وأبوه وجده أشراف من بني عبس شعراء فرسان وهو القائل

جزى الله خيرا غالبا من قبيلة * اذا حدثان الدهر نابت نوائبه

اذا أخذت بزل المخاض سلاحها * تجرّد فيهم متلف المال كاسبه

يقال أخذت الابل سلاحها اذا أسمنها صاحبها فلم ينحرها

(ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها)

هو من البسيط وتمامه شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

وقد تقدم الكلام عليه في شواهد المسند (والشاهد فيه هنا) بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمي وهو ما بينهما من شبه التماثل حمل الوهم على أن يحتال في اجتماعها في المفكرة وابرازها في معرض الامثال متوهما انها من نوع واحد وانما اختلفت بالعوارض والمشخصات بخلاف العقل فانه اذا خلي ونفسه حكم بأن كلا منها من نوع آخر وانما اشتركت في عارض هو اشراق الدنيا ببهجتها على أن ذلك في أبي اسحق مجاز ونظيره قول الآخر

اذا لم يكن للمرء في الخلق مطمع * فذو التاج والسقاء والذرّ واحد

(فلما خشيت أظافيرهم * نجوت وأرهنهم مالكا)

البيت لعبد الله بن همام السلولي من المتقارب وبعده

عريفا مقيما بدار الهوان * أهون عليّ به هالكا

وهذان البيتان من جملة أبيات منها

فقات أجرني أبا خالد * والا فهب لي امرأ هالكا

يريد بأبي خالد هنا يزيد بن معاوية والذي خشيه عبيد الله بن زياد وكان قد توعده فهرب الى الشام واستجار بيزيد فأجاره وكتب الى عبيد الله يأمره بالصفح عنه ومالك المذكور هو عريفه والاظافير جمع ظفر وأظفور ويجمع أيضا على أظفار والمعنى لما خشيت حلته وانشاب أظفاره نجوت وخليت بينه وبين مالك (والشاهد فيه) دخول واو الحال على المضارع المثبت الممتنع دخولها عليه في الجملة الفعلية الواقعة حالا من ضمير صاحبها الغير الخالية منه اذ قد قيل انه على حذف المبتدأ أي وأنا أرهنهم فتكون اسمية فيصح دخولها عليه وقوله تعالى لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله اليكم أي وأنتم قد تعلمون وقيل ضرورة وقال عبد القاهر هي فيه للعطف والاصل ورهنتهم عدل الى المضارع لحكاية حال ماضية ومعناه انه يفرض ما كان في الزمن الماضي واقعا في هذا الزمان فعبر عنه بلفظ المضارع كما في قول الشاعر ولقد أمرّ على اللئيم يسبني أي مررت وروي وأرهنتهم والاول رواية الاصمعي واستحسنه ثعلب (وعبد الله) هو أبو عبد الرحمن السلولي الكوفي من بني مرّة بن صعصعة من قيس عيلان وبنو مرّة يعرفون ببني سلول وهي أمهم وهي بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة وهم رهط أبي مريم السلولي وكانت له صحبة وعبد الله هو القائل في الفلاقس

أقلي عليّ اللوم يا ابنة مالك * وذمي زمانا ساد فيه الفلاقس

وساع من السلطان ليس بناصح * ومحترس من مثله وهو حارس

وهو القائل ليزيد بن معاوية لما مات أبوه رضي الله عنه

ليلة عندي وأنا رأس العين في خدمة الملك الاشرف أدام الله أيامه الاديب الموفق علي بن محمد البغدادي الساكن بها والفقيه بهاء الدين بن كساء الشاعران وعندنا رجل يعرف بالضياء ابن الزراد مصري معروف وكانوا يمجنون معه فعمل ابن كساء بديهة وقال

رأيت الضياء وفي دبره

قد كزيد البعير الشديد

ثم استجاز الموفق فقال في الحال

كأن جهنم في دبره

تقول لآتيه هل من مزيد

(ثم صنع الموفق فيه بديها)

زمان الضياء رعاه الاله

عيد ولكن به يرتزق

فطورا بأعلاه رمى القبق

وطورا بأدناه طعن الحلق

بناو به أعظم الحالتين

فمنه البغاء ومنا الشبق

فلو جمعتنا به خلوة

لقد قيل وافق شن طبق

وهذا المعنى الذي ذكر فيه الحلق والقبق معنى مطبوع الا أنه لم يحسن نظمه وقد نظمته على سبيل التجريب للخاطر فقلت

لقد عبد الترك في ذا الرقيع

وعاطوه باللعب أكواسه

بنيك بقطع أعفاجه

وصفع يزعزع أضراسه

فكم جعلوا حلقة دبره

وكم جعلوا قبقا راسه

(وقلت أيضا في المعنى)

أصبح عبد الترك من هو كا

ماتم في عين من رأى خلقه

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة * واشكر حباء الذي بالملك ردّاكا
لا رزء أعظم بالاقوام اذ علموا * مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعي أهل الدين كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

(خرجت مع البازي على سواد)

قائله بشار بن برد من أبيات من الطويل قالها في خالد بن برمك وكان قد وفد عليه وهو بفارس فأنشده قوله
أخالد لم أهبط عليك بذمة * سوى أنني عاف وأنت جواد
أخالد ان الاجر والحمد حاجتي * فأيهما يأتي فأنت عماد
فان تعطني أفرغ عليك مدائحي * وان تأب لم تضرب علي سداد
ركابي على حرف وقلبي مشيع * ومالي بأرض الباخلين بلاد
اذا أنكرتني بلدة أو نكرتها * خرجت مع البازي على سواد
فدعا خالد بأربعة آلاف في أربعة أكياس فوضع واحدا منها عن يمينه وآخر عن شماله وآخر بين يديه وآخر من ورائه وقال يا أبا معاذ هل استقل العماد فلمس الاكياس بيده ثم قال استقل والله أيها الامير ومعنى البيت اذا لم يعرف قدري أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقتهم متنكرا مصاحبا للبازي الذي هو أنكر الطيور مشتملا على شئ من ظلمة الليل غير منتظر لاسفار الصبح فقوله على سواد أي بقية من الليل (والشاهد فيه) كونه حالا ترك فيه الواو ومثله قول أبي الصلت يمدح ابن ذي يزن
اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * في رأس غمدان دارا منك محلالا
والشاهد في قوله عليك التاج وغمدان اسم قصر باليمن مبني على أربعة أوجه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وفي داخله قصر مبني بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعا ويرى ظله اذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال والمحلال بمعنى المنزل صيغة مبالغة ومثله قول الآخر يهجو خطيبا
لقد صبرت للذل أعواد منبر * تقوم عليها في يديك قضيب
(وبشار) بن برد بن يرجوخ ينتهي نسبه للهراسف وكان يرجوخ من طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة ويكنى بشار أبا معاذ ومحله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه والاطالة بذكره وهو من شعراء مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية وقد اشتهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سني الجوائز مع الشعراء وعن يحيى بن الجون راوية العبدي راوية بشار بن برد قال لما دخلت على المهدي قال لي فيمن تعتد يا بشار فقلت أما اللسان والرأي فعربي وأما الاصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين
ونبئت قوما بهم جنة * يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلي جاهلا * ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بني عامر * فروعي وأصلي قريش العجم
واني لاغني مقام الفتى * وأصبي الفتاة فما تعتصم
قال وكان أبو دلامة حاضرا فقال كلا لوجهك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك فقلت كلا والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك والله اني لطويل القامة عظيم الهامة تام الالواح أسجح الخد بن مسترخي المذروين للعين منه مرادومثلك قد جلس من الفتاة حجرة وجلست منها حيث أريد فأنت مقلي بأمر فمان قال فسكت عني ثم قال لي المهدي فمن أي العجم أصلك فقلت من أكثرها في الفرسان وأشدها على الاقران أهل طخارستان فقال بعض القوم أولئك الصغد فقلت لا الصغد تجار فلم يزل يردد ذلك

وفوه بالنيك تارة وبحر الصفع أخرى من لعبهم حقه ان قرنا الطعن بالايور وان قرأ جادت نعالهم رشقه فللسراميز رأسه قبق وللقباقب خناره حلقه
(وكان) يصحبني وأنا في خدمة الاشرف أبقاه الله رجل كاتب حسن الخط من أهل العلم والخبر هاجر الى دمشق يقال له جمال الدين علي بن أبي طالب فلما رأيت ما عليه الاحوال من الاختلال وقويت في نفسي شهوة الانفصال كنت ليلي ونهاري مكبا على الدعاء بتسهيل ذلك وتعجيله وتيسير ما أرجوه منه وأقمت على هذا مدة طويلة بحيث كان الامر مشهورا عند كل أحد من الحاشية فأخبرني أنه بات مشغول القلب بما سمعه مني في ذلك فرأى كأنه في جامع دمشق تحت النسر والى جانبه شيخ وكأنهم ينتظرون الصلاة واذا برجل شاب قد أقبل من الباب الغربي فقال له الشيخ يا أبا العباس أجز
أن ابن ظافر سوف يظفر بالذي يرجوه عاجل
(فقال)
ظفرت عداه بخيبة * وغدا لما قد شاء نائل
فسررت بذلك فلم يكن شئ أسرع من عود الملك الاشرف أبقاه الله من دمشق وانفصالي من خدمته على الوجه الجميل وكان ذلك والله

المهدى وكان يلقب بالمرعث لقوله

قال ريم مرعث * ساحر الطرف والنظر * لست والله نائلى
قلت أو يغلب القدر * أنت ان رمت وصلنا * فانج هل يدرك القمر

وقيل لقب به لانه كان لقميصه جيبان جيب عن يمينه وجيب عن شماله فاذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه واذا أراد نزعه حل أزراره وخرج منه فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدليها وقال أبو عبيدة لقب بالمرعث لانه كانت فى آذانه وهو صغير رعاث واحدها رعثة وهى القرط ورعثة الديك اللحم المتدلى تحت حنكه وقال الاصمعى كان بشار ضخما عظيم الخلق والوجه مجدورا طويلا جاحظ الحدقتين قد تغشاهما لحم أحمر فكان أقبح الناس عمى وأفظعهم منظرا وكان اذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتى بالعجب وقال ولد بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط وكان يشبه الاشياء فى شعره بعضها ببعض فيأتى بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله وقال أبو عبيدة قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحلم وهو يخشى معرة اللسان قال وكان بشار يقول هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ولو أجابنى لكنت أشعر الناس وكان بشار وهو صغير اذا هجا قوما جاؤا الى أبيه فشكوه اليه فيضربه ضربا مبرحا فكانت أمه تقول كم تضرب هذا الصبى الصغير الضرير أما ترحمه فيقول بلى والله انى لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه الى فسمعه بشار فطمع فيه فقال يا أبت ان هذا الذى يشكونه اليك منى هو قولى الشعر وانى ان أتممت عليه أغنيتك وسائر أهلى فاذا شكونى فقل لهم أليس الله عز وجل يقول ليس على الاعمى حرج فلما أعادوا شكواه قال لهم ذلك فانصرفوا وهم يقولون فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار وحكى الاصمعى أن بشارا كان من أشد الناس تبرما بالناس وكان يقول الحمد لله الذى ذهب ببصرى فقيل له ولم يا أبا معاذ قال لئلا أرى من أبغض وكان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط فاتخذ جاما لانسان وكان بشار عنده فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صورة طير يطير فاتخذه له وجاء به اليه فقال له ما فى هذا الجام قال صورة طير يطير فقال له قد كان ينبغى أن تتخذ فوق هذا الطير طيرا من الجوارح كأنه يريد صيده فانه كان أحسن قال لم أعلم قال بلى قد علمت ولكنك قد علمت اننى أعمى لا أبصر شيأ وتهدده بالهجاء فقال له حمدان لا تفعل فانك تندم قال أو تهددنى أيضا قال نعم قال وأى شئ تصنع بى ان هجوتك قال أصورك على باب دارى فى صورتك هذه وأجعل من خلفك قردا ينكحك حتى يعبر بك الصادر والوارد فقال بشار اللهم أخزه أنا أمازحه وهو يأبى الا الجد (وحدث) محمد بن الحجاج السوادى قال كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه فى اليمانية والمضرية اذا أذن المؤذن فقال له بشار رويدا تفهم قوله فلما قال المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله قال له بشار أهذا الذى نودى باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحمير فسكت الرجل (وحدث) حماد عن أبيه قال كان بشار جالسا فى دار المهدى والناس ينتظرون الاذن فقال بعض موالى المهدى لمن حضر ما عندكم فى قول الله عز وجل وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا فقال له بشار النحل التى يعرفها الناس قال هيهات يا أبا معاذ النحل بنو هاشم وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس يعنى العلم فقال له بشار أرانى الله شرابك وطعامك مما يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعتنا غثاثة فغضب وشتم بشارا فبلغ المهدى الخبر فدعا بهما وسألهما عن القصة فحدثه بشار بها فضحك حتى أمسك على بطنه ثم قال للرجل أجل فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم فانك بارد غث ودخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور وكانت فيه غفلة فقال له يا شيخ ما صناعتك فقال له أثقب اللؤلؤ فضحك المهدى ثم قال لبشار اعزب ويلك أتتنادب على خالى قال وما أصنع به يرى شيخا أعمى قائما ينشد الخليفة شعرا يسأله عن صناعته ووقف بعض المجان على بشار وهو ينشد شعرا فقال له استر شعرك هذا كما تستر عورتك فصفق بشار بيديه وغضب وقال له من أنت ويلك قال أنا أعزك الله رجل

أعظم ظفر وأرفق قدر ولو لم يكن فيه الا الرجوع الى الباب الذى منه درجت وفى خدمته تخرجت والوطن الذى هو أول أرض مس ترابها جلدى وعلقت فيه تمائمى فالله تعالى يحقق الرجاء ويكمل الامل بمنه وطوله (وكنت) أنا وابن المؤيد يوما عائدين الى مصر فثار قتام شديد ترب وجه الارض وأقذى عين الشمس فقال

وقتام اذا رآه بصير * عاد مما يقذيه مثل الضرير

(ثم استجازنى فقلت)

ردنى بى مصندلا بعدما كا * ن شديد النقاء كالكافور

(واجتمعت) يوما بالاجل شهاب الدين ابن أخت الوزير نجم الدين العزيزى رحمه الله فأنشدنى لنفسه فى غلام رآه فى الحمام مؤتزرا بازار أخضر

ومرتج ردف أزروه بأخضر * كما ماج ماء قد تردى بطحلب

(واستجازنى فقلت)

يخيل لى مرآه نعمان أطلعت * قضيبا على حقف لبيرين معشب

(قال على بن ظافر) وهذه حكاية قرأتها فى بعض المجاميع ولا أعرف من حاكيها فلذلك أخرتها ولم أوردها على ترتيب الاعصار خيفة من انتقاد منتقد وهى (قال) أبو على اجتمعنا فى بعض الايام جماعة من أهل الادب وخرجنا الى متنزه

من باهلة وأخوالى من سلول وأصهارى من عكل واسمى كلب ومولدى بأحاح ومنزلى بنهر بلال فضحك بشار وقال اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك قد علم الله انك استترت منى بحصون من حديد (وحدث) رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج النهاريات قال تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها فى علو بيت وبشار تحتنا أو كنا فى أسفل بيت وبشار فى علوه مع امرأة فنهق حمار فى الطريق فجاوبه حمار آخر فى بيت الجيران وحمار فى الدار فارتجت الناحية بنهيقها وضرب الحمار الذى فى الدار برجله الارض وجعل يدقها بها دقا شديدا فسمعت بشارا يقول للمرأة نفخ يعلم الله فى الصور وقامت القيامة أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ولم نلبث أن فزعت شاة كانت فى السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقا من نحاس فيه غضارة الى الدار فانكسرت قطار حمام ودجاج كان فى الدار لصوت الغضارة والطبق وبكى من ذلك صبى فى الدار فقال بشار صح يعلم الله الخبر ونشر أهل القبور من قبورهم أزفت يشهد الله الآزفة وزلزلت الارض زلزالها فعجبت من كلامه وغاظنى فسألت من المتكلم فقيل لى بشار فقلت قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا الكلام غيره ومر بشار برجل قد رمحته بغلته وهو يقول الحمد لله شكرا فقال له بشار استزده يزدك ومر قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها فقال مالهم مسرعين أتراهم قد سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم ورفع غلامه اليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم فصاح به بشار وقال والله مافى الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة مابلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم وعن خلاد قال قلت لبشار انك لتجىء بالشىء الهجين المتفاوت قال وماذاك قلت له تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلما

الى أن تقول ربابة ربة البيت * تصب الخل فى الزيت لها عشر دجاجات * وديك حسن الصوت فقال لكل شىء وجه وموضع فالقول الاول جد وهذا قلته فى جاريتى ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهى تجمع البيض وتحفظه فهذا عندها أحسن من قولى قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل عندك وقال هلال لبشار وكان صديقا يمازحه ان الله عز وجل لم يذهب بصر أحد الا عوضه منه شيأ فما الذى عوضك قال الطويل العريض قال وما هو قال لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ثم قال له يا هلال أتطيعنى فى نصيحة أخصك بها قال نعم قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض وعن أبى دهمان العلائى قال مررت ببشار يوما وهو جالس على باب داره وحده وليس معه أحد وبيده مخصرة يلعب بها وقدامه طبق فيه تفاح وأترج فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسى الى أن أسرق مما بين يديه فجئت من خلفه قليلا قليلا وهو كاف يده حتى مددت يدى لأتناول منه فرفع القضيب وضرب به يدى ضربة كاد يكسرها فقلت له قطع الله يدك يا ابن الفاعلة أنت الآن أعمى فقال يا أحمق فأين الحس وقعد الى بشار رجل فاستثقله فضرط عليه بشار ضرطة فظن الرجل أنها أفلتت منه ثم ضرط أخرى فقال أفلتت ثم ضرط ثالثة فقال له يا أبا معاذ ما هذا فقال مه أرأيت أم سمعت قال لا بل سمعت صوتا قبيحا فقال له لا تصدق حتى ترى (وحدث) محمد بن الحجاج قال جاءنا بشار يوما وهو مغتم فقلنا له مالك مغتما فقال مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له لم مت ألم أكن أحسن اليك فقال

سيدى خذلى أتانا * عند باب الاصبهانى
تيمتنى ببنان * وبدل قد شجانى
تيمتنى يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبغنج ودلال * سل جسمى وبرانى
ولها خد أسيل * مثل خد الشنفرانى
فلذا مت ولو عشت اذا طال هوانى

فقلت له ما الشنفرانى قال ما يدرينى هذا من غريب الحمار فاذا لقيته فاسأله عنه (وقال الجاحظ) كان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الامم ويصوب رأى ابليس عليه اللعنة فى تقديم عنصر النار على الطين وذكر ذلك

فوقفنا فى ظل قصر لنستريح فوقعت علينا منه رقعة فيها أجيزوا هذا البيت

ولى مقلة عهدها بالكرا * بعيد وبالدمع عهد قريب

(فكتبت تحته)

تحار اذا امترفيها الكرا * كما حار فى الحى ضيف غريب

ثم صرفنا الرقعة مع بواب القصر فأخرج الينا سفرة فيها طعام كثير وأشياء فيها عون لنا على نزهتنا (قال على بن ظافر) وأحسب أن أبا على هذا الحاتمى فان صح الحديث فينبغى أن تكون بعد حكايتى الصاحب ابن عباد رحمه الله تعالى

(ومن اجازة بيت ببيت) ما يكون الشاعر قد عمل بيتا واستجازله أولا أو عمل بيتين وأراد ابدال أحدهما أو الاختبار فيه مثل ما أنبأنا به العماد أبو جعفر الاصبهانى قال أخبرنى الامير الاجل نجم الدين بن مصال أن شابا يعرف بأحمد الابى من أهل الاسكندرية سافر الى الشيخ الاجل أبى بكر أحمد بن محمد العيدى التميمى الكاتب فاضل اليمن ورئيسه وانتفع من جانبه وان أحمد ذكر عنه أنه عمل أبياتا يهنى فيها الداعى بطهور أولاده من جملتها قوله

كذبالة المصباح يقضى قطعها * عند الخمود لها بقوة ناره

قال فقال الاديب العيدى يصلح أن يكون لهذا البيت توطئة من قبله فقال

في شعره فقال الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار
وكان الشر قد نشب بين بشار وحماد عجرد لامور يطول ذكرها فكانا يتقارضان الهجاء فأجمع علماء البصرة
أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشار شيء جيد الا أربعين بيتا معدودة ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت
جيد وكل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه وكانا يجتمعان عليها فاسقط حماد عجرد
وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه و بقي بشار على حاله لم يسقط وعرف مذهبه في الزندقة فقتل به
وكان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد و بشار على اتفاق منهما ورضى بأن ينقل الى كل واحد منهما
ما يقول الآخر من الشعر فدخل يوما على بشار فقال له بشار ايه يافلان ماقال ابن الزانية في من الشعر
فأنشده ان تاه بشار عليكم فقد * أمكنت بشارا من التيه فقال بشار
بأي شيء ويحك فقال وذاك اذ سميته باسمه * ولم يكن حرا يسميه
فقال سخنت عينه فبأي شيء كنت أعرف ايه فقال
فصار انسانا بذكري له * مايبتغي من بعد ذكري به
فقال ماصنع شيأ ايه ويحك فقال
لم أهج بشارا ولكنني * هجوت نفسي بهجائيه
فقال على هذا المعنى دار وحوله حام ايه أيضا وأي شيء قال فأنشده
أنت ابن برد مثل برد * في النذالة والرذاله من كان مثل أبيك يا * أعمى أبوه فلا أباله
(وحدث) خالد الارقط قال أنشد بشارا راويته قول حماد عجرد فيه
دعيت الى برد وأنت لغيره * فهبك لبرد [illegible] أمك من برد
فقال بشار لراويته ههنا أحد قال لا فقال أحسن والله ماشاء ابن الزانية وقال بشار يوما لراويته حماد
ماهجاني به اليوم حماد فأنشده ألا من مبلغ عني الـ * ـذي والده برد
قال صدق ابن الفاعلة فما قال بعده فأنشده
اذا مانسب الناس * فلا قبل ولا بعد
فقال كذب ابن الفاعلة وأين هذه العرضات من عقيل فما قال فأنشده
وأعمى قلطبان ما * على قاذفه حد
فقال كذب ابن الفاعلة بل غرامون جلدة عليه هيه فقال
وأعمى يشبه القرد * اذا ماعمي القرد
فقال والله ماأخطأ ابن الزانية حين شبهني بقرد حسبك حسبك ثم صفق بيديه وقال ماحيلتي يراني فيشبهني
ولا أراه فأشبهه وفي حماد عجرد يقول بشار
مالت حماد على فسقه * يلومه الجاهل والمائق * وماهما من ايره واسته
ماتكه اياهما الخالق * مابات الافوقه فاسق * [illegible]
قال ابن أبي سعيد وأبلغ ماهجا به حماد عجرد بشارا قوله
نهاره أخبث من ليله * ويومه أخبث من أمسه وليس بالمقلع عن غيه * حتى يواري في ثرى رمسه
قال وكان أغلظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه
لو طليت جلدته عنبرا * لأفسدت جلدته العنبرا أو طليت مسكا ذكيا اذا * تحول المسك عليه خرا
قال وكان حماد عجرد قد اتصل بالربيع يؤدب ولده فكتب اليه بشار رقعة فأوصلت الى الربيع فاذا فيها مكتوب
ياأبا الفضل لا تنم * وقع الذئب في الغنم ان حماد عجرد * ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم ان خلا البيت ساعة * مجمج الميم بالقلم
فلما قرأها الربيع قال صيرني حماد دريئة الشعراء أخرجوا عني حمادا فأخرج وقد فعل مثل هذا بعينه حماد

عجرد

أخذ من العضو الشريف
قضى له الـ *
تأثير فيه بمقتضى آثاره
(قال العماد) ونقلت من
مجموع أبي المعالي الكتبي
لأبي القاسم الهمداني
تعيرني وخط المشيب بعارضي
ولولا الحجول البيض لم تحسن
الدهم
حنى الشيب ظهري واستمرت
عزيمتي
ولولا انحناء القوس لم ينفذ
السهم
(قال فنظمت المعنى وقلت)
يفيد العاقل اليقظ التغابي
ليدرك في الغنى حظ الغبي
فلم تصب السهام على اعتدال
بها لولا اعوجاج في القسي
قال وأنشدتها للامير مؤيد
الدولة أسامة بن منقذ فصنع
في الحال بدل الاول من
البيتين وهو
أرى حلم الحليم به افتقار
الى جهل الفتى الغر الغبي
(قال علي بن ظافر) وبالاسناد
المتقدم عن أبي الحسن علي
ابن بسام الشنتريني مما
أورده في كتاب الذخيرة
ماهذا معناه واللفظ لي أن
المعتمد على الله أبا القاسم
محمد بن عباد صاحب اشبيلية
وغرب الاندلس جلس يوما
للشرب وذلك في وقت مطر
أجرى كل وهدة نهرا وحلى
جيد كل غصن من الزهر
جوهرا و بين يديه ساقية
تخجل الزهر بطيب العرف
والريا وتقابل بدر وجهها
بشهاب الكاس في راحة

عجرد بقطرب حين اتخذ مؤدّبا لبعض ولد المهدى وكان هو يطمع فى ذلك فلم يتم له لشهرته فى الناس بما قاله فيه بشار فلما تمكن قطرب فى موضعه صار حماد كالملقى على الرصد فجعل يقوم و يقعد بقطرب فى الناس ثم أخذ رقعة فكتب فيها

قل للامام جزاك الله صالحة * لاتجمع الدهر بين السخل والذيب
السخل غرّ وهم الذئب فرصته * والذئب يعلم ما فى السخل من طيب

فلما قرأ المهدى هذين البيتين قال انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطيا ثم قال انفوه عن الدار فأخرج عنها وجيء بمؤدب غيره ووكل بولده تسعون خادما يتنوّبونه يحفظونه فخرج قطرب هاربا لما اشتهر به الى الكرخ فأقام هنالك الى أن مات وكان بشار بلغه أن حمادا عليل المأنة ثم نعى اليه قبل موته فقال بشار

لو عاش حماد لهونا به * لكنه صار الى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل موته وهو فى السياق فقال يرد عليه

نبئت بشارا نعانى وللـ * موت برانى الخالق البارى
ياليتنى مت ولم أهجه * نعم ولو صرت الى النار
وأى خزى هو أخزى من أن * يقال لى ياسب بشار

وكان حماد قد نزل بالاهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستترا من محمد بن سليمان ثم خرج من عنده يريد البصرة فتر بشيراز اذ أن فى طريقه فرض بها فاضطر الى المقام بها بسبب علته واشتد مرضه فمات هنالك ودفن على تلعة ثم ان المهدى لما قتل بشارا بالبطيحة اتفق انه حمل الى منزله ميتا فدفن مع حماد على تلك التلعة فتر بهما أبو هشام الباهلى الشاعر البصرى الذى كان يهاجى بشارا فوقف على قبريهما وقال

قد تبع الاعمى قفا عجرد * فأصبحا جارين فى دار
قالت بقاع الارض لا مرحبا * بقرب حماد و بشار
تجاورا بعد تنائيهما * ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا فى يدى مالك * فى النار والكافر فى النار

وكان السبب فى قتل المهدى بشارا انه كان نهاه عن التشبيب فدحه بقصيدة فلم يحظ منه بشىء فهجاه فقال من قصيدة

خليفة يزنى بعماته * يلعب بالدابوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حر الخيزران

وأنشدها فى حلقة يونس النحوى فسعى به الى يعقوب بن داود الوزير وكان بشار قد هجاه بقوله

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفة الله بين الزق والعود

فدخل يعقوب على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان هذا الاعمى الملحد الزنديق قد هجاك قال بأى شىء قال بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهمه فكرى فقال بحياتى أنشدنى اياه فقال والله لو خيرتنى بين انشادى اياه وضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى فحلف عليه المهدى بالايمان التى لافسحة له فيها فقال أما لفظا فلا ولكنى أكتب ذلك فكتبه ودفعه اليه فكاد ينشق غيظا وعمل على الانحدار الى البصرة لينظر فى أمرها وما فى فكره غير بشار فانحدر فلما بلغ الى البطيحة سمع أذانا فى وقت اضحاء النهار فقال انظروا ما هذا الاذان فاذا بشار سكران فقال له يا زنديق يا عاض بظر أمه عجبت أن يكون هذا من غيرك أتلهو بالاذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران ثم دعا بابن نهيك وأمره بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطا أتلفه فيها فكان اذا أصابه السوط يقول حس وهى كلمة تقولها العرب للشىء اذا أوجع فقال بعضهم انظر الى زندقته يا أمير المؤمنين يقول حس ولا يقول بسم الله فقال ويلك أطعام هو فأسمى عليه فقال له آخر أفلا قلت الحمد لله فقال أو نعمة هى فأحمد الله عليها فلما استوفى السبعين بان الموت فيه فألقى فى سفينة حتى مات ثم رمى به فى البطيحة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة فدفنوه الى جانب حماد عجرد كما قدمناه وقال أبو هشام الباهلى فيه

يابؤس ميت لم يبكه أحد * أجل ولم يفتقده مفتقد
لا أم أولاده بكته ولم * يبك عليه لفرقة أحد

الثريا فاتفق أن لاح البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب ليسوق به ركاب ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال بديها

روّعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

وحين صنعهما أطربه معناهما وهزه وحركه استحسانهما واستفزه فاستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى وأنشده البيت الاول فقال عبد الجليل

ولن ترى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة وبيته أحسن من بيت المعتمد عندى (وأخبرنا) القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله ابن سناء الملك رحمه الله بما هذا معناه قال تذاكرنا فى بعض الايام بديوان الانشاء فأفضى بنا الحديث الى ذكر الناشى الاصغر وقوله فى وردة

و وردة فى بنان معطار * حيابها فى خفى أسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

فقلت تشبيه الصفرة بالدينار فيه بعض تقصير وعليه نقد خفى لا يدركه الا الناقد البصير وهو كون الصفرة فى رأى العين أصغر من الدينار ولو قال كمثل وجنة خود قد نقطت برباع لكان أخصر وأحسن

ولا ابن أخت يبكي ولا ابن أخ * ولا حميم رقت له كبد
بل زعموا أن أهله فرحا * لما أتاهم نعيه سجدوا

وكان بشار يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم فأتاه في بعض السنين فقال له هلم الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أوجزية هي أيضا قال هو ما تسمع فقال له بشار يمازحه أنت أفصح مني قال لا قال فأعلم مني بمثالب الناس قال لا قال فأشعر مني قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك فقال له ان هجوتني هجوتك فقال له أبو الشمقمق أوهكذا هو وقال نعم فقل ما بدا لك فقال أبو الشمقمق

اني اذا ما شاعر هجانيه * ولج في القول له لسانيه
أدخلته في است امه علانيه * بشار يا بشار

وأراد أن يقول يا ابن الزانيه فوثب بشار فأمسك فاه وقال أراد والله أن يشتمني ثم دفع اليه مائتي درهم وقال لا يسمعن منك هذا الصبيان (وحدث) الاصمعي قال أمر عقبة بن سلم لبشار بعشرة آلاف درهم فأخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشارا فقال له يا أبا معاذ اني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون

هللينه هللينه * طعن قناة لتنه ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينه

فأخرج له بشار مائتي درهم وقال خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان يا أبا الشمقمق ولما ضرب بشار وطرح في السفينة قال ليت عين أبي الشمقمق تراني حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينه

وكان قتله سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نيفا وتسعين سنة ومن شعره قوله

طالبتها دينا فضنت به * وأمسكت قلبي مع الدين فرحت كالعير غدا يبتغي * قرنا فلم يرجع بأذنين
أعتقت ما أملك ان لم أكن * أحب أن ألقاك فالقيني والله لو نلتك لا أتقي * عينا لقبلتك ألفين

قوله فرحت كالعير البيت مثل قول بعضهم

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه * قرنا فآب وماله أذنان

ومن شعره قوله

خير اخوانك المشارك في المر وأين الشريك في المر أينا
الذي ان شهدت سرك في الحي وان غبت كان أذنا وعينا
مثل سر الياقوت ان مسه النار جلاه البلاء فازداد زينا
أنت في معشر اذا غبت عنهم * بدلوا كل ما يزينك شينا
واذا ما رأوك قالوا جميعا * أنت من أكرم البرايا علينا
ما أرى للأنام ودا صحيحا * عاد كل الوداد زورا ومينا

(فقلت عسى أن تبصريني كأنما * بني حوالي الاسود الحوارد)

البيت من الطويل قائله الفرزدق من جملة أبيات قالها مخاطبا زوجته النوار وكان قد مكث زمانا لا يولد له فعيرته بذلك وأول الابيات

وقالت أراه واحدا لا أخا له * يؤمله يوما ولا هو والد

وبعده البيت وبعده

فان تميما قبل أن يلد الحصا * أقام زمانا وهو في الناس واحد

والحوارد من حرد اذا غضب (والشاهد فيه) ترك الواو في الجملة الاسمية الحالية لدخول حرف على المبتدا يحصل به نوع من الارتباط وهو هنا كأن اذ لولم تدخل لما حسن الكلام الا بالواو وبني الخ جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبصريني ومعنى حوالي في أكنافي وجوانبي وهو حال من بني لما في حرف التشبيه من معنى الفعل

(والله يبقيك لنا سالما * برداك تبجيل وتعظيم)

فاستحسنته الجماعة فقال السيد هبة الله بن سراج منشئ الديوان يا قوم أنا أجيزه ببيت أولا ثم صنع جاريا على عادته في التجنيس

وورده نالت الحسن اذ زهت في الرباع

(وأخبرني) صاحبنا الفقيه أبو الفضل جعفر الحوى قال مر بي في بعض الايام يهودي يعرف بأبي الخير أقبح الناس صورة وأشدهم تنافر خلقة قصير القامة طويل اللحية بارز الانف فحين رأيته وقع لي بيت على شبه الارتجال وهو

لحية طولها ذراع وأنف طول شبر وقامة طول أصبع

ثم ارتج علي فمر بي الاديب فاضل بن راجي الله المنبوز بعداد فأنشدته اياه فقال أعمل له أولا فقلت ان شئت فقال

ما رأينا ولا سمعنا بشخص كأبي الخير في الخلائق أجمع

(ومن ذلك) ما أخبرني الفقيه أبو محمد عبد الخالق بن زيدان المسكي المقدم ذكره قال أخبرني صاحبنا الاديب أبو الحسن علي بن خروف القرطبي المقدم ذكره في هذا الكتاب قال رأيت في المنام منشدا ينشدني

اذا كنت في الدنيا حليف تكبر فانك في الاخرى أقل من الذر

قال فانتبهت وقد حفظته فأجزته بقولي

تنزه عن الدنيا وكن متواضعا

البيت لابن الرومي من قصيدة من السريع يقول منها قبل البيت

قل له الملك ولو أنه * مجموعة فيه الاقاليم

والتبجيل التعظيم (والشاهد فيه) ترك الواو في الجملة الاسمية الحالية وهي برداك الخ لوقوعها بعقب حال مفرد وهو سالما اذ لو لم يتقدمها لم يحسن فيها ترك الواو والحال الآن أعني الجملة وسالما يجوز أن يكونا من الاحوال المترادفة وهي أن تكون أحوال متعددة وصاحبها واحد كالكاف من يبقيك ها هنا ويجوز أن يكونا من الاحوال المتداخلة وهي أن يكون صاحب الحال المتأخرة الاسم الذي يشتمل عليه الحال السابقة مثل أن يجعل قوله برداك تعظيم حالا من الضمير في سالما (وابن الرومي) تقدم ذكره في شواهد المسند اليه

﴿شواهد الايجاز والاطناب والمساواة﴾

﴿والعيش خير في ظلا * ل النوك ممن عاش كدا﴾

البيت للحرث بن حلزة اليشكري من الكامل المضمر المرفل وقبله

عيش بجد لا يضر * ك النوك ما أوليت جدا

والنوك بضم النون وفتحها الحمق ومعنى كدا مكدودا متعوبا (والشاهد فيه) الاخلال لكونه غير واف بالمراد اذ أصل مراده أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ولفظه غير واف بذلك وما أحسن قول ابن المعتز

وحلاوة الدنيا لجاهلها * ومرارة الدنيا لمن عقلا

ولابي عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي

عابوا الجهالة وازدروا بحقوقها * وتهاونوا بحديثها في المجلس

وهي التي ينقاد في يدها الغنى * وتجيئها الدنيا برغم المعطس

ان الجهالة للغنى جذابة * جذب الحديد حجارة المغنيطس

ولابي محمد اليزيدي من أبيات

عش بجد ولا يضرك نوك * انما عيش من ترى بالجدود

عش بجد وكن هبنقة العبسي نوكا أو شيبة بن الوليد

وما أحسن قول بعضهم

ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالقادر

وبديع قول بعضهم

بالجد يسمى الفتى والا * فليس يغني أب وجد

وليس يجدي عليك كد * ما دام يكدي عليك جد

وما أحذق قول ابن لنكك

دنياك بانت على الاحرار غاضبة * وطاوعت كل صفعان وضراط

وقوله أيضا

كن ساعيا ومصافعا ومضارطا * تنل الرغائب في الزمان وتنفق

ولمؤلفه من أبيات

من يبغ بالفضل معاشا يمت * جوعا ولو كان بديع الزمان

ومن يقد أو يتمسخر يعش * عيشا رخيا في ظلال الامان

تبغي الحجا ثم تروم الغنى * يا قلما يجتمع الضرتان

ولطيف قول بعضهم

قد يجد اللبيب عن سعة الرز * ق وقد يسعد الضعيف بجده

رب مال أتى بأهون سعي * وكدود لم يغنه طول كده

ولابن نباتة السعدي

ما بال طعم العيش عند معاشر * حلو وعند معاشر كالعلقم

من لي بعيش الاغبياء فانه * لا عيش الا عيش من لم يعلم

عفيفا ولا تسحب ذيولا من الكبر

(اجازة بيت بأكثر من بيت) فمن ذلك ما رواه أبو الفرج الاصبهاني في أخبار بشار ابن برد وهو ان المهدي أشرف يوما من أعلى القصر فرأى جارية من جواريه تغتسل فحين رأته استترت منه فقال

نظرت في القصر عيني
نظرا وافق حيني

ثم ارتج عليه فأمر باحضار من يجيزه فأحضر بشار فأنشده البيت فقال

سترت لما رأتني
دونه بالراحتين
فضلت منه فضول
تحت طي العكنتين

فقال المهدي قبحك الله أكنت ثالثنا قال ثم ماذا فقال فتمنيت وقلبي
للهوى في زفرتين
أنني كنت عليه
ساعة أو ساعتين

فضحك المهدي وأمر له بجائزة فقال له يا أمير المؤمنين أقنعت في مثل هذه الصفة بساعة أو ساعتين قال فبم ويحك قال سنة أو سنتين فضحك وقال أخرج عني قبحك الله (ومنه ما روى) من أن الرشيد أنشد الاصمعي بيتا وهو

ليتني عقدك أو يا ليتني
تكة موشية من تككك

واستجازه فقال

امنحيني الوصل يا سيدتي
واطعميني عسلا من عكك

(والحرث) بن حلزة هو من بني يشكر من بكر بن وائل وكان أبرص وهو القائل

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

ويقال انه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالا في شيء كان بين بكر وتغلب في الصلح وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذي كان به فأمر برفع السجف بينه وبينه استحسانا لها وكان الحرث متوكئا على عنزة فأثرت في جسده وهو لا يشعر وكان له ابن يقال له مذعور ولمذعور ابن يقال له شهاب بن مذعور وكان ناسبا وفيه يقول مسكين الدارمي

هلم الى ابن مذعور شهاب * ينبئ بالسفال وبالمعالي

قال الاصمعي قد أقوى الحرث بن حلزة في قصيدته التي ارتجلها

فملكنا بذلك الناس اذ ما * ملك المنذر ابن ماء السماء

قال أبو محمد ولن يضر ذلك في هذه القصيدة لانه ارتجلها فكانت كالخطبة

(وألفى قولها كذبا ومينا)

هو من الوافر وصدره وقددت الاديم لراهشيه وقائله عدي بن زيد العبادي من قصيدة طويلة أولها

أبدلت المنازل أم عنينا * بقادم عهدهن فقد بلينا

يقول فيها يخاطب النعمان بن المنذر ابن ماء السماء

ألا أيها المثري المرجي * ألم تسمع بخطب الاولينا

ومنها يذكر غدر الزباء بجذيمة الابرش

دعا بالبقة الامراء يوما * جذيمة عصر ينجوهم ثبينا * فطاوع أمرهم وعصى قصيرا
وكان يقول لو تبع اليقينا * ودست في صحيفتها اليه * ليملك بضعها ولان تدينا
فخانها وقد جمعت فيوجا * على أبواب حصن مصلتينا * فأردته ورغب النفس يردي
ويبدي للفتى الحين المبينا * وحدثت العصا الانباء عنه * ولم أر مثل فارسها هجينا

(وبعده البيت المستشهد بعجزه وبعده)

ومن حذر الملاوم والمخازي * وهن المندبات لمن منينا * أطف لانفه الموسى قصير
ليجدعه وكان به ضنينا * فأهواه لمارنه فأضحى * طلاب الوتر مجدوعا مشينا
وصادفت امرءا لم تخش منه * غوائله وما أمنت أمينا * فلما ارتدمنها ارتد صلبا
يجز المال والصدر الضغينا * أتتها العيس تحمل ما دهاها * وقنع في المسوح الدارعينا
ودس لها على الانفاق عمرا * بشكته وما خشيت كمينا * فجللها قديم الاثر عضبا
يصل به الحواجب والجبينا * فأضحت من خزائنها كأن لم * تكن زباء حاملة جنينا
وأبرزها الحوادث والمنايا * وأي معمر لا يبتلينا * اذا أمهلن ذا جد عظيم
عطفن له ولو فرطن حينا * ولم أجد الفتى يلهو بشيء * ولو أثرى ولو ولد البنينا

وكان من خبر جذيمة والزباء أن جذيمة كان من العرب الاولى من بني اياد كما ذكره ابن الكلبي وكنيته أبو مالك وكان في أيام ملوك الطوائف وقال أبو عبيدة كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة وكان قد ملك شاطئ الفرات الى ما والى ذلك الى السواد ستين سنة وكان به برص فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا الابرش والوضاح وقيل سمي بذلك لانه أصابه حرق نار فبقي أثره نقطا سودا وحمرا وكان الملك قبله أباه وهو أول من ملك الحيرة وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب ملكه وألجأ الزباء الى أطراف مملكتها وكانت عاقلة أديبة فبعث اليها يخطبها لنفسه ليتصل ملكه بملكها فدعته نفسه الى ذلك وقيل انه هو الذي بعث اليها يخطبها فكتبت اليه اني فاعلة

ما على قومك أو ماضرهم لو وقفنا ساعة في سككك وقد تقدم قريب منها في باب المجاوبة قال ربة بن أبي السمر الرياضي في كتابه في الامثال سمعت سيبويه يقول دخل عبد الله بن طاهر الري سحرا فسمع قرية تنوح فقال لله در الهلالي حيث يقول

ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

وكان معه عوف بن محلم الشاعر فقال له أجز هذا البيت فقال

وأرقني بالليل صوت حمامة * فنحت وذو الشوق القديم ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمعة * ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما * ومن دون أفراخي مهامه فيح

(أنبأنا الشيخان) الاجل العلامة تاج الدين الكندي وابن الجرستاني اجازة عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر سماعا منه أخبرنا أبو بكر المرزقي أنبأنا أبو منصور العكبري أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد الصلت المحبر حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني حدثني علي بن صالح عن أحمد بن أبي طاهر حدثه أنه ألقى على فضل الشاعرة

علم الجمال تركتني * في الحب أشهر من علم

(فقالت)

ومثلك يرغب فيه فاذا شئت فاشخص الى فشاور وزراءه فكل أشار عليه أن يفعل الا قصير بن سعد فانه قال له أيها الملك لا تفعل فان هذه خديعة ومكر فعصاه وأجابها الى ماسألت فقال قصير عند ذلك لا يطاع لقصير رأى وقيل أمر فأرسلها مثلا ولم يكن قصيرا ولكن كان اسمه ثم انه قال له أيها الملك أما اذ عصيتني فاذا رأيت جندها قد أقبلوا اليك فان ترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني وان رأيتهم اذا حيوك طافوا بك فاني معترض لك العصا وهي فرس لجذيمة لا تدرك فاركبها وانج فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير اليه العصا فشغل عنها فركبها قصير فنجا فنظر جذيمة الى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال ماذل من جرت به العصا فأرسلها مثلا وأدخل جذيمة على الزباء وكانت قد ربت شعر عانتها حولا فلما دخل تكشفت له وقالت أمتاع عروس ترى يا جذيمة فقال بل متاع أمة بظراء فقالت انه ليس من عدم المواسي ولا من قلة الاواسي ولكنها شيمة ما أقاسي وأمرت فأجلس على نطع ثم أمرت برواهشه فقطعت وكان قد قيل لها احتفظي بدمه فانه ان أصاب الارض قطرة من دمه طلب بثاره فقطرت قطرة من دمه في الارض فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فلم يزل الدم يسيل الى أن مات ثم ان قصيرا أتى عمرا ابن أخت جذيمة وأخبره الخبر وحرضه على أخذ الثار واحتال لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه ولحق بالزباء وزعم أن عمرا فعل به ذلك وأنه اتهمه بممالأته لها على خاله ولم يزل يخدعها حتى اطمأنت له وصارت ترسله الى العراق بمال فيأتي الى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشتري به ما تطلبه ويأتي اليها به الى أن تمكن منها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له خذ ما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمرا فانتخب من عسكره فرسانا وألبسهم السلاح واتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل ثم حمل على كل بعير رجلين معهما سلاحهما وجعل يسير النهار حتى اذا كان الليل اعتزل عن الطريق فلم يزل كذلك حتى شارف المدينة فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلا وعرف انه مصبحها فلما أصبح عند ها دخل عليها وسلم وقال هذه العير تأتيك الساعة بمال لم يأتك قط مثله فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العير وهي تدخل المدينة فأنكرت مشيها وجعلت تقول

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

فلما توافت العير المدينة حلوا أشراجهم وخرجوا في الحديد وأتى قصير بعمرو فأقامه على سرب كان لها اذا خشيت خرجت منه فأقبلت لتخرج من السرب فأتاها عمرو فجعلت تمص خاتمها وفيه سم وتقول بيدي لا بيد عمرو وفارقت الدنيا والراهشان عرقان في باطن الذراعين (والشاهد فيه) التطويل وهو أن يكون اللفظ زائدا على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الزائد غير متعين اذ جمعه بين الكذب والمين في البيت لا فائدة فيه لانهما بمعنى واحد (وعدي) هو ابن زيد بن حماد بن أيوب ينتهي نسبه لنزار وكان أيوب هذا فيما يزعم ابن الانباري أول من سمي من العرب أيوب وكان عدي شاعرا فصيحا من شعراء الجاهلية وكان نصرانيا وكذلك كان أبوه وأهله وليس ممن يعد في الفحول اذ هو قروي وقد أخذ عنه أشياء عيب بها وكان أبو عبيدة والاصمعي يقولان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت الثقفي ومثلهما عندهم من الاسلاميين الكميت والطرماح وقال ابن قتيبة كان يسكن الحيرة ويدخل الارياف فثقل لسانه واحتمل عنه شئ كثير جدا وعلماؤنا لا يرون شعره حجة وله أربع قصائد غرر احداهن أولها

أرواح مودع أم بكور * لك فاعمد لاي حال تصير

وفيها يقول

أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الايام أم أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من * ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان أم أين قبله سابور

وأبحتني ياسيدي
سقما يزيد على السقم
وتركتني غرضا لذي
تلك العواذل والتهم

(وذكر أبو العباس المروزي) قال صنع المتوكل بيتا وطالب فضل الشاعرة أن تجيزه وهو

لاذ بها يشتكي اليها
فلم يجد عندها ملاذا

(فصنعت بديهة)

ولم يزل ضارعا اليها
تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد شوقا
فمات عشقا فكان ماذا

فطرب المتوكل وقال أحسنت وحياتي يافضل وأمر لها بمائتي دينار وأمر عريب فغنت به (قال علي بن ظافر) وقد ذكرنا البيت الاخير من بيتي فضل في حكاية أبي السمراء في اجازة بيت ببيت الا أن هذه الحكاية أثبت رواية من تلك وهي من رواية أبي الفرج في الاغاني (وبالاسناد المتقدم) ذكر الثعالبي في كتاب اليتيمة قال جلس سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان يوما مع جماعة من خواص كتابه وأصحابه فقال أيكم يجيز قولي

لك جسمي تعله * فدمي لم تحله

وليس لها الا سيدي يعني ابن عمه أبا فراس بن أبي العلاء ابن حمدان فارتجل أبو فراس

لك من قلبي المكا * ن فلم لا تحله
ولئن كنت مالكا
فلك الامر كله

فاستحسنهما ووهب له ضيعة منبج تغل ألفي دينار في كل

وبنو الاصفر الكرام ملوك الـــروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـــلة تجبى اليـه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـــسا فللطير فى ذراه وكور
وتبين رب الخورنق اذ أشـــرف يوما وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يمـــلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـــطة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والامـــة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهـم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

والثانية أولها
أتعرف رسم الدار من أم معبد * نعم فرماك الشوق قبل التجلد
أعاذل ما يدريك أن منيتى * الى ساعة فى اليوم أو فى ضحى غد
ذرينى فانى انما لى ما مضى * أمامى من مالى اذا خف عودى
وحمت لميقات الى منيتى * وغودرت قد وسدت أو لم أوسد
وللوارث الباقى من المال فاتركى * عتابى فانى مصلح غير مفسد

والثالثة أولها
لم أر مثل الفتيان فى غبن الا يام ينسون ما عواقبها

والرابعة أولها
طال ليلى أراقب التنويرا * أرقب الليل بالصباح بصيرا

انتهى ما قاله ابن قتيبة وكان جده أيوب منزله باليمامة فأصاب دما فى قومه فهرب فلحق بأوس بن قلام أحد بنى الحرث بن كعب بالحيرة وكان بينهما نسب من قبل النساء فأقام بالحيرة واتصل بالملوك الذين كانوا بها وعرفوا حقـه وحق بنيه ولما ولد عدى وأيفع طرحه أبوه فى الكتاب حتى اذا احذق أرسله مرزبان الحيرة مع ابنه شاهان مرد الى كتاب الفارسية فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمى بالنشاب فخرج من الاساورة الرماة وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها ثم ان المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد فبينما هما واقفان بين يديه اذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والانثى يجعل كل واحد منهما منقاره فى منقار الآخر فغضب كسرى من ذلك ولحقته غيرة شديدة فقال للمرزبان وابنه ليرم كل واحد منكما واحدا من هذين الطائرين فان قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ومن أخطأ منكما عاقبته فاعتمد كل واحد منهما طائرا منهما ورمياه فقتلاهما جميعا فبعثهما الى بيت المال فملئت أفواههما جوهرا وأثبت شاهان مرد وسائر أولاد المرزبان فى صحابته فقال عند ذلك للملك ان عندى غلاما من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته وهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثله فان رأى الملك أن يثبته فى ولدى فعل فقال ادعه فأرسل الى عدى بن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جوابا فرغب فيـه وأثبته مع ولد المرزبان فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى فرغب أهل الحيرة الى عدى ورهبوه فلم يزل بالمدائن فى ديوان كسرى يؤذن له عليـه فى الخاصة وهو معجب له قريب منـه وأبوه زيد بن حماد حى الا أن ذكر عدى قد ارتفع وخمل ذكر أبيه فكان عدى اذا دخل على المنذر قام له هو وجميع من عنده حتى يقعد عدى فعلا له بذلك صيت عظيم وكان اذا أراد المقام فى الحيرة فى منزله مع أبيـه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل ثم ان كسرى أرسله الى ملك الروم بهدية من طرف ما عنده فلما أتاه عدى بها أكرمه وحمله الى أعماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظم ملكه وكذلك كانوا يصنعون فمن ثم وقع عدى بدمشق وقال بها الشعر فمما قاله بالشام وهو أول شعر قاله فيما ذكر

رب دار بأسفل الجذع من دو * مة أشهى الى من جيرون

سنة (وذكر القاضى أبو على التنوخى فى كتاب النشوان) قال أنشدنى أبو القاسم عبد الله بن محمد الضروى لنفسه بالاهواز يقول

اذا احمد الناس الزمان ذممته * ومن كان فوق الدهر لا يحمد الدهرا

وزعم أنه حاول أن يضيف اليه شيأ فتعذر عليه مدة طويلة وضجر منـه وتركه مفردا وكان عنده أبو القسم المصيصى المؤدب فسمع القول فعمل فى الحال اجازة له وأنشدها لنفسه

وان أوسعتنى النائبات مكارها * ثبت ولم أجزع وأوسعتها صبرا
اذا السل خطب سد طرق مذاهبى * لجأت الى عزمى فأطلع لى فجرا

(وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد جلس يوما فى بعض دور الحرم فتر عليه بعض حظاياه فى غلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها وذوائب تبدى آيات الشمس فى ملثمها فسكب عليها انا ماء ورد كان بين يديه فامتزج الكل لينا واسترسالا وطيبا وجمالا وأدركت المعتمد أريحية الطرب وماذت بعطفيه راح الادب فقال وهو بت سالبة النفوس عزيزة

تختال بين أسنة وبواتر
وتعذر عليـه المقال فقال لبعض الخدم القاعين على رأسه سر الى الوليد النحلى

ونداى لايفرحون بمانا * لولا يتقون صرف المنون
قد سقيت الشمول فى دار بشر * قهوة مرة بماء سخين

ثم ان عديا قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر فصادف أباه والمرزبان الذى رباه قد هلكا جميعا فاستأذن كسرى فى المقام بالحيرة فتوجه اليها وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاه ورجع معه وعدى أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ولو أراد أن يملكوه لملكوه ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك فمكث سنين يبدو فى فصلى السنة فيقيم فى البر صيفا ويشتو بالحيرة ويأتى المدائن فى خلال ذلك فيخدم كسرى فمكث بذلك سنين ثم ان المنذر هلك وقام ابنه النعمان مقامه بمعاونة عدى فى خبر طويل ثم لم يزل الحسدة يوقعون بينه وبين عدى الى أن حبسه فقال فى ذلك أشعارا كثيرة منها

طال ذا الليل علينا واعتكر * وكأن بادر الصبح سمر
من نجى الهم عندى ثاويا * فوق ما أعلن منه وأسر
وكأن الليل فيه مثله * ولقد أبطن بالليل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى * أتمنى لو أرى الصبح جشر
غير ما عشق ولكن طارق * خاس النوم وأجدانى السهر

وقال يخاطب النعمان بن المنذر أيضا

أبلغ النعمان عنى مألكا * انه قد طال حبسى وانتظار
لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصار
ليت شعرى من دخيل يعترى * حيث ما أدرك ليلى ونهار
قاعدا يكرب نفسى بثها * وحرام كان سجنى واحتصار

فى قصائد كثيرة كان يقولها ويكتب بها اليه فلا تجدى عنده شيأ ولقد تداول الشعراء معنى بيت عدى لو بغير الماء حلقى شرق الخ بعد عدى فقال أبو نواس

غصصت منك بما لا يدفع الماء * وصح حبك حتى ما به داء

وقال الآخر من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وقال الخبزارزى بالماء أدفع شيأ ان غصصت به * فما احتيالى وغصى منك بالماء

ثم لما طال سجن عدى كتب الى أخيه أبى وهو مع كسرى يعلمه بحاله فلما قرأ كتابه قام الى كسرى فكلمه فى أمره وعرفه بخبره فكتب الى النعمان يأمره باطلاقه وبعث معه رجلا وكتب خليفة النعمان اليه أنه قد كتب اليك فى أمره فأتى النعمان أعداء عدى وقالوا اقتله الساعة فأبى عليهم وجاء الرسول وقد كان أخو عدى تقدم اليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعدى فيدخل عليه وهو محبوس بالصنين فقال له ادخل عليه وانظر ماذا يأمرك به فامتثله فدخل الرسول على عدى فقال له انى قد جئت بارسالك فما عندك قال عندى الذى تحب ووعده عدة سنية وقال له لا تخرجن من عندى وأعطنى الكتاب حتى أرسله اليه فانك والله لئن خرجت من عندى لا قتلن فقال لا أستطيع الا أن آتى الملك بالكتاب فأوصله اليه فانطلق بعض من كان هناك من أعداء عدى فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدى وهو ذاهب به وان فعل والله لم يستبق منا أحدا أنت ولا غيرك فبعث اليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه ودخل الرسول الى النعمان فأوصل الكتاب اليه فقال حبا وكرامة وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهب وجارية حسناء وقال له اذا أصبحت فادخل أنت بنفسك الحبس فأخرجه فلما أصبح ركب فدخل السجن فأخبره الحارس انه قد مات منذ أيام ولم نجترئ على اخبار الملك بذلك خوفا منه وقد عرفنا كراهيته لموته فرجع الى النعمان فقال انى قد كنت أمس دخلت على عدى وهو حى وجئت اليوم فجحدنى السجان وبهتنى وذكر لى انه قد مات منذ أيام فقال له النعمان أيبعث بك الملك الى فتدخل اليه قبلى كذبت ولكنك أردت الرشوة والخبث

وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ فأضاف اليه لاول وقوع الرقعة بين يديه
راقت محاسنها ورق أديمها
فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن بلله الندى
تختال فى ورق الشباب الناضر
تبدى بماء الورد مسبل شعرها
كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وحسن جمالها
زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره
وعناله صرف الزمان الجائر
واذا لمحت جبينه ويمينه
أبصرت بدرا فوق بحر زاخر
فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أو كنت معناه فأجابه الفتى بكلام معناه يا قاتل المحل أو ما تلوت وأوحى ربك الى النحل
(ومن ذلك) بالاسناد المتقدم أيضا لكتاب الذخيرة ما روى ابن بسام أن المعتمد أيضا أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاء وزنهما سبعمائة مثقال فأهدى الغزال للسيدة ابنة مجاهد والهلال لابنه الرشيد فوقع له أن قال
بعثنا بالغزال الى الغزال
وللشمس المنيرة بالهلال
واصطبح وحضر الرشيد فدخل عليه وجاء الندمان والجلساء وفيهم أبو القاسم ابن مرزقان فحكى لهم المعتمد البيت وأمر باجازته فبدر

وتهدده ثم زاد جائزته وأكرمه وتوثق منه أن لا يخبر كسرى الا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه فرجع الرسول الى كسرى وقال انى قد وجدته قد مات قبل أن أدخل عليه وندم النعمان على قتله وعلم انه قد احتيل عليه فى قتله واجترأ أعداؤه عليه وهابهم هيبة شديدة وكان لعدى ولد اسمه زيد فسيره النعمان الى كسرى ووصفه بأوصاف جميلة فوقع من كسرى الموقع فما زال يعمل الحيلة الى أن غير كسرى على النعمان وأرسل اليه أن أقبل علينا فحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبل طئ ثم بعث الى كسرى بخيل وحلل وجواهر وطرف فقبلها كسرى وأظهر له الرضا وأمره بالقدوم فعاد الرسول وأخبره بذلك وانه لم ير له عند كسرى سوء فمضى اليه حتى اذا وصل الى ساباط لقيه زيد بن عدى عند قنطرة ساباط فقال له انج نعيم ان استطعت النجاة فقال له أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشت لك لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربى قط ولألحقنك بأبيك فقال له زيد امض لشأنك نعيم فقد والله أخيت لك أخية لا يقطعها المهر الارن فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى سجن له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هنالك فمات فيه وقال ابن الكلبى ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين وقالوا لم يزل محبوسا مدة طويلة وانما مات بعد ذلك بحين قبيل الاسلام وغضبت له العرب حينئذ وكان قتله سبب وقعة ذى قار وكان عدى يهوى هند بنت النعمان بن المنذر ولها يقول

علق الاحشاء من هند علق * مستسر فيه نصب وأرق

وفيها يقول أيضا

من لقلب دنف أو معتمد * قد عصى كل نصيح ومفند

وفيها يقول أيضا

يا خليلى يسرا التعسيرا * ثم روحا فهجرا تهجيرا
عرجا بى على ديار لهند * ليس أن عجتما المطى كبيرا

وقد تزوجها عدى فى خبر طويل فمكثت معه حتى قتله النعمان فترهبت وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند فى ظاهر الحيرة وكان هلاكها بعد الاسلام بزمن طويل فى ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة وخطبها المغيرة فردته وقالت والصليب لو علمت أن فى خصلة من جمال أو شباب رغبتك فى لأجبتك ولكنك أردت أن تقول فى المواسم ملكت مملكة النعمان بن المنذر وتزوجت ابنته فبحق معبودك أهذا أردت قال اى والله قالت فلا سبيل اليه

﴿ولا فضل فيها للشجاعة والندى * وصبر الفتى لولا لقاء شعوب﴾

البيت لأبى الطيب المتنبى من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة بن حمدان ويعزيه بغلامه يماك التركى وأولها وفيه الخرم وهو حذف الحرف الاول من الوتد المجموع

لا يحزن الله الامير فاننى * لآخذ من حالاته بنصيب
ومن سر أهل الارض ثم بكى أسى * بكى بعيون سرها وقلوب
وانى وان كان الدفين حبيبه * حبيب الى قلبى حبيب حبيبى
وقد فارق الناس الاحبة قبلنا * وأعيى دواء الموت كل طبيب
سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها * منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتى تملك سالب * وفارقها الماضى فراق سليب

وبعده البيت وبعده

وأوفى حياة الغابرين لصاحب * حياة امرئ خانته بعد مشيب
لا بقى يماك فى حشاى صبابة * الى كل تركى النجار جليب
وما كل وجه أبيض بمبارك * ولا كل جفن ضيق بنجيب
لئن ظهرت فينا عليه كآبة * لقد ظهرت فى حد كل قضيب
وفى كل قوس كل يوم تناضل * وفى كل طرف كل يوم ركوب

ابن هرزقان فقال

فذا سكنى أسكنه فؤادى
وذا نجلى أقلده المعالى
شغلت بذا وذا خلدى ونفسى
ولكنى بذلك رخى بالى
زففت اليديه زمام ملكى
محلى بالصوارم والعوالى
فقام بقر عينى فى مضاء
ويسلك مسلكى فى كل حال
فدم للملاء ودام فينا
فانا للسماح وللنزال

(وذكر أبو الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد) قال خرجت من اشبيلية لوداع كبير من المرابطين فوجدت معه الوزير أبا محمد بن مالك فلما انصرفنا عدنا متسايرين فمررنا ببرج حسن النبات بديع النوار فبادر غلام من مماليكه وضىء الوجه الى زهرة بديعة فقطفها وأتاه بها التعجبه من حسنها فاقترح على أن أصفه فقلت

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه
وفى كفه من رائق النور كوكب

(فقال مجيزا له)

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى
ويطلع فى أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أى مهفهف
يجيء على مثل الكثيب ويذهب

(قال على بن ظافر) ومن هذا القسم ما تكون الاجازة لبيت بأبيات تجعل قبله أو بعده وقبله كما أنبأنى العماد

يعز عليه أن يخل بعادة * وتدعو لأمر وهو غير مجيب
وكنت اذا أبصرته لك قائما * نظرت الى ذى لبدتين أريب
فان يكن العلق النفيس فقدته * فمن كف متلاف أعز وهوب
لان الردى عاد على كل ماجد * اذا لم يعوذ مجده بعيوب
ولولا أيادى الدهر فى الجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب

وهى طويلة وشعوب اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث وصرفه للضرورة سميت المنية بذلك لانها تشعب أى تفرق (والشاهد فيه) الحشو الزائد المفسد وهو هنا لفظة الندى لان المعنى ان الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت وهذا انما يصح فى الشجاعة والصبر دون العطاء فان الشجاع اذا تيقن الخلود هان عليه الاقتحام فى الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن فى ذلك فضل وكذلك الصابر اذا تيقن زوال الشدائد والحوادث وبقاء العمر هان عليه صبره على المكروه لوثوقه بالخلاص منه بل مجرد طول العمر يهون على النفوس الصبر على المكاره ولهذا يقال هب أن لى صبر أيوب فمن أين لى عمر نوح بخلاف الباذل ماله فانه اذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه اليه فيكون بذله حينئذ أفضل وأما اذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله ولهذا قال طرفة

فان كنت لا أسطيع دفع منيتى * فذرنى أبادرها بما ملكت يدى

ومثله قول مهيار الديلمى

فكل ان أكلت وأطعم أخاك * فلا الزاد يبقى ولا الآكل

وقيل المراد بالندى بذل النفس لا المال كما قال مسلم بن الوليد

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس وان استعمل فعلى وجه الاضافة والاقرب ما ذكره ابن جنى وهو أن فى الخلود وتنقل الاحوال فيه من عسر الى يسر ومن شدة الى رخاء ما يسكن النفوس ويسهل البؤس فلا يظهر لبذل المال كثير فضل

(وأعلم علم اليوم والامس قبله)

هو من البحر الطويل وتمامه ولكننى عن علم ما فى غد عمى وقائله زهير بن أبى سلمى وهو من آخر قصيدة قالها فى الصلح الواقع بين عبس وذبيان وأولها

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم فى نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

(ومعنى البيت) ان علمى قد يحيط بما مضى وبما هو حاضر ولكننى عمى القلب عن الاحاطة بما هو منتظر متوقع يريد لا أدرى ماذا يكون غدا (والشاهد فيه) الحشو الغير مفسد للمعنى وهو لفظة قبله ومثله قول عدى المتقدم

نحن الرؤس وما الرؤس اذا سمت * فى المجد للأقوام كالاذناب

فقوله للاقوام حشو وفيه نظر لان استعمال الرأس فى المقدم والرئيس مجاز وذكر الاقوام كالقرينة وقول الآخر

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

فلفظة الرأس حشو فان الصداع لا يستعمل الا فى الرأس ومن الحشو المفسد قول ديك الجن

فتنفست فى البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنا اللهب
كتنفس الريحان خالطه * من ورد جور ناضر الشعب

فذكره المزاج يغنى والماء فضل لا يحتاج اليه وقد قصر عن قول أبى نواس

ساو اقناع الطين عن رمق * حى الحياة مشارف الحتف
فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الانف

أبو حامد قال قال عمارة اليمنى الشاعر فى كتابه فى شعراء اليمن ان الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد الابى حدثه قال أذكر ليلة وأنا أمشى مع الاديب أبى بكر العدنى على ساحل عدن وقد تشاغلت عن الحديث معه فقال لى فى أى شئ أنت تفكر فقلت فى بيت عملته وهو

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته * لعل طرف الذى أهواه ينظره

فقال لمن هذا البيت فقلت لى فأنشد مرتجلا

يا راقد الليل بالاسكندرية لى * من يسهر الليل وجدا حين أسهره
ألاحظ النجم تذكارا لطلعته * وان جرى دمع أجفانى تذكره

(قال على بن ظافر) اتفق أن خرجنا للقاء القاضى الفاضل فرأيت فى الموكب رجلا أسود اللون وعليه جبة حمراء فأنكرته ولم أعرفه ولقيت القاضى الاسعد أبا المكارم أسعد بن الخطير فقلت له من هذا الاسود الذى كأنه فحمة فى دم حجامة فقال لى كأنه ناظر طرف أرمد فقلت له يصلح أن يكون قبله

واسود فى ثوبه المورد

وبعده

أو مثل خال فوق خد أمرد

ثم لقيت بعد ذلك القاضى السعيد بن سناء الملك رحمه الله تعالى فأنشدته اياهما وكتمته الاول وقلت قد صنعت لهما أولا فاصنع أنت أيضا

(وزهير بن أبي سلمى) هو أبو كعب وبجير واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرة ينتهي نسبه لنزار وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وانما الخلاف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني وعن عمر بن عبد الله الليثي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في مسيره الى الجابية أين ابن عباس قال فأتيته فشكا الي تخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت أولم يعتذر اليك قال بلى قلت هو ما اعتذر به ثم قال ان أول من ريثكم عن هذا الامر أبو بكر رضي الله عنه ان قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم بين الخلافة والنبوة ثم ذكر رضي الله عنه قصة طويلة قال ثم قال لي هل تروي لشاعر الشعراء قلت ومن هو قال الذي يقول

ولو أن حمدا يخلد الناس خلدوا ＊ ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت ذاك زهير بن أبي سلمى قال هو شاعر الشعراء قلت وبم كان شاعر الشعراء قال لانه كان لا يعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر وكان لا يمدح أحدا الا بما هو فيه وفي رواية انه قال له أنشدني له فأنشدته حتى برق الفجر فقال حسبك الآن اقرأ القرآن قلت وما أقرأ قال الواقعة فقرأتها ونزل فأذن وصلى ＊وسأل معاوية الاحنف بن قيس عن أشعر الشعراء فقال زهير قال وكيف ذاك قال كف عن المادحين فضول الكلام قال بماذا قال بقوله

فما يك من خير أتوه فانما ＊ توارثه آباء آبائهم قبل

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى زهير بن أبي سلمى وله مائة سنة فقال اللهم أعذني من شيطانه فما لاك بيتا حتى مات وعن الاصمعي قال قال عمر رضي الله عنه لبعض ولد هرم بن سنان أنشدني مدح زهير أباك فأنشده فقال عمر ان كان ليحسن القول فيكم فقال ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء فقال ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم قال وبلغني أن هرم بن سنان كان قد حلف أن لا يمدحه زهير الا أعطاه ولا يسأله الا أعطاه ولا يسلم عليه الا أعطاه غرة عبدا أو وليدة أو فرسا فاستحيى زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه في ملا قال انعموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت وعن عمر بن شيبة قال قال عمر رضي الله عنه لابن زهير ما فعلت بالحلل التي كساها هرم أباك قال أبلاها الدهر قال لكن الحلل التي كساها أبوك هرما لم يبلها الدهر وقال أبو زيد الطائي أنشد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليقة ＊ وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقال أحسن زهير وصدق ولو أن الرجل دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعمل عملا تكره أن يتحدث الناس به عنك ومنه قول عمرو بن الاهتم

اذا المرء لم يحببك الا تكرها ＊ بدا لك من أخلاقه ما يغالب

وقول أبي الطيب المتنبي

وللنفس أخلاق تدل على الفتى ＊ أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

وعن المدايني أن عروة بن الزبير رضي الله عنه لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله رضي الله عنهما فكان اذا دخل عليه منفردا أكرمه واذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخف به فقال له يوما يا أمير المؤمنين بئس المزور أنت تكرم ضيفك في الخلا وتهينه في الملا ثم قال لله در زهير حيث يقول

فحلي من ديارك ان قوما ＊ متى يدعو ديارهم يهونوا

ثم استأذنه في الرجوع الى المدينة المنورة فقضى حوائجه وأذن له وقال ابن الاعرابي كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان أبوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر وابناه كعب وبجير شاعران وأخته سلمى شاعرة وأخته الخنساء شاعرة وهي القائلة ترثيه

وما يغني توقي المرء شيأ ＊ ولا عقد التميم ولا الغضار ＊ اذا لاقى منيته فأمسى
يساق به وقد حق الحذار ＊ ولاقاه من الايام يوم ＊ كما من قبل لم يخلد قدار

وقصدت بذلك اختيار القافية وتمكنها اذ كل خاطر اغا يبادر اليها فقال

وأسود في ملبس مورد
فجبت من توارد الخاطرين لما كانت القافية متمكنة غير مستدعاة ولا مجتلبة الا أن قوله في ملبس أحسن من قولي في ثوبه

(قال علي بن ظافر) وخرجت أنا وشهاب الدين يعقوب بن أخت ابن المجاور ونحن بالاسكندرية أيام حلول الملك العزيز رحمه الله بها الى جزيرتها المباركة لزيارة قبر صاحبنا القاضي الاعز أبي الحسين علي بن المؤيد المتردد ذكره في هذا الكتاب وقد كان توفي أغبط ما كان بالحياة وأبعد ما كان من تخوف الوفاة

غصن شباب رطيب والزمان على منبر فضله الخطير خطيب
فلما نزلنا بفناء قبره وأسبلنا سبيل المدامع لذكره أنشدني شهاب الدين بيتين صنعهما في الطريق وهما

أيا قبر الاعز سقيت غيثا
لجود يديه أو دمعي عليه
فلولا أخانه الصافي ودادا
وددت الموت من شوقي اليه
فقال ان بين الاول والثاني فرجة تريد بيتا لسدها فلعلك أن تسعدني فقلت
وحلت جانبيك مروج زهر
تحاكي طيب أوقاتي لديه

(ومنه اجازة بيت وقسيم بقسيم) كما روى اسحق الجصاص قال صنع زهير بن

وكان زهير يضرب به المثل فى التنقيح فيقال حوليات زهير لانه كان يعمل القصيدة فى ليلة ثم يبقى حولا ينقحها ومما يعد من محاسنه قوله

وأبيض فياض نداه غمامة * على معتفيه ماتغب فواضله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وقوله أيضا

كم زرته وظلام الليل منسدل * مسهم راق اعجابا بأنجمه
وأبت والصبح منحور بكوكبه * وسائق الشفق المحمر من دمه

ومحاسنه ومحاسن أولاده كثيرة وغرتها قصيدة كعب وهى بانت سعاد فقلبى اليوم متبول المشرفة بن قيلت فيه صلى الله عليه وسلم

(فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع)

البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا قابوس وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة وأولها

عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع * فجنبا أريك فالتلاع الروافع
فمجتمع الاشراج غير رسمها * مصايف قد مرت بنا ومرابع
توهمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

الى أن قال فيها

وقد حال هم دون ذلك شاغل * مكان الثقاف تنقيه الاصابع
وعيد أبى قابوس فى غير كنهه * أتانى ودونى راكس فالضواجع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها * لحلى النساء فى يديه قعاقع
تبادرها الراقون من سوء سمها * تطلقه طورا وطورا تراجع
أتانى أبيت اللعن انك لمتنى * وتلك التى تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله * وذلك من تلقاء مثلك رائع

الى أن قال فيها

فان كنت لا ذو الضغن عنى مكذب * ولا حالف على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشئ أقوله * وأنت بأمر لامحالة واقع

وبعده البيت وبعده

خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع
ستبلغ عذرا أو نجاحا من امرئ * الى ربه رب البرية راكع
أتوعد عبدا لم يخنك أمانة * وتترك عبدا ظالما وهو ظالع
وأنت ربيع ينعش الناس سيبه * وسيف أعيرته المنية قاطع
أبى الله الا عدله ووفاءه * فلا النكر معروف ولا العرف ضائع
وتسقى اذا ما شئت غير مصرد * بزوراء فى حافاتها المسك كانع

والمنتأى اسم موضع من انتأى عنه أى بعد وشبهه بالليل لانه وصفه فى حال سخطه وهوله (والمعنى) انه لا يفوت الممدوح وان أبعد فى الهرب وصار الى أقصى الارض لسعة ملكه وطول يده ولان له فى جميع الآفاق مطيعا لامره يرد الهارب اليه وقد اعترض الاصمعى على النابغة فقال أما تشبيهه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه وانما كان سبيله أن يأتى بما لاقسيم له حتى يأتى بمعنى منفرد فلو قال قائل ان قول النميرى فى ذلك أحسن منه لوجد مساغا الى ذلك حيث يقول

فلو كنت كالعنقاء أو كسموها * لخلتك الا أن تصد ترانى

(والشاهد فيه) مساواة اللفظ للمعنى المراد وفى معنى بيت النابغة قول على بن جبلة

وما لامرئ حاولته منك مهرب * ولو رفعته فى السماء المطالع
بلى هارب لا يهتدى لمكانه * ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

أبى سلمى بيتا وقسيماوهما
تراك الارض اما مت خفا
وتحيا ان حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العز منها
(ثم أكدى) فمر به النابغة
الذبيانى وقال له أجز يا أبا
امامة وأنشده فأكدى
النابغة وأقبل كعب بن زهير
وانه لغلام فقال له أبوه أجز
يا بنى فقال وما أجيز
فأنشده فقال
وتمنع جانبيها أن يزولا
فضمه زهير اليه وقال له
أنت ابنى حقا (ومن ذلك)
ما رواه اسحق الموصلى
قال ولد للفضل بن يحيى بن
خالد مولود فدخل عليه
أبو النصر عمر بن عبد الملك
ولم يكن علم الخبر فلما مثل
بين يديه ورأى الناس يهنونه
تثراوتظاماوقف وأنشد
ارتجالا
ونفرح بالمولود من آل برمك
بغاة الندى والسيف والرمح
والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله
ثم أرتج عليه فلم يدر ما يقول
فقال الفضل يلقنه
ولا سيما ان كان من ولد الفضل
فاستحسن الناس بديهته
وأمر لابى المنصور بصلة
(أنبأنى) الشيخ الفقيه
النبيه أبو الحسن على بن
الفضل المقدسى قال أنبأنى
الفقيه أبو القاسم مخلوف
ابن على القيروانى عن أبى
عبد الله محمد بن أبى سعيد
السرقسطى عن أبى عبد
الله محمد بن أبى نصر الحميدى

وأكثر الادباء يرجحه على بيت النابغة وفي هذا المعنى أيضا قول سلم الخاسر

فأنت كالدهر مبثوثا حبائله * والدهر لاملجأ منه ولا هرب

ولو ملكت عنان الريح أصرفها * في كل ناحية مافاتك الطلب

وتناوله البحتري أيضا فقال

ولو انهم ركبوا الكواكب لم يكن * ينجيهم من خوف بأسك مهرب

وما أبدع قول أبي القاسم بن هانئ فيه

أين المفر ولا مفر لهارب * ولك البسيطان الثرى والماء

وقول الآخر فلو كنت فوق الريح ثم طلبتني * لكنت كمن ضاقت عليه المذاهب

وبديع قول أبي العرب الصقلي

كأن بلاد الله كفاك ان يسر * بها هارب تجمع عليه الانامل

وأين يفر المرء عنك بجرمه * اذا كان تطوى في يديك المراحل

(والنابغة) اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ينتهي نسبه الى ذبيان ثم لمضر ويكنى أبا أمامة وانما سمي النابغة لقوله وقد نبغت لهم منا شؤون وهو أحد الاشراف الذين غض منهم الشعر وهو من الطبقة الاولى المقدمين على سائر الشعراء * عن ربعي بن خراش قال قال لنا عمر رضي الله عنه يامعشر غطفان من الذي يقول أتيتك عاريا خلقا ثيابي * على خوف تظن بي الظنون قلنا النابغة قال ذاك أشعر شعرائكم وعن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله فانك كالليل الذي هو مدركي البيت فقال شيخ من بني مرة وما الذي رأى في النعمان حتى يقول مثل هذا وهل كان النعمان الاعلى منظرة من مناظر الحيرة وقالت ذلك القيسية أيضا فأكثرت فنظر الى الجنيد فقال يا أبا خالد لا يهولنك قول هؤلاء الاعاريب وأقسم بالله لو عاينوا من النعمان ماعاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا ماسمع وهم آمنون * وقال عمر بن المنتشر المرادي وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر اليه من أمر وحلف عليه فقال له عبد الملك ما كنت حريا أن تفعل ولا تعتذر ثم أقبل على أهل الشام فقال أيكم يروي من اعتذار النابغة الى النعمان

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه فأقبل علي فقال أترويه قلت نعم فأنشدته القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب * وعن أبي عبيدة وغيره أن النابغة كان خاصا بالنعمان وكان من ندمائه وأهل أنسه فرأى زوجته المتجردة يوما وقد غشيها شيء شبيه بالفجاءة فسقط نصيفها فاستترت بيديها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها فقال قصيدته التي أولها

من آل مية رائح أو مغتدي * عجلان ذازاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا * وبذاك تنعاب الغراب الاسود

لامرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة في غد

أزف الترحل غير أن ركابنا * لما تزل برحالنا وكأن قد

في اثر غانية رمتك بسهمها * فأصاب قلبك غير أن لم تقصد

بالدر والياقوت زين نحرها * ومفصل من لؤلؤ وزبرجد

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه * عنم على أغصانه لم يعقد

وبفاحم رجل أثيث نبته * كالكرم مال على الدعام المسند

قال أخبرني أبو زكريا يحيى ابن علي الانصاري فيما أظن وقد كتبت منه قال أخبرني عمر بن الصيرفي المقري قال أخبرنا محمد بن عبد الله عن أبيه أنه سمع أبا عمرو الكلبي قال كنت جالسا عند أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه فأتاه من بعض اخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر وكتاب معه فحول ابن عبد ربه الكتاب وجاوبه بديهة وكتب في الجواب

بعثت ياسيدي حلو الانابيب
عذب المذاقة مخضر الجلابيب
كأنما العسل الماذي شيب به

(قال الكلبي) ثم توقف فقال ياكلبي أجز هذا البيت فاني لا أجد له تماما فقلت

لا بل يزيد على الماذي في الطيب

فقال أحسنت يا كلبي ثم أخذ القلم وأراد أن يكتبه على ماقلت ثم كره الاستعارة فأطرق قليلا ثم قال

أوريق محبوبة جادت لمحبوب

(قال الكلبي) فقمنا وقبلنا رأسه سرورا منا بقوله (وأخبرني) القاضي السعيد ابن سناء الملك قال صنعت

قد كان لي منديل كم ساذج
ما جاز مسح يدي به في مذهبي
فاعتضت عنه بخد من أحببته

وأرتج علي فلم أستطع أكمل البيت فاستجزت القاضي تاج الدين بن الجراح فقال

فمسحت في منديل كم مذهب

(ومنه اجازة بيتين ببيت) فمن ذلك ماروي لنا أن

نظرت اليك لحاجة لم تقضها * نظر السقيم الى وجوه العوّد

وهي طويلة فأنشدها النابغة مرّة بن سعد القريعي فأنشدها مرّة النعمان فامتلأ غضبا وأوعد النابغة وتهدده فهرب فأتى قومه ثم شخص الى ملوك غسان بالشام فامتدحهم وقد اعترض الاصمعي على البيت الأخير من هذه الابيات فقال أما تشبيهه مرض الطرف فحسن الا انه هجنه بذكر العلة وتشبيهه المرأة بالعليل وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

وأما قوله سقط النصيف البيت فيروى أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه أتعلمون أن النابغة كان مخنثا قالوا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال أوما سمعتم قوله يعني هذا البيت والله ما عرف هذه الاشارة الا مخنث وقد أخذ هذا المعنى أبو حية النميري فقال

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومعصم

ثم أخذه الشماخ فقال

اذا مرّ من تخشى اتقته بكفها * وسبّ بنضح الزعفران مضرّج

وأظرف ما يعرف من هذا المعنى ما أنشده القاضي التنوخي لنفسه

لم أنس شمس الضحى تطالعني * ونحن في روضة على فرق
وجفن عيني بمائه شرق * وقد بدت في معصفر شرق
كأنه دمعتي ووجنتها * حين رمتنا العيون بالحدق
ثم تغطت بكمها خجلا * كالشمس غابت في حمرة الشفق

(رجع الى أخبار النابغة) عن المفضل أن مرّة الذي وشى بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له ذو الريقة من كثرة فرنده وجودته فذكره النابغة للنعمان فاضطغن من ذلك مرّة حتى وشى به الى النعمان وحرّضه عليه وقيل ان الذي من أجله هرب النابغة من النعمان انه كان هو والمنخل بن عبيد بن عامر اليشكري جالسين عنده وكان النعمان دميما أبرش قبيح المنظر وكان المنخل من أجمل العرب وكان يرمى بالمتجردة زوجة النعمان وتحدثت العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل فقال النعمان للنابغة يا أبا أمامة صف المتجردة في شعرك فقال قصيدته هذه ووصف فيها بطنها وروادفها وفرجها فلحق المنخل من ذلك غيرة فقال للنعمان ما يستطيع أن يقول هذا الشعر الا من جرّب فوقر ذلك في نفس النعمان وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار الى غسان فنزل بعمرو بن الحرث الاصغر ومدحه ومدح أخاه النعمان ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان فصار معه الى أن استعطفه النعمان فعاد اليه وعن أبي بكر الهذلي قال قال حسان بن ثابت رضي الله عنه قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته فأتيت حاجبه عصام بن شهبر فجلست اليه فقال اني أرى عربيا أفمن الحجاز أنت قلت نعم قال فكن قحطانيا قلت فاني قحطاني قال فكن يثربيا قلت فاني يثربي قال فكن خزرجيا قلت فاني خزرجي قال فكن حسان بن ثابت قلت فأنا هو قال أجئت بمدحة الملك قلت نعم قال فاني سأرشدك اذا دخلت عليه فانه سيسألك عن جبلة بن الايهم ويسبه فاياك أن تساعده على ذلك ولكن أمرّ ذكره امرارا لا توافق فيه ولا تخالف وقل ما دخول مثلي أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه فان دعاك الى الطعام فلا تواكله فان أقسم عليك فأصب منه اليسير اصابة مبرّ قسمه متشرّف بمواكلته لا أكل جائع سغب ولا تبدأه باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ولا تطل الاقامة في مجلسه فقلت أحسن الله رفدك قد أوصيت واعيا ودخل ثم خرج الي فقال ادخل فدخلت وحييت بتحية الملك فجاراني في أمر جبلة ما قاله لي عصام كأنه كان حاضرا فأجبت بما أمرني ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي فأنشدته ثم دعا بالطعام ففعلت مثل ذلك فأمر لي بجائزة سنية وخرجت فقال

أبا دلامة دعا السيد الحميري الى منزله فبكت ابنة له فحملها على عاتقه فبالت عليه فوضعها مغضبا وقال

بللت علي لا حييت ثوبي * فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمان الحكيم

ثم استجاز السيد الحميري فقال

ولكن قد تضمك أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

فضحك أبو دلامة وقال عليك لعنة الله ما دعاك الى هذا كله ثم حلف لا ينازعه بيتا بعدها فقال له السيد يكون الهرب من جهتك لا من جهتي وقد روى أبو الفرج هذه الحكاية باسناد ينتهي الى علي بن اسمعيل قال كنت أسقي أبا دلامة والسيد ولم يذكر سوى البيت الثاني من بيتي أبي دلامة ورواها أبو الفرج أيضا باسناد ينتهي الى الهيثم بن عدي وانها كانت بين أبي دلامة وأبي عطاء السندي وأن أبا عطاء أجاز بيته بأن قال

صدقت أبا دلامة لم تلدها * مطهرة ولا فحل كريم
ولكن قد حوتها أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

وعلى هذه الرواية تدخل في باب المجاوبة (وذكر ابن رشيق في كتاب الانموذج) قال اجتمعت بأبي حديدة الشاعر يوما وأنا سكران فسألني عن حال المكان الذي كنت فيه فوصفته

لى عصام بقيت عليك واحدة لم أوصك بها بلغنى أن النابغة الذبيانى قادم عليه واذا قدم عليه فليس لاحد منه حظ سواه فاستأذن حينئذ وانصرف مكرما خير من أن تنصرف مجفوا قال فأقمت ببابه شهرا ثم قدم عليه خارجة بن سنان ومنظور بن زياد الفزاريان وكان بينهما وبين النعمان دخلل أى خاصة وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسئلة النعمان أن يرضى عنه فضرب عليهما قبة ولم يشعر أن النابغة معهما فدس النابغة قينة تغنيه بشعره * يا دارمية فالعلياء فالسند * فلما سمع الشعر قال أقسم بالله انه لشعر النابغة وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين وكلماه فيه فأمنه ثم خرج فى غب سماء فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضب بحناء وأقنى خضابه فلما رآه النعمان قال هى بدم كانت أحرى أن تخضب فقال الفزاريان أبيت اللعن لا تثريب قد أجرناه والعفو أجمل قال فأمنه واستنشده أشعاره فعند ذلك قال حسان ابن ثابت فحسدته على ثلاث لا أدرى على أيتهن كنت أشد له حسدا على ادناء النعمان له بعد المباعدة ومسايرته له واصغائه اليه أم على جودة شعره أم على مائة بعير من عصافيره أمر له بها قال وكان النابغة يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده لا يستعمل غير ذلك وقيل ان السبب فى رجوع النابغة اليه بعد هربه منه أنه بلغه أنه عليل لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به فسار اليه فألفاه محمولا على سرير ينقل ما بين الغمر ان وقصور الحيرة فقال لعصام حاجبه

ألم أقسم عليك لتخبرنى	أمحمول على النعش الهمام
فانى لا ألام على دخول	ولكن ما وراءك يا عصام
فان يهلك أبو قابوس يهلك	ربيع الناس والشهر الحرام
ونمسك بعده بذناب عيش	أجب الظهر ليس له سنام

ومات النابغة الذبيانى على جاهليته ولم يدرك الاسلام

(أنا ابن جلا)

هو أول بيت لسحيم بن وثيل الرياحى ولفظه

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا	متى أضع العمامة تعرفونى

وهذا البيت من قصيدة من الوافر أولها

أفاطم قبل بينك متعينى	ومنعك ما سألت كأن تبينى

يقول فيها أيضا

فان علالتى وجراء حولى	لذو شق على الضرع الظنون
أنا ابن الغر من سلفى رياح	كنصل السيف وضاح الجبين

وبعده البيت وبعده

وان مكاننا من حميرى	مكان الليث من وسط العرين
وان قناتنا مشظ شظاها	شديد مدها عنق القرين
وانى لا يعود الى قرنى	غداة الغب الا فى قرين
بذى لبد يصد الركب عنه	ولا تؤتى فريسته لحين
عذرت البزل اذ هى صاولتنى	فما بالى وبال ابنى لبون
وماذا يبتغى الشعراء منى	وقد جاوزت حد الاربعين
أخو الخمسين مجتمع أشدى	ونجذنى مداورة الشؤون
سأجنى ما جنيت وان ظهرى	لذو سند الى نضد أمين

وكان السبب فى قوله هذه الابيات أن رجلا أتى الابيرد الرياحى وابن عمه الاحوص وهما من ردف الملوك من بنى رياح يطلب منهما قطرانا لابله فقالا له ان أنت أبلغت سحيم بن وثيل الرياحى هذا الشعر أعطيناك قطرانا فقال قولا فقالا اذهب فقل له

وأفضت بى صفته الى ذكر غلام كان ساقيا فقلت فى عرض الكلام ولم أرد الوزن

فشربتها من راحتيه كأنها من وجنتيه
وكأنها فى فعلها
تحكى الذى فى ناظريه

(وقال له أجز فقال)

وشممت وردة خده
نظرا ونرجس مقلتيه

فقلت له أحسنت فى شمك بالنظر كما سمع أبو الطيب بالبصر حيث يقول

كالخط يملأ مسمعى من أبصرا

واجتمع أبو عبد الله بن شرف الجذامى يوما بأبى على بن رشيق فوصف له منزلا ضيقا كان فيه ثم صنع فى صفته فقال

ومنزل قبح من منزل
النتن والظلمة والضيق
كأننى فى وسطه فيشة
ألوطه والعرق الريق

(وكان) ابن شرف أعور أصلع فقال ابن رشيق نداعبه على طريق الاجازة

وأنت أيضا أعور أصلع
فوافق التشبيه تحقيق

ولو قال ابن شرف كأننى فى وسطه فيشة فى فقحة لكان أوضح فى تشبيه المنزل (قال على بن ظافر) وأخبرنى القاضى الاعز بن المؤيد رحمه الله عما هذا معناه أنه كان عند أبى المعالى ابن الشماس كاتب القاضى الاسعد بن مماتى فى ليلة

فان بداهــتى وجراء حولى * لذو شق على الحطم الحرون

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر فى الوادى يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ثم قال اذهب فقل لهما وأنشد الابيات قال فأتيناه فاعتذرا فقال ان أحدكما لايرى انه صنع شيأ حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الازب فقالا له فهل الى النزع من سبيل فقال انا لم نبلغ أنسابنا وذكر ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء مطلع هذه القصيدة فى أبيات أخر ونسبها للمثقب العبدى وقال لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه وصورة ما أورده ابن قتيبة

أفاطم قبل بينك متعينى * ومنعك ما سألت كأن تبينى
ولا تبدى مواعد كاذبات * تمر بها رياح الصيف دونى
فانى لو تخالفنى شمالى * بنصر لم تصاحبها يمينى
اذا لقطعتها ولقلت بينى * كذلك أجتوى من يجتوينى
فاما أن تكون أخى بحق * فأعرف منك غثى من سمينى
والا فاطرحنى واتخذنى * عدوا أتقيك وتتقينى
وما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى هو يبتغينى

والابيات المارة تقوى أنه السحيمى المذكور فلعل اتفاقهما فى المطلع من باب توارد الخواطر والله أعلم وجلا هنا غير منون لانه أراد الفعل فحكاه مقدرا فيه الضمير الذى هو فاعل والفعل اذا سمى به غير منتزع عنه الفاعل لم يكن الا حكاية كقول تأبط شرا

كذبتم وبيت الله لاتأخذونها * بنى شاب قرناها تصر وتحلب

وكقول الشاعر
والله ما زيد بنام صاحبه * ولا مخالط الليان جانبه

وانما أراد أنا ابن الذى يقال له جلا وبنى التى يقال لها شاب قرناها ووالله ما زيد بالذى يقال فيه نام صاحبه وابن جلا يقال للرجل المشهور أى ابن رجل قد انكشف أمره أو جلا الامور أى كشفها والثنايا جمع ثنية وهى العقبة يقال فلان طلاع الثنايا أى ركاب لصعاب الامور (والشاهد فيه) ايجاز الحذف والمحذوف موصوف وهو هنا رجل من قوله أنا ابن جلا * وهذا البيت تمثل به الحجاج على منبر الكوفة حين دخلها أميرا (حدث) عبد الملك بن عمير الليثى قال بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتانا آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق واذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لايتكلم فقال بعض الناس لبعض قبح الله بنى أمية كيف تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمى ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى الحجاج أعين الناس تدور اليه حسر اللثام عن وجهه ونهض فقال أنا ابن جلا وأنشد البيت وقال يا أهل الكوفة انى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى

هذا أوان الشر فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال
قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابى * معاود للطعن بالخطى

ثم قال أيضا
قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد * مثل ذراع البكر أو أشد

انى والله يا أهل العراق لا يقعقع لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن

اصطلى فيها بالجمر من كؤس الخمر واجتلى بها النجوم الزهر من مجتنى نجوم الزهر قال فأفضت فى ذمها وذكر عظيم اثمها ثم ندمت على ما فرط واعتذرت اعتذار من فرط فقلت

شربتم قهوة وشربت ماء
فأغنانى اللجين عن النضار
ومن بانت أحبته وساروا
تعلل بالتشاغل بالديار

(ثم استجزته فقال)

وكنت نظيركم بالشم منها
ولكنى سلمت من الخمار

(قال على بن ظافر) بتنا ليلة على المقياس عند مبالغة النيل فى نقصه واحتراقه وانفراجه عما يزل مستورا من أرضه وانفراقه والمراكب قد انتظمت فى لبته وركدت بالارساء فوق لجته وأحاطت به احاطة المحيط بنقطته وسفهاء الرياح تعبث بها حتى كادت تذهب بوقارها وأجسادها قد لبست لفقد الماء حداد قارها وهى فى أوكارها من المراسى مزمومه وأجنحة قلوعها العارض الليل مضمومه فقلت بديها

أوما ترى المقياس قد حفت به
سود المراكب فوق ظهر اللجة
يسمو وقد حفت به كقلادة
سبجية فى لبة فضية

واستجزت القاضى الاعز ابن المؤيد رحمه الله فقال

تجربة وان أمير المؤمنين نثل كنانته بين يديه فجمع عيدانها عوداً عوداً فرآني أمرّها عوداً وأصلبها مكسراً وأبعدها مرمى فرماكم بي لانكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون واني والله ما أقول الا وفيت ولا أهم الا أمضيت ولا أحلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم وأن أجهزكم الى عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة واني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيأ هذا أدب ابن سمية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمن اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق في المسجد أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها الامير اني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الاسفار مني أفتقبله مني بدلا فقال له الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ البرجمي الذي يقول أبوه

همت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله عنه يوم الدار وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول أين تركت ضابئا يا نعثل فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ان في قتلك لصلاحا للمسلمين يا حرسي اضرب عنقه فسمع الحجاج ضوضاء فقال ما هذا قالوا هذه البراجم جاءت لتنصر عميرا فيما ذكرت فقال أتحفوهم برأسه فرموهم برأسه فولوا هاربين وجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده وازدحم الناس على الجسر للعبور الى المهلب ابن أبي صفرة وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الاسدي

أقول لابراهيم لما رأيته * أرى الامر أمسى داهيا متشعبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

(وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار)

البيت للخنساء من مرثية في أخيها صخر وهي قصيدة من البسيط أولها

قذى بعينك أم بالعين عوار * أم ذرفت اذ خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي خناس على صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت * ودونه من جديد الترب أستار
لا بد من ميتة في صرفها غير * والدهر في صرفه حول وأطوار
يا صخر وارد ماء قد تبادره * أهل الموارد ما في ورده عار
مشي السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنياب وأظفار
فما عجول على بو تطيف به * لها حنينان اصغار واكبار
ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت * فانما هي اقبال وادبار
لا تسمن الدهر في أرض وان رتعت * فانما هي تحنان وتسجار
يوما بأوجد مني حين فارقني * صخر وللدهر احلاء وامرار

وكأنه حصن عليه عسكر
للزنج لف بنوده للحملة

(ومنه اجازة بيتين بأكثر من بيت) كما روى العباس ابن الفضل بن الربيع قال غضب الرشيد على جارية له فحلف لا يدخل اليها ثم ندم فقال

صد عني اذ رآني مفتتن
وأطال الصد لما أن فطن
كان مملوكي فأضحى مالكي
ان هذا من أعاجيب الزمن

ثم قال لجعفر بن يحيى اطلب لي من يزيد في هذين البيتين فقال ليس لهما الا أبو العتاهية وكان محبوسا فبعثوا اليه فكتب الى الرشيد

يا ابن عم النبي سمعا وطاعه
قد خلعنا الكساء والدراعه
ورجعنا الى الصناعة لما
كان سخط الامام ترك الصناعه

فأمر باطلاقه وصلته فقال الآن طاب القول ثم قال يجيزهما

عزة الحب أرته ذلتي
في هواه وله وجه حسن
فلهذا صرت مملوكا له
ولهذا شاع ما بي وعلن

فقال الرشيد أحسنت والله وأصبت ما في نفسي وأضعف صلته وذكرها الصولي في كتاب الاوراق بقريب من هذا وأنه كتب اليه لما أمر بالاجازة يقول

ضعف المسكين عن تلك المحن
لهلاك الروح منه والبدن

وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار

وبعده البيت وبعده

ولم تره جارة يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجار

ولا تراه وما في البيت يأكله * لكنه بارز بالصحن مهمار

مثل الرديني لم تنفذ شبيبته * كأنه تحت طي البرد أسوار

في جوف رمس مقيم قد تضمنه * في رمسه مقمطرات وأحجار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر * ضخم الدسيعة بالخيرات أمار

والعلم الجبل الطويل وقيل هو عام في كل جبل (والشاهد فيه) زيادة المبالغة في الايغال وهو وقولها في رأسه نار فان قولها علم واف بالمقصود وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية لكنها أتت بالتتمة ايغالا وزيادة للمبالغة وقد ضمن عز الدين الموصلي عجز البيت في سامري اسمه نجم فقال

وسامري أعار البدر فضل سنا * سموه نجما وذاك النجم غرار

تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم في رأسه نار

(والخنساء) اسمها تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد ينتهي نسبها لمضر والخنساء لقب غلب عليها وفيها يقول دريد بن الصمة وكان خطبها فردته وكان رآها تهنأ بعيرا

حيوا تماضر واربعوا صحبي * وقفوا فان وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم * وأصابه نبل من الحب

ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم طالى أينق جرب

متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام لما خطبها دريد بعثت خادما لها وقالت انظري اليه اذا بال فان كان بوله يخرق الارض ويخد فيها ففيه بقية وان كان بوله يسيح على الارض فلا بقية فيه فرجعت اليها وأخبرتها أن بوله ساح على وجه الارض فقالت لا بقية في هذا وأرسلت اليه ما كنت لأدع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخا فقال وقال الله يا ابنة آل عمرو * من الفتيات أشباهي ونفسي

وقالت انني شيخ كبير * وما نبأتها أني ابن أمس

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي * اذا ما ليلة طرقت بنحس

تريد شرنبث القدمين شثنا * يباشر بالعشية كل كرس

فقالت الخنساء

معاذ الله ينكحني حبركى * يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أصبحت في جشم هديا * اذا أصبحت في دنس وفقر

وكانت الخنساء في أول أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخواها معاوية وصخر وكان صخر أخاها لابيها وكان أحبهما اليها لانه كان حليما جوادا محبوبا في العشيرة (وكان من حديث قتله ما ذكره أبو عبيدة) قال غزا صخر بن عمرو وأنس بن عباس الرعلي بني أسد بن خزيمة فأصابوا غنائم وسبيا وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة من بني أسد وأصابته يومئذ طعنة طعنه بها رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى أبا ثور فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاندمل عليه حتى شق عليه بعد سنين وكان ذلك سبب موته وروي أن صخرا مرض من تلك الطعنة قريبا من حول حتى مله أهله فسمع صخر امرأة تسأل سلمى امرأته كيف بعلك فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فيسلى وقد لقينا منه الامرين فقال صخر في ذلك

أرى أم صخر لا تمل عيادتي * وملت سليمى مضجعي ومكاني * وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان * أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان لعمري لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان * وللموت خير من حياة كأنها محلة يعسوب برأس سنان * وأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقا وهوان

ولقد كلفت شيأ عجبا

زاد في النكبة واستوفي المحن

قيل فرحنا وبأبي فرح

أن يوافيني في بيت الحزن

ولم يذكر العينية وأما يزيد ابن محمد المهلبي فانه روى البيتين اللذين هما على قافية العين الموصلين بالهاء لاسحق الموصلي وذلك انه كتب بهما الى المأمون وكان قد ترك الغناء والمنادمة فسجنه (وذكر) محمد بن جرير الطبري في تاريخه الكبير قال خرج كوثر خادم الامين لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين لبغداد فأصابه سهم غرب فجرحه فدخل على الامين وهو يبكي لالم الجراحة فلم يتمالك الامين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول

ضربوا قرة عيني

ومن أجلي ضربوه

أخذ الله لقلبي

من أناس أوجعوه

ثم أرتج عليه فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره باحضار شاعر يجيز البيتين فاستدعى لذلك عبد الله ابن محمد بن أيوب التيمي وأنشدهما له فقال

ما لمن أهوى شبيه

فبه الدنيا تتيه

وصله حلو ولكن

هجره مر كريه

من رأى الناس له الفضل عليهم حسدوه

وزعم قوم أن التي قالت هذه المقالة بديلة الاسدية التي كان سباها من بني أسد واتخذها لنفسه وأنشد مكان البيت الاول ألا تلكمو عرسي بديلة أوجست * فـراقي وملت مضجعي ومكاني

قال أبو عبيدة فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اليد في جنبه من موضع الطعنة فتدلت واسترخت قالوا له لو قطعتها لرجونا أن تبرأ فقال شأنكم وهي فأشفق عليه بعضهم فنهاهم فأبى صخر وقال الموت أهون علي مما أنا فيه فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه قال وسمع صخر أخته الخنساء وهي تقول كيف كان صبره فقال صخر في ذلك

أجارتنا ان الخطوب تنوب * على الناس كل المخطئين تصيب

فان تسأليني هل صبرت فانني * صبور على ريب الزمان أريب

كأني وقد أدنوا الى شفارهم * من الصبر دامي الصفحتين ركوب

أجارتنا لست الغداة بظاعن * ولكن مقيم ما أقام عسيب

قال فدفن هنالك فقبره قريب من عسيب وهو جبل بأرض بني سليم الى جنب المدينة المنورة وقد روى انه لما طعن ودخلت حلق الدرع في جوفه ضجر منها زمانا وبعث الى ربيعة الاسدي الذي طعنه انك أخذت حلقا من درعي بسنانك فقال له ربيعة اطلبها في جوفك فكان ينفث الدم وتلك الحلق معه فلقيته امرأته وكان بكر مهاو بعينها على أهله فتربها رجل وهي قائمة وكانت ذات كفل وأورال فقال لها أيباع هذا الكفل فقالت عما قليل وصخر يسمع ذلك فقال لئن استطعت لأقدمنك أمامي ثم قال لها ناوليني السيف أنظر هل تقله يدي فدفعته اليه فاذا هو لا يقله فعندها أنشد الابيات السابقة ثم لم يلبث أن مات وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضا وكان صخر قد أخذ بثاره وقتل قاتله ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أقبلت هند بنت عتبة ترثيهم وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وأنها تقول أنا أعظم العرب مصيبة وان العرب عرفت ذلك لها فقالت هند بل أنا أعظم العرب مصيبة فأمرت بهودجها فسوم براية أيضا وشهدت الموسم بعكاظ وكانت عكاظ سوقا تجتمع فيها العرب فقالت اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا فلما دنت منها قالت لها الخنساء من أنت يا أخية قالت أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني انك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم قالت بأبي عمرو ابن الشريد وأخوي صخر ومعاوية فبم تعاظمينهم أنت قالت بأبي عتبة وعمي شيبة وأخي الوليد قالت الخنساء أسواهم عندك ثم أنشأت تقول

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة * قليل اذا نام الخلي هجودها

وصنوي لا أنسى معاوية الذي * له من سراة الحرتين وفودها

وصخرا ومن ذا مثل صخر اذا غدا * بسلهبة الاطال قب يقودها

فذلك يا هند الرزية فاعلمي * ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند بنت عتبة تجيبها

أبكي عميد الابطحين كليهما * وحاميها من كل باغ يريدها

أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي * وشيبة والحامي الذمار وليدها

أولئك آل المجد من آل غالب * وفي العز منها حين ينمى عديدها

وقالت الخنساء أيضا يومئذ

من حس لي الاخوين كالـ * ـغصنين أو من راهما قرمين لا يتظالما * ن ولا يرام حماهما

ويلي على الاخوين والـ * ـقبر الذي واراهما لا مثل كهلي في الكهو * ل ولا فتى كفتاهما

رمحين خطيين في * كبد السماء سناهما ما خلفا اذ ودعا * في سودد شرواهما

مثل ما قد حسد القا
ثم بالملك أخوه

فأمر الامين له بوقر ثلاثة أبغل دراهم فلما ولي المأمون الخلافة واستقر الامر له توسل اليه عبد الله بالحسن بن سهل فلما دخل عليه قال ألست القائل

ما لمن أهوى شبيه

فقال بل أنا القائل

نصر المأمون عبـ
ـد الله لما ظلموه

نقضوا العهد الذي كا
نوا قديما أكدوه

لم يعامله أخوه
بالذي أوصى أبوه

وأنشده في مدحه قصيدة أولها

جزعت ابن تيم أن علاك مشيب
وبان شباب والشباب حبيب

فأمر له بعشرة آلاف درهم (وذكر) أبو الفرج الاصفهاني في كتاب القيان والمغنين أن المأمون قال برما لمتيم الهاشمية جارية علي بن هشام أجيزي

تعالى تكون الكتب بيني
وبينكم

ملاحظة نومي بها ونشير

فعندي من الكتب المشومة
حيرة

وعندي من شؤم الرسول
أمور

(فقالت)

جعلت كتابي عبرة مستهلة
في الخد من ماء الجفون
سطور

سادا بغير تكلف * عفوا بفيض نداها

ولقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها وكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومئ بيده صلى الله عليه وسلم وعن أبي وجزة عن أبيه قال حضرت الخنساء ابنت عمرو السلمية حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال رضي الله عنهم أجمعين فقالت لهم من أول الليل يا بني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا اله غيره انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية لقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى مساقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامه في دار الخلد والمقامه فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول

يا اخوتي ان العجوز الناصحه * قد نصحتنا اذ دعتنا البارحه * بمقالة ذات بيان واضحه
فباكروا الحرب الضروس الكالحه * وانما تلقون عند الصائحه * من آل ساسان كلابا نابحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه * وأنتم بين حياة صالحه * وميتة تورث غنما رابحه

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم حمل الثاني وهو يقول

ان العجوز ذات حزم وجلد * والنظر الاوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد * نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب كماة في العدد * اما بفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم غنم الابد * في جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ثم حمل الثالث أيضا وهو يقول

والله لا نعصي العجوز حرفا * قد أمرتنا حربا وعطفا
نصحا وبرا صادقا ولطفا * فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا * أو تكشفوهم عن حماكم كشفا
أما نرى التقصير منكم ضعفا * والقتل فيكم نجدة وعرفا

وقاتل أيضا حتى استشهد رحمه الله ثم حمل الرابع وهو يقول

لست لخنساء ولا للاخرم * ولا لعمرو ذي السناء الاقدم * ان لم أرد في الجيش جيش الاعجم
ماض على هول خضم خضرم * اما لفوز عاجل ومغنم * أو لوفاة في السبيل الاكرم

وقاتل حتى قتل أيضا رحمة الله عليه وعلى اخوته فبلغها الخبر رضي الله عنها فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني معهم في مستقر رحمته وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الاربعة لكل واحد منهم مائتي درهم الى أن قبض رحمه الله ورضي عنه وكانت وفاتها

(كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب)

البيت لامرئ القيس من قصيدة من الطويل أولها

خليلي مرا بي على أم جندب * لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
فانكما ان تنظراني ساعة * من الدهر تنفعني لدى أم جندب

ورسلي لحاجاتي وهن كثيرة
اليك اشارات بها وزفير
(أنبأني) الشيخان الشيخ الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي والشيخ الاجل الفقيه جمال الدين ابن الحرستاني اجازة قالا أخبرنا الامام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين أخبرنا أبو منصور محمد ابن محمد بن أحمد بن الحسين أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني أخبرني جعفر بن قدامة قال اشترى أبو عبادة جاريته سلمى اليمانية من نخاس مكي قدم بها عليه فلما جاءه بها أراد أن يمتحنها فأنشد

من لمحب أحب في صغره
فصار أحدوثة على كبره
من نظر شفه فأرقه
وكان مبداه هواه من نظره

(ثم) قال لها أجيزي فقالت مجيبة غير متوقفة

لولا التمني لمات من كمد
مر الليالي يزيد في فكره
ما ان له مسعد فيسعده
بالليل في طوله وفي قصره
الجسم يبلى فلا حراك به
والروح فيما أرى على أثره

(أنبأني) الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكي عن الحافظ السلفي اجازة قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن السراج اللغوي وابن

شواهد الاوصاف

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب
عقيلة أخدان لها لا ذميمة * ولا ذات خلق ان تأملت جانب
الى أن يقول فيها وقلت لفتيان كرام ألا انزلوا * فقالوا علينا فضل برد مطنب
ففئنا الى بيت بعلياء مردح * سماوته من أتحمى معصب
وأوتاده عادية وعماده * ردينية فيها أسنة قعضب
فلما دخلناه أضفنا ظهورنا * الى كل عادى جديد مشطب
فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل فى مقيل نحسه متغيب
وبعده البيت وبعده نمش بأعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وهى طويلة قال الاصمعى الظبى والبقرة اذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضها وانما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ماموتت والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلناه كثرت العيون عندنا كذا فى شرح ديوان امرئ القيس وبه يتبين بطلان ماقيل ان المراد أنها قد طالت مسايرتهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم (والشاهد فيه) تحقيق التشبيه فى الايغال لانه شبه عيون الوحش بالجزع وهو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليمانى الصينى فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش لكنه أتى بقوله لم يثقب ايغالا وتحقيقا للتشبيه لان الجزع اذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتتميم ويسمى الايغال أيضا وهو أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية فيأتى بما يتم به المعنى ويزيد فى فائدة الكلام لان للقافية محلا من الاسماع والخواطر فاعتناء الشاعر بها آكد ولا شئ أقبح من بنائها على فضول الكلام الذى لا يفيد ومن الشواهد عليه قول ذى الرمة أيضا

قف الصبر فى أطلال مية فاسأل * رسوما كأخلاق الرداء

فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال المسلسل فزاده شيأ ثم قال

أظن الذى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان

فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال المفصل فزاده شيأ قيل وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد

اذا ماعلت منا ذؤابة شارب * تمشت به مشى المقيد فى الوحل

وكان يقول قاتله الله أما كفاه أن يجعله مقيدا حتى جعله فى وحل ومنه قول ابن الرومى

لها صريح كأنه ذهب * ورغوة كاللآلئ الفلق

فزاد بقوله الفلق تمكينا فى التشبيه ومن أبدع ماوقع فيه لمتأخر قول أبى بكر بن مجير

وخليفة ابن خليفة ابن خليفة وستفعل

فقوله وستفعل تبليغ بديع أفاد به بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة فى عقبه وحكى أن بعض الشعراء قال لابى بكر بن مجير هذا انى نظمت قصيدة مقصورة الروى وأعجزنى منها روى بيت واحد فما أدرى كيف أتممه فقال له أبو بكر أنشدنيه فأنشده قوله

سليل الامام وصنو الامام * وعم الامام فقال له من غير تفكر ولا روية قل ولامنتهى فوضعه فى قصيدته على ماتممه له وكان أمكن قوافيه وأقواها وللسيد أبى القاسم شارح مقصورة حازم فى هذا النوع قوله

لم يبرح الجد يسمو ذاهبا بهم * حتى أجاز الثريا وهو ماقنعا

فقوله وهو ماقنعا من التبليغ الذى أفاد زيادة فى المعنى ظاهرة

(ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب)

البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة من الطويل يخاطب بها النعمان أولها

أرسما جديدا من سعاد تجنب * عفت روضة الاجداد منها فيثقب

عفا

بعلان الكبير قال حدثنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستانى الحافظ قال أخبرنا أبو يعقوب النجيرمى حدثنا أبو الحسين المهلبى عن أبى الفوارس عن يعقوب ابن السكيت قال عزم محمد ابن عبد الله بن طاهر على الحج فخرجت اليه جارية له شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد ابن عبد الله

دمعة كاللؤلؤ الرطب من الطرف الكحيل
هطلت فى ساعة البين على الخد الاسيل

(فقالت الجارية)

حين هم القمر الزاهر عنا بالافول
انما يفتضح العشاق فى وقت الرحيل

(قال على بن ظافر) ذكر ابن رشيق فى كتاب الانموذج مامعناه قال خرج أبو العباس بن حديدة القيروانى فى جماعة من رفقائه طالبا للتنزه فحلوا بروضة قد سفرت عن وجنات الشقيق وأطلعت فى زبرجد الارض الخضراء نجوما من عقيق والجو قد أفرط فى تعبيسه ونثر لنقطه جميع ما كان من لؤلؤ القطر فى كيسه فقال ابن حديدة

أوماترى الغيث المغرس باكيا
يذرى الدموع على رياض شقيق

عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا * وأسحم دان مزنه متصوّب

يقول فيها أيضا فلا تتركني بالوعيد كأنني * الى الناس مطلي به القار أجرب

ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب

فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وبعده البيت وبعده فان أك مظلوما فعبد ظلمته * وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب

أتاني أبيت اللعن انك لمتني * وتلك التي أهتم منها وأنصب

والشعث انتشار الامر والمهذب المنقح الفعال المرضي الخصال والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تلمه ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال ذكرت هنا قول الشاعر معارضا للنابغة في هذا البيت وهو ألوم زيادا في ركاكة عقله * وفي قوله أي الرجال المهذب

وهل يحسن التهذيب منك خلائقا * أرق من الماء الزلال وأطيب

تكلم والنعمان شمس سمائه * وكل مليك عند نعمان كوكب

ولو أبصرت عيناه شخصك مرة * لأبصر منه شمسه وهو غيهب

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد وسيأتي الكلام على شئ منه في الفن الثالث ان شاء الله تعالى (والشاهد فيه) التذييل لتأكيد مفهوم فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال وعجزه تأكيد لذلك وتقرير لان الاستفهام فيه انكاري أي لا مهذب في الرجال وفي معنى البيت قول أبي الحسن محمد الموقت المكي اذا المرء لم يبرح يماري صديقه * ولم يحتمل منه فكيف يعاشره

وأنى يدوم الود والعهد بينه * وبين أخ في كل وقت يناقشه

وما أحسن قول مؤيد الدين الطغرائي

أخاك أخاك فهو أجل ذخر * اذا نابتك نائبة الزمان

فان رابت اساءته فهبها * لما فيه من الشيم الحسان

تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

وبديع قول ابن الحداد أيضا

واصل أخاك وان أتاك بمنكر * فخلوص شئ قلما يتمكن

ولكل حسن آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وما أحسن قول ابن شرف أيضا

لا تسأل الناس والايام عن خبر * هما يبثانك الاخبار تفصيلا

ولا تعاتب على نقص الطباع أخا * فان بدر السما لم يعط تكميلا

ومن النفيس قول ابن حمديس

أكرم صديقك عن سؤا * لك عنه واحفظ منه ذمه

فلربما استخبرت عنه * عدوه فسمعت ذمه

وقول عمر الخراط وهو رجل من القيروان

لا تسألن عن الصديق * وسل فؤادك عن فؤاده

فلربما بحث السؤا * ل على فسادك أو فساده

ولمؤلفه في معناه لست عن ود صديقي سائلا * غير قلبي فهو يدري وده

فكما أعلم ما عندي له * فكذا أعلم مالي عنده

وما أحسن قول بعضهم عتبي عليك مقارن العذر * قد رد عنك حفيظتي صبري

فتى هفوت فأنت في سعة * ومتى جفوت فأنت في عذر

ترك العتاب اذا استحق أخ * منك العتاب ذريعة الهجر

وقول بعضهم اذا أنت لم تغفر ذنوبا كثيرة * تريبك لم يسلم لك الدهر صاحب

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

فكأن قطر دموعه من فوقها * در تبدد في بساط عقيق

قال وأنشدنيهما فأجزتهما بأن قلت

فاجمع الى شكليهما بزجاجة * شكلين من حبب وصفو رحيق

فكأنما انتصر العبرة عاشق * مهراقة في وجنتي معشوق

(وبالاسناد المتقدم) عن ابن بسام قال في كتاب الذخيرة ورواه الفتح بن خاقان في كتاب قلائد العقيان قال ذكر أبو اسحق بن خفاجة الحسري الاندلسي قال اجتمعت مع عبد الجليل ابن وهبون المرسي ونحن نريد المرية أيام مقام العدو بحصن بليط فبتنا بلزقه تتجاذب أذيال المذاكرة الى أن قام السفر في السحر السحري والسفر وقد شهروا سلاحهم وأظهروا عددهم لقربهم من العدو فظهر من عبد الجليل من الجزع والارتياع والهلع ما ألجأني الى تسكينه بانشاد عجائب الاشعار وايراد غرائب الاخبار وهو لا يفهم ما أورده ولا يعقل معاني ما أسرده فمررنا في الطريق بمشهدين متقابلين وعليهما رأسان منصوبان فقلت ألا رب رأس لا تزاور بينه وبين أخيه والمزار قريب أناف به صلد الصفا فهو منبر وقام على أعلاه فهو خطيب (ثم استجزته باستطالة فقال)

وقول أبي الفتح البستي
تحمل أخاك على مابه * فما في استقامته مطمع
وأنى له خلق واحد * وفيه طبائعه الاربع

وما أحسن قول بعضهم
لا تثق من آدمي * في وداد بصفاء
كيف ترجو منه صفوا * وهو من طين وماء

وهو كقول الآخر
ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد من جبلته الصفاء

وما أبدع قول الجمال بن نباتة
يامشتكي الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أمسيت في كدر * فانما أنت من ماء ومن طين

وللصلاح الصفدي فيه أيضا
دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المرء من ماء وطين * وأي صفا لهاتيك الجبله

ومما ينظر الى معنى البيت المستشهد به قول بعضهم
اذا أنت لم تترك أخاك وزلة * أرادلها أوشكتما أن تفرقا

وقوله أيضا
صديقك مهما جنى غطه * ولا تخف شيأ اذا أحسنا
وكن كالظلام مع النار اذ * يواري الدخان ويبدي السنا

ولمؤلفه أخاك اغتفر ذنبه * وسامح اذا ماهفا وغط على عيبه * يدم منه عهد الوفا
وان رمت تقويمه * تجده قد عفا

(فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي)

البيت لطرفة بن العبد من قصيدة من الكامل يمدح بها قتادة بن سلمة الحنفي وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم وأولها
ان امرأ سرف الفؤاد يرى * عسلا بماء سحابة شتمي
وأنا امرؤ أكوى من القصر الـ * ـبادي وأغشى الدهم بالدهم
وأصيب شاكلة الرمية اذ * صدت بصفحتها عن السهم
وأجر ذا الكفل القناة على * انسائه فيظل يستدمي
وتصد عنك مخيلة الرجل الـ * ـعريض موضحة عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك والـ * ـكلم الاصيل كارغب الكلم
أبلغ قتادة غير سائله * منه الثواب وعاجل الشكم
اني حمدتك للعشيرة اذ * جاءت اليك مرقة العظم
ألقوا اليك بكل أرملة * شعثاء تحمل مقنع البرم
ففتحت بابك للمكارم حيـ * ـن تواصت الابواب بالازم

وبعده البيت وهو آخرها وصوب الربيع نزول المطر ووقعه في الربيع والديمة مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو ستة أو سبعة أو يوما وليلة أو أقله ثلث النهار أو الليل وأكثره مابلغت وجمعها ديم وديوم ومعنى تهمي تسيل (والشاهد فيه) التكميل ويسمى الاحتراس أيضا وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو هنا قوله غير مفسدها فان نزول المطر قد يكون سببا لخراب الديار وفسادها فدفع ذلك بتوسط قوله غير مفسدها وفي معنى البيت قول جرير
فسقاك حيث حللت غير فقيدة * هزج الرياح وديمة لا تقلع

ومن الاحتراس قول زهير بن أبي سلمى
من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

وقول

يقول حذار الاغترار فطالما
أناخ قتيل بي وفر سليب
وينشدنا انا غريب هاهنا
وكل غريب للغريب نسيب
فان لم يزره صاحب أو خليله
فقد زاره نسر هناك وذيب
وهاهو أما منظر رافه و
ضاحك
اليك وأما نصبه فكئيب
قال أبو اسحق فما أتم انشاده
حتى طلعت سرية العدو
فأوقعت بالركب فأناخ
قتيلا ونجوت مسلوبا فعجبت
من هذا الاتفاق (قال)
وصنع يوما الاعز أبو الحسن بن
المؤيد رحمه الله تعالى بديها
في مغن
مغن صوته يحكيـ
ـه في حسن وفي لين
يغنيني فيغنيني
ويحيي اذ يحييني
واستجاز شهاب الدين يعقوب
ابن أخت الوزير نجم الدين
ابن المجاور فقال
ويسقيني سلاف الرا
ح من فيه فيشفيني
تجملت به أجري
ولم أعطف على ديني
(ومنه اجازة أبيات ببيت)
كما أنبأني الشيخان تاج الدين
أبو اليمن زيد بن حسن
الكندي وجمال الدين
الخرستاني اجازة عن الامام
الحافظ أبي القاسم علي بن
الحسن بن عساكر قال
أخبرنا أبو القاسم الحسين
ابن الحسين بن محمد أخبرنا
أبو الفرج سهل بن بشر
أخبرنا أبو الحسين علي

وقول امرئ القيس أيضا

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * افانين جرى غير كز ولا وانى

وقول نافع بن خليفة الغنوى

رجال اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب

ومثله قول عنترة العبسى أثنى على بما علمت فاننى * سهل مخالقتى اذا لم أظلم

وقول الآخر فانى ان أفتك يفتك منى * فلا تسبق به علق نفيس

ومن مليح الاحتراس قول الرمادى فى وصف فرس

قامت قوائمه لنا بطعامنا * غضا وقام العرف بالمنديل

فقوله غضا احتراس عجيب اذ لولم يذكر لتوهم انهم ينقلون عليه أزوادهم (وطرفة بن العبد) هو ابن سفيان ابن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة ويقال ان اسمه عمرو وسمى طرفة بسبب بيت قاله وأمه وردة من رهط أبيه وفيها يقول لأخواله وقد ظلموها حقها

ما تنظرون بحق وردة فيكم * صغر البنون ورهط وردة غيب

وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمرا قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين وقيل قتل وهو ابن ست وعشرين سنة والى ذلك تشير أخته حيث قالت ترثيه

عددنا له ستا وعشرين حجة * فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا ايابه * على خير حال لا وليدا ولا قحما

وكان السبب فى قتله انه كان ينادم عمرو بن هند فأشرفت ذات يوم أخته فرأى طرفة ظلها فى الجام الذى فى يده فقال ألا بأبى الظبى الذى يبرق شنفاه * ولولا الملك القاعد قد ألثمنى فاه

فحقد عليه وكان قد قال أيضا قبل ذلك

وليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تدور

لعمرك ان قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير

وقابوس هذا هو أخو عمرو بن هند وكان فيه لين ويسمى قينة الفرس فكتب له عمرو بن هند الى الربيع ابن حوثرة عامله على البحرين كتابا أوهمه فيه انه أمر له بجائزة وكتب للمتلمس بمثل ذلك فأما المتلمس ففك كتابه وعرف ما فيه فنجا كما سيأتى فى خبره وأما طرفة فضى بالكتاب فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثمله ثم فصد أكحله فقبره بالبحرين وكان لطرفة أخ يقال له معبد فطالب بديته فأخذها من الحواثر قال أبو عبيدة مر لبيد بمجلس لنهد بالكوفة وهو يتوكأ على عصا فلما جاوز أمروا فتى منهم أن يلحقه فيسأله من أشعر العرب ففعل فقال له لبيد الملك الضليل يعنى امرأ القيس فرجع فأخبرهم فقالوا ألا سألته ثم من فرجع فسأله فقال له ابن العشرين يعنى طرفة فلما رجع قالوا ليتك سألته ثم من فرجع فقال صاحب المحجن يعنى نفسه قال أبو عبيدة طرفة أجودهم وأجده لا يلحق بالبحور يعنى امرأ القيس وزهيرا والنابغة ولكنه يوضع مع أصحابه الحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبى كاهل ومن شعر طرفة وهو صبى قوله

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى

فمنهن سبق العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكرى اذا نادى المضاف محنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء المعمد

وقد أخذه عبد الله بن نهيك بن اساف الانصارى فقال

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام رامس

فمنهن سبق العاذلات بشربة * كأن أخاها مطلع الشمس ناعس

ابن عبد الله الهمدانى اجازة أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن ابن خيران أخبرنا ابن الانبارى قال دخل الزبير ابن بكار على أمير المؤمنين المعتز بالله وهو محموم فقال له يا أبا عبد الله انى قد قلت فى ليلتى هذه أبياتا وقد أعييا على اجازة بعضها وأنشدنى

انى عرفت علاج الجسم من وجعى
وما عرفت علاج الحب والجزع

جزعت للحب والحمى صبرت لها
انى لأعجب من صبرى ومن جزعى

من كان يشغله عن حبه وجع
فليس يشغلنى عن حبكم وجعى

(فقال أبو عبد الله)

وما أمل حبيبى ليتنى أبدا
مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى

فأمر له على هذا البيت بألف دينار (وبهذا الاسناد) عن الامام الحافظ ابن عساكر قال حدثنا أبو عبد الله محمد ابن الحسن بن أحمد الملحى لفظا وكتبه لى بخطه قال حدثنى السابق أبو اليمن محمد بن الخضر المعرى قال اجتمعت بأبى عبد الله ابن الخياط يعنى الشاعر الدمشقى بطرابلس وكنت أنا وهو نجلس فى دكان عطار نصرانى يعرف بأبى المفضل فيه ذكاء ومحبة للأدب نفرج نجنا يوما الى

ومنهن تجريد الكواعب كالدمى * اذا ابتزعن أكفالحق الملابس
ومنهن تقريط الجواد عنانه * اذا استبق الشخص القوى الفوارس

وقد ناقض عبد الحميد بن أبي الحديد البغدادي أبيات طرفة السابقة فقال

لولا ثلاث لم أخف صرعتى * ليست كما قال فتى العبد
أن أنصر التوحيد والعدل فى * كل مكان باذلا جهدى
وأن أناجى الله مستمتعا * بخلوة أحلى من الشهد
وأن أتيه الدهر كبرا على * كل لئيم أصعر الخد
لذاك أهوى لا فتاة ولا * خمر ولا ذى منعة نهد

ومما سبق اليه أيضا وكان يتمثل به النبي صلى الله عليه وسلم قوله

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد

وقال غيره ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

ومما يستجاد من قصيدته التى منها البيت السابق على هذا قوله

ألا أيها ذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لا تسطيع دفع منيتى * فذرنى أبادرها بما ملكت يدى
أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوى فى البطالة مفسد
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد

ومما يعاب من شعره قوله يمدح قوما

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض أهداب الازر

ذكر أنهم يعطون اذا سكروا ولم يشترط ذلك فى صحوهم كما قال عنترة

واذا شربت فاننى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

قالوا والجيد هو قول زهير بن أبي سلمى

أخو ثقة لا يتلف الخمر ماله * ولكنه قد يتلف المال نائله

وقال بعض المحدثين فتى لا يلوك الخمر شحمة ماله * ولكن عطاياه ندى وبوادى

وما ألطف قول ابن حمديس فى معنى قول عنترة

بعيد عطاياسكره عند صحوه * ليعلم أن الجود منه على علم
ويسلم فى الانعام من قول قائل * تكرم لما خامرته ابنة الكرم

(ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان)

البيت لعوف بن محلم الشيباني من قصيدة من السريع قالها لعبد الله بن طاهر وكان قد دخل عليه فسلم فلم يسمع فأعلم بذلك فدنا منه ثم ارتجل هذه القصيدة وأولها

يا ابن الذى دان له المشرقان * طرا وقد دان له المغربان

وبعده البيت وبعده وبدلتنى بالشطاط انحنا * وكنت كالصعدة تحت السنان
وعوضتنى من زماع الفتى * وهمتى هم الجبان الهدان
وقاربت منى خطا لم تكن * مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بينى وبين الورى * سحابة ليست كنسج العنان

ظاهر البلد فاخترنا موضعا نجلس فيه على غدير هنالك فقال ابن الخياط بديها

أوما ترى قلق الغدير كأنه * يبدو لعينك منه حلى مناطق
مترقرق لبس الشعاع جابه * فتراه يخفق مثل قلب العاشق
فاذا نظرت اليه راقك لمعه * وعلالت طرفك من سراب صادق

ولم يفتح الله على السابق ولا بلفظة فقال العطار

قد كنت أرجو أن تكون مصليا * حتى رأيتك سابقا للسابق

فاستحسنا ما أتى به العطار وجعلناه من مأثور الاخبار قال أبو عبد الله وكان السابق لا يحفظ من شعره بيتا واحدا وأبو عبد الله بن الخياط بخلافه يحفظ شعره منذ عمله الى أن مات (ومنه اجازة أكثر من بيت بأكثر من بيت) فمن ذلك ما ذكره الثعالبي فى كتاب اليتيمة من حكاية أبي الفرج الببغا فى دير مرّان ووصفها بأن قال وهى وان كان فيها بعض طول فالبديع غير مملول وكل ما أرويه وأسنده الى اليتيمة فى هذا الكتاب فهو مما أجازه لى القاضى الفقيه نبيه الدين أبو الحسن على ابن المفضل المقدسى رحمه الله تعالى قال أخبرنا الشيخ الفقيه أبو القاسم على بن مهدى الاسكندرى قال أخبرنا أبو الحسن على ابن عبد الله الجبار بن سلامة

ولم تدع فيّ لمستمتع * الالساني وبحسبي لسان
أدعو به الله وأثني به * على الامير المصعبي الهجان
وهمت بالاوطان وجدا بها * وبالغواني أين مني الغوان
فقربا لي بأبي أنتما * من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي الى نسوة * مسكنها حرّان والرقتان
سقى قصور الشاذياخ الحيا * من بعد عهدي وقصور الميان
فكم وكم من دعوة لي بها * أن تتخطاها صروف الزمان

والترجمان يقال بضم تائه وجيمه وفتحهما وفتح التاء وضم الجيم وهو المفسر للسان يقال ترجمه وعنه والفعل يدل على أصالة التاء ولقد أجاد الغزي في تضمينه صدر البيت بقوله

طول حياة ما لها طائل * تنغص عندي كل ما يشتهى * أصبحت مثل الطفل في ضعفه
تشابه المبدأ والمنتهى * فلا تسلم سمعي اذا خانني * ان الثمانين وبلغتها

ولطيف قول الشهاب المنصوري رحمه الله

نحو ثمانين من العمر قد * قطعتها مثل عقود الجمان
ما أحوجت يوما يميني الى * عصا ولا سمعي الى ترجمان

(والشاهد فيه) الاعتراض ويسمى الالتفات وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام وهو هنا الدعاء في قوله وبلغتها لانها جملة معترضة بين اسم ان وخبرها والواو فيه اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية ومن الاعتراض أيضا قول كثير عزة

ولو ان عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

وهو معترض اذ لا بد فيه من ذكر موفق لانه لا يتم المعنى بدونه ومنه قول كثير أيضا

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

ومن مليح ما سمع فيه قول نصيب وكان أسود

فكدت ولم أخلق من الطير ان بدا * سنا بارق نحو الحجاز أطير

(يروى) أن التي قيل فيها هذا البيت لما سمعته تنفست نفسا شديدا فصاح ابن أبي عتيق أوّه قد والله أجابته باحسن من شعره والله لو سمعك نعق وطار فجعله غرابا لسواده ومن المستحسن فيه أيضا قول العباس بن الاحنف

قد كنت أبكي وأنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب
ان تم ذا الهجر يا ظلوم ولا * تم فما لي في العيش من أرب

وما أحسن قول أبي الفتح البستي

أراح الله قلبي من زمان * محت يده سروري بالاساءه
فان حمد الكريم صباح يوم * وأني ذاك لم يحمد مساءه

والمتأخرون يسمون هذا الاعتراض حشو اللوزنيج وما أبدع قول ابن الساعاتي فيه

حال من دونك يا اخت الكلل * مقل الحي وفرسان الاسل
وصواض مرهفات فتكت * بي وحاشاك ولا مثل الكحل

وقول أبي الحسين الجزار

ويهتز للجدوى اذا ما مدحته * كما اهتز حاشاه وصفه شارب الخمر

وقد أخذه من ابن الساعاتي فانه قال

يهزه المدح هز الجود سائله * أولا وحاشاه هز الشارب الثمل

وما أحسن قول الفقيه عمارة اليمني

المهلبي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن الحسن التميمي قال أخبرنا أبو محمد اسمعيل بن محمد النيسابوري قال أخبرنا أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل الثعالبي وقد تقدم ذكر هذا الاسناد قال الثعالبي قال أبو الفرج واللفظ له تأخرت عن سيف الدولة بدمشق مكرها وقد سار عنها في بعض وقائعه وكان الخطر شديدا على من أراد اللحوق به من أصحابه حتى ان ذلك كان يؤدي الى النهب وطول الاعتقال فاضطررت الى اعمال الحيلة والسلامة بخدمة من بها من رؤساء الدولة الاخشيدية وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة وكان انقطاعي منهم الى أبي بكر علي بن صالح الروذباري لتقدمه في الرياسة ومكانه من الفضل فأحسن تقبلي وبالغ في الاحسان اليّ فتوفرت على قصد البقاع المستحسنة والمنتزهات المطروقة تسليا وتعللا فلما كان في بعض الايام عملت على قصد دير مرّان وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت بعض من كنت آنس به وتقدمت بحمل ما يصلحنا وتوجهت نحوه فلما حصلنا تحته أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسماحة

له راحة يهمل جود ابنانها * ووجه اذا قابلته يتهلل
يرى الحق للزوار حتى كأنه * عليهم وحاشاقدره يتطفل

والكل أخذوا لفظة حاشامن أبي الطيب المتنبي حيث يقول

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل مافيها وحاشاه فانيا

وما أحسن أيضا قوله فيه

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتي لوجدت فيه جهنما

وللقاضي مهذب الدين الغساني

ومالي الى ماء سوى النيل غلة * ولو أنه أستغفر الله زمزم

وبديع قول أبي الوليد محمد بن يحيى بن حزم

أتجزع من دمعي وأنت أسلته * ومن نار أحشائي ومنك لهيبها
وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولامن عليك حبيبها

ومن الحشو الذي زاد حلاوة قول الجمال بن نباتة

لوذقت بردرضاب من مقبله * ياحار مالمت أعطافي التي ثملت

وقول السراج الوراق ان عيني وهي عضو دنف * ماعلى ماكابدته جلد

ما كفاها بعدها عنك الى * أن دهاها وكفيت الرمد

وما أحسن قول ابن اللبانة في ناصر الدولة صاحب ميورقة

وغمرت بالاحسان أهل ميورقة * وبنيت فيها مابنى الاسكندر
فكأنها بغداد وأنت رشيدها * ووزيرها وله السلامة جعفر

قوله وله السلامة من أملح الحشو وأحلاه قالوا وهو أملح وأوضح من قول المتنبي ويحتقر الدنيا البيت المار

ومن المضحك فيه قول الجزار

لئن قطع الغيث الطريق فبغلتي * وحاشاك تبقى وجوختي الدار
وان قيل لي لاتخش فهي عبورة * خشيت على علي بأني جزار

وما ألطف قوله في معنى رقة الحال وان لم يكن من هذا الباب

لي من الشمس حلة صفراء * لا أبالي اذا أتاني الشتاء
ومن الزمهرير ان حدث الغيم * ثيابي وطيلساني الهواء
بيتي الارض والفضا فيه سور * لي مدار وسقف بيتي السماء
شنع الناس انني جاهلي * ثانوي ومالهم أهواء
أخذوني بظاهري اذرأوني * عبد شمس تسوءني الظلماء

وما ألطف قول البهاء زهير في هذا المعنى

أدركوني فبي من البرد هم * ليس ينسى وفي حشاي التهاب
كلما ازرق لون جسمي من البر * د تخيلت انه سنجاب

(رجع الى الاعتراض) ومنه قول أبي محمد المطراني وكتب به الى صديق له رأى عنده غلاما استخدمه

رأيت ظبيا يطوف في حرمك * أغترمستأنسا الى كرمك * أطمعني فيه انه رشأ
يرشي ليخشى وليس من خدمك * فاشغله بي ساعة اذا فرغت * دواته ان رأيت من قلمك

ومن بديعه مع الرقة والانسجام قول ربيع بن شادلويه صاحب اذربيجان

سعاد تسبني ذكرت بخير * وتزعم أنني ملق خبيث
وأن مودتي كذب ومين * وأني بالذي أهوى بثوث

النفس حسبما جرى به الرسم والعادة في غشيان الاغمار وطروق الديرة من التطرف بعشرة أهلها والانسة بسكانها ولم تزل الاقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى أن فض اللهو ختامه ولوح السكر لعصي أعلامه فحانت مني التفاتة الى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثبا ولنظري اليه مترقبا فلما أخذته عيني أخذ يجني بخفي الرمز ووحي الايماء فاستوحشت لذلك وأنكرته ونهضت عجلا واستحضرته فأدرج لي رقعة مختومة وقال لي قد لزمك فرض الامانة فيما تتضمنه هذه الرقعة وسقط ذمام كاتبها في سترها بك عني ففضضتها فاذا فيها مكتوب بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه الرقعة يامولانا بن حزم يحث على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك الى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة فرفعت سجف الحشمة وأطعت في الانبساط أوامر الانسة وانتهزت في التوصل الى مودتك فائت الفرصة والمستماح منك جعلني الله فداك زورة أرتجع بها مااغتصبتنيه الايام من

وليس كذا ولا ردّ عليها * ولكن الملوك هم النكوث

رأت شغفي بها ونحول جسمي * فصدّت هكذا كان الحديث

وما ألطف قول البهاء زهير يهجو

صديق لي سأذكره بخير * وان عرفت باطنه الخبيثا

وحاشا السامعين يقال عنهم * وبالله اكتموا هذا الحديثا

وبالغ ابن الساعاتي بقوله تودّ نجوم الليل لو نصلت بها * وان لقيت بؤسا ذوابل ملده

ولو علك الحكم الاهلة لم تكن * وبالفخرها الا نعالا لجرده

(وعوف بن محلم الخزاعي أبو المناهل) هو أحد العلماء الادباء الرواة الفهماء الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء وكان صاحب نوادر وأخبار ومعرفة بأيام الناس واختصه طاهر بن الحسين بن مصعب لمنادمته ومسامرته فلا يسافر الا وهو معه فيكون زميله وعديله ويعجب به وقال محمد بن داود ان سبب اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الابيات أيام الفتنة ببغداد وطاهر منصرف في حراقة له بدجلة فأدخله معه وأنشده اياها وهي

عجبت لحراقة ابن الحسين * كيف تعوم ولا تغرق

وبحران من تحتها واحد * وآخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيدانها * وقد مسها كيف لا تورق

وأصله من حران وبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه وكلما استأذنه في الانصراف الى أهله ووطنه لا يأذن له فلما مات ظن انه تخلص وأنه يلحق بأهله فقربه عبد الله بن طاهر وأنزله منزلته من أبيه وأفضل عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله وتلطف بجهده أن يأذن له في العود الى أهله فاتفق انه خرج عبد الله من بغداد الى خراسان فجعل عوفا عديله فلما شارف الري سمع صوت عندليب يغرد بأحسن تغريد فأعجب ذلك عبد الله والتفت الى عوف وقال يا ابن محلم هل سمعت بأشجى من هذا فقال لا والله فقال عبد الله قاتل الله أبا كبير حيث يقول

ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

أفق لا تنح من غير بين فانني * بكيت زمانا والفؤاد صحيح

ولوعا فشطت غربة دار زينب * فها أنا أبكي والفؤاد قريح

فقال عوف أحسن والله وأجاد أبو كبير انه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعرا ما فيهم الا مفلق وما كان فيهم مثل أبي كبير وأخذ يصفه فقال له عبد الله أقسمت عليك الا أجزت قوله فقال له قد كبر سني وفني ذهني وأنكرت كل ما كنت أعرفه فقال عبد الله بحق طاهر الا فعلت فابتدر عوف فقال

أفي كل عام غربة ونزوح * أما للنوى من ونية فتريح

لقد طلح البين المشت ركائبي * فهل أرين البين وهو طليح

وأرّقني بالري نوح حمامة * فنحت وذو اللب الغريب ينوح

على انها ناحت ولم تذر دمعة * ونحت وأسراب الدموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما * ومن دون أفراخي مهامه فيح

ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

عسى جود عبد الله أن يعكس النوى * فتلقى عصا التطواف وهي طريح

فان الغنى يدني الفتى من صديقه * وعدم الفتى بالمغربين طروح

فاستعبر عبد الله ورق له وجرت دموعه وقال والله انى لضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك ولكن والله لا أعملت معي خفا ولا حافرا الا راجعا الى أهلك وأمر له بثلاثين ألف درهم فقال عوف الابيات المشهورة وسار راجعا الى أهله فلم يصل اليهم ومات في حدود العشرين والمائتين ومن شعره رحمه الله تعالى قوله

وكنت اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم ونيتي الوفاء

المسرة مهنأ بالانفراد آلامن غلامك الذي هو مادة مسرتك وماذاك عن خلق يضيق بطارق ولكن لاخذي باحتياط على حالي فان صادف ما خطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقا فنية غفل الدهر عنها اذ فارق مذهبه فيما أهداه الى منها وان جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه فذمام المروءة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها ان شاء الله تعالى واذا بأبيات تتلوا الخطاب وهي

يا عامر العمر بالفتوة وال * قصف وحث الكؤس والطرب

هل لك في صاحب تناسب في ال * غربة أخلاقه وفي الادب

أوحشه الدهر فاستراح الى * قربك مستنصرا على النوب

فان تقبلت ما أتاك به * لم تشب الظن فيك بالكذب

وان أبى الدهر دون رغبته * فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج فورد على ما حيرني واسترد ما أخذه الشراب من تمييزي وحصل لي في الجملة أن الغالب على أوصاف صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما وشاهدته بالفراسة من ألفاظه وجدت أخلاقه قبل

فأحسن حين يحسن محسنوهم * وأجتنب الاساءة ان أساؤا
وأبصر ما يريبهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء

ومنه قوله

وصغيرة علقتها * كانت من الفتن الكبار
بلهاء لم تعرف لغشرتها اليمين من اليسار * كالبدر الا انها * تبقى على ضوء النهار

﴿واعلم فعلم المرء ينفعه * أن سوف يأتى كل ما قدرا﴾

البيت من السريع وأنشده أبو على الفارسى ولم يعزه الى أحد وأن هنا مخففة من مثقلة وضمير الشان محذوف يعنى ان المقدور آت لا محالة وان وقع فيه تأخير وفى هذا تسلية وتسهيل للامر (والشاهد فيه) الاعتراض بالتنبيه وهو قوله فعلم المرء ينفعه وهو جملة معترضة بين اعلم ومفعوليه والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية

﴿يصدّ عن الدنيا اذا عنّ سودد﴾

هو من الطويل وتمامه ولو برزت فى زىّ عذراء ناهد وقائله أبو تمام من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم وأولها

فقوا اجددوا من عهدكم بالمعاهد * وان لم تكن تسمع لنشدان ناشد
لقد أطرق الربع المحيل لفقدهم * وبينهم اطراق ثكلان فاقد
وأبقوا الضيف الشوق منى بعدهم * قرى من جوى سار وطيف معاود
سقته ذعافا غارة الدهر فيهم * وسمّ الليالى فوق سمّ الاساود
بعسالة صماء لم تصخ * لبرء ولم توجب عيادة عائد
وفى الكلة الوردية اللون جؤذر * من العين وردىّ الخدود الجاسد
رمته بخلف بعد ما عاش حقبة * له رسفان فى قيود المواعد
غدت مغتدى الغضبى وأوصت خيالها * بجر ان نضو العيش نضو الخرائد
وقالت نكاح الحب يفسد شكله * وكم نكحوا حبا وليس بفاسد

وهى طويلة يقول فى مديحها

هم حسدوه لا ملومين مجده * وما حاسد فى المكرمات بحاسد * قرانى اللهى والودّ حتى كأنما
أفاد الغنى من نائلى وفوائدى * فأصبحت يلقانى الزمان من اجله * باعظام مولود واشفاق والد

وبعده البيت وبعده اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * بعصفرها الدنيا فليس بزاهد

فوا كبدى الحرّا وواكبد الذوى * لأيامه لو كن غير بوائد
وهيهات ما ريب الزمان بمخلد * غريبا ولا ريب الزمان بخالد

والزىّ بكسر الزاى الهيئة والعذراء البكر والناهد التى نهد ثديها أى ارتفع (والشاهد فيه) وصفه بالايجاز بالنسبة الى كلام آخر مساوله فى أصل المعنى وهو البيت الآتى بعده وهو اذا المرء لم يزهد الخ

﴿ولست بميال الى جانب الغنى * اذا كانت العلياء فى جانب الفقر﴾

البيت من الطويل وهكذا رويته وان كان فى التلخيص بلفظ نظار بدل ميال وقائله المعذل بن غيلان أبو عبد الصمد أحد الشاعر بن المشهورين روى ذلك عنه الاخفش عن المبرّد ومحمد بن خلف بن المرزبان عن الربعى وبعد البيت وانى لصبار على ما ينوبنى * وحسبك أن الله أثنى على الصبر ورواه صاحب الدرّ الفريد لابى سعيد المخزومى يخاطب به امرأته وأوّل الابيات

تقى بجميل الصبر منى على الهجر * ولا تثقى بالصبر منى على الهجر

وأراد بالغنى مسببه أعنى الراحة وبالفقر المحنة يعنى ان السيادة مع التعب والمشقة أحب اليه من الراحة والدعة بدونها (والشاهد فيه) وصفه بالاطناب بالنسبة الى مصراع أبى تمام لانه مساوله فى أصل المعنى مع قلة حروفه ومثل ذلك قول الشماخ

الاختبار من رقعته فقلت للراهب ويحك من هذا وكيف السبيل الى لقائه فقال أما ذكر حاله فاليه اذا اجتمعتما وأما السبيل الى لقائه فسهل ان شئت قالت دلنى قال تظهر فتورا وتنصب عذرا تفارق به أصحابك منصرفا فاذا اصرت بباب الدير عدلت بك الى باب صغير تدخل منه فرددت الرقعة عليه وقلت ادفعها اليه ليتمكن أنسه بى وسكونه الىّ ثم عرّفه أن التوفر على اعمال الحيلة فى التوصل الى حضرته على ما آثره من التفرّد أولى من التشاغل باصدار جواب يضيع وقت بكتابته ومضى الراهب وعدت الى أصحابى بغير النشاط الذى ذهبت به فأنكروا ذلك منى فاعتذرت اليهم بشئ عرض لى واستدعيت ما أركبه وتقدمت الى من كان معى من الخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كنا عوّلنا على المبيت فأجمعوا على تعجيل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعى صبىّ صغير كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى الشاكرى بردّ الدابة وستر خبرى ومباكرتى وتلقانى الراهب فعدل بى الى طريق فى مضيق وأدخلنى الدير من طريق غامض وصار بى الى باب قلاية يتميز عما يجاوره من الابواب نظافة وحسنا

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وقول بشر بن أبي حازم اذا ما المكرمات رفعن يوما * وقصر مبتغوها عن مداها
وضاقت أذرع المثرين فيها * سما أوس اليها فاحتواها

﴿والمعذل﴾ هو ابن غيلان بن الحكم بن البحتري وكان أبوه غيلان شاعرا أيضا حدث عمارة قال مر المعذل ابن غيلان بعبد الله بن سوار العنبري القاضي فاستنزله عبد الله وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده فأبى وأنشده أمن حق المودة أن نقضي * ذمامكم ولا تقضوا ذماما
وقد قال الاديب مقال صدق * رآه الآخرون لهم اماما
اذا أكرمتكم وأهنتموني * ولم أغضب لذاكم فدا ما

قال وانصرف فبكر اليه عبد الله بن سوار فقال له رأيتك أبا عبد الله مغضبا فقال أجل ماتت بنت أختي ولم تأتني قال ما علمت ذلك قال ذنبك أيسر من عذرك ومالي أنا أعرف خبر حقوقك وأنت لا تعرف خبر حقوقي فما زال عبد الله يعتذر اليه حتى رضي عنه وحدث الجماز قال هجا أبان اللاحقي المعذل بن غيلان فقال
كنت أمشي مع المعذل يوما * ففسا فسوة فكدت أطير
فتلفت هل أرى ظربانا * من ورائي والارض بي تستدير
فاذا ليس غيره واذا اعصار ذاك الفساء منه يفور
فتعجبت ثم قلت لقد أعرق في ذا فيما أرى خنزير

فأجابه المعذل بقوله صحفت أمك اذ سمتك في المهد أبانا قد علمنا ما أرادت * لم ترد الا أتانا
صيرت باء مكان التاء فالله أعانا قطع الله وشيكا * من مسميك اللسانا

وقد روي عن المعذل وأبيه شيء من الاخبار والحديث واللغة ليس بالكثير ومن شعره
الى الله أشكو لا الى الناس انني * أرى صالح الاعمال لا أستطيعها * أرى خلة في اخوة وقرابة
وذي رحم ما كان مثلي يضيعها * فلو ساعدتني في المكارم قدرة * لفاض عليهم بالنوال ربيعها
وأما أبو المعذل عبد الصمد فكان شاعرا فصيحا من شعراء الدولة العباسية وكان هجاء خبيث اللسان شديد المعارضة وكان أخوه أحمد شاعرا أيضا الا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم عند المعتزلة وجاه واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه وكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه وعبد الصمد أشعرهما ومن هجاء أحمد لاخيه عبد الصمد قوله وهو في غاية الاذى مع ما فيه من اللطافة
قال لي أنت أخو الكلب وفي * ظنه أن قد هجاني واجتهد
أحمد الله تعالى انه * ما درى اني أخو عبد الصمد

﴿ونبكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول﴾

البيت للسموأل بن عاديا اليهودي من قصيدة من الطويل أولها
اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامت للعلا وكهول
وانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد في فراشه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليس على غير السيوف تسيل
الى أن يقول فيها فنحن كماء المزن ما في نصالنا * كهام ولا فينا يعد بخيل

وقرعه بحركات مختلفة كالعلامة بينهما فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته في غلالة تنم على ما تستره وتظهر مع رقتها ما تضمره وعلى رأسه محلسية مصمت فبهر عقلي واستوقف نظري ثم أجفل كالظبي المذعور وتلوته والراهب الى صحن القلاية فاذا أنا ببيت فضي الحيطان رخامي الاركان يضم طارمة خيش مفروشة بحصير مستعملة فوثب الينا منه فتى مقتبل الشبيبة حسن الصورة ظاهر النبل والهيئة متزمن اللباس بزي غلامه فلقيني حافيا بعشر في سراويله واعتنقني ثم قال انما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لاجعل ما لعلك استحسنته من صورته مصانعا لما يرد عليك من مشاهدتي فاستحسنت اختصاره الطريق الى بسطي وارتجاله المبادرة على نفسه حرصا على تأنيسي وأفاض في شكري على المسارعة الى امتثال أمره وأناني خلال ذلك أواصل المبالغة في الاعتداد به ثم قال يا سيدي أنت مكدود عن كان معك والتمكن من الانس بك لا يتم الا براحتك وقد كان الامر على ما ذكر فاستلقيت

وبعده البيت وبعده اذا سيد منا خلا قام سيد * قوول لما قال الكرام فعول
وما أخمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا فى النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة فى عدونا * لها غرر معروفة وحجول
وأسيافنا فى كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قبيل
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

ومعنى البيت انا نغير ما نريد تغييره من قول غيرنا ولا يجسر أحد على الاعتراض علينا انقيادا لهوانا واقتداء بحزمنا يصف رياستهم ونفاذ حكمهم ورجوع الناس فى المهمات الى رأيهم (والشاهد فيه) وصفه بالاطناب بالنسبة الى قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ووصف الآيات الكريمة بالايجاز بالنسبة اليه وفى قوله من القصيدة وانا لقوم لا نرى القتل سبة البيت نوع من البديع يسمى الاستطراد وهو أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شئ وهو انما يريد غيره ومنه قول الفرزدق

كأن فقاح الازد حول ابن مسمع * اذا اجتمعوا أفواه بكر بن وائل

وقول جرير لما وضعت على الفرزدق ميسمى * وضغا البعيث جدعت أنف الاخطل

(ويروى) أن الفرزدق وقف على جرير بالبصرة وهو ينشد قصيدته التى هجا فيها الراعى فلما بلغ الى قوله بها برص بأسفل اسكتيها وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال جرير كعنفقة الفرزدق حين شابا فانصرف الفرزدق وهو يقول اللهم أخزه والله لقد علمت حين بدأ بالبيت انه لا يقول غير هذا ولكنى طمعت أن لا يأتى به فغطيت وجهى فما أغنى ذلك شيأ ويقال ان يونس كان يقول ما أرى جريرا قال هذا المصراع الا حين غطى الفرزدق عنفقته فانه نبهه عليه بتغطيته اياها ومن الاستطراد قول أبى تمام فى وصف فرس

فلو تراه مشيحا والحصى فلق * تحت السنابك من مثنى ووحدان
حلفت ان لم تثبت أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقول أبى بكر النطاح فى مالك بن طوق

عرضت عليها ما أرادت من المنى * لترضى فقالت قم فجئنى بكوكب
فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يشتهى من لحم عنقاء مغرب
سلى كل أمر يستقيم طلابه * ولا تذهبى يا درّ بى كل مذهب
فأقسم لو أصبحت فى عز مالك * وقدرته أعيا بما رمت مطلبى
فتى شقيت أمواله بعفاته * كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقول بعضهم يمدح الوزير المهلبى

بأبى من اذا أراد سرارى * عبرت لى أنفاسه عن عبير
وسبانى ثغر كدر نظيم * تحته منطق كدر نثير
وله طلعة كنيل الامانى * أو كشعر المهلبى الوزير

وقول أبى الطاهر الخزاعى

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه
قطعت دياجيه بنوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيه التفات كأنه * أبو جابر فى خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وقول اسحق بن ابراهيم يهجو أحمد بن هشام

وصافية يغشى العيون صفاؤها * رهينة عام فى الدنان وعام
أدرنا بها الكاس الروية موهنا * من الليل حتى انجاب كل ظلام
فما ذر قرن الشمس حتى رأيتنا * من العى نحكى أحمد بن هشام

يسيرا ثم نهضت نخدمت فى حالتى النوم واليقظة الخدمة التى عهدتها فى دار الملوك وجلة الرؤساء ثم جاءنا خادم لم أر أحسن وجها ولا أتم سوادا منه يضم ما يتخذ للعشاء فقال ياسيدى العشاء منى للحاجة ومنك للمؤانسة فتناولنا شيأ وأقبل الليل وطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت الى فضاء أدى الينا محاسن الغوطة وحيانا بذخائر رياضها من المنظر الجنانى والنسيم العطرى وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع اتفاقنا عليه واقتعدنا غارب اللذة وجرينا فى ميدان المفاوضة وأخذ بنا فى نوادر الاخبار ويخلط ذلك من المزح بأظرفه ومن التودد بألطفه فلما توسطنا الشرب التفت الى غلامه وقال ياسيترف ان مولاك لم يدخر عنا ممكنا من السرور بحضرته فينبغى لنا أن لا ندخر ممكنا من تمام مسرته فامتقع وجه الغلام حياء وخفرا فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد فمضى ثم عاد يحمل طنبورا وجلس وقال لى تأذن ياسيدى فى خدمتك فهممت بتقبيل يديه لما داخلنى من عظم المسرة بذلك فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى يقول
يا مالكى وهو ملكى
وسالبى ثوب نسكى
نزه يقين الهوى فيـ
ـك عن تعرض شك

وقول الحسين بن علي القمي

جاوزت أجبالا كأن صخورها * وجنات نجم ذي الحياء البارد
والشوك يعمل في ثيابي مثل ما * عمل الهجاء بعرض عبد الواحد

وقول أبي الفرج الببغاء

لذا روضة في الدار صيغ زهرها * قلائد من حمل الندى وشنوف
يطيب بناسمها اذا ما تنفست * نسيم كعقل الخالدي ضعيف

ومن ظريف الاستطراد وغريبه قول بعضهم

اكشفي وجهك الذي أوحلتني * فيه من قبل كشفه عيناك
غلطي في هواك يشبه عندي * غلطي في أبي علي بن زاكي

وقول أبي بكر الخوارزمي

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر مجرم
مسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسي وفتنة مسلم
حياة لاحياء حياة لميت * وعدم لمن اثرى ثراء لمعدم
يدور بها ظبي تدور عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن اكثم
بتزهنا من ثغره ومدامه * وخديه في شمس وبدر وأنجم
نهضت اليها والظلام كأنه * معاش فقير أو فؤاد معلم

(وقوله)

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا * دمعي يحاكي لفظك المنظوما
ولقد حزنت عليك حتى قد حكى * قلبي فؤاد حسودك المحموما

ومنه قول ابن رشيق وكتب به الى بعض الرؤساء

اني لقيت مشقه * فابعث الي بشقه * كمثل وجهك حسنا * ومثل ديني رقه

فقال له الرئيس أما مثل دينك رقة فلا يوجد ووزن أمثال رمال الرقة ولشرف الدين بن عنين الشاعر على هذا الاسلوب في فقيهين كانا بدمشق يدعى أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس

البغل والجاموس في جدليهما * قد أصبحا عظة لكل مناظر
برزا عشية ليلة فتباحثا * هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما أتقنا غير الصياح كأنما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر
لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر
اثنان مالهما وحقك ثالث * الا رقاعة مدلويه الشاعر

ومنه قول ابن جابر الاندلسي

تطول به العيد أشرف همة * فباعه عن غاية بقصير
سما لاقتناص المكرمات كما سما * بعمرو الى الزباء سعي قصير

وقوله أيضا

سراة كرام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
ويفعل في فقر المقلين جودهم * كفعل علي يوم حارب مرحبا

(والسموأل) هو ابن عريض بن عاديا ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكري عن الطوسي وأبي حبيب وذكر أن الناس يدرجون عريضا في النسب وينسبونه الى عاديا جده وقال عمرو بن شبية هو السموأل بن عاديا ولم يذكر عريضا وقد قيل ان أمه كانت من غسان وكلهم قال انه صاحب الحصن المعروف بالابلق بتيماء وقيل بل هو من ولد الكاهن بن هرون بن عمران وكان هذا الحصن لجده عاديا واحتفر فيه بئرا عذبة روية وقد ذكرته الشعراء في أشعارها قال السموأل

لولاك ما بت أبكي
الى الصباح وأبكي
فنظر الي الغلام وتبسم فعلمت أن الشعر له وكدت والله أن أطير طربا وفرحا لملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة منطقه وتكامل حسنه فاستدعيت كبيرا فاحضر الغلام عدة قطع من البلور وجيد الجام المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ما شربت به ثم قال أنا والله ياسيدي أحب ترفيهك ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ولكن حيث عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تسم ليلتنا هذه بشئ يكون لها طرازا ولذكرها علما فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا

وقد أخذ الشراب مني
وليلة أوسعتني
لهوا وحسنا وأنسا
مازلت ألثم بدرا
بها وأشرب شمسا
اذ أطلع الدهر سعدا
لم يبق مذ آب نحسا
فصار للروح مني
روحا وللنفس نفسا

فطرب لقولي ألثم بدرا وأشرب شمسا ثم جذب غلامه فقبله وقال لم أجهل ياسيدي ما يجب لك من التوقير ولكني اعتمدت تصديقك فيما ذكرته فبيانا في الا ما فعلت ذلك بغلامك كما فعلت فأجبته خوفا من احتشامه وأخذ الابيات وجعل يرددها ثم أخذ الدواة

فبالابلق الفرد بيتي به * وبيت النضير سوى الابلق

وكانت العرب تنزل به فيضيفها وتمتار من حصنه ويقيم هنالك سوقا وبه يضرب المثل فى الوفاء لانه رضى بقتل ابنه ولم يخن أمانته فى أدراع أودعها وكان السبب فى ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندى لما سار الى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عادياء بحصنه الابلق بعد ايقاعه ببنى كنانة على انهم بنو أسد وكراهة من معه لفعله وتفرقهم عنه حتى بقى وحده واحتاج الى الهرب وطلبه المنذر بن ماء السماء ووجه الى طلبه جيوشا وخذلته حمير وتفرقت عنه فلجأ الى السموأل بن عادياء وكان معه خمسة أدراع الفضفاضة والضافية والمحصنة والحريق وأم الذيول وكانت لبنى آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك ومعه ابنته هند وابن عمه يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث وسلاح ومال وكان بقى مما كان معه رجل من بنى فزارة يقال له الربيع وهو الذى قال فيه امرؤ القيس

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

فقال له الفزارى قل فى السموأل شعرا تمدحه به فان الشعر يعجبه فقال فيه امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها

طرقتك هند بعد طول تجنب * وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

فقال له الفزارى ان السموأل يمنع منك وهو فى حصن حصين ومال كثير فقدم به على السموأل وعرفه اياه وأنشده الشعر فعرف لهما حقهما وضرب على هند قبة من أدم وأنزل القوم فى مجلس له فأقاموا عنده ماشاء الله ثم ان امرأ القيس سأله أن يكتب له الى الحرث بن أبى شمر الغسانى أن يوصله الى قيصر ففعل واستصحب رجلا يدله على الطريق وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ورحل الى الشام وخلف ابن عمه مع ابنته هند قال ونزل الحرث بن ظالم فى بعض غاراته بالابلق ويقال بل كان المنذر وجهه فى خيل وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل فلما نزل به تحصن منه وكان له ابن قد يفع وخرج الى قنص له فلما رجع أخذه الحرث بن ظالم ثم قال للسموأل أتعرف هذا قال نعم هذا ابنى فقال أفتسلم ما قبلك أو أقتله قال شأنك به فلست أخفر ذمتى ولا أسلم مال جارى فضرب الحرث وسط الغلام فقتله وقطعه قطعتين وانصرف عنه فقال السموأل فى ذلك

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ما ذم أقوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم يا سموأل ما بنيت

بنى لى عاديا حصنا حصينا * وبئرا كلما شئت استقيت

وفى ذلك يقول الاعشى وكان قد استجار بشريح بن السموأل من رجل كلبى قد هجاه ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه فنزل بابن السموأل فأحسن ضيافته ومر بالاسرى فناداه الاعشى من جملة أبيات

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى عسكر كسواد الليل جرار

اذ سامه خطتى خسف فقال له * قل ما تشاء فانى سامع جارى

فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر وما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك انى مانع جارى

وسوف يعقبنيه ان ظفرت به * رب كريم وبيض ذات أطهار

لا سرهن لدينا ذاهب أبدا * وحافظات اذا استودعن أسرارى

فاختار أدراعه كيلا يسب بها * ولم يكن وعده فيها بختار

فجاء شريح الى الكلبى فقال له هب لى هذا الاسير المضرور فقال هو لك فأطلقه وقال له أقم عندى حتى أكرمك وأجيزك فقال له الاعشى ان تمام صنيعك أن تعطينى ناقة نجيبة فأعطاه ناقة ناجية فركبها ومضى من ساعته وبلغ الكلبى أن الذى وهب لشريح هو الاعشى فأرسل الى شريح ابعث الى الاسير الذى وهبته لك حتى أحبوه وأعطيه فقال قد مضى فأرسل الكلبى وراءه فلم يلحقه وسعيد بن عريض أخو السموأل

شاعر

وكتب اجازة لها
ولم أكن لغريمى
والله أبدل فلسا
لو ارتضى لى غريمى
بدير مران حبسا

فقلت له اذا والله ما كان أحد يؤدى حقا ولا باطلا وداعبته فى هذا المعنى بما حضرنى وعرفت فى الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه فقال لى ياسيدى قد خرج لك أكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت لك القصة فآثرت مراده فى كتمان أمره فقلت ياسيدى كل ما لا يتعرف بك نكرة وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار ونابت الخبرة عن الاستخبار وجعل يشرب ويقتضب من غير اكراه ولا ابطاء الى أن رأيت الشراب قد دب فيه وأكب على محادثة غلامه والفطنة تنبته الى الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام ببرذعة ففرشها بازاء برذعته فنهضت اليها فقام يتفقد أمرى بنفسه فقلت ان لى مذهبا فى تقريب غلامى منى واعتمدت فى ذلك تسهيل ما يختاره من غلامه فى هذه الحال فتبسم وقال لى جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لى بك وأظهرت النوم وعاد يحادث غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة يقبل فمه وغلبتنى عيناى الى

شاعر أيضا ومن شعره اذا أمالت دواعي الهوى * وأنصت السامع للقائل

لا نجعل الباطل حقا ولا * نلط دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفه أحلامنا * فنخمل الدهر مع الخامل

عن العتبي قال كان معاوية رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل اذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر وعن يوسف ابن الماجشون قال كان عبد الملك بن مروان اذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه فأنشده هذه الابيات ثم يجتهد في الحق بين الخصمين

﴿شواهد الفن الثاني وهو علم البيان﴾

﴿وكأن محمر الشقيق * اذا تصوب أو تصعد أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد﴾

البيتان من الكامل المجزوّ المرفل ولم أقف على اسم قائلهما ورأيت بعض أهل العصر نسبهما في مصنف له الى الصنوبري الشاعر والشقيق أراد به شقائق النعمان وهو النور المعروف ويطلق على الواحد والجمع وسمي بذلك لحمرته تشبيها بشقيقة البرق وأضيف الى النعمان بن المنذر وهو آخر ملوك الحيرة لانه خرج الى ظهر الحيرة وقد اعتم نبته ما بين أصفر وأحمر وأخضر واذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير فقال ما أحسنها احموها فكان أول من حماها فنسبت اليه وكان أبو العميثل يقول النعمان اسم من أسماء الدم ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت الى الدم لحمرتها قال وقولهم انها منسوبة الى النعمان بن المنذر ليس بشيء قال وحدثت الاصمعي بهذا فنقله عني انتهى والذي قدمناه هو الذي ذكره أرباب اللغة (والشاهد فيهما) التشبيه الخيالي وهو المعدوم الذي فرض مجتمعا من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس فان الاعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحس انما يدرك ما هو موجود في المادة حاضر عند المدرك على هيآت محسوسة مخصوصة لكن مادته التي تركب منها كالاعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر وقريب من هذا النوع قول بعضهم

كلنا باسط اليد * نحو نيلوفر ندي كدبابيس عسجد * قضبها من زبرجد

ومثله قول أبي الغنائم الحمصي

خود كأن بنانها * في خضرة النقش المزرّد سمك من البلور في * شبك تكوّن من زبرجد

وقد تفنن الشعراء في وصف الشقائق فمما ورد من ذلك قول ابن الرومي أو الاخيطل الاهوازي

هذي الشقائق قد أبصرت حمرتها * مع السواد على قضبانها الذبل

كأنها أدمع قد غسلت كحلا * جادت بها وقفة في وجنتي خجل

وقول سيدوك الواسطي انظر الى مقل العقيق تضمنت حدق السبج

من فوق قامات حسن وما سمعن من العوج

وقول الخبازا البلدي من أبيات

الى الروض الذي قد أضحكته * شآبيب السحائب بالبكاء

كأن شقائق النعمان فيه * ثياب قد روين من الدماء

وقول ولد القاضي عياض رحمهما الله تعالى

انظر الى الزرع وخاماته * تحكي وقد ولت أمام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

وقول الخالدي أيضا وصبغ شقائق النعمان يحكي * يواقيتا نظمن على اقتران

وأحيانا نشبهها خدودا * كساها الراح ثوبا أرجواني

شقائق مثل أقداح ملاء * وخشخاش كفارغة القناني

أن أيقظني هواء السحر فانتبهت وهما متعانقان وعليهما من اللباس وأردت توديعه وكرهت انباهه وازعاجه فخرجت فلقيني الخادم يريد ايقاظه وتعريفه انصرافي فأقسمت عليه أن لا يفعل ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وعازما على العودة اليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ومتوهما أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب آخره من أوله واعترضتني أسباب أدت الى اللحاق بسيف الدولة فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك

ويوم كأن الدهر سامحنا به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر

جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا

الى دير مرّان المعظم والعمر

بحيث هواء الغوطتين معطر النسيم بأنفاس الرياحين والزهر

فمن روضة بالحسن ترفد روضة

ومن نهر بالفيض يجري الى نهر

وفي الهيكل المعمور منه افترعتها

وصحبي حلالا بعد توفية المهر

ونزهت عن غير الدنانير قدرها

فنازلت منها أشرب التبر بالتبر

وحل لنا ما كان منها محرما

وهل يحظر المحظور في بلد الكفر

وقول الصنوبرى

ولما غازلتنا الريح خلنا * بها جيشى وغى يتقاتلان
وجوه شقائق تبدو وتخفى * على قضب تميس بهن ضعفا
تراها كالعذارى مسبلات * عليها من حمم الشعر سجفا
اذا طلعت أرتك السرج تذكى * وان غربت أرتك السرج تطفا
تخال اذا هى اعتدلت قواما * زجاجات ملئن الراح صرفا
تنازعت الخدود الحمر حسنا * فما قد أخطأت منهن وصفا

وقول ابن الدويده

كأن الشقائق والاقحوان * خدود تقبلهن الثغور
فهاتيك أخجلهن الحياء * وهاتيك أضحكهن السرور

وقول أبى الحسن بن وكيع من أرجوزة

يضحك فيها زهر الشقيق * كأنه مداهن العقيق
مضمنات قطعا من السبج * فأشرقت بين احمرار ودعج
كأنما الحمرة فى المسود * منه اذا لاح عيون الرمد

وقول أبى الفضل الميكالى

تصوغ لنا أيدى الربيع حدائقا * كعقد عقيق بين سمط لآلى
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت * خدود عذارى نقطت بغوالى

وقول الخبزارزى أيضا

وروضة راضها الندى فغدت * لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدى الربيع لنا * ثوبا من الوشى حاكه القطر
كأنما شق من شقائقها * على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كأنها حدق * أجفانها من دمائها حمر

﴿ ومسنونة زرق كأنياب أغوال ﴾

هو من الطويل وصدره أيقتلنى والمشرفى مضاجعى وقائله امرؤ القيس الكندى من قصيدة أولها

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم ما يبيت بأوجال
وهل يعمن من كان آخر عهده * ثلاثين شهرا أو ثلاثة أحوال
ديار لسلمى عافيات بذى الخال * ألح عليها كل أسحم هطال
وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا * بوادى الخزامى أو على رأس أوعال
ألا زعمت بسباسة اليوم أننى * كبرت وأن لا يشهد اللهو أمثالى
بلى رب يوم قد لهوت وليلة * بآنسة كأنها خط تمثال
يضىء الفراش وجهها لضجيعها * كمصباح زيت فى قناديل ذبال
اذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها * تميل عليه هونة غير معطال
كدعص النقا يمشى الوليدان فوقه * لما احتسبا من لين مس وتسهال
اذا ما استحمت كان فيض حميمها * على متنتيها كالجمان لدى الحالى
تنورتها من اذرعات وأهلها * بيثرب ادنى دارها نظر عالى
نظرت اليها والنجوم كأنها * مصابيح رهبان تشب لقفال
سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فأهدت لى الايام منها مودة
دعتنى الى ستر فلبيت فى ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة
يخاطبنى من معدن النظم والنثر
فلاقيت ملء العين بالاوجه
محلى السجايا بالطلاقة والبشر
فكان جوابى طاعة لا مقالة
ومن ذا الذى لا يستجيب الى السحر
وأحشمنى بالود حتى ظننته
يريد اختلاعى عن حياتى ولا أدرى
وتزه عن غير الصفاء اجتماعنا
فكنت واياه كقلبين فى صدر
وشاء سرور وأن يلبنا الثالث
فلا طفنا بالبدر أو بأخى البدر
بمعط عيونا ما اشتهت من جماله
ومضن قلوبا بالتجنب والهجر
جنينا جنى الورد فى غير وقته
وزهر الربا من ورد خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه
بشمسين فى جنحى دجا الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف آخذا
بأوفر حظ من محاسنه الزهر
ومتعنا من وجنتيه بمثل ما
تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور شكرنا منة الصحو اذ دعا
اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالى غن عنه فعندما
تفهمن بدلن الوفاء الى الغدر
مضى فكأنى كنت منه موهما

فقلت سبالك الله انك فاضحي * ألست ترى السمار والناس أحوالى

فقلت يمين الله لاأنابارح * ولوقطعوا رأسي اليك وأوصالى

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * ورضت فذلت صعبة أي اذلال

حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا فما ان من حديث ولاصالى

فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها * عليه قتام كاسف اللون والبال

يغط غطيط البكر شد خناقه * ليقتلني والمرء ليس بقتال

وبعده البيت وبعده

وليس بذي سيف فيقتلني به * وليس بذي رمح وليس بنبال

أيقتلني وقد قطرت فؤادها * كما قطر المهنوءة الرجل الطالى

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذي وليس بفعال

وماذا عليه ان ذكرت أوانسا * كغزلان رمل في محاريب أقوالى

وهي طويلة والمشرفي بفتح الميم والراء نسبة الى مشارف الشام وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المشرفية والمسنون المحدد المصقول ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها وكونها مجلوة وأراد بقوله أنياب أغوال أي شياطين وانما أراد أن يهول قال أبونصر سألت الاصمعي عن الغول فقال هو رجة من هو رجة الجن (والشاهد فيه) التشبيه الوهمي وهو الغير المدرك باحدى الحواس ولكنه بحيث لوأدرك لكان مدركا بها فان أنياب الغول مما لايدركه الحس لعدم تحققها مع أنها لوأدركت لم تدرك الابحس البصر وذكرت بأول القصيدة ماحكاه ناشب بن هلال الحراني الواعظ البديهي وكان يلقب به لقوله الشعر بديها قال قصدت ديار بكر متكسبا بالوعظ فلما نزلت قلعة ماردين دعاني بها صاحبها تمرداس ابن ايلغازي بن أرتق للافطار عنده في شهر رمضان فحضرت اليه فلم يرفع مجلسي ولم يكرمني وقال بعد الافطار لغلام عنده ائتنا بكتاب فجاء به فقال له ادفعه الى الشيخ ليقرأ فيه فازداد غيظي لذلك وفتحت الكتاب فاذا هو ديوان امرئ القيس واذا أول مافيه

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان في العصر الخالى

فقلت في نفسي أناضيف وغريب وأستفتح ما أقرأه على سلطان كبير وقد مضى هزيع من الليل ألا عم صباحا فقلت

ألا عم مساء أيها الملك العالى * ولازلت في عز يدوم واقبال

ثم أتممت القصيدة فتهلل وجه السلطان لذلك ورفع مجلسي وأدناني اليه وكان ذلك سبب حظوتي عنده

(وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع)

البيت للقاضي التنوخي من أبيات من الخفيف أولها

رب ليل قطعته بصدود * أوفراق ما كان فيه وداع

موحش كالثقيل تقذى به العيـ * ـن وتأبى حديثه الاسماع

وبعده البيت وبعده

مشرقات كأنهن حجاج * تقطع الخصم والظلام انقطاع

وكأن السماء خيمة وشي * وكأن الجوزاء فيها شراع

والدجى جمع دجية وهي الظلمة والضمير راجع الى الليالي أو النجوم والابتداع الحدث في الدين بعد الكمال أوما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الاهواء والاعمال (والشاهد فيه) التشبيه التخييلي وهو أنه لايوجد في أحد الطرفين أو في كليهما الاعلى سبيل التخييل والتأويل ووجهه في هذا البيت هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شئ مظلم أسود فتلك الهيئة غير موجودة في المشبه به الاعلى طريق التخييل وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ماهو جهل تجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة فلا

يحدث عن طيف الخيال الذي يسري وهل يحصل الانسان من كل ما به تسامحه الايام الاعلى الذكر ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة وأشد تأسف على ماسلبته من عظيم النعمة بفراق الفتى لاسيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا نص خبر يؤديانى الى الطمع فى لقائه الى أن عاد سيف الدولة الى دمشق وأنا في جملته فما بدأت بشئ قبل مصيري الى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج الى مرعوبا وهو لايعلم ما السبب فلما رآني استطار فرحا وأقسم لايكلمني الابعد النزول والمقام عنده يومي ذلك فلما جلسنا للمحادثة قال لي مالى أراك لاتسألنى عن صاحبك قلت والله مالى فكر ينصرف عنه ولا أسف يتجاوز زماخرته منه ولا سرورت بعودى الى هذا البلد الامن أجله ولذلك بدأت بقصدك فاذكر لي خبره فقال أما الآن فنعم هذا فتى من الماردانيين جليل القدر عظيم النعمة كان قد ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال عظيم نخاس به ضمانه لقعود السعر عنه وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج مستخفيا الى أن ورد دمشق بزى تاجر وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن لى به ارتباط

يهتدى للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بالظلمة ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ماهو علم بالنور لان السنة والعلم تقابل البدعة والجهل كما أن النور يقابل الظلمة (والقاضي التنوخي) هو على ابن محمد بن داود أبو القاسم التنوخي قدم بغداد وتفقه على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى وكان حافظا للشعر ذكيا وله عروض بديع ولى القضاء بعدة بلدان وهو والد أبي على المحسن التنوخي صاحب نشوان المحاضرة وكتاب الفرج بعد الشدة وغيرهما وكان أبو القاسم هذا بصيرا بعلم النجوم قرأ على الكسائي المنجم ويقال انه كان يقوم بعشرة علوم وكان يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدة ومقطوعة سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين وغيرهم وكان يحفظ من النحو واللغة شيأ كثيرا وكان في الفقه والفرائض والشروط غاية واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة وكان في الهيئة قدوة وقال الثعالبي في حقه رحمهما الله تعالى هو كما قرأته في فصل الصاحب ان أردت فاني سبحة ناسك أو أحببت فاني تفاحة فاتك أو اقترحت فاني مدرعة راهب أو آثرت فاني نخبة شارب وكان الوزير المهلبي وغيره من وزراء العراق يميلون اليه جدا ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء ويعاشرون منه من تطيب عشرته وتلين قشرته وتكرم أخلاقه وتسير أشعاره حاشيتي البر والبحر وناحيتي الشرق والغرب (ويحكى) انه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والايذجي وغيرهم ومامنهم الا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي فاذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه وهبوا أثواب الوقار للعقار وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ووضع في يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملوء شرابا قطربليا أو عكبريا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم واياهم عنى السرى الرفاء بقوله

مجالس ترقص القضاة بها * اذا انتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا * بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثا * أنامل مثل حمرة العنم
حتى تخال العيون شيبته * شيبة عثمان ضرجت بدم

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه يسمى نسيما فكتب الى القاضي التنوخي بعض أصحابه

هل على لامه مدغمة * لاضطرار الوزن في ميم نسيم

فوقع تحته نعم ولم لا وقال منصور الخالدي كنت ليلة عند التنوخي في ضيافة فأغفى اغفاءة فخرج منه ريح فضحك بعض القوم فانتبه بضحكه وقال لعل ريحا فسكتنا من هيبته فمكث ساعة ثم قال

اذا نامت العينان من متيقظ * تراخت بلا شك تشاريج فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر نائما * ومن كان ذا جهل ففي جوف لحيته

وهذه نبذة من شعره قال من قصيدة كثيرة العيون وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر شعره وهي

أحبب الى بنهر معقل الذى * فيه لقلبي من هموي معقل
عذب اذا ما عب منه ناهل * فكأنه من ريق حب ينهل
متسلسل وكأنه لصفائه * دمع بخدي كاعب يتسلسل
واذا الرياح جرين فوق متونه * فكأنها درع جلاها صيقل
وكأن دجلة اذ تغطغط موجها * ملك يعظم خيفة ويبجل
وكأنه ياقوتة أو أعين * زرق يلائم بينها ويوصل
عذبت فما ندرى أماء ماؤها * عند المذاقة أم رحيق سلسل

لي وقال لصديقه اني أريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان مأمونا على فذكر له صديقه مذهبي وأظهرت له السرور وعاد راغبا فيه من الانس بي وأنا لا أعرفه غير أن صديقي قد أمرني بخدمته فلما حصل في قلايتي واصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ومعه الغلام والخادم وقد حقابه ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة فلما نظر الى الغلام قال يا راهب قد حل الفطر وجاء العيد ووثب الى الغلام فاعتنقه وجعل يقبل عينيه ويبكي ثم وقف على السفاتج فأنفذها مع رقعة الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه ألفي دينار وما يحتاج اليه من فرش وملبوس ولم يزل مكبا على ما رأيت الى أن ورد عليه البغال والآلات السنية الحسنة من مصر وكتب اليه أهله باجتماعهم بصاحب مصر وتعريفهم اياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع بحطيطة المال فلما أعمل المسير قال لغلامه سلم ما بقي معك من النفقة الى الراهب ليصرفه في مصالح الدير الى أن نواصل تفقده في مستقرنا وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف الا عليك بقطع الاوقات بذكرك ولا يشرب الا على ما يغنيه

ولما بعد بعد جزر ذاهب * جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
واذا نظرت الى الابلة خلتها * من جنة الفردوس حين تخيل
كم منزل فى نهرها آلى السرو * ر بأنه فى غيرها لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائس * والروض حلى فهى فيه ترفل
غنت قيان الورق فى أرجائها * هزجا يقل له الثقيل الاول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت * يوم الوداع وعيرهم تترحل
وبع الربيع بها الخاكت كفه * حللا بها عقد الهموم تحلل
فديج وموشع ومدثر * ومعمد ومحبر ومهلهل
فتخال ذا عينا وذا ثغرا وذا * خدا يعضض مرة ويقبل

ومن شعره أيضا قوله كأنما المريخ والمشترى * أمامه فى شامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة * قد أوقدت قدامه شمعه

ومثله قول أبى عتيق السفار وكان البدر والمريخ اذ وافى اليه ملك توقد ليلا * شمعة بين يديه

رجع الى شعر القاضى التنوخى رحمه الله قال

وليلة مشتاق كأن نجومها * قد اغتصبت عينى الكرى فهى نوم
كأن سواد الليل والفجر ضاحك * يلوح ويخفى أسود يتبسم

وله أيضا فى غور الكواكب عند الصباح

عهدى بها وضياء الصبح يطفئها * كالسرج تطفأ أو كالاعين العور
أعجب بها حين وافى وهى نيرة * فظل يطمس منها النور بالنور

وكتب الى الوزير المهلبى وقد منعه المطر من خدمته

سحاب أتى كالأمن بعد تخوف * له فى الثرى فعل الشفاء بدنف
أكب على الآفاق اطراق مطرق * بفكر أو كالنائم المتلهف
ومد جناحيه على الارض جانحا * فراح عليها كالغراب المرفرف
غدا البر بحرا زاخرا وانثنى الضحى * بظلمته فى ثوب ليل مسجف
يعبس عن برق به متبسم * عبوس بخيل فى تبسم معتف
تحاول منه الشمس فى الجو مخرجا * كما حاول المغلوب تجريد مرهف

أين هذا من قول ابن المعتز رحمه الله

تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يريد نكاح بكر
فأفرغ ماء قال وارد حوضه * أسلسال ماء أم سلافة قرقف
أتى رحمة للناس غيرى فانه * على عذاب ماله من تكشف
سحاب عدانى عن سحاب وعارض * منعت به من عارض متكفكف

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات

لست أدرى ماذا أذم وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء

ومن شعر القاضى التنوخى أيضا

أما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
فالارض تحت ضريب الثلج تحسبها * قد ألبست حبكا أو غشيت ورقا
فانهض بنار الى فحم كأنهما * فى العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

الغلام من شعرك وهو الآن بعصر على أحسن الاحوال وأجلها ما يخل بتفقدى ولا يغب برى (قال أبو الفرج) فتجملت بعد السلو بما عرفت من حقيقة خبره وأتممت يومى عند الراهب وكان آخر العهد به (قال على بن ظافر) أقسم بالله ان هذه الحكاية وان طالت لحقيقة أن تكتب بالمقل السود على صفحات الخدود ولقد أزرت برأى العقود بين الترائب والنهود فرحم الله أبا الفرج وصاحبه فلقد استحقا منا بهذه الحكاية حمدا وشكرا وأبقيا لهما فى الظرفاء ذكرا ولقد بلغ من طربى بها وارتياحى عند قراءتها ما انى أوسع هذا الفتى الماردانى دعاء وترحما وأتبع ذكره صلاة عليه وتسليما حتى انى أكثر قصد ترب الماردانيين بالزيارة والدعا أملا أن يكون فى جملتهم وطمعا وما أنا واياهم الا كما قال خالد بن يزيد

أحب بنى العوام من أجل حبها
ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وهذه غاية جهدى مع تربة دائرة ورمة بالية فرحمه الله كلما غرب نجم وطلع ونبت نجم وأينع بحرمة محمد نبيه صلى الله عليه وسلم (أنبأنى) العماد أبو حامد أخبرنى أبو على الحسن بن سعد الشاتانى قال لى نجم الدين بن الشهرزورى قاضى الموصل

ومنه أيضا رضاك شباب لا يليه مشيب * وسخطك داء ليس منه طبيب
كأنك من كل النفوس مركب * فأنت الى كل النفوس حبيب

وله في معذر قلت لاصحابي وقد مرّ بي * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودادي قفوا * كي تبصروا كيف زوال النعم

ومحاسنه رحمه الله كثيرة وهذا الانموذج كاف فيها وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة

(وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى * كعنقود ملاحية حين نورا)

البيت لابي القيس بن الاسلت من الطويل والملاحي بضم الميم وتخفيف اللام وقد تشدد عنب أبيض في حبه طول ومعنى نوّر تفتح نوره والثريا مصغرة قيل تصغير تعظيم وقيل تصغير تقريب اعلاما بأن نجومها قريب بعضها من بعض ومكبرها ثروى وهي الكثرة وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها وقيل لكثرة نجومها مع صغر مرآها فكأنها كثيرة العدد بالاضافة الى ضيق المحل وعدد نجومها سبعة أنجم ستة ظاهرة وواحد خفي تختبر به الناس أبصارهم وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراها أحد عشر نجما (والشاهد فيه) المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مفردان الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض الصغار المقادير في المرأى وان كانت كبارا في الواقع على الكيفية المخصوصة منضمة الى المقدار المخصوص والمراد بالكيفية المخصوصة انها لا مجتمعة اجتماع التضام والتلاصق ولا هي شديدة الافتراق بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجده في رأى العين بين تلك الانجم والطرفان المفردان هما الثريا والعنقود ومما جاء في وصف الثريا أيضا قول امرئ القيس اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقد أبدع المتأخرون في وصفها فمن ذلك قول ابن المعتز

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لأكل عنقود

ومثله قوله أيضا زارني والدجى أحم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وقول ابن بابك وليلة جوزاؤها * مثل الخباء المنهتك * قطعتها والبدر عن
سمت الثريا منفرك * كأنها في عرضه * باز على كف ملك

وقول سهل بن المرزبان كم ليلة أحييتها ومؤانسي * طرف الحديث وطيب حث الاكؤس
شبهت بدر سمائها لما دنت * منه الثريا في قميص سندسي
ملكا مهيبا قاعدا في روضة * حياه بعض الزائرين بنرجس

وقول ابن المعتز أيضا أتاني والاصباح يرفل في الدجى * بصفراء لم تفسد بطبخ واحراق
فناولنيها والثريا كأنها * جنى نرجس حيا الندامى به الساقي

ومثله قول الناشي الاصغر

وليل توارى النجم من طول مكثه * كما ازورّ محبوب لخوف رقيبه
كأن الثريا فيه باقة نرجس * يحيي بها ذو صبوة لحبيبه

وقول أبي الفرج الببغاء من أبيات

ترى الثريا والبدر في قرن * كما يحيي بنرجس ملك

وقول الوزير أبي العباس أحمد الضبي

خلت الثريا اذ بدت * طالعة في الحندس مرسلة من لؤلؤ * أو باقة من نرجس

وقوله أيضا اذا الثريا اعترضت * عند طلوع الفجر حسبتها لامعة * سبيكة من درّ

دخل الى شاب من أهل بغداد فأنشدني هذه الابيات في نهر عيسى والهواء معتبر

والماء فضي القميص صقيل
والطير اما هاتف بقرينة
أو نادب يشكو الفراق ثكول
والدهر كالليل البهيم وأنتم
غرر تضيء ظلامه وتحول
(واستجازني فقلت)
والغصن مهزوز القوام كأنما
هبت عليه من الشمال شمول
وكأنما السرو التحفن بسندس
ورقصن فارتفعت لهن ذيول
(قال علي بن ظافر) واتفقت لي وللقاضي الاجل شهاب الدين يعقوب سفرة الى البيت المقدس للتبرك بما هنالك من البقاع المقدسة والمشاهد المعظمة وأجداث الانبياء المباركة الطيبة فلما جد بنا المسير وسهل من فراق الاهل والاوطان العسير وقطعت المطايا بنا الربا والوهاد ولم يسمع الا هيد وهاد صنع الشهاب
يا رب سير كالشهاب المحرق
قدحته من زند عود اورق
يسري في الخرق مسير الاخرق
فهل رأت عيناك عدو النقنق
حتى اذا افترّ ثغر المشرق
(ثم استجازني فقلت)
ولاح في الجو احرار الشفق
كالخمر صبت في زجاج أزرق
بدا على الآل قطار الاينق
كمثل سطر في بياض مهرق
أو كالمداري في مشيب المفرق
كم بازل في بحره كالزورق
أو كهلال مشرق في زبرق
(وهذه) أيضا حكاية بديعة

ونفيس قول ابن حمديس أيضا من قصيدة

فاسقني عن اذن سلطان الهوى * ليس يشفي الروح الا كاس راح
وانتظر للحلم مني كرة * كم فساد كان عقباه صلاح
فالقضيب اهتز والبدر بدا * والكثيب ارتج والعنبر فاح
والثريا زج الجو بها * كابن ماء ضم للوكر جناح
وكأن الغرب منها ناشق * باقة من ياسمين أو اقاح

وقول الصاحب بن عباد تنير الثريا وهي قرط مسلسل * ويعقل منها الطرف در مبدد

وما ألطف قول ابن حصن على أن أتذلل * لهوأن يتدلل خد كأن الثريا * عليه قرط مسلسل

وقول أبي الفرج الببغاء

خذ من العيش فالاعمار فانية * والدهر منصرف والعيش منقرض
في حامل الكاس من بدر الدجى خلف * وفي المدامة من شمس الضحى عوض
كأن نجم الثريا كف ذي كرم * مبسوطة للعطايا ليس تنقبض

وقول ابن سكرة الهاشمي ترى الثريا والغرب يجذبها * والبدر يسري والفجر ينفجر
كف عروس لاحت خواتمها * أو عقد در في الجو ينتثر

ومثله قول أبي القاسم علي بن جلبات

وخلت الثريا كف عذراء طفلة * مختمة بالدر منها الانامل
تخيلتها في الافق طرة جمة * مكوكبة لم تمتلقها حبائل

وقول أبي القاسم ابن هانئ الاندلسي وولت نجوم للثريا كأنها * خواتم تبدو في بنان يد تخفى

وما أحسن قول محيي الدين بن عبد الظاهر

ملأت الليالي من علا وختمتها * فقد أصبحت محشوة من مكارمك
ختمت عليها بالثريا فقل لنا * أهذا الذي في كفها من خواتمك

وقد أحسن الصنوبري في تشبيه الثريا في جميع أحوالها حيث يقول من أبيات

قم فاسقني والظلام منهزم * والصبح باد كأنه علم
والطير قد طربت فأفصحت الا لحان طرا وكلها عجم
وميلت رأسها الثريا الا * سرار الى الغرب وهي تحتشم
في الشرق كاس وفي مغاربها * قرط وفي أوسط السماء قدم

وقد وصفها الوأواء الدمشقي في حالتي الشروق والغروب فقط فقال

قد تأملت الثريا * في شروق وغروب فهي كاس في شروق * وهي قرط في غروب

وما أبدع قول بعضهم أيضا وكأنما نجم الثريا * اذ تعترض كالوشاح
كاس بكف خريدة * تسقي المساميد الصباح

وقول الوأواء الدمشقي وجلا الثريا في ملا * ءة نوره بدر التمام
فكأنها كاس لشـ * ـربها الدجى والبدر جام
وكأن زرق نجومها * حدق مفتحة نيام

وبديع قول عبد الوهاب الازدي المشهور بالمثقال

يا ساقي الكاس اسق صحبي * واسقني انني أواسي وانظر الى حيرة الثريا * والليل قد سد بانطماس
ما بين بهرامها الملاحي * وبين مريخها المواسي كأنها راحة أشارت * لا تأخذ تفاحة وكاس

وقوله أيضا رأيت بهرام والثريا * والمشتري في القران كره

تشتمل على نوعي الاجازة القديم والعصري قصدت بايرادها في هذا الموضع أن تكون دهليزا للخروج من القسم الاول والدخول في القسم الثاني لما بينهما من الاشتراك فيها (روي) من طرق مختلفة كتبت أكملها وأتمها أن الامير محمد بن عبد الله بن طاهر ارتاح الى منادمة من بعد عهده بمنادمته أو من لم يره وحضره صاحبه الحسن بن محمد بن طالوت وكان أخص الناس به فقال له لا بد لنا في يومنا هذا من ثالث نطيب بمعاشرته ونلتذ بصحبته ومؤانسته فمن ترى أن يكون طاهر الاعراق غير دنس الاخلاق فأعمل فكره وأمعن نظره وقال أيها الامير قد خطر ببالي رجل ليست علينا في مجالسته كلفة قد خلا من ابرام المجالسة وبرئ من ثقل المؤانسة خفيف الوقفة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أمرت قال ومن ذاك قال ماني الموسوس قال أحسنت والله فتقدم الى أصحاب الارباع بطلبه فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب ربع الكرخ فصار به الى باب الامير فأدخل الحمام وأخذ من شعره وألبس ثيابا نظافا ثم أدخل عليه فقال السلام عليك أيها الامير فقال وعليك السلام يا ماني ألم يأن أن تزورنا على حين توقان منا

كراحة حبرت يداها * ما بين ياقوتة ودره

قال عبد الوهاب المذكور هذين البيتين لما أنشده ابن رشيق قوله

والثريا قبالة البدر تحكى * باسطا كفه ليأخذ جاما

وللواوا الدمشقى

ورب ليل مازلت ألثم فيه * قمرا لا يساغ الا لة ورد

والثريا كأنها كف خود * داخلتها اليمين رعدة وجد

ومثله قول بعضهم

كأن الثريا بين شرق ومغرب * وقد سلمت للصبح طوعا عنانها

مروعة بالبين نحو أليفها * تقلب من خوف الفراق بنانها

وقول الآخر

والليل قد ولى يقلص برده * كذا ويسحب ذيله فى المغرب

وكأنما نجم الثريا سحرة * كف تمسح عن معاطف أشهب

ولابراهيم بن العباس الصولى فى اقتران الثريا والهلال

وليلة من ليالى الانس بت بها * والروض ما بين منظوم ومنضود

والنسر قد حام فى الظلماء من ظما * وللمجرة نهر غير مورود

وابن الغزالة فوق النجم منعطف * كما تأود عرجون بعنقود

ولابى عاصم البصرى فى اقتران الهلال والثريا والزهرة

رأيت الهلال وقد أحدقته * نجوم السماء لكى تسبقه * فشبهته وهو فى اثرها

وبينهما الزهرة المشرقه * بقوس لرام رمى طائرا * فأتبع فى اثره بندقه

ولابى الحسن الكرخى فى مثله

كأن الهلال المستنير وقد بدا * ونجم الثريا واقف فوق هالته

مليك على أعلاه تاج مرصع * ويزهى على من دونه بجلالته

وما أحسن قول ابن طباطبا العلوى

أما والثريا والهلال جلتهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها

كأسماء اذ زارت عشيا وغادرت * دلالا لدينا قرطها وسوارها

وقول أبى على الحاتمى

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا * الى أن بدا للصبح فى الليل عسكر

ونجم الثريا فى السماء كأنه * على حلة زرقاء جيب مدنر

ومن بديع أوصاف الثريا قول البديع القليوبى الكاتب

وصافية بات الغلام يديرها * على الشرب فى جنح من الليل أدعج

كأن حباب الماء فى وجناتها * فرائد در فى عقيق مدحرج

ولاضوء الا من هلال كأنما * تفرق عنه الغيم عن نصف دملج

وقد حال دون المشترى من شعاعه * وميض كمثل الزئبق المترجرج

كأن الثريا فى أواخر ليلها * نجيبة ورد فوق زهر بنفسج

وما أحسن قول ابن فضال

كأن بهرام وقد عارضت * فيه الثريا نظر المبصر

ياقوتة يعرضها بائع * فى كفه والمشترى المشترى

وبديع قول الشهاب محمود فى تشبيه الثريا والهلال والدارة

كأن الثريا والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التئامها

حباب طفا من فوق زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

وقد أغرب ابن عون بقوله

رب ليل لم أنمه * ونجوم الليل تشهد

والثريا فى مداها * حين تنحط وتصعد

عقرب يسعى من الدر على صحن زبرجد

فقال مانى الشوق شديد والمزار بعيد والحجاب عتيد والبواب فظ عنيد ولو سهل الاذن لسهلت علينا الزيارة قال لقد ألطفت فى الاستئذان فلا تمنع فى أى وقت جئت من ليل أونهار ثم أذن له فجلس ثم دعاله بالطعام فأكل ثم غسل يده وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى السماع من تنوسة جارية ابنة المهدى فأحضرت فكان أول ماغنت

ولست بناس اذ غدوا فتحملوا * دموعى على الاحباب من شدة الوجد

وقولى وقد زالت بليل حمولهم * بواكر تحدى لايكن آخر العهد

فقال مانى أحسنت والله ألا زدت فيه

أقمت أناجى الفكر والدمع حائر * بمقلة موقوف على الجهد والصد

ولم يعدنى هذا الامير بعزه * على ظالم قد لج فى الهجر والبعد

فاندفعت تغنيه فرق محمد ابن عبد الله وقال أعاشق أنت يامانى قال فاستحيا وغمزه ابن طالوت لئلا يبوح له بشئ فيسقط من عينه فقال بل هلع وطرب أعز الله الامير وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد المشيب من صبوة ثم اقترح محمد على تنوسة هذا الصوت من شعر أبى العتاهية

خلفها طالب نار * وشهاب ليس يخمد فهى حيرى ما أراها * من سبيل الغى ترشد

وبديع قول ظافر الحداد

كأن الثريا تقدم الفجر والدجى * يضم حواشى سجفه للمغارب
مقدم جيش الروم أومى بكفه * لتبديد جيش من بنى الزنج هارب

وقوله أيضا
كأن نجوم الليل لما تخطت * توقد جمر فى سواد رماد
حكى فوق ممتد المجرة شكلها * فواقع تطفو فوق لجة واد
وقد سبحت فيه الثريا كأنها * بقية وشى فى قميص حداد
ولاحت بنو نعش كتنقيط كاتب * بيسراه للتعليم هيئة صاد
الى أن بدا وجه الصباح كأنه * رداء عروس فيه صبغ مداد

وقوله أيضا
وليلة مثل عين الظبى داجية * عسفتها ونجوم الليل لم تقد
كأن أنجمها فى الليل زاهرة * دراهم والثريا كف منتقد

وظريف قول بعضهم فى شكاية طول الليل

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل أم لى تعرضا
عجبت لليل بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

ولبعضهم
والثريا كأنها رأس طرف * أدهم زين باللجام المحلى

ومثله قول ابن المعتز ألا فاسقنيها والظلام مقوض * ونجم الدجى فى لجة الليل يركض
كأن الثريا فى أواخر ليلها * مفتح نور أو لجام مفضض

والاطلاع على تفنن الادباء فى أوصاف الثريا يفتقر الاطالة هنا (وأبو قيس) لم يقع لى الى الآن اسمه والاسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل ينتهى نسبه للاوس وهو شاعر من شعراء الجاهلية وأسلم ابنه عقبة ابن أبى قيس رضى الله عنه واستشهد يوم القادسية وكان يزيد بن مرداس السلمى أخو عباس بن مرداس السلمى الشاعر قتل قيس بن أبى قيس فى بعض حروبهم فطلب بثاره هرون بن النعمان بن الاسلت حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس ابن عمه ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الاسلت المذكور

أقيس ان هلكت وأنت حى * فلا تعدم مواصلة الفقير

وقال هشام الكلبى كانت الاوس قد أسندوا أمرهم فى يوم بعاث الى أبى قيس بن الاسلت الوائلى فقام بحربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ولبث أشهرا لا يقرب امرأته ثم انه جاء ليلة فدق على امرأته وهى كبشة بنت ضمرة بن مالك من بنى عمرو بن عوف ففتحت له فأهوى بيده اليها فأنكرته ودفعته فقال أنا أبو قيس فقالت والله ماعرفتك حتى تكلمت فقال فى ذلك أبو قيس

قالت ولم تقصد مقال الخنا * مهلا فقد أبلغت أسماعى
استنكرت لونا له شاحبا * والحرب غول ذات أوجاع
من يذق الحرب يجد طعمها * مرا وتتركه بجعجاع
لا نألم القتل ونجزى به الاعداء كيل الصاع بالصاع

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير رضى الله عنهما خطب الناس بالنخيلة فقال فى خطبته أيها الناس دعوا الاهواء المضلة والآراء المتشتتة ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملونها بها فقد جاريتمونا الى السيف فرأيتم كيف صنع بكم ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة فانى لا أزداد بعدها الاعقوبة وما مثلى ومثلكم الا كما قال أبو قيس بن الاسلت

من يصل نارى بلا ذنب ولا ترة * يصلى بنار كريم غير عوار
أنا النذير لكم منى مجاهرة * كيلا ألام على نهى واعذار

قالت يا ريح بلغيها السلاما لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرحيل الكلاما فغنته فطرب محمد ثم دعا برطل فشربه فقال مانى ماعلى قائل هذا الشعر لو زاد فيه فتنفست ثم قالت لطيفى آه لو زرت طيفها المماما خصها بالسلام سرا والا منعوها الشقوتى أن تناما فكان أبعث للصبابة بين الاحشاء وألطف تغلغلا على كبد الظمآن من زلال الماء مع حسن تأليف نظامه وانتهائه الى غاية تمامه قال محمد أحسنت والله يامانى ثم أمر تنوسة بالحاقها هذين البيتين بالاولين ففعلت ثم غنت هذين البيتين من شعر أبى نواس
ياخليلى ساعة لا تريما وعلى ذى صبابة فأقيما ما مررنا بدار زينب الا فضح الدمع سرها المكتوما فاستحسنه محمد فقال مانى لولا رهبة التعدى لأضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذى لب الاصدر استحسانه لهما فقال محمد الرغبة فيما أتى به حائلة دون كل رهبة فهات ماعندك فقال
ظبية كالغزال لو تلحظ الصخر بطرف لغادرته هشيما واذا ما تبسمت خلت ماتبدى من الثغر لؤلؤا منظوما فقال محمد أحسنت والله فأجز

فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا * أن سوف تلقون خزيا ظاهر العار
لتتركن أحاديثا وملعبة * عند المقيم وعند المدلج السارى
وصاحب الوتر ليس الدهر يدركه * عندى وانى لطلاب لاوتار
أقيم نخوته ان كان ذا عوج * كما يقيم لقدح النبعة البارى

وعن الهيثم بن عدى قال كنا جلوسا عند صالح بن حسان فقال لنا أنشدونى بيتا خفرا فى امرأة خفرة فقلنا قول حاتم

يضىء بها البيت الظليل خصاصة * اذا هى يوما حاولت أن تبسما

فقال هذه من الاصنام أريد أحسن من هذا فقلنا قول الاعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقال هذه خراجة ولاجة كثيرة الاختلاف فقلنا ما عندنا شئ فقال قول أبى قيس بن الاسلت

ويكرمها جاراتها فيزرنها * وتعتل عن اتيانهن فتعذر
وليس لها أن تستهين بجارة * ولكنها منهن تحيى وتخفر

ثم قال أنشدونى أحسن بيت وصفت به الثريا فقلنا بيت الزبير الاسدى وهو

وقد لاح فى الغور الثريا كأنما * به راية بيضاء تخفق للطعن

فقال أريد أحسن من هذا فقلنا بيت امرئ القيس

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

قال أريد أحسن من هذا فقلنا بيت ابن الطثرية

اذا ما الثريا فى السماء كأنها * جمان وهى من سلكه فتسرعا

قال أريد أحسن من هذا فقلنا ما عندنا شئ قال قول أبى قيس بن الاسلت

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى * كعنقود ملاحية حين نورا

قال فحكم له بالتقدم عليهم فى هذين المعنيين والله أعلم

(كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه)

البيت لبشار بن برد من قصيدة من الطويل يمدح بها ابن هبيرة وأولها

جفا وده فازور أو مل صاحبه * وأزرى به أن لا يزال يعاتبه
خليلى لا تستكثرا لوعة الهوى * ولا سلوة المحزون شطت حبائبه

يقول فيها

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
رويدا تصاهل بالعراق جيادنا * كأنك بالضحاك قد قام نادبه

ومنها

وسام لمروان ومن دونه الشجا * وهول كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنايا بناتها * بأسيافنا انا ردى من نحاربه
وكنا اذا دب العدو لسخطنا * وراقبنا فى ظاهر لا نراقبه
ركبناله جهرا بكل مثقف * وأبيض تستسقى الدماء مضاربه
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا * وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

ومنها

غدونا له والشمس فى خدر أمها * تطالعنا والطل لم يجر ذائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه * وتدرك من نجا الفرار مثالبه

وبعده البيت وبعده

بعثنا لهم موت الفجاءة اننا * بنو الموت خفاق علينا سبائبه
فراحوا فريق فى الاسارى ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

طابت له لذة تنوسه
غنت بصوت أطلقت عبرة
كانت بحسن الصبر محبوسه
(فقال مانى)
وكيف صبر النفس عن غادة
تظلمها ان قلت طاووسه
وجرت ان شبهتها بانة
فى جنة الفردوس مغروسه
ثم سكت فقال محمد فأعدلى
وصفك لها فقال
وغير عدل ان قرنا بها
جوهرة فى التاج ملبوسه
جلت عن الوصف فأفكرة
تلحقها بالنعت محسوسه
فقالت تنوسة وجب علينا
بامانى شكرك فساعدك
دهرك وعطف عليك الفلك
وقارنك سرورك وفارقك
محذورك والله تعالى يديم
لنا السرور ببقاء من بقائه
اجتمع شملنا فأنشأ يقول
ليس لى الف فيقطعنى
فارقت نفسى الاباطيل
أنا موصول بنعمة من
حبله بالحمد موصول
أنا مشمول بعنة من
منه فى الخلق مبذول
أنا مغبوط بزورة من
ربعه بالحمد مأهول
فأومأ اليه ابن طالوت
بالقيام فنهض وهو يقول
ملك عز النظير له
زانه الغر البهاليل
طاهرى فى مركبه
عرفه للناس مبذول
دم من يشقى بصارمه
مع هبوب الريح مطلول
فقال محمد وجب جزاؤك

إذا الملك الجبار صعر خده * مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

وهي طويلة فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم وكانت أول عطية سنية أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره والنقع الغبار ومعنى تهاوى كواكبه يتساقط بعضها في إثر بعض والاصل تتهاوى فحذفت احدى التاءين (والشاهد فيه) المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوي أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا طرفاه كما في أسرار البلاغة يروى انه قيل لبشار وقد أنشد هذا البيت ما قيل أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيأ منها فقال ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته وأنشدهم قوله

عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاض ضياء العين للعلم رافدا * لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

(وحدث) أبو يعقوب الخزيمي الشاعر أن بشارا قال لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت كأن مثار النقع البيت وقد كرره بشار فقال

خلقت سماء فوقنا بنجومها * سيوفا ونقعا يقبض الطرف أقتما

وقد أخذ هذا المعنى منصور النميري فقال وأحسن

ليل من النقع لا شمس ولا قمر * الا جبينك والمذروبة الشرع

ومسلم بن الوليد أيضا حيث يقول

في عسكر تشرق الارض الفضاء به * كالليل أنجمه القضبان والاسل

وللمؤلف رحمه الله من قصيدة عثمانية مظفرية

والنقع ليل سماء لا نجوم له * الا الاسنة والهندية البتر

وله في معناه من قصيدة مظفرية أيضا مع زيادة مخترعة فيما يظن

بعقد النقع فوقها سحبا كالليل فيه السيوف أضحت نجوما

فتى ما رأت سواد شياطين بغاة الحروب عادت رجوما

وابن المعتز حيث قال اذا شئت أوقرت البلاد حوافرا * وسارت ورائي هاشم ونزار

وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

وبعضهم أيضا حيث قال نسجت حوافرها سماء فوقها * جعلت أسنتها نجوم سمائها

وأبو الطيب المتنبي حيث قال

فكأنما كسي النهار بها دجى * ليل وأطلعت الرماح كواكبا

وقد نقله الى مثال آخر فقال

تزور الاعادي في سماء عجاجة * أسنتها في جانبيها الكواكب

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد فقال

كأن دخان العود والندّ بيننا * وأقداحنا ليل تهاوى كواكبه

ولاحت لنا شمس العقار فزقت * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

والبرهان القيراطي ضمن المصراع الاخير وان كان من غير هذه القصيدة بقوله وأجاد

ولما بدا والليل أسود فاحم * قد انتشرت في الخافقين ذوائبه

منا اليك ثم أقبل على ابن طالوت فقال يا هذا البيت خساسة ثوب المرء واتضاع المنظر ونبو العين بذهبة جوهر الادب المركب فيه (ولله در) صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه * حذر الغبار وعرضه مبذول

فلربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

(قال ابن طالوت) فما رأيت أحدا أحضر ذهنا منه اذ تقول له الجارية عطف عليك الفك فينقيها بقوله ليس لي ألف فيقطعني البيت قال ولم يزل محمد مجريا عليه رزقا سنيا الى أن مات

(القسم الثالث ما تكون الاجازة فيه لشعر قديم)

(فمنه) اجازة بيت ببيت كما روى اسحق الموصلي قال قال أبو الجيب شداد بن عقبة دعا رجل يقال له أبو سفيان رجلا من حيه اسمه الفتاك الكلابي الى وليمة فجلس الفتاك ينتظر رسوله ولا يأكل حتى ارتفع النهار وكانت عند امرأته فقرة من حوار فقالت له امرأته هلم الى هذه الفقرة فقال كلا والاله اني لعلى دعوة أبي سفيان فلما يئس قال

أظن أبا سفيان ليس بموقكم * بخير فهاتي فقرة من حوارك

قال اسحق فقلت له ثم ماذا قال لم يأت بعده بشئ انما أرسله

أضاء بدر الثغر عند ابتسامه * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(والشمس كالمرآة فى كف الاشل)

هو من الرجز واختلف فى قائله فقيل الشماخ وقيل ابن أخيه وقيل أبو النجم وقيل ابن المعتز والاشل هو الذى يبست يده أو ذهبت (والشاهد فيه) مجىء المركب الحسى فى الهيآت التى تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرهما ويعتبر فيها التركيب ويكون ما يجىء فى تلك الهيآت على وجهين أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون والثانى أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها فالاول كما فى البيت ووجه الشبه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق واضطرابه بسبب تلك الحركة حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الى الانقباض فالشمس اذا أحد الانسان النظر اليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية الى هذه الهيئة وكذلك المرآة اذا كانت فى كف الاشل وما أعدل قول المعوج الشاعر فى معناه

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع
دنانير فى كف الاشل يضمها * لقبض فتهوى من فروج الاصابع

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى

وألقى الشرق منها فى ثيابى * دنانيرا تفر من البنان

وأخذه أيضا القاضى عبد الرحيم الفاضل فقال

والشمس من بين الارائك قد حكت * سيفا صقيلا فى يد رعشاء

وما أبدع قول الشهاب التلعفرى

أفدى الذى زارنى فى الليل مستترا * أحلى من الامن عند الخائف الدهش
ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها * مرآة تبر بدت فى كف مرتعش

وبديع قول ادريس بن اليمانى العبدى

قبلة كانت على دهش * أذهبت ما بى من العطش
ولها فى القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتنى والدجى لبس * خاله من جلدة الحبش
وكأن النجم حين بدا * درهم فى كف مرتعش

وقول الناهى

سماء غصون تحجب الشمس أن ترى * على الارض الا مثل نثر الدراهم

(وكأن البرق مصحف قار * فانطباقا مرة وانفتاحا)

البيت لابن المعتز من قصيدة من الرمل وأولها

عرف الدار فحياو ناحا * بعدما كان صحا واستراحا
ظل يلحاه العذول ويأبى * فى عنان العذل الا جماحا
علمونى كيف أسلو والا * فخذوا من مقلتى الملاحا
من رأى برقا يضىء التماحا * ثقب الليل سناه فلاحا

(وبعده البيت وبعده)

لم يزل يلمع بالليل حتى * خلته نبه فيه صباحا
وكأن الرعد فحل لقاح * كلما يعجبه البرق صاحا

والبرق واحد بروق السحاب أو هو ضرب ملك السحاب وتحريكه اياه لينساق فترى النيران (والشاهد فيه) الوجه الثانى وهو تجرد الحركة عن غيرها من الاوصاف مع اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه الى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل ليتحقق التركيب والا لكان وجه الشبه مفردا وهو الحركة لا مركبا كحركة المصحف الشريف فى انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لان المصحف يتحرك فى الحالتين الى جهتين فى كل حالة الى جهة ومثله قول القاضى المغربى

والسحب تلعب بالبروق كأنها * قار على عجل يقلب مصحفا
قد قلدت بالنور أجياد الربا * حليا وألبست الخمائل مطرفا

بينما انفتلت أفلا أزيدك اليه بيتا آخر ليس بدونه قال بلى فقلت

فيمنك خير من بيوت كثيرة * وقدرك خير من وليمة جارك

فقال بأبى أنت وأمى والله لقد أرسلته مثلا وانك لبن طراز ما رأيت فى العراق مثله وما يلام الخليفة على أن يدنيك ويؤثرك ويتملح بك ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك بأحدى يدى وبنى عينى على أن فيك بحمد الله منه بقية تسر الودود وترغم الحسود هذا من رواية الاصبهانى يتصل بعمر بن شبة وحماد عن اسحق (وفى رواية) تتصل بالاخفش ويزيد المهلبى أن اسحق قال أخبرنى أبو زياد الكلابى قال أولم جار لى وذكر الحكاية والبيت الاول فيها لابى زياد فعلى هذه الرواية تكون من اجازة بيت بعجز بيت (ومن ذلك) ما روى أحمد بن أبى فنن قال دخل أبو نواس على الذلفاء جارية ابن طرخان ودخل على أثره مروان بن أبى حفصة فرفعه مولاها عنه فغضب وقال أجيزى لجرير غيض من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا فقالت تشبب بالرشيد قد هجت بالبيت الذى أنشدتنى حبا بقلبى للامام دفينا فقام أبو نواس عند ذلك وخرج وهو ينشد

وما أحسن قول بعضهم في وصف البرق

عارض أقبل في جنح الدجى * يتهادى كتهادي ذي الوجى
أتلفت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا
وكأن الرعد حادي مصعب * كلما صال عليه وشجا
وكأن البرق كأس سكبت * في لهاه المزن حتى لهجا
وكأن الجو ميدان وغى * رفعت فيه المذاكي رهجا

وما أحسن قول ابن المعتز فيه أيضا

رأيت فيها برقها منذ بدت * كمثل طرف العين أو قلب وجب
ثم حدا بها الصبا حتى بدا * فيها لي البرق كأمثال الشهب
تحسبه فيها اذا ما انصدعت * أحشاؤها عنه شجاعا يضطرب
وتارة تحسبه كأنه * أبلق مال جله حين وثب
حتى اذا ما رفع اليوم الضحى * حسبته سلاسلا من الذهب

وقد ولد أبو العباس بن أبي طالب العربي من تشبيه البرق بالسلاسل توليدا بديعا فقال يصف ممدوحه بسرعة البديهة اذا كتب

له قلم لو يجاري البروق * لخلت السلاسل فيه قيودا

وللأديب أبي حفص أحمد بن برد في السحاب والبرق

ويوم تفنن في طيبه * وجاءت مواقيته بالعجب
تجلى الصباح به عن حيا * قد اسقى وعن زهر قد شرب
ومازلت أحسب فيه السحاب * ونار بوارقه تلتهب
بخاتي توضع في سيرها * وقد فزعت بسياط الذهب

ولأبي عثمان الخالدي في مثله

ادن من الدن لي فداك أبي * واشرب واسق الكبير وانتخب
أما ترى الطل وهو يلمع في * عيون نور تدعو الى الطرب
والصبح قد جردت صوارمه * والليل قد همّ منه بالهرب
والجو في حلة ممسكة * قد كتبتها البروق بالذهب

وللسري الرفاء في مثله غيوم تمسك أفق السماء * وبرق يكتبها بالذهب

وله أيضا وينسب للخالدي وبرق مثل حاشيتي رداء * جديد مذهب في يوم ريح

وللخالدي فيه أيضا وأجاد

ألا فاسقني والليل قد غاب نوره * لغيبة بدر في الظلام غريق
وقد فضح الظلماء برق كأنه * فؤاد مشوق مولع بخفوق

وقد سرقه من قول ابن المعتز

أمنك سرى بالبشر طيف كأنه * فؤاد مشوق مولع بخفوق

وسرقه السري الرفاء أيضا فقال من قصيدة

أما ترى الصبح قد قامت عساكره * في الشرق تنشر أعلاما من الذهب
والجو يختال في حجب ممسكة * كأنما البرق فيها قلب ذي رعب

وما أحسن قوله فيه أيضا

وحدائق يسبيك وشي برودها * حتى تشبهها سبائب عبقري
يجري النسيم خلالها فكأنما * غمست فضول ردائه في عنبر

تنتهي فيا شل الخلفاء فقال ابن أبي فتن فأجزت أنا قول أبي نواس وأكثر الناس يروونه له

لو تشهيت غيره كان أولى * من أمور الدناة والضعفاء
ان أدنى الأمور عندي منالا * شهوات الأكفاء للأكفاء

(وروى) أحمد بن معاوية قال قال لي رجل تصفحت كتبا فوجدت فيها بيتا جهدت جهدي أن أجد من يجيزه فلم أجد فقال لي صديق عليك بعنان جارية الناطفي فجئتها فقلت أجيزي

فمازال يشكو الحب حتى رأيته * تنفس في احشائه وتكلما

فلم تلبث أن قالت

ويبكي فأبكي رحمة لبكائه * اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

(روى العباس بن رستم) قال دخلت مع أبان اللاحقي على عنان في خيشها فقال أبان

العيش في الصيف خيش

(فقالت مسرعة)

اذا لاقتال وجيش

قال فأنشدتها لجرير

ظلات أواري صاحبي صبابتي * وقد علقتني من هوى الأعلوق

(فقالت)

اذا عقل الخوف اللسان تكلمت * بأسراره عين عليه نطوق

(وذكر الجهشياري) في كتاب الوزراء والكتاب حدث محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثت أحمد بن سلمة الكاتب أنه قال لعياش بن

باتت قلوب المحل تخفق بينها * بخفوق رايات السحاب الممطر
من كل نائى الجزتين مولع * بالبرق دانى الظلتين مشهر
تحدى بألسنة الرعود عشاره * فتسير بين معترد ومزمجر
طارت عقيقة برقه فكأنما * صدعت بمسك غيمه بمعصفر

ولابى القاسم الزاهى فيه أيضا

الريح تعصف والاغصان تعتنق * والمزن باكية والزهر مغتبق
كأنما الليل جفن والبروق له * عين من الشمس تبدو ثم تنطبق

ولبعضهم

برق أطار القلب لما استطار * أنار جنح الليل لما استنار
ذاب لجين المزن لما رمى * معدنه منه بقباس نار

﴿وابن المعتز﴾ هو عبد الله بن محمد وقيل الزبير المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى الامير الاديب صاحب النظم البديع والنثر الفائق أخذ الادب والعربية عن المبرد وثعلب ومؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقى ومولده فى شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين وهو أول من صنف فى صنعة الشعر ووضع كتاب البديع وهو أشعر بنى هاشم على الاطلاق وأشعر الناس فى الاوصاف والتشبيهات وكان يقول اذا قلت كأن ولم آت بعدها بالتشبيه ففض الله فاى (وحدث) جعفر بن قدامة قال كنت عند ابن المعتز يوما وعنده سرية وكان يحبها ويهيم بها فخرجت علينا من صدر البستان فى زمن الربيع وعليها غلالة معصفرة وفى يدها جنابى من باكورة باقلاء والجنابى لعبة للصبيان فقالت له ياسيدى تلعب معى جنابى فالتفت الينا وقال على بديهته غير متفكر ولا متوقف

فديت من مر يمشى فى معصفرة * عشية فسقانى ثم حيانى
وقال تلعب جنابى فقلت له * من جد بالوصل لم يلعب بهجران

وأمر فغنى به (وحدث) جعفر قال كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبه وكان يغنى غناء صالحا وكان يدعى بنشوان فجدر فجزع عبد الله لذلك جزعا شديدا ثم عوفى ولم يؤثر الجدرى فى وجهه أثرا قبيحا فدخلت عليه ذات يوم فقال لى يا أبا القاسم قد عوفى فلان بعدك وخرج أحسن مما كان وقلت فيه بيتين وغنت زرياب فيهما رملا ظريفا فاسمعهما انشادا الى أن تسمعهما غناء فقلت يتفضل الامير أيده الله بانشادى اياهما فأنشدنى

بى قمر جدر لما استوى * فزاده حسنا وزالت هموم
أظنه غنى لشمس الضحى * فنقطته طربا بالنجوم

فقلت أحسنت والله أيها الامير فقال لو سمعته من زرياب كنت أشد استحسانا له وخرجت زرياب فغنته لنا فى طريقة الرمل غناء شربنا عليه عامة يومنا قال وغضب هذا الغلام عليه فجهد أن يترضاه فلم تكن له فيه حيلة ودخلت عليه فأنشدنى فيه

بابى أنت قد تمادیت فى الهجر والغضب * واصطبارى على صدودك يوما من العجب
ليس لى ان فقدت وجهك فى العيش من أرب * رحم الله من أعان على الصلح واحتسب

قال فمضيت الى الغلام ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجئته به فكان يومنا أطيب يوم وأحسنه وغنتنا زرياب فى هذا الشعر رملا عجيبا (وحدث) عبد الله بن موسى الكاتب قال دخلت على عبد الله بن المعتز وفى داره طبقات من الصناع وهو يبنيها ويبيضها فقلت له ما هذه الغرامة الجادة والكلفة فقال السيل الذى جاء من ليال أحدث فى دارى ما أحوج الى هذه الغرامة الجادة والكلفة فقلت

ألا من لنفس وأحزانها * ودار تداعى بحيطانها
أظل نهارى فى شمسها * شقيا معنى ببنيانها
أسود وجهى بتبييضها * وأهدم كيسى بعمرانها

ومن هنا أخذ أبو الحسين الجزار قوله

القاسم اجتمعت مع عمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف فى مجلس فيه قينة فغنت

أناس مضوا كانوا اذا ذكر الالى * مضوا قبلهم صلوا عليهم وسلموا

فقال عمرو هو والله حسن الا أنه مفرد فأضيفوا اليه بيتا آخر فانه أحسن له وأطول للقافية وأطوع للغناء فيه فقال أحمد بديها

وما نحن الا مثلهم غير أننا * أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

فغنت بهما المغنية فطربوا وشربوا عليهما بقية يومهم (وروى) على بن الحسن الباخرزى فى كتاب دمية القصر أن أبا جعفر محمد بن ابراهيم المعدنى معدن زوزن رأى على جدار بيتا مكتوبا

لكل شئ فقدته عوض * وما لفقد الشباب من عوض

(فقال)

وليس فى الدهر من شدائده * أشد من فاقة على مرض

(وذكر) أحمد بن أبى طاهر قال ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة

ومستفتح باب البلاء بنظرة * تزود منها قلبه حسرة الدهر

فقالت مسرعة

فوالله ما ندرى أتدرى بما جنت * على قلبه أم أهلكته ولا تدرى

(وروى) الفضل بن العباس الهاشمى عنها وعن بنان الشاعرة قالت توكأ المتوكل على يدى ويد فضل وقال أجيزا قول الشاعر

أكلف نفسي كل يوم وليلة * شرورا على من لا أفوز بخيره
كما سود القصار في الشمس وجهه * ليجهد في تبييض أثواب غيره

(وحدث) جعفر بن قدامة قال كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النميري فحضرت الصلاة فقام النميري فصلى صلاة خفيفة جدا ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلة جدا حتى استثقله جميع من حضر بسببها وعبد الله ينظر متعجبا ثم قال

صلاتك بين الملا نقرة * كما اختلس الجرعة الوالغ
وتسجد من بعدها سجدة * كما ختم المزود الفارغ

وقال كنا عند عبد الله بن المعتز يوما ومعنا النميري وعنده جارية لبعض بنات المعتز تغنيه وكانت محسنة الا أنها كانت في غاية القبح فجعل عبد الله يجمشها ويتعاشق فلما قامت قال له النميري أيها الامير أسألك بالله أتعشق هذه التي ما رأيت قط أقبح منها فقال وهو يضحك

قلبي وثاب الى ذا وذا * ليس يرى شيأ فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي * ويرحم القبح فيهواه

وقال كنت أشرب مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة فقال عبد الله

حبذا آذار شهرا * فيه للنور انتشار
ينقص الليل اذا حل وعتد النهار
وعلى الارض اصفرار * واخضرار واحمرار
فكأن الروض وشي * بالغت فيه التجار
نقشه آس ونسرين وورد وبهار

وكتب ابن المعتز الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على شرطة بغداد

فرحت بما أضعافه دون قدركم * وقلت عسى قد هب من نومه الدهر
فترجع فينا دولة طاهرية * كما بدأت والامر من بعده الامر
عسى الله ان الله ليس بغافل * ولا بد من يسر اذا انتهى العسر

فكتب اليه عبيد الله قصيدة منها

ونحن لكم ان نالنا مس جفوة * فنا على لا وانها الصبر والعذر
فان رجعت من نعمة الله دولة * الينا فنا عندها الحمد والشكر

وجاء محمد بن عبيد الله المذكور بعقب هذا شاكرا لتهنئته ولم يعد اليه مدة طويلة فكتب اليه ابن المعتز يقول

قد جئتنا مرة ولم تكد * ولم تزر بعدها ولم تعد
لست ترى واجدا بنا عوضا * فاطلب وجرب واستقص واجتهد
ناولني حبل وصله بيد * وهجره جاذب له بيد
فلم يكن بين ذا وذا أمد * الا كما بين ليلة وغد

ولم يزل في طيب عيش ودعة من عوادي الزمان الى أن قامت الدولة ووثبوا على المقتدر وخلعوه وأقاموا ابن المعتز فقال بشرط أن لا يقتل بسببي مسلم ولقبوه المرتضى بالله وقيل المنصف وقيل الغالب وقيل الراضي (حدث) المعافي بن زكريا الجريري قال لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله فقال ما الخبر فقيل له بويع ابن المعتز قال فمن رشح للوزارة فقيل محمد بن داود قال فمن ذكر للقضاء قيل الحسن بن المثنى فأطرق ثم قال هذا الامر لا يتم قيل وكيف قال كل واحد ممن سميتم متقدم في معناه على الرتبة والدنيا مولية والزمان مدبر وما أرى هذا الا الى اضمحلال وما أرى لمدته طولا وبعث ابن المعتز الى المقتدر يأمره بالتحول الى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل هو الى دار الخلافة فأجاب ولم يكن بقي معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم فبا كر الحسين بن حمدان دار الخلافة فقاتلها فاجتمع الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار الى الموصل ثم قال الذين عند المقتدر يا قوم نسلم هذا الامر ولا نجرب أنفسنا في دفع ما نزل بنا فنزلوا في الزوارق وألبسوا جماعة منهم السلاح وقصدوا المخرم وبه عبد الله بن المعتز فلما رآهم من حوله أوقع الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا

تعلمت أسباب الرضا خوف سخطه
وعلمه حبي له كيف يغضب

فقالت فضل

يصد وأدنو بالمودة جاهدا
ويبعد عني بالوصال وأقرب

فقلت أنا

وعندي له العتبى على كل حالة
فما منه لي بد ولا عنه مذهب

(قال علي بن ظافر) أنشدني أبو القاسم الصيرفي قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك
ملك أنت أم ملك

فقلت بديها

بل تعاليت رتبة
فلك الارض والفلك

(وأخبرني) بهاء الدين بن الساعاتي المقدم ذكره قال غنى مغن في مجلس كنت به حاضرا

يا بدر عذالي عليك كثيرة
والمسعدون على هواك قليل

فأجزته بديها فقلت

في الصبر عن هذا القوام ولينه
قصر وفي شرح الصبابة طول

(وأخبرني) الاديب أبو القاسم العداس المنبوز بالرواية قال قصد الشيخ أبو الخير سلامة الانباري الضرير النحوي تجيزي بين يدي الشيخ العلامة أبي محمد بن بري لشر كان بيني وبينه فقال لي ان كنت شاعرا كما تزعم فأجز

أدرجت في أثنائه اسمكم
حتى كأني ألف الوصل

فقلت بديها

وكنت عين الفعل في قربكم
فصرت لام الجزم في الفعل

منهزمين بلا حرب وخرج ابن المعتز فركب فرساً ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن وقد شهر سيفه وهو ينادي معاشر العامة ادعوا لخليفتكم وأشار والى الجيش ليتبعوهم الى سامرا ليثبتوا أمرهم فلم يتبعهم أحد فنزل ابن المعتز عن دابته ودخل دار ابن الجصاص الجوهري واختفى الوزير ابن داود والقاضي الحسن ابن المثنى ونهبت دورهم ووقع النهب والقتل في بغداد وقبض المقتدر على الامراء والقضاة الذين خلعوه وسلمهم الى مونس الخازن فقتلهم واستقام الامر للمقتدر واستوزر ابن الفرات ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وأخذوا ابن المعتز وابن الجصاص فصودر ابن الجصاص وحبس ابن المعتز ثم أخرج فيما بعد ميتاً ورثاه علي بن محمد بن بسام بقوله

لله درك من ملك بمضيعة * ناهيك في العقل والآداب والحسب

مافيه لولا ولا ليت تنقصه * وانما أدركته حرفة الادب

وهو مأخوذ من قول أبي تمام الطائي

مازلت أرمي بآمالي مطالبها * لم يخلق العرض مني سوء مطلبي

اذا قصدت لشأو خلت أني قد * أدركته أدركتني حرفة الادب

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى فقال ابن الساعاتي

عفت القريض فلا أسمو له أبدا * حتى لقد عفت أن أرويه في الكتب

هجرت تطمي له لا من مهانته * لكنها خيفة من حرفة الادب

وقال ابن قلاقس لا أقتضيك لتقديم وعدت به * من عادة الغيث أن يأتي بلا طلب

عيون جاهك عني غير نائمة * وانما أنا أخشى حرفة الادب

وذكرت بهذا ما أنشدنيه بعض أدباء العصر متسليا حين قعدت الاحوال وقامت الاهوال وهو الشهاب ابن محمود النابلسي رحمه الله تعالى

عبد الرحيم أضاعوا * بدولة ضيعته مافيه لولا وليت * وانما أدركته

رجع الى أخبار ابن المعتز رحمه الله قال بعض من كان يخدمه انه خرج يوما يتنزه ومعه ندماؤه وقصد باب الحديد بستان الناعورة وكان ذلك آخر أيامه فأخذ خزفة وكتب على الجص

سقيا لظل زماني * ودهري المحمود ولي كليلة وصل * قدام يوم صدود

قال وضرب الدهر ضرباته ثم عدت بعد قتله فوجدت خطه خفيا وتحته مكتوب

أف لظل زماني * وعيشي المنكود فارقت أهلي والفي * وصاحبي وودودي

ومن هو بيت جفاني * مطاوعا لحسودي يارب موتا والا * فراحة من صدود

ويقال انه لما سلم لمونس الخادم ليهلكه أنشد

يانفس صبرا لعل الخير عقباك * خانتك من بعد طول الامن دنياك

مرت بنا سحرا طير فقلت لها * طوباك ياليتني اياك طوباك

ان كان قصدك شوقا بالسلام على * شاطي الفرات ابلغي ان كان مثواك

من موثق بالمنايا لافكاك له * يبكي الدماء على الف له باكي

الى أن قال أظنه آخر الايام من عمري * وأوشك اليوم أن يبكي له الباكي

ومن نثره الجاري مجرى الحكم والامثال من تجاوز الكفاف لم يغنه الاكثار * ربما أورد الطمع ولم يصدر * من ارتحل الحرص أضناه الطلب * الحظ يأتي من لا يأتيه * أشقى الناس أقربهم من السلطان كما أن أقرب الاشياء الى النار أسرعها الى الاحتراق * من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة * يكفيك للحاسد غمه بسرورك (ومن شعره)

واني لمعذور على طول حبها * لان لها وجها يدل على عذري

(قال علي بن ظافر) أنشدني بعض أصحابنا هذا البيت من شعر ابن منير وسألني اجازته

يجل عن التشبيه في الحسن وجهه

فبدر الدجا من حسنه يتعجب

فقلت في قضية اقتضاها سؤاله

ومن كان بدر التم يعجب ان رأى

محاسنه بالبدر كيف يلقب

ومنه ما تكون الاجازة فيه لبيت بأكثر من بيت (روى) أبو الفرج في كتاب القيان والمغنين أن بذلا الكبيرة جارية عبد الله بن موسى الهادي غنت بين يدي المأمون

ألا لا أرى شيأ ألذ من الوعد

ومن أمل فيه وان كان لا يجدي

وأبدلت مكان الوعد السحق فقال لها المأمون بابذل أخطأت النيك ألذ من السحق ثم صنع المأمون بديها وقال زد يديم مافيه

ومن غفلة الواشي اذا ما لقيته

ومن زورتي أبياتها خاليا وحدي

ومن ضحكة في الملتقى ثم سكتة

وكلتاهما عندي ألذ من الشهد

(وبالاسناد المتقدم ذكره) ذكر ابن بسام في كتاب الذخيرة قال غني يوما بين يدي العالي الادريسي بمالقة بيت لعبد الله بن المعتز

هل ترين البدر يختال

ان غدت للسير أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقي باجازته فقال بديها

اذا ما بدت والبدر ليلة تمه * رأيت لها فضلا مبينا على البدر
وتهتز من تحت الثياب كأنها * قضيب من الريحان فى الورق الخضر
أبى الله الا أن أموت صبابة * بساحرة العينين طيبة النشر

ومنه
من لى بقلب صيغ من صخرة * فى جسد من لؤلؤ رطب
جرحت خديه بلحظى فما * برحت حتى اقتص من قلبى

ومنه ويعزى لغيره
تفقد مساقط لحظ المريب * فان العيون وجوه القلوب
وطالع بوادره فى الكلام * فانك تجنى ثمار الغيوب

ومنه
سابق الى مالك ورّاثه * ما المرء فى الدنيا بلباث
كم صامت تخفق اكياسه * قد صاح فى ميزان ميراث

ومنه
يا طارقى فى الدجى والليل منبسط * على البلاد بهيم ثابت الدعم
طرقت باب غنى طابت موارده * ونائلا كأنه مال العارض السجم
حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من * حكم الخلائف آبائى على الامم
فكل ما فيه مبذول لطارقه * ولا ذمام له الا على الحرم

ومنه قوله فى القلم
قلم ما أراه أم فلك يجرى * بما شاء قاسم ويسير
راكع ساجد يقبل قرطا * سا كما قبل البساط شكور

ومنه قول ابن طباطبا
قلم يدور بكفه فكأنه * فلك يدور بنحسه وسعوده

وقوله فيه أيضا وأجاد
أقسمت بالقلم الحسام فلم يزل * يردى به حى وينتاش الردى
واذا رضيت فريقه أربى وان * أضمرت سخطا مج سم الاسود
فكأنه فلك بكفك دائر * يجرى النجوم بأنحس وبأسعد

وما أحسن قول الآخر فيه
قلم يقل الجيش وهو عرمرم * والبيض ما سلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشابها * كرم السيول وصولة الآساد

وقول التهامى فيه أيضا
قلم يقلم ظفر كل ملمة * ويكف كف حوادث الايام

وقول أبى سعيد بن بوقه
قلم يمج على العداة سمامه * لكنه للمرتجين سماء
كم قد أسلت به لعبدك ريقة * سوداء فيها نعمة بيضاء

ومحاسن ابن المعتز كثيرة وكان قتله فى ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين رحمه الله وسامحه

﴿ يقعى جلوس البدوى المصطلى ﴾

قائله المتنبى من أرجوزة قالها ارتجالا فى مجلسه يصف كلبا أخذ ظبيا وحده بغير صقر وأولها

ومنزل ليس لنا بمنزل * ولا لغير الغاديات الهطل
ندى الخزامى ذفر القرنفل * محلل ملوحش لم يحلل
عن لنا فيه مراعى مغزل * محين النفس بعيد الموئل
أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى * وعادة العرى عن التفضل
كأنه مضمخ بصندل * معترضا بمثل قرن الايل
يحول بين الكلب والتأمل * فحل كلابى وثاق الاحبل
عن أشدق مسوجر مسلسل * أقب ساط شرس شمردل
منها اذا يثغ له لا يعزل * موجد الفقرة رخو المفصل

جليت فى عصره الحال
ملك اقبال دولته
لذوى الافهام اقبال
قل لمن أكدت مطالبه
راحتاه الجاه والمال

(وأخبرنى) أبو الحسن بن الساعاتى المقدم ذكره قال غنى مغن فى بعض المجالس
أسفى على بان القدود
وبان أغر بالنهود
وكان عندنا بالمجلس رجل كبير الانف متطايب وكان ينعت بالسديد فأردت العبث به فقلت بديها
يا مانعى صفو الوصا
ل ومانحى كدر الصدود
ماضاقت الدنيا على
وقد حوت أنف السديد

(وغنى) بعض القوالين يوما
سلام على من لست أرجو وصاله
وغير الصبا مالى اليه رسول
(فأجابه) الشهاب بن المجاور بديها بقوله
تراجعنى عن خده وهو غاطر
وترجع عن عطفيه وهى بليل
وما كنت لولا هجره بمروع
ولو صدنى عنه قنا ونصول
أناه فانى لا أصيخ للائم
ولو أن حد المشرفى عذول
سأصبر لا يدرى هواى فينثنى
ولا أنا أرجو عطفه فأقول

(وأخبرنى) القاضى الموفق بهاء الدين أبو على بن الديباجى كاتب الدست الشريف قال أنشدنا مولانا السلطان الملك الكامل خلد الله ملكه قول الشاعر
ترحل من حياتى فى يديه

له اذا أدبر لحظ المقبل * يعدو اذا أحزن عدو المسهل

اذا تلاجاء المدى وقد تلى

وبعده البيت وبعده بأربع مجدولة لم تجدل * فتل الايادى ربذات الارجل

آثارها أمثالها فى الجندل * يكاد فى الوثب من التفتل

يجمع بين متنه والكاكل * وبين أعلاه وبين الاسفل

وهى طويلة والاقعاء الجلوس على الاليتين والمصطلى المتدفئ بالنار (والشاهد فيه) وقوع التركيب فى هيئة السكون لوجه الشبه من الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب فى اقعائه فانه يكون لكل عضو منه موقع خاص والمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الارض وفى مثل ذلك قول الاخيطل الاهوازى يصف مصلوبا

كأنه عاشق قد مد صفحته * يوم الفراق الى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

شبهه بالمتمطى المواصل لتمطيه مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فنظر الى الجهات الثلاث فلطف بحسب التركيب والتفصيل بخلاف تشبيهه بالمتمطى فانه قريب التناول يقع فى نفس الرائى للمصلوب لكونه أمرا جليا وقد أحسن ابن الرومى فى وصف المصلوب بقوله

كأن له فى الجو حبلا يبوعه * اذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

يعانق أنفاس الرياح مودعا * وداع رحيل لا يحط له رحل

وللبحترى فيه فتراه مطردا على أعواده * مثل اطراد كواكب الجوزاء

مستشرفا للشمس منتصبا لها * فى أخريات الجذع كالحرباء

ولابن المعتز فيه أرانيك الاله قرين جذع * يضمك غير ضم الالتزام

كلوطى له ايرطويل * يفخذ للمواجر من قيام

ولابراهيم بن المهدى فيه كأنه شلوكبش والعجيرلة * تنور شاوبه والجذع سفود

ولابن حمديس فيه ومرتفع فى الجذع اذ حط قدره * أساء اليه ظالم وهو محسن

كذى غرق مد الذراعين سابحا * من الجو بحرا عومه ليس يمكن

وتحسبه من جنة الخلد دانيا * يعانق حورا لا تراهن أعين

وما أحسن قول ابن الانبارى فى ابن بقية الوزير لما صلب من أبيات

كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات

كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة

وقد أخذ معنى البيت الاول من قول ابن المعتز

وصلوا عليه خاشعين كأنهم * وفود وقوف للسلام عليه

ولعمر الخراط فيه انظر اليه كأنه فى وصفه * متطلع لحظ السماء بطرفه

بسط اليدين كأنه يدعو على * من قد أشار على الامير بحتفه

وللفقيه عمارة اليمنى فيه ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى شمال

ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال

ومن العجيب انه صلب بعد قوله هذا بقليل صلبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فكانت هذه الكلمات كالفال عليه وله فى معناه أيضا

ورأت يداه عظيم ما جنتا * ففررن ذى شرقا وذى غربا

وأمال نحو الصدر منه فما * ليلوم فى أفعاله القلبا

فيا أسفى ويا شوقى اليه

واستجاز الجماعة فقلت

ومن هذا يكون عليه مثلى

وهذى الريح أحشاها عليه

وقال الامير الاجل الكبير صلاح الدين أدام الله توفيقه ألا باليته ان كان يأتى

حياتى ثم موتى فى يديه

ومنه ما تكون الاجازة فيه لا كثر من بيت (ذكر) أبو العتاهية قال حبسنى الرشيد لترك الشعر وغلقت على الابواب فبقيت دهشا كما يدهش مثلى لتلك الحال فاذا رجل جالس فى جانب السجن وهو مقيد فجعلت أنظر اليه ساعة فتمثل بقوله

تعودت حسن الصبر حتى ألفته

وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

وصيرنى يأسى من الناس راجيا

لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى

فقلت له أعد أعزك الله هذين البيتين فقال لى ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقل عقلك دخلت على السجن فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسئلة الحر للحر ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضيلة فيك سواه لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسئلتك عنهما عذرا لنفسك فى طلبهما فقلت يا أخى انى دهشت من هذه الحال فلا تعذلنى واعذرنى

(كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت)

البيت من الطويل ولا أعرف قائله (والمعنى) أبرقت الغمامة لقوم فحذف الجار وأوصل الفعل ومعنى أقشعت وتجلت تفرقت وانكشفت (والشاهد فيه) المركب العقلي من وجه الشبه وانه قد ينتزع من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر كما اذا انتزع وجه الشبه من الشطر الاول من البيت فانه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه فان المراد تشبيه الحالة المذكورة في الابيات السابقة على هذا البيت بظهور الغمامة لقوم عطاش ثم تفرقها وانكشافها واسطة اتصال مطمع بانتهاء موئس لان البيت مثل في أن يظهر للمضطر الى الشيء الشديد الحاجة اليه أمارة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره وزيادة ترجيه وفي معناه قول مسلم بن الوليد

وشمتك اذ أقبلت في عارض الغنى * فأقلعت لم تنبض برى ولا محل

وقول بشار بن برد أظلت علينا منك يوما سحابة * أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها

فلا غيمها يجلى فييأس طامع * ولا غيثها يأتي فيروى عطاشها

وقوله لمروان مواعد كاذبات * كبرق الحيا وما استهلا

والاصل فيه قول الاحوص

وكنت وما أملت منك كبارق * لوى قطره من بعد ما كان غيما

وما أحسن قول بعضهم ألا انما الدنيا كظل غمامة * اذا ما رجاها المستظل اضمحلت

فلا تك مفراحا اذا هي أقبلت * ولا تك محزانا اذا ما تولت

ولابن الطراوة النحوي في معنى البيت وقد خرجوا يستسقوا على أثر قحط في يوم غامت سماؤه فزال ذلك عند خروجهم

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت * بحرية قمن بها السح

حتى اذا اصطفوا لدعوتهم * وبدا لاعينهم بها نضح

كشف الغمام اجابة لهم * فكأنهم خرجوا ليستصحوا

وقد سبقه الى ذلك أبو علي الحسن التنوخي فقال

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه * وقد كاد هدب الغيم أن يلبس الارضا

فلما بدا يدعو تقشعت السما * فما تم الا والغمام قد ارفضا

ومنه قول بعضهم لما بدا وجه السماء لهم * متجهما لم يبد أنواء

قاموا ليستسقوا الاله لهم * غيثا فلم يسقيهم الماء

(فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال)

البيت لابي الطيب المتنبي من قصيدة من الوافر يرثي بها والدة سيف الدولة بن حمدان أولها

نعد المشرفية والعوالي * وتقتلنا المنون بلا قتال

ونرتبط السوابق مقربات * وما ينجين من خبب الليالي

وهي طويلة وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة

رأيتك في الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم في محال

وحكي أن المتنبي قيل له ان المحال ما يطابق الاستقامة ولكن القافية ألجأتك الى ذلك فلو فرض أنك قلت كأنك مستقيم في اعوجاج كيف كنت تصنع في الثاني فقال ولم يتوقف فان البيض بعض دم الدجاج فاستحسن هذا من بديهته (والشاهد فيه) بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه فانه أراد أن يقول ان الممدوح قد فاق الناس بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة بوجه بل صار أصلا برأسه وجنسا بمفرده وهذا في الظاهر كالممتنع لاستبعاد أن تتناهى بعض آحاد النوع في

متفضلا فقال انا والله بالدهش والحيرة أولى منك لانك حبست على أن تقول الشعر الذي به ارتفعت وبلغت ما بلغت واذا قلته أمنت وأنا حبست على أن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ووالله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بي فأقتل فأينا أحق بالدهش فقلت أنت والله أولى سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك فقال اذا لا أبخل عليك ثم أعاد علي البيتين حتى حفظتهما وأجزتهما بقولي

اذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه طال عتبي على الدهر

ثم سألته عن اسمه فقال أنا أبو حاضرة داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد فلم نلبث الا قليلا حتى سمعنا صوت الاقفال فقام فسكب عليه ماء من جرة كانت عنده ولبس ثوبا نظيفا ودخل الحرس ومعهم الشموع فأخرجونا جميعا وقدم قبلي الى الرشيد فسأله عن أحمد بن عيسى فقال لا تسألني عنه وافعل ما بدا لك فلو أنه تحت ثوبي ما كشفت عنه فأمر به فضربت عنقه ثم قال لي أظنك يا اسمعيل ارتعت فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس فقال ردوه الى محبسه فرددوني (وذكر) ابن عبد ربه في كتاب الدر قد قال صنع أبو دلف القاسم بن

الفضائل الخاصة بذلك النوع الى أن يصير كأنه ليس منها فاحتيج لهذه الدعوى وبين امكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذى هو من الدماء ثم انه لا يعد منها لما فيه من الاوصاف الشريفة التى لا توجد فى الدم ويسمى مثل هذا تشبيها ضمنيا أو مكنيا عنه لدلالة البيت عليه ضمنا وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقوله

وأصيد ظل يدرك يوم صيد * طرائده بجرد كالسعالى
فان عبقت لنا عنماه مسكا * فان المسك بعض دم الغزال

والشهاب ابن بنت الاعز بقوله

وقالوا بالعذار تسل عنه * وما أنا عن غزال الحسن سالى
وان أبدت لنا خداه مسكا * فان المسك بعض دم الغزال

ويشبه قول أبى الطيب المتنبى هنا فى سيف الدولة قوله فى عضد الدولة

ولولا كونكم فى الناس كانوا * هذاء كالكلام بلا معانى

ومثله قول يحيى بن بقى

هل يستوى الناس قالوا كلنا بشر * فالمندل الرطب والطرفاء أعواد

وللغزى فى مثله فلا غروان كنت بعض الورى * فان اليلنجوج بعض الحطب

ومنه قول خلف بن عبد العزيز النحوى

ما أنت بعض الناس الا مثل ما * بعض الحصا الياقوتة الحمراء

وللحصرى فيه أبا بكران أصبحت بعض ملوكهم * فان الليالى بعضها ليلة القدر

ومثله قول ابن قلاقس وأجاد

أنشرت من آبائك الصيد الاولى * ذكرا لسان الدهر ناشر نشره
كرموا فزدت عليهم فكأنهم * شهر الصيام وأنت ليلة قدره

ومثله قول النهامى

لقد شرف الرحمن قدرك فى الورى * كما فى الليالى شرفت ليلة القدر
وان كنت من جنس البرايا وفقتهم * فللمسك نشر ليس يوجد فى العطر

وما أحسن قول شيخ الشيوخ رحمه الله

فاقت بيوسفها الدنيا وفاح لها * طيب طوى المسك من نشر لها أرج
فان يشاركه فى اسم الملك طائفة * فان شمس الضحى من جملة السرج

ومثله قول عبد الصمد بن بابك

تقاعس عنك الفاخرون فأحجموا * وخيل المعانى غير خيل المواكب
فان زعم الاملاك انك منهم * فخارا فان الشمس بعض الكواكب

ومن البديع فى معناه قول ابن شرف القيروانى

سلك الورى آثار فضلك فانثنى * متكلف عن مسلك مطبوع
أبناء جنسك فى الحلى لا فى العلا * وأقول قولا ليس بالمدفوع
أبدا ترى البيتين يختلفان فى الـ * معنى ويتفقان فى التقطيع

وفى مقلوب معنى البيت قول الصاحب بن عباد يعو

أبوك أبو على ذو اعتلاء * اذا عد الكرام وأنت نجله
وان أباك اذ تعزى اليه * لكالطاوس تقبح منه رجله

﴿ولازوردية تزهو بزرقتها * وسط الرياض على حمر اليواقيت﴾
﴿كأنها وضعاف القضب تحملها * أوائل النار فى أطراف كبريت﴾

عيسى الحلى

أنا أبو دلف البادى بقافية
جوابها بعجز الداهى من الغيظ
من زاد فيها له رحلى وراحلتى
وخاتمى والمدى فيها الى القيظ
قال فظن أنه لا ثالث لهاتين القافيتين فصنعت
قد زدت فيها ولو أمسى أبو دلف
والنفس قد أشرفت منه على الفيظ
قال على بن ظافر تذاكرنا بهذه الرقعة فقال بعض الحاضرين لم يبق رابعة فصنعت
أزيد فيها ولوما نابغ همها
ما ألقت النمل أحيانا من البيظ
وذلك أن كل بيض لطائر أو حيوان فبالضاد الا بيظ النمل فانه بالظاء وكل ما يفيض من اناء وغيره فبالضاد الا فيظ النفس فانه بالظاء ثم صنع القاضى الاعز بن المؤيد رحمه الله بعد ذلك بديها
ذو الحزم لا يتعدى فى فعائله
ما دام للناس تكوين من البيظ
والبيظ ههنا ماء الرجل ثم صنع شهاب الدين بن أخت الوزير نجم الدين رحمه الله
يا سادتى فى القوافى ما تركوا
كأنه البترلم يترك سوى البيظ
حازت قوافيكم الظاآت أجمعها
كمثل ما حيز مع البيظ بالبيظ
لكن مواعيد باديكم أبى دلف
لا صدق فيها كمثل الآل والبيظ

البيتان لابن الرومى يصف البنفسج وقبلهما

بنفسج جمعت أوراقه فحكى * كحلا تشرب دمعا يوم تشتيت

وهى من قصيدة من البسيط (والشاهد فيهما) كون المشبه به نادر الحضور فى الذهن عند حضور المشبه فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يندر حضورها فى الذهن عند حضور صورة البنفسج فيستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد فانه أراك شبه النبات غض يرف وأوراق رطبة من لهب نار استولى عليه اليبس ومبنى الطباع على أن الشئ اذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس اليه أكثر وهى بالشغف به أجدر وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه وليس بعدهما الا قول النميرى

بنفسج بذكى المسك مخصوص * مافى زمانك ان وافاك تنغيص

كأنما شعل الكبريت منظره * أو خد أغيد بالتخميش مقروص

وقول الآخر

مازلت من شغفى ألمع كفها * وذراعها بالقرص والآثار

حتى جعلت أديمها وكأنما * غرس البنفسج فى نقا الجمار

وقد لطف ابن كيغلغ فى استعارة المعنى فقال

لما التقينا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق

فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

واستعاره أبو تمام فى قوله لهامن لوعة البين التدام * يعيد بنفسجا ورد الخدود

وقوله التدام مما أخذ عليه به فى جملة ما أخذ

(وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح)

البيت لمحمد بن وهيب الحميرى من قصيدة من الكامل يمدح بها المأمون أولها

العذر ان أنصفت متضح * وشهود حبك أدمع سفح

واذا تكامت العيون على * اعجامها فالسر متضح

فضحت ضميرك عن ودائعه * ان الجفون نواطق فصح

مهما أبيت معانق قمر * للحسن فيه مخايل تضح

نشر الجمال على محاسنه * بدعا وأذهب همه الفرح

يختال فى حلل الشباب به * مرح وداؤك أنه مرح

مازال يلثمنى مراشفه * ويعلنى الابريق والقدح

حتى استرد الليل خلعته * ونشا خلال سواده وضح

وبعده البيت ثم انه يقول فيها

نشرت بك الدنيا محاسنها * وتزينت بصفاتك المدح * وكأنما مذغاب عنك له

بازاء طرفك عارض سحح * واذا سلمت فكل حادثة * جلل فلا بؤس ولا ترح

(والشاهد فى البيت) ايهام أن المشبه به أتم من المشبه ويسمى التشبيه المقلوب فانه قصد ايهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء وفى قوله حين يمتدح دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالاصغاء اليه والارتياح له وعلى كونه كاملا فى الكرم يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح وفى معناه قول البحترى

كأن سناها بالعشى لصبحها * تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

وتقدم ذكر ابن وهيب فى شواهد المسند

الماء فى نقرة البئر وهى الحفرة التى يبقى فيها الماء بعد نزحها وفى القافية الثانية قشرة البيض الرقيقة فوق المح وهو الغرقىء قال زهير

كأن البيظ لفقه قناعا * على الهامات كرات الدهور

وفى القافية الثالثة خيال وجه الانسان فى السيف قال عبيد

كأن وجوه نسل بنى نمير * مثال البيظ فى السيف اليمانى

قالوا وجميعها بالظاء ولست على يقين من صحة ذلك وأظن أن صاحب العقد وهم فى كون قائل البيتين أبادلف العجلى فان أبادلف أفضل وأفصح وأعلم وأشرف من أن يقع فى مثل هذا وأظن قائلهما أبادلف هاشم ابن محمد الخزاعى الشاعر الوالى كان بالبصرة للمقتدر بالله سنة خمس وثلثمائة (وبالاسناد المتقدم ذكره) ذكر صاحب اليتيمة أن الصاحب أمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردى باجازة هذين البيتين

يانسيم الريح من بلدى * خبرى بالله كيف هم

ليس لى صبر ولا جلد * ليت شعرى كيف صبرهم

(فقال)

ولسان الدمع يشهد لى * وهو ممن ليس يتهم

(وأنبأنى) الفقيه أبو الحسن ابن المقدسى اجازة قال

(تشابه دمعي اذ جرى ومدامتي * فمن مثل مافى الكاس عيني تسكب)
(فوالله ماأدرى أبالخمر أسبلت * جفونى أم من عبرتى كنت أشرب)

البيتان لابى اسحق الصابئ من الطويل ورأيت فى اليتيمة البيت الاول بلفظ تورّد بدل تشابه (والشاهد فيهما) ترك التشبيه والعدول الى الحكم بالتشابه ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به احترازا من ترجيح أحد المتساويين فى وجه الشبه فان الشاعر لما اعتقد التساوى بين الخمر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما زائد فى الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه وفى معناه قول الصاحب ابن عباد

رق الزجاج ورافت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وقوله أيضا من أبيات

متغايرات قد جمعن وكلها * متشاكل أشباحها أرواح
واذا أردت مصرّحا تفسيرها * فالراح والمصباح والتفاح
لم يعلم الساقى وقد جمعن لى * من أىّ هذى تملأ الاقداح

ومثله ما كتب به أبو الوليد بن زيدون الى المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية مع تفاح أهداه اليه

يامن تزينت السيادة حين ألبس ثوبها * جاءتك جامدة المدا * م فخذ عليها ذوبها

وهو مأخوذ من قول الخليع

الراح تفاح جرى ذائبا * كذلك التفاح راح جمد
فاشرب على جامده ذوبه * ولا تدع لذة يوم لغد

وللسرى الرفاء فى معناه

وقد أضاءت نجوم مجلسنا * حتى اكتسى غرّة وأوضاحا
لو جمدت راحنا اغتدت ذهبا * أوذاب تفاحنا اغتدى راحا

ولطاهر العتابى فى هذا المعنى

وليلة قد بت أهزم بردها * بجيشين من خمر عتيق ومن جمر
فطورا أظن الخمر من ذوب جمرها * وطورا أظن الجمر من جمد الخمر

والصابئ هو ابراهيم بن هلال بن هرون الحرانى قال فى حقه أبو منصور الثعالبى هو أوحد العراق فى البلاغة ومن به تثنى الخناصر فى الكتابه وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة فى الصناعه وكان قد بلغ التسعين فى خدمة الخلفاء وخلافة الوزراء وتقلد الاعمال الجلائل مع ديوان الرسائل وحلب الدهر أشطره وذاق حلوه ومرّه ولابس خيره ومارس شرّه ورئس ورأس وخدم وخدم ومدحه شعراء العراق فى جملة الرؤساء وشاع ذكره فى الآفاق ودوّن له من الكلام البهىّ النقىّ العلوىّ ماتناثرت دُرره وتكاثرت غرره وفيه يقول بعض أهل العصر

أصبحت مشتاقا حليف صبابة * برسائل الصابى أبى اسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى * ذوب البراعة سلوة العشاق
طورا كمارقّ النسيم وتارة * يحكى لنا الاطواق فى الاعناق
لا يبلغ البلغاء شأو مبرّز * كتبت بدائعه على الاحداق

ويقول أيضا

يابؤس من عنى بدمع ساجم * يهمى على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكاس مدامة * ورسائل الصابى وشعر كشاجم

(ويحكى) أن الخلفاء والملوك والوزراء راودوه كثيرا على الاسلام وأداروه بكل حيله وتمنية جميله حتى ان السلطان بختيار عرض عليه الوزارة ان أسلم فلم يهده الله تعالى للاسلام كما هداه لمحاسن الكلام وكان يعاشر المسلمين أحسن عشره ويخدم الاكابر أوقع خدمه ويساعدهم على صيام شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم حفظا يدور على طرف لسانه وسن قلمه وكان فى أيام شبابه واقتباله أحسن حالا وأرخى بالا

أنبأنى الشيخ أبو القاسم مخلوف بن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى نصر بن عبد الله الحميدى قال أخبرنى أبو الوليد الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن الفتراء قال حضرت عند عمى وعنده أبو عمر القسطلى يعنى ابن دراج وأبو عبد الله المعيطى فغنى المعيطى

مروّع منك كل يوم * محتمل فيك كل لوم
ياغايتى فى المنى وسؤلى * ملكت رقى بغير سوم

فأعجبنا هذين البيتين فقال أبو عمر أنا أضيف اليهما ثالثا يتأخر عنهما ثم قال

تركت قلبى بغير صبر * فيك وعينى بغير نوم

(وذكر) ابن بسام فى كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وخمارة من بنات المجوس * ترى الزق فى بيتها سائلا
وزنا لها ذهبا جامدا * فكالت لنا ذهبا سائلا

(فأجازهما بقوله)

وقلنا خذى جوهرا ثابتا * فقالت خذوا عرضا زائلا

(ونقلت) من خط عبد الجليل ابن عبد المحسن الكتامى الشاعر الاسيوطى قال غنى لنا يوما بعض القوالين هذين البيتين وهما لابى

منه فى أيام استكماله وفى زمن اكتهاله أورى زندا وأسعد جدا منه حين مسه الكبر وأخذ منه الهرم وفى ذلك يقول من قصيدة فى نهافريده كتب بها الى الصاحب يشكو بثه وحزنه ويستمطر سحابه ومزنه بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الاكفاف

عجبا لحظى اذ أراه مصالحى * عصر الشباب وفى المشيب مغاضبى
أمن الغوانى كان حتى خاننى * شيخا وكان لدى الشبيبة صاحبى
أمع التضعضع ملنى متجنبا * ومع الترعرع كان غير مجانبى
ياليت صبوته الى تأخرت * حتى تكون ذخيرة لعواقبى

وكان المهلبى لا يرى الدنيا الا به ويحن على براعته وتقدم قدمه ويصطنعه لنفسه ويستدعيه فى أوقات أنسه فلما مات المهلبى وأبو اسحق يلى ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل فى جملة عمال المهلبى وأصحابه فمن قوله فى ذلك الاعتقال من قصيدة

يا أيها الرؤساء دعوة خادم * أوفت رسائله على التعديد
أيجوز فى حكم المروءة عندكم * حبسى وطول تهددى ووعيدى
أنسيتم كتبا شحنت فصولها * بفصول در عنكم منضود
ورسائلا نفذت الى أطرافكم * عبد الحميد بهن غير حميد
يهتز سامعهن من طرب كما * هز النديم سماع صوت العود

منها

قصرت خطاه خلاخل من قيده * فتراه فيها كالفتاة الرود
يمشى الهوينى ذلة لا عزة * مشى النزيف الخائف المزؤد

ولما خلى عنه وأعيد الى عمله لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع الى أن دفع فى أيام عضد الدولة الى النكبة العظمى والطامة الكبرى اذ كان فى صدره حزازات كثيرة من انشاآت له عن الخليفة وعن بختيار نقمها منه واحتقدها عليه قيل كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة على أبى اسحق بعد ميله اليه وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة فى شأن بختيار وهو وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعى السوابق والمعالى السوامق التى يلزم كل دان وقاص وعام وخاص أن يعرف له حق ما أكرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها فان عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد انكار ولم يشك فى التعريض به وأسرها فى نفسه الى أن ملك بغداد وسائر العراق وأمر أبا اسحق بتأليف كتاب فى أخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه وشرح سيره وحروبه وفتوحه فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجى واشتغل به فى منزله وأخذ يتأنق فى تصنيفه وترصيفه وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه فرفع الى عضد الدولة أن صديقا للصابئ دخل اليه فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبييض فسأله عما يعمل من ذلك فقال أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها فانضاف تأثير هذه الكلمة فى قلب عضد الدولة الى ما كان فى نفسه من أبى اسحق وتحرك من ضغنه الساكن وثار من سخطه الكامن فأمر أن يلقى تحت أرجل الفيلة فأكب جماعة من أرباب الدولة على الارض يقبلونها بين يديه ويشفعون اليه فى أمره ويتلطفون فى استيهابه الى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه واستصفاء أمواله فبقى فى ذلك الاعتقال بضع سنين الى أن تخلص فى آخر أيام عضد الدولة وقد زحت حاله وتهتك ستره وكان الصاحب ابن عباد يحبه أشد الحب ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح والصابئ يخدم حضرته بالمدح وكان الصاحب يتمنى انحيازه اليه وقدومه عليه ويضمن له الرغائب على ذلك اما تشوقا أو تشرفا وكان هو يحتمل ثقل الخلة وسوء أثر العطلة ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة فى أيامه وكان الصاحب كثيرا ما يقول كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة الاستاذ ابن العميد وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبو اسحق الصابئ ولو شئت لذكرت الرابع يعنى نفسه فأما الترجيح بين هذين الصادين أعنى الصاحب

العلاء الأسدى من شعراء اليتيمة

لا لعمرى ما أنصفوا حين بانوا
حلفوا لى أن لا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفراق شمل اتصالى
جمع الله شملهم أين كانوا

قال فأجزتهما بقولى بديهيا

أنا ممن يدين فى الرجعة الآ
ن تراهم بمذهب الصب دانوا

(قال على بن ظافر) ومما هو من هذا الباب الآن الاجازة فيه لسد فرجة بين البيتين ما ذكره صاحب المقتبس من أن أبا الحسن زريابا المغنى مولى المهدى المروانى غنى يوما بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل ملك الاندلس بهذين البيتين

قالت ظلوم سمية الظلم
مالى رأيتك ناحل الجسم
يا من رمى قلبى فأقصده
أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فقال عبد الرحمن بن قزمان

فأجبتها والدمع منحدر
مثل الجمان هوى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة (ومما) يجرى مجرى الطرف ما أخبرنى به الاديب أبو القاسم بن نفطويه أنه جلس أيام اشتغاله على الشيخ الاستاذ العلامة محمد بن برى مع جماعة من

والصابئ فقد خاض فيه الخائضون وأطنب المخلصون ومن أشف ما سمعته من ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد والصابئ يكتب كما يؤمر أى كما يراد وبين الحالين بون بعيد وكيف جرى الامر فهما هما ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما ولنذكر نبذا من نثره ونظمه لتكون كالعنوان على محاسنه فمن ذلك فصل له من كتاب الى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة * أسأل الله مبتهلا لديه مادا يدى اليه أن يجعل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات والزيادات الغامرات ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موافيا على المتقدم له قاصرا على المتأخر عنه ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ومن العيش أعذبه وأرغده عزيزا منصورا محميا موفورا باسطا يده لا يقبضها الا على نواصى أعداء وحساد ساميا طرفه فلا يغضه الا على لذة غمض ورقاد مستريحة ركابه فلا يعملها الا لاستضافة عز وملك فائزة قداحه فلا يجليها الا لحيازة مال وملك حتى ينال أقصى ما تتوجه اليه أمنية صالحه وتسمو له همة طامحه ﴿فصل من رسالته فى وصف المتصيد والصيد﴾ وخيلنا كالامواج المتدفقه والاطواد الموثقه متشوقة عاطيه متشنفة جاريه تشتاق الصيد وهى لا تطعمه وتحن اليه كأنه قضيم تقضمه وعلى أيدينا جوارح مؤللة المخالب والمناسر مذربة النصال والخناجر طامحة الالحاظ والمناظر بعيدة المرامى والمطارح ذكية القلوب والنفوس قليلة القطوب والعبوس سابغة الاذناب كريمة الانساب صلبة الاعواد قوية الاوصال تزيد اذا ألجمت شرها وقرما وتتضاعف اذا أشبعت كلبا ونهما فبينا نحن سائرون وفى الطلب ممعنون اذ وردنا ماء أزرق جمامه طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه وتلوح فى قراره حصباؤه وأفانين الطير به محدقه وغرائبه عليه واقعه متغايرة الالوان والصفات مختلفات الاصوات واللغات فمن صريح خاص وتهذب نوعه ومن مشوب تهجن أو أقرف عرقه فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح اليها كأنها رسل المنايا أو سهام القضايا فلم نسمع الا سميا ولم نر الا مذكيا ثم عدنا الشأننا دفعات وأطلقنا مرات ﴿ومن فصل منها﴾ ثم عدلنا عن مطارح الحمام الى مسارح الآرام نستقرى ملاعبها ونؤم مجامعها حتى أفضينا الى أسراب لاهية بأطلائها راتعة بأكلائها ومعنا فهود أخطف من البروق وأثقف من الليوث وأمكر من الثعالب وأدب من العقارب وأنزى من الجنادب خمص الخصور قب البطون رقش المتون حمر الآماق خزر الأحداق هرت الاشداق عراض الجباه غلب الرقاب كاشرة عن أنياب كالحراب ﴿وله فصل فى ذكر الاقدار لله تعالى﴾ أقدار ترد فى أوقاتها وقضايا تجرى الى غاياتها لا يرد شئ منها عن شأوه ومداه ولا يصد دون مطلبه ومنحاه فهى كالسهام التى لا تثبت الا فى الاغراض ولا ترجع الا بالاعتراض والناس فيها بين عطية يجب الشكر عليها ورزية يوثق بالعوض عنها ﴿وله من فصل عن بختيار الى سبكتكين المعزى﴾ ليت شعرى بأى قدم توافينا ورايانا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك وخيلنا الموسومة بأسمائنا تحتك وثيابنا المنسوجة فى طرزنا على جسدك وسلاحنا المشحوذ لاعدائنا فى يدك ﴿ومن فصل فى ذكره﴾ هو أرق دينا وأمانه وأخفض قدرا ومكانه وأتم ذلا ومهانه وأظهر عجزا وزمانه من أن تستقل به قدم فى مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا وهو فى نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشوده وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردوده ومن ملح شعره قوله فى الغزل وهو فى معنى البيتين المستشهد بهما

جرت الدموع دما وكأسى فى يدى * شوقا الى من لج فى هجرانى
فتخالف الفعلان شارب قهوة * يبكى دما وتشابه اللونان
فكأن ما فى الجفن من كأسى جرى * وكأن ما فى الكأس من أجفانى

وقال

لست أشكو هواك يا من هواه * كل يوم يروعنى منه خطب
مر ما مر بى من أجلك حلو * وعذابى فى مثل حبك عذب

وقال

ان نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد * حفنا عليك به ظلما وعدوانا

تلامذته فتذاكروا ما يعانيه الشيخ من بلادة بعض طلبته وهو رجل كرهت ذكره مع فرط اعتنائه بتعليمه وشدة عنائه فى تفهيمه فأنشد أحدهم قول أبى العباس المبرد

أقسم بالمبتسم العذب
ومشتكى الصب الى الصب
لو قرأ النحو على الرب
ما زاده الا عمى القلب

(قال فقلت ارتجالا)

قد عذب الله به شيخا
فى هذه الدنيا بلا ذنب

فضحك الجماعة واستظرفوا البيت (ومنه ما تكون الاجازة فيه بأكثر من بيت لا كثر (فمن ذلك) ما ذكره اسحق الموصلى قال أنشدنى شداد بن عقبة لجميل

بثين سلينى بعض مالى فانه
يمين عند المال كل خليل
وانى وتكرار الزيارة نحوكم
لبين يدى هجر بثين طويل

قال فقلت لشداد أفلا أزيدك فيهما قال بلى فقلت مسرعا

ألا ليت شعرى هل تقولين بعدنا
اذا نحن أجمعنا غد الرحيل
ألا ليت أياما مضين رواجع
وليت النوى قد ساعفت بجميل

فقال أحسنت والله ان هذا لهو الشعر الضائع فقلت وكيف قال نفيته عن نفسك بتسميتك جميلا فيه ولم يلحق برتبة شعر جميل فضاع بينكما جميعا (أنبأنى) الشيخان

الغصن أحسن مانلقاه مكتسيا * وأنت أحسن مانلقاك عريانا

وقال
مرضت من الهوى حتى اذاما * بدا مابى لاخوانى الحضور
تكنفنى ذووا الاشفاق منهم * ولاذوا بالدعا وبالنذور
وقالوا للطبيب أشر فانا * نعدك للمهم من الامور
فقال شفاؤه الرمان مما * تضمنه حشاء من السعير
فقلت لهم أصاب بغير عمد * ولكن ذاك رمان الصدور

وقال
ماأنس لاأنس ليلة الاحد * والبدر ضيفى وأمره بيدى
قبلت منه فما مجاجته * تجمع بين المدام والشهد
كأن مجرى سواكه برد * وريقه ذوب ذلك البرد

وقال فى شمامة كافور
وشمامة كالبدر عند اعتراضه * وكالكوكب الدرى عند انقضاضه
يود سواد العين من شغف بها * لواعتاضها مستبدلا ببياضه

وقال
ومحرورة الاحشاء تحسب أنها * متيمة تشكو من الحب تبريحا
تناجيك نجوى يسمع الانف وحيها * وتجهله الاذن السميعة اذ يوحى
تحرق فيها الند عودا وبدأة * فتأخذه جسما وتنفثه روحا

وقال فى غلام له أسود اسمه رشد
أبصرت فى رشد وقد أحببته * رشدى ولم أحفل بمن قد ينكر
يالائمى أعلى السواد تلومنى * من لونه وبه عليك المفخر
دع لى السواد وخذ بياضك اننى * أدرى بما آتى وما أتخير
مثوى البصيرة فى الفؤاد سواده * والعين بالمسود منها تبصر
فالدين أنت مناظر فيه بذا * وكذاك فى الدنيا بهذى تنظر
بسواد ذينك تستضىء ولوهما ابيضا تغشاك الظلام الاكدر
فغدا بياضك وهو ليل دامس * وغدا سوادى وهو فجر أنور

وقال فيه أيضا
قد قال رشد وهو أسود للذى * ببياضه يعلو علو الخائن
ماافخر خدك بالبياض وهل ترى * ان قد أفدت به مزيد محاسن
لوأن منى فيه خالا زانه * ولوان منه فى خالا شانني

ولقد تفنن الشعراء فى مدح السودان وأكثروا فمن ذلك قول ابن الرومى من قصيدة طويلة
أكسبها الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

وقول ابن خفاجة الاندلسى أيضا
وأسود يسبح فى لجة * لاتكتم الحصباء غدرانها
كأنها فى شكلها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وقول الآخر
ياأسود يسبح فى بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لحسن الخد خالا وقد * صرت لعين العين انسانا

وقول شرف الدين بن عنين
وماذا عليهم ان كلفت بأسود * محلته بالقلب والعين منهم * وقد عابنى قوم بتقبيل خده
وماذاك عيب أسود الركن يلثم * وماشانه ذاك السواد لانه * لغير الثنايا والخلائق معلم

وقال ابن رباح الملقب بالجام

الاجل العلامة تاج الدين الكندى والفقيه جمال الدين بن الحرستانى اجازة قالا أخبرنا الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى سماعا عليه قال أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى عن أبى القاسم التنوخى أخبرنى أبو عبد الله محمد ابن عثمان الخرقى الفارقى الحنبلى التميمى قال كنت بالرملة سنة ثلثمائة وخمس وستين وقد ورد اليها القرمطى أبو على القصير الثياب فاستدنانى منه وقربنى الى خدمته فكنت ليلة عنده اذ حضر الفراشون بالشموع فقال لابى نصر ابن كشاجم وكان كاتبه ياأبا نصر مايحضرك فى صفة هذه الشموع فقال انما نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه ونستفيد من أدبه فقال أبو على فى الحال بديها
ومجدولة مثل صدر القناة * تعرت وباطنها مكتسى
لها مقلة هى روح لها * وتاج على الرأس كالبرنس
اذا غازلتها الصبا حركت * لسانا من الذهب الاملس
وان رنقت لنعاس عرا * وقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج فى وقت تلقيحها * ضياء يجلى دجا الحندس
فنحن من النور فى أسعد * وتلك من النار فى أنحس
تكيد الظلام وما كادها * فتفنى وتفنيه فى مجلس

بالعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنى غير متفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة * فصرت سوداء من مثواك فى الحدق
وقال أحمد بن بكر الكاتب يامن فؤادى فيها * متيما لا يزال ان كان الليل بدرا * فأنت للصبح خال
وقال الوزير المغربى يارب سوداء تيمتنى * يحسن فى مثلها الغرام
كالليل تستسهل المعاصى * فيه ويستعذب الحرام
وقريب منه قول ابن أبى الجهم
غصن من الابنوس أهدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليل نعيم أظل فيه * للطيب لا أشتهى نهارا
وما أحسن قول بعضهم مضمنا
وسوداء الاديم اذا تبدت * ترى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه
وقال نجم الدين يعقوب بن صابر
وجارية من بنات الحبوش * ذات جفون صحاح مراض * تعشقتها للتصابى فشبت
غراما ولم آلُ بالشيب راضى * وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرنى بالبياض
وقد أغرب ابن دفترخوان بقوله
ان لمعت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالا لها * فى الارض فالسود نجوم النهار
رجع الى شعر الصابى قال يرثى ابنه سنانا
أسعدانى بالدمعة الحمراء * حل ما حل بى عن البيضاء
يؤلم القلب كل فقد ولا مثل افتقاد الآباء للابناء
كنت منى وكنت منك اتفاقا * والتئاما مثل العصا واللحاء
كنت للسيم فى أجل منى * فبلك الشكل فى أوان فنائى
ولئن كان من أخيك أولا * دك ما ابغض من برحائى
ولعمرى لربما هيج الشو * ق فزادوا فى لوعتى وبكائى
ألم فيه بقول ابن الرومى ولم يحسن احسانه
وانى وان متعت بابنى بعده * لذاكره ما حنت النجب فى نجد
وأولادنا مثل الجوارح أيما * فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لا يسد اختلاله * مكان أخيه من جزوع ومن جلد
هل العين بعد السمع تكفى مكانه * أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى
وقال الصابى مفتخرا من قصيدة
وقد علم السلطان انى أمينه * وكاتبه الكافى السديد الموفق
أوازره فيما يرى وأمده * برأى يريه الشمس والليل أغسق
يهتدى بى نهج العلا وهو دارس * ويفتح بى باب الهدى وهو مغلق
فمعناى عناه ولفظى لفظه * وعينى له عين بها الدهر يرمق
ولى فقر تضحى الملوك فقيرة * اليها لدى احداثها حين تطرق
أرديها رأس الجموح فينثنى * وأجعلها سوط الحرون فيعنق
فان حاولت لطفا فماء مروق * وان حاولت عنفا فنار تألق

فقام أبو نصر بن كشاجم وقبل الارض بين يديه وسأله أن يأذن له فى اجازة الابيات فأذن له فقال
وليلتنا هذه ليلة
تشاكل أشكال اقليدس
فيا ربة العود غنى لنا
ويا حامل الكاس لا تجلس
فتقدم بأن يخلع عليه وحملت اليه صلة سنية والى كل من الحاضرين (وأخبرنى) الامير شمس الدولة عبد الرحمن بن محمد ابن مرشد بن على بن منقذ ابن نصر بن منقذ رحمه الله تعالى قال جرت بينى وبين القاضى المهذب أبى محمد الحسن بن على بن الزبير مفاوضة فى قول الشعر بديها وذلك فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة قال كنت فى مبدا عمرى أملى الشعر املاء كالمحفوظ على من يكتبه فربما سبقته بالاملاء ولا أتوقف فجعلت أتعجب من قوله تعجبا ظاهر منه الاستبعاد فقال وكأنك تستصعب هذا انما الصعب أن تقترح على الشاعر العمل فى معنى مخصوص على قافية شاذة فى وزن معين وان أردت أن تقف على حقيقة ما قلته ليزول عنك الشك وتدركه بالرؤية لا بالرواية فأنشدنى ما أعمل لك عليه قال فأنشدته من شعر الحماسة فان يحبسوها أو يحول دون

يسـلى قس وسحبان وائل * ويرضى جرير مذهبي والفرزدق
فيغضي لنثري خاطب وهو مصقع * ويعنو لنظمي شاعر وهو مفلق
مقال لو الاعشى رآهن لم يقل * وبات على النار الندى والمحلق

وقال في المهلبي الوزير قبل الوزارة أبي محمد الذى * قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك في المحافل منطق يشفي الجوى * ويسوغ في أذن الاديب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل * وكأنما آذاننا أصدافه

وقال أيضا تلوح نواجذي والكاس شربي * وأشربها كأني مستطيب
وفوق السر لي جهر ضحوك * وتحت الجهر لي سر كئيب
سأثبت اذ يصادمني زماني * بركنيه كاثبت النجيب
وأرقب ماتجيء به الليالي * ففي أثنائه فرج قريب

وقال أيضا في عضد الدولة
لا تحسب الملك الذى أوتيته * يفضي وان طال الزمان الى مدى
كالدوح في أفق السماء فروعه * وعروقه متولجات في الندى
في كل عام يستجد شبيبة * فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائر في حلقة * فلكية في منتهاها المبتدا

وكتب الى عضد الدولة في يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه اليه
أهدى اليك بنو الاموال واختلفوا * في مهرجان جديد أنت مبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * علو قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض مهداة اليك فقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

ومن لطيف شعره قوله
دفتري مؤنسي وفكري سميري * ويدي خادمي وحلمي ضجيعي
ولساني سيفي وبطشي قريضي * ودواتي عيني ودرجي ربيعي

ومثله قول أبي محمد الخازن فدفتري روضتي ومحبرتي * غدير علمي وصارمي قلمي
وراحتي في قرار صومعتي * تعلمني كيف موقع النعم

وقال أبو اسحق الصابئ وهو في الحبس
اذا لم يكن للمرء بد من الردى * فأسهله ماجاء والعيش أنكد
وأصعبه ماجاءه وهو رانع * تطيف به اللذات والحظ مسعد
فان ألسوء العيشتين أعيشها * فاني الى خير المماتين أقصد
وسيان يوماشقوة وسعادة * اذا كان غبا واحدا لهما الغد

وقال لقد أخلقت جدتي الحادثات * ومن عاش في ريبها يخلق
وبدلني صلعا شاملا * من الصلع الفاحم الاغسق
وقد كنت أمرد من عارضي * فقد صرت أمرد من مفرقي

وكتب الى قاضي القضاة ابن معروف وكان قد زاره في معتقله رقعة نسختها
قوي دخول قاضي القضاة الى نفسي وجدد أنسي وأغرب نحسي ووسع حبسي فدعوت الله عاقد ارتفع اليه وسمعه فان لم أكن أهلا لان يستجاب مني فهو أيده الله تعالى أهل لان يستجاب منه وأقول مع ذلك
دخلت حاكم حكام الزمان الى * صنيعة لك رهن الحبس ممتحن
أخنت عليه خطوب جار جائرها * حتى توفاه طول الهم والحزن

وصلها
لقاء عدو أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا
ولن يظهروا ماقد أجن ضميري
فأنشد مبادرا كأنه يحفظ ماينشده
صبرت على جور الزمان وصرفه
وان كنت يوم البين غير صبور
وان الذى يبغي اعتلاقا بودها
لمستمسك منها بحبل غرور
أرى الناس قد فكوا العناة تحرجا
فهل لك يوما في فكاك أسير
اذا أظلمت أيامنا من صدودكم
جلوتم بدورا في ظلام شعور
ولم أر فيمن أستعين به سوى
عذول فمن لي فيكم بعذير
وان ظباء الوحش تحسب منكم
بحسن نفور عندها ونحور
وما كنت ممن يصبح الحب قادرا
عليه ولكن ذاك فعل قدير
قال الامير فجننت استحسانا لما أتى به وتعجبا من سرعته فقال أنشدني غير هذا الثلاثة قول انه محفوظ لي فامتنعت تحرجا من ذلك فأبى الا أن أنشده فأنشدته
وما فارقت لبنى عن تقال
ولكن شقوة بلغت مداها
فاسترسل مع آخر انشادي قائلا
وكل مني النفوس الى انقطاع
اذا بلغت لعمرك منتهاها
أناديها وليس تجيب قولي

فماش عن كلمات منك كزله * كالروح عائدة منه الى البدن

وكتب الى بعض الرؤساء عرفت ان سيدنا الاستاذ الجليل أطال الله بقاءه يشتكى التيا ثا

فلو استطعت أخذت علة جسمه * فقرنتها منى بعلة حالى
وجعلت صحتى التى لم تصف لى * صفوا له مع صحة الاقبال
فتكون عندى العلتان كلاهما * والصحتان له بغير زوال

وقال

عهدى بشعرى وكله غزل * يضحك عنه السرور والجزل
أيام هى أحبة بهم القلب عن النايبات يشتغل
والآن شعرى فى كل داهية * نيرانها فى الضلوع تشتعل
أخرج من نكبة وأدخل فى * أخرى فمحنى بهن متصل
كأنها سنة مؤكدة * لابد من أن تقيمها الدول
فالعيش مر كأنه صبر * والموت حلو كأنه عسل

وقال يهجو

أيها النابح الذى يتصدى * بقبيح يقوله لجوابى
لا تؤمل انى أقول لك اخسأ * لست أسخو بها لكل الكلاب

وحكى أبو القاسم بن برهان قال دخلت على أبى اسحق الصابئ وكان قد لحقه وجع المفاصل وقد أبل والمجلس عنده حافل وأراد أن يريهم انه قادر على الكتابة ففتح الدواة ليكتب فتطاولوا بالنظر الى كتابته فوضع القلم

وقال بديها

وجع المفاصل وهو أيسر ما لقيت من الاذى
جعل الذى استحسنته * والناس من حظى كذا
والعمر مثل الكاس يرسب فى أواخره القذى

وقد ألم بهذا المعنى أمين الدولة سبط التعاويذى وزاد فيه فقال

فمن شبه العمر كاسا يقر * قذاه ويرسب فى أسفله
فانى رأيت القذى طافيا * على صفحة الكأس من أوله

والامير سيف الدين بن المشد بقوله

أن ترقى الى المعالى أولو الفضل وساخت تحت الثرى السفهاء
فحباب المدام يعلو على الكأس محلا وترسب الاقذاء

وما أحسن قول ابن زياد فيه أيضا

باضطراب الزمان ترتفع الانذال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء راكدا فاذا حرك ثارت من قعره الاقذاء

وقول الآخر

بادر الى العيش فالايام راقدة * ولا تكن لصروف الدهر تنتظر
فالعمر كالكأس يبدو فى أوائله * صفوا وآخره فى قعره كدر

ولما مات أبو اسحق الصابئ رثاه الشريف أبو الحسن الموسوى بقوله

أعلمت من حملوا على الاعواد * أرأيت كيف خبا ضياء النادى
جبل هوى لو خر فى البحر اغتدى * من وقعه متتابع الازباد
ما كنت أعلم قبل حطك فى الثرى * ان الثرى يعلو على الاطواد

ومنها

بعدا ليومك فى الزمان فانه * أقذى العيون وفت فى الاعضاد
لا تطلبى يا نفس خلا بعده * فلمثله أعيى على المرتاد
فقدت ملاءمة الشكول بفقده * وبقيت بين تباين الاضداد
ما مطعم الدنيا بحلو بعده * أبدا وما ماء الحياة ببادى

كأنى قد دعوت بها سواها
سألقى دونها نبل الاعادى
وأرمى منهم من قد رماها
وأصبر للتجنى كل يوم
وما أنا بالصبور على قلاها
سلاها حين مال القلب عنها
ولم يعلق سواها هل سلاها
ومن هذا الذى عنى جفاها
على قرب ولم يدخل حماها
وضنت بالسلام على بخلا
وقد ضمنت لطارقها قراها
وعين حل فيها السحر لما
أحلت فى نواظرها قذاها
غدا الاعراض حظ مؤمليها
وأمسى اليأس غاية من رجاها
أودّ ومهجتى فى راحتيها
مدى الايام لو جعلت فداها
قال الامير وحين انتهى الى هذا الحدور أيت شدة تجمعه وفرط تحفزه وما يعانيه فى احضار ذهنه قطعته اشفاقا عليه (ومما وقع من هذا الباب) وكانت الاجازة فى وسط الشعر صلة لمعنى منقطع ما أخبرنى به الشيخ أبو عبد الله محمد ابن على القرمونى قال أنشد والدى الشيخ أبو الحسن على بن محمد العصبى القرمونى قول ابن الرومى
شهر الصيام مبارك
ما لم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته
فوقعت فى نفس العذاب
فقال هذان البيتان منقطعان ويحتاجان الى ما يصل بينهما فقال بديها

لك فى الحشاشة بروان لم تأوه * ومن الدموع روائح وغوادى
سلوامن الابراد جسمك فاننى * جسمى يسيل عليك فى الابراد
ومنها
الفضل ناسب بيننا اذلم يكن * شرفى مناسبة ولا ميلادى
ان لم تكن من أسرتى وعشيرتى * فلا نت أعلقهم يدا بفؤادى
أولا تكن عالى الاصول فقد وفى * عظم الجدود بسودد الاجداد

وهى طويلة ورثاه بغير ذلك أيضا وقال وقد ليم على رثائه له انى رثيت علمه وكان سنه أربعا وثمانين سنة ومات ابنه المحسن على كفره أيضا وابن ابنه هلال أسلم بآخر وتوفى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى

(يا صاحبى تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصور)
(تريا نهارا مشمسا قد شابه * زهر الربا فكأنما هو مقمر)

البيتان لابى تمام الطائى من قصيدة من الكامل يمدح بها المعتصم أولها

رقت حواشى الدهر فهى تمرمر * وغدا الثرى فى حليه يتكسر
نزلت مقدمة المصيف حميدة * ويد الشتاء جديدة لا تكفر
لولا الذى غرس الشتاء بكفه * قاسى المصيف هشائما لا تثمر
كم ليلة آسى البلاد بنفسه * فيها ويوم وبله متفجر
مطر يذوب الصحو منه وبعده * صحو يكاد من الغضارة يمطر
غيثان فالانواء غيث ظاهر * لك وجهه والصحو غيث مضمر
وندى اذا ادهنت به لمم الثرى * خلت السحاب أتاه وهو معذر
أربيعنا فى تسع عشرة حجة * حقا لهنك للربيع الازهر
ما كانت الايام تسلب بهجة * لو أن حسن الروض كان يعمر
أولا ترى الاشياء ان هى غيرت * سمجت وحسن الارض حين تغير

وبعده البيتان وبعدهما

دنيا معاش للورى حتى اذا * حل الربيع فانما هى منظر * أضحت تصوغ بطونها لظهورها
نورا تكاد له القلوب تنور * من كل زاهرة ترقرق بالندى * فكأنها عين اليه تحدر

وهى طويلة ومعنى تقصيا نظريكما أبلغا أقصى نظريكما وغاية ما تبلغانه واجتهدا فى النظر وتصور أصلها تتصور فحذف احدى التاءين (والشاهد فيهما) تشبيه المركب بالفرد فانه شبه الشمس الذى اختلط به ازهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب الى السواد بالليل المقمر فالمشبه مركب والمشبه به مفرد وقيل ولا يخلو هذا من تسامح

(كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى)

البيت من الطويل وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة فى أول هذا الفن وقبله

كأنى بفتخاء الجناحين لقوة * على عجل منها أطأطئ شمالى
تخطف خزان الانيم بالضحى * وقد حجرت منها ثعالب أورال

وبعده البيت وبعده
فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى

والحشف أردأ التمر والضعيف الذى لا نوى له أو اليابس الفاسد (والشاهد فيه) التشبيه المكفوف وهو أن يؤتى على طريق العطف أو غيره بالمشبهات أولا ثم بالمشبه بها فهنا شبه الرطب الطرى من قلوب الطير

اليوم فيه كأنه
من طوله يوم الحساب
والليل فيه كأنه
ليل التواصل والعتاب

﴿الباب الثالث فى بدائع بدائه التمليط﴾

التمليط هو أن يجتمع شاعران فصاعدا على تجريد أفكارهم وتجريب خواطرهم فى العمل فى معنى واحد وأما اشتقاقه فذكر ابن رشيق أنه من أحد شيئين اما أن يكون من الملاطين وهما جانبا السنام فى مرد الكتفين قال جرير
ظللن حوالى خدر أسماء وانتحى
بأسماء موار الملاطين أروح
فكأن كل قسيم أو بيت ملاط أى جانب من البيت أو القطعة والآخر أن يكون من الملاط وهو الطين يدخل فى البناء ويملط به الحائط تمليطا أى يدخل بين اللبن حتى يصير شيأ واحدا وأما الملط وهو الذى لا يبالى ما صنع والاملاط وهو الذى لا شعر له فى جسده فليس لاشتقاقه منهما وجه (قال على بن ظافر) فمن التمليط ما يكون بين شاعرين ومنه ما يكون بين شعراء ومنه ما يكون بقسيم لقسيم ومنه ما يكون ببيت لبيت ومنه ما يكون ببيتين لبيتين والفرق بينه وبين الاجازة أن التمليط يتفق فيه الشعراء قبل العمل على العمل

بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالى اذليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ولذا قال الشيخ عبد القاهر انه انما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا أن للجمع فائدة فى عين التشبيه وذكرت بهذا البيت ماضمنه الجمال ابن نباتة مجونا وهو

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فقالت لمادنوت واذلالى
وقالت امعكيه بالأنامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

(النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الاكف عنم)

البيت لمرقش الاكبر من قصيدة من السريع قالها فى مرثية عم له أولها

هل بالديار أن تجيب صمم * لوأن حيا ناطقا كلم
الدار وحش والرسوم كما * رقش فى ظهر الاديم قلم
ديار سلمى التى لبث * قلبى فعينى ماؤها يسجم
أضحت خلاء نبتها ثائد * نور فيها زهره فاعتم
بل هل شجتك الظعن باكرة * كأنهن النخل من ملهم

وبعده البيت ومنها لسنا كأقوام خلائقهم * نث الحديث ونكهة المحرم
ان يخصبوا يبغوا بخصبهم * أو يجدبوا فهم به ألأم

وهى قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن ولا حسنة الروى ولا متخيرة اللفظ ولا لطيفة المعنى قال ابن قتيبة ولا أعلم فيها شيأ يستحسن الاقوله النشر مسك البيت ويستجاد منها أيضا قوله

ليس على طول الحياة ندم * ومن وراء المرء مايعلم

النشر الريح الطيبة أو أعم أو ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم والعنم شجر لين الاغصان يشبه بنان الجوارى وقيل هى أطراف الخروب الشامى عن أبى عبيدة وقيل هو شجر له أغصان حمر وقيل هو ثمر العوسج يكون أحمر ثم يسود اذا عقد ونضج (والشاهد فيه) التشبيه المفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر وهو واضح فى البيت ونظيره قول المتنبى

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وتبعه أبو القاسم الزاهى فقال

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا
وأطلعن فى الاجياد بالدر أنجما * جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وممن نسج على هذا المنوال اسمعيل الشاشى فانه قال من قصيدة

رأيت على أكوارنا كل ماجد * يرى كل ماييقى من المال مغرما
ندوم أسيافا ونعلو قواضبا * وننقض عقبانا ونطلع أنجما

وقال أبو الحسن الجوهرى فى وصف الخمر الا انه ثلث التشبيه

يقولون بغداد التى اشتقت نزهة * تبا كرها والعبقرى المقيرا
اذا فض عنه الختم فاح بنفسجا * وأشرق مصباحا ونور عصفرا

ولبعض الشعراء فى غلام مغن

فديتك ياأتم الناس ظرفا * وأصلحهم لمتخذ حبيبا
فوجهك نزهة الابصار حسنا * وشدوك متعة الاسماع طيبا
وسائلة تسائل عنك قلنا * لها فى وصفك العجب العجيبا
رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شقائقا ومشى قضيبا

ولابن الاثير الجزرى

أو ينذبون لذلك وتكرر منهم المناوبة وهذان ليسا من شروط الاجازة (فمما وقع من التمليط بين شاعرين بقسيم لقسيم) وهذا النوع يسمى المماتنة ما أنبأنى به الشيخان تاج الدين الكندى وجمال الدين الخرستانى اجازة عن الامام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن عساكر الدمشقى قال أخبرنا محمد بن طاوس أخبرنا عاصم بن الحسن أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا الحسن بن صفوان حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنى أبو عدنان البصرى حدثنى الصامت بن مخبل اليشكرى سنة احدى وتسعين ومائة وأخبرنى به أبو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء قال أقبل امرؤ القيس حتى لقى التوأم اليشكرى وكان اسمه الحرث ويكنى أبا شريح فقال امرؤ القيس أحار ترى بريقا هب وهنا فقال التوأم كنار مجوس تستعر استعارا فقال امرؤ القيس أرقت له ونام أبو شريح فقال التوأم اذا ماقلت قدهدأ استطارا فقال امرؤ القيس كأن حنينه والرعد فيه فقال التوأم عشار وله لاقت عشارا فقال امرؤ القيس فلم يترك ببطن الارض ظبيا

منوّع الحسن يبدى من محاسنه * لأعين الناس أوصافا وأشكالا
فلاح بدرا ووافى دمية وذكا * مسكا وعلّ طلا وازورّ رئبالا
وافترّ درًّا وغنى بلبلا وسطا * عضبا وماس نقا واهتز عسالا

وما أحسن قوله أيضا

ان التى ملكتنى فى الهوى ملكت * مجامع الحسن حتى لم تدع حسنا
رنت غزالا وفاحت روضة وبدت * بدرا وماجت غديرا وانثنت غصنا

ولابن سكرة الهاشمى أيضا

فى وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد
الخد ورد والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

والمرقش اسمه عمرو وقيل عوف بن سعد بن مالك ينتهى نسبه لبكر بن وائل وهو أحد من قال شعرا فلقب به وهو أحد المتيمين كان يهوى ابنة عمّ له وهى أسماء بنت عوف بن مالك وكان المرقش الاصغر ابن أخى المرقش الاكبر واسمه ربيعة وقيل عمرو وهو عمّ طرفة بن العبد وهو أيضا أحد المتيمين كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويشبب بها وكان للمرقشين جميعا موقع فى بكر بن وائل وحروبها مع بنى تغلب وبأس وشجاعة ونجدة وتقدّم فى المشاهد ونكاية فى العدوّ وحسن أثر (وكان) من خبر المرقش الاكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف وهو غلام فخطبها الى أبيها فقال لا أزوّجك اياها حتى تعرف بالبأس وكان يعده فيها المواعيد الكاذبة ثم انطلق مرقش الى ملك من الملوك وكان عنده زمانا ومدحه فأجازه وأصاب عوفا زمان شديد فأتاه رجل من مراد فأرغبه فى المال فزوّجه أسماء على مائة من الابل ثم تنحى عن بنى سعد بن مالك ورجع مرقش فقال اخوته لا تخبروه الا أنها ماتت فذبحوا كبشا وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها فى ملحفة ثم قبروها فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت وأتوا به موضع القبر فنظر اليه وصار بعد ذلك يعتاده ويتردّد اليه ويزوره فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما اذ اختصما فى كعب فقال أحدهما هذا كعبى أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه وقالوا اذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام وكان قد ضنى ضنى شديدا فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزوّج المرادى أسماء فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من عقيل كان عشير المرقش فأمرها بأن تدعوله زوجها فدعته وكان له رواحل فأمره باحضارها ليطلب المرادى فأحضره اياها فركبها ومضى فى طلبه فمرض فى الطريق حتى ما يحمل الا معروضا ثم انهما نزلا كهفا بأسفل نجران وهى أرض مراد ومع العقيلى امرأته وليدة مرقش فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها اتركيه فقد هلك سقما وهلكنا معه ضرًّا وجوعا فجعلت الوليدة تبكى من ذلك فقال لها زوجها أطيعينى والا فانى تاركك وذاهب قال وكان مرقش يكتب كان أبوه دفعه وأخاه حرملة وكان أحب ولده اليه الى نصرانى من أهل الحيرة فعلمهما الخط فلما سمع مرقش قول العقيلى للوليدة كتب مرقش على مؤخر الرحل هذه الابيات

ياصاحبىّ تلبثا لا تعجلا * ان الرواح رهين أن لا تفعلا * فلعل لبثكما يفرّط سيئا
أو يحدث الاسراع سيئا مثقلا * ياراكبا اما وصلت فبلغن * أنس بن سعد ان لقيت وحرملا
لله درّكما ودرّ أبيكما * أن يفلت العقلىّ حتى يقتلا * من مبلغ الاقوام ان مرقشا
أضحى على الاصحاب عبأ مثقلا * وكأنما ترد السباع بشلوه * اذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

قال فانطلق العقيلى وامرأته حتى رجعا الى أهليهما فقالا مات المرقش ونظر حرملة الى الرحل وجعل يقلبه وقرأ الابيات فدعاهما وخوّفهما وأمرهما أن يصدقاه فأخبراه الخبر فقتلهما وكان العقيلى قد وصف له الموضع فركب فى طلب المرقش حتى أتى المكان فسأل عن خبره وعرف ان مرقشا كان فى الكهف * ولم يزل فيه حتى اذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه وأقبل راعيها اليها فلما أبصر به قال له من أنت وما شأنك

فقال التوأم
ولم يترك بجهلتها حمارا
فقال امرؤ القيس
فلما أن دنا القفا أضاخ
فقال التوأم
وهت اعجاز ريقه فحارا
فقال امرؤ القيس لا أتعنت على أحد بعد ذلك (وروى) ابن الكلبى عن أبيه قال حدّثنى شيخ من بنى زياد بن عبد المدان وكان عالما بقومه قال نشأ غلام من بنى جنب يقال له رفاعة ويقال له المحترش فنبغ فى الشعر وماتن شعراء قومه حتى أبرّ عليهم فلما وثق من نفسه بذلك قال لابيه لأخرجنّ فى قبائل اليمن فان وجدت أحدا يماتننى رجعت الى بلادى وان لم أصادف من يماتننى تقريت قبائل العرب فنزل بصرم من بنى فهد والحى خلوف فأتى حجرة عن جنب الخواء فاذا عجوز حيزبون قد أقبلت معتمة تتوكأ على محجن فقالت عم ظلاما فقال نعم ظلامك فقالت ممن الرجل قال فقلت من مذحج قالت من أيهم قلت من جنب قالت أضيف أنت فقلت نعم قالت فلا حياك الله ماعدوت أن تخلتنا وأسأت أحدوثتنا ثم أثارت ناقتى وكنتها فى خبائها وأمرت وليدة لها فجاءت بعتود يمرح فى اهابه سمنا وصدية وقالت اذبح أيها الرجل واعجنت

فقال له مرقش أنا رجل من مراد وقال له فراعي من أنت قال راعي فلان فاذا هو راعي زوج أسماء فقال له مرقش أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك قال لا ولا أدنو منها ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزا فآتيها بلبنها فقال له خذ خاتمي هذا فاذا حلبت فألقه في اللبن فانها ستعرفه وانك مصيب به خير الم يصبه راع قط ان أنت فعلت ذلك فأخذ الراعي الخاتم وفعل ذلك ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته وكذلك كانت تصنع فقرع الخاتم ثنيتها فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته فقالت للجارية ما هذا الخاتم قالت مالي به علم فأرسلتها الى مولاها وهو في شرف بنجران فأقبل فزعا فقال لها لم دعوتني فقالت له ادع عبدك راعي غنمك فدعاه فقالت سله أين وجد هذا الخاتم فقال وجدته مع رجل في كهف خبان وقال لي اطرحه في اللبن الذي تشرب به أسماء فانك تصيب به خيرا وما أخبرني من هو ولقد تركته بآخر رمق فقال لها زوجها وما هذا الخاتم قالت خاتم مرقش فأعجل الساعة في طلبه فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه الى أهليهما فمات عند أسماء فدفن في أرض مراد (وحدث التوزري) قال كان مساور الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبي بردة مجتمعين على شراب وكان حفص مرميا بالزندقة وكان أعمش أفطس أغضف مقبح الوجه فجعل حفص يعيب شعر المرقش ويلحنه فأقبل عليه مساور فقال

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل * وأنف كمثل العود عما تتبع
تتبعت لحنا في كلام مرقش * ووجهك مبني على اللحن أجمع
فأذناك اقواء وأنفك مكفأ * وعيناك ايطاء فأنت المرقع

فقام حفص من المجلس خجلا وهجره مدة

(صدغ الحبيب وحالي * كلاهما كالليالي)

هو من المجتث ولا أعرف قائله (والشاهد فيه) تشبيه التسوية وهو تعدد طرف المشبه وهو هنا الصدغ والحال دون المشبه به وهو الليالي ومثله قول أبي محمد المطراني

مهفهفة لها نصف قضيف * كخوط البان في نصف رداح
حكت لونا ولينا واعتدالا * ولحظا قاتلا سمر الرماح

(كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو أقاح)

البيت للبحتري من قصيدة من السريع يمدح بها أبا نوح عيسى بن ابراهيم أولها

بات نديما لي حتى الصباح * أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنما يضحك عن لؤلؤ * منظم أو برد أو أقاح

هكذا وجدت البيت في ديوانه

تحسبه نشوان أني رنا * للفتر من أجفانه وهو صاح
بت أفديه ولا أرعوي * لنهي ناه عنه أو لحي لاح
أمزج كأسي بجنى ريقه * وانما أمزج راحا براح
يساقط الورد علينا وقد * تبلج الصبح نسيم الرياح
أغضيت عن بعض الذي يتقى * من حرج في حبه أو جناح
سحر العيون النجل مستهلك * لبي وتوريد الخدود الملاح

والمنضد المنظم والبرد حب الغمام والاقاح جمع أقحوان وهو ورد له نور (والشاهد فيه) تعدد طرف المشبه به وهو هنا اللؤلؤ والبرد والاقاح دون المشبه وهو الثغر وقد جاء تشبيه الثغر بخمسة في قول الحريري

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

ومثل البيت المستشهد به قول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به برد أنيابها * اذا غرد الطائر المستحر

ومن محاسن تعدد التشبيه قول الصاحب بن عباد في وصف أبيات أهديت اليه

وامتلت وطبخت وقربت طعاما وجلست أنا وهي والوليدة فلما تعشينا قالت ما رمى بك الى هذه البلاد فأخبرتها خبري فضحكت وقالت بت فسأجيئك غدا بعشر خرائد تنتسك دون الرجال فان غلبت فارجع الى بلادك واعلم انك ترمي من مرام فبت فلما أصبحنا اذا العجوز قد أقبلت ومعها ثلاث فتيات كالمهرات فابتدرن الى الحجرة وأقبلت العجوز فحيتني وسألتني عن مبيتي ثم أومأت الى احداهن فأقبلت كالعيدانة يميلها الصبا فقالت أنت المتحدي بالمماتنة فقلت نعم فقالت قل أسمع فقلت

سوام تداعت سومها وبجافها

فقالت

حوامل أثقال تنوء فتزحح

فقلت

اذا أيهت في حجر تيها رعاؤها

فقالت

سمت فرق منها شوامر لقح

فقلت

نواتداعى بالحنين عشارها

فقالت

فتبرح نارا أو تبيت فتسنح

فقلت

اذا وصلت أرضا سقتها بدرها

فقالت

أفاويق رسل محضه لا تضيح

فقلت

اذا انسفحت أخلافها خلت

ماجري فقالت

أتتنى بالامس أبياته * تعلل روحى بروح الجنان * كبرد الشباب وبرد الشراب
وظل الامان ونيل الامانى * وعهد الصبا ونسيم الصبا * وصفو الدنان ورجع القيان

وقول الثعالبى فى الامير أبى الفضل الميكالى

لك فى المحاسن معجزات جمة * أبدا لغيرك فى الورى لم تجمع * بحران بحر فى البلاغة شابه
شعر الوليد وحسن لفظ الاصمعى * كالنور أو كالسحر أو كالدر أو * كالوشى فى برد عليه موشع

(صدفت عنه ولم تصدف مواهبه * عنى وعاوده ظنى فلم يخب)
(كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه لج فى الطلب)

البيتان لابى تمام من قصيدة من البسيط يمدح بها الحسن بن رجاء بن الضحاك أولها

أبدت أسى ان رأتنى مخلس القصب * وآل ما كان من عجب الى عجب
ست وعشرون تدعونى فاتبعها * الى المشيب ولم تظلم ولم تحب
يومى من الدهر مثل الدهر تجربة * حزما وعزما وساعى منه كالحقب
وأصغرى أن شيبا لاح بى حدثا * وأكبرى أننى فى المهد لم أشب
ولا يورقك ايماض القتير به * فان ذاك ابتسام الرأى والادب

يقول فى مديحها

ستصبح العيس بى والليل عندفتى * كثير ذكر الرضى فى ساعة الغضب

وبعده البيتان ومعنى صدفت أعرضت وريق كل شئ أوله وأصله والرواية فى ديوان أبى تمام مروءته بدل مواهبه وكان بدل لج وذكرت بقوله فان ذاك ابتسام الرأى والادب قول أبى الحسن على بن طاهر بن منصور

أعرضت حين أبصرت شعرات * فى عذارى كأنهن الثغام
قلت هذا تبسم الدهر قالت * قد سعى فى صدودك الابتسام

(والشاهد فى البيتين) التشبيه المجمل المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به فانه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه أعنى الافاضة فى حالتى الطلب وعدمه وحالتى الاقبال عليه والاعراض عنه

(وثغره فى صفاء * وأدمعى كاللآلى)

البيت من المجتث وهو كالبيت السابق (والشاهد فيه) التشبيه المفصل وهو ما ذكر فيه وجه الشبه وهو هنا الصفاء

(حملت ردينيا كأن سنانه * سنا لهب لم يتصل بدخان)

البيت لامرئ القيس من قصيدة من الطويل أولها

لمن طلل أبصرته فشجانى * كخط زبور فى عسيب يمانى * ديار لهند والرباب وفرتنى
ليالينا بالنعف من بدلان * ليالى يدعونى الصبا فأجيبه * وأعين من أهوى الى روانى
فان أمس مكروبا فيارب بهمة * كشفت اذا ما اسود وجه جبان * وان أمس مكروبا فيارب قينة
منعمة أعملتها بكران * لهامزهر يعلوا الخميس بصوته * أجش اذا ما حركته يدان

وهى طويلة والردينى الرمح نسبة الى امرأة كانت تعمل الرماح اسمها ردينة (والشاهد فيه) تفصيل التشبيه وهو على وجوه أعرفها أن يأخذ بعضا من الاوصاف ويدع بعضا كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن السنا وجرده وذكرت بأبيات امرئ القيس هذه تضمين أبى الحسن الاشبيلى لبعضها وكان قد تناول من يد معذر الاشعار الستة فأول ما وقعت عينه على قصيدة امرئ القيس هذه قال

وذى صلف خط العذار بخده * كخط زبور فى عسيب يمانى

على الارض منه لجة تتضحضح فقلت
أمطلقة أم ذات بعل
فقالت
عقال لعمر والله لو شئت بته
شرادى ولكن التكرم أجدر
فقمت الى راحلتى فقالت
العجوز رويت أم أحاب
لك أخرى فقلت أرونى
الاولى فقالت الحق الآن
بأرضك فخرجت أريد
الرجوع الى قومى فأبى بى
اللجاج الا قصد ما خرجت
اليه فدفعت الى صرم من
جرم فاذا صبيان على غدير
يرتجزون فدعوت غلاما
منهم من أبشرهم فقلت
ياغلام هل فى صرمكم من
يماتننى فانى قد برزت على
شعراء العرب فقال
أنا فقلت أنت أيها الفصيعل
فقال
قل ودع عنك مالا يجدى
فقلت
أوابد كالجزع الظفارى أربع
فقال
جاهن جون الطرتين مولع
فقلت
يرود بهن الروض فى الامن
جاره فقال
وأحلى لهن المستضى والمودع
فقلت
فلما اشتكت امات قرد انه السفا
فقال
وخب على البيد السفير المدع
فقلت

فقلت له مستفهما كنه حاله * لمن طلل أبصرته فشجانى
فقال ولم يملك عزاء لنفسه * تمتع من الدنيا فانك فانى
فما كان الا برهة اذرأيته * كتيس ظباء الحلب والعدوان

(لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا * الا بوجه ليس فيه حياء)
البيت للمتنبى من قصيدة من الكامل يمدح بها هرون بن عبد العزيز الأوارجى وأولها
أمن ازديارك فى الدجى الرقباء * اذ حيث كنت من الظلام ضياء
قلق المليحة وهى مسك هتكها * ومسيرها فى الليل وهى ذكاء
أسفى على أسفى الذى دلهتنى * عن علمه فبه على خفاء
وشكيتى فقد السقام لانه * قد كان لما كان لى أعضاء
مثلت عينك فى حشاى جراحة * فتشابها كلتاهما نجلاء
نفذت على السابرى وربما * تندق فيه الصعدة السمراء
انا صخرة الوادى اذا مازوحمت * فاذا نطقت فاننى الجوزاء
واذا خفيت على الغبى فعاذر * أن لا ترانى مقلة عمياء
ومنها
فاذا سئلت فلا لانك محوج * واذا كتمت وشت بك الالاء
واذا مدحت فلا لتكسب رفعة * للشاكرين على الاله ثناء
واذا مطرت فلا لانك مجدب * يسقى الخصيب وتمطر الدأماء
(والشاهد فى البيت) التصرف فى التشبيه القريب المبتذل بما يجعله غريبا ويخرجه عن الابتذال فان تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتذل لكن حدوث الحياء عنه قد أخرجه عن الابتذال الى الغرابة لاشتماله على زيادة دقة وخفاء ثم ان كان قوله لم تلق من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكنى غير مصرح وان كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبئ عن التشبيه أى لم تقابله ولم تعارضه فى الحسن والبهاء الا بوجه ليس فيه حياء ومثله قول الآخر
ان السحاب لتستحى اذا نظرت * الى نداك فقاسته بما فيها

(عزماته مثل النجوم ثواقبا * لو لم يكن للثاقبات أفول)
البيت لرشيد الدين الوطواط من قصيدة من الكامل والثواقب جمع ثاقب وهو النجم المرتفع على النجوم والأفول الغيبة (والشاهد فيه) كما فى البيت الذى قبله فان تشبيه العزم بالنجم مبتذل لكن الشرط المذكور أخرجه الى الغرابة ويسمى هذا التشبيه المشروط وهو أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودى أو عدمى يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام وسيأتى ذكر الوطواط فى شواهد التفريق ان شاء الله تعالى

(والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء)
البيت من الكامل ولا أعرف قائله وعبث الريح بالغصون عبارة عن امالتها اياها والاصيل هو الوقت من بعد العصر الى الغروب يوصف بالصفرة قال الشاعر
ورب نهار للفراق أصيله * ووجهى كلا لونيهما متناسب
وما أحسن قول الخطيب أبى القاسم بن معاوية فيه
كأن الموج فى عبريه ترس * تذهب متنه كف الاصيل
وقوله أيضا
لجدوله فى سرحة الماء منصل * ولكنه فى الجذع عطف سوار
وأمواجه أرداف غيد نواعم * تلفعن بالآصال ريط نضار

وشبت على الاكباد نارمن الصدى فقال
تظل لنا بين الحيازيم تسفع
فقلت أولى لك وامتطيت راحلتى حتى دفعت الى شيخ يرعى غنيمات له فاستقريته فقام مبادرا الى قعب له فاحتلب ما كان فى ضروعهن ثم جاءنى به فشربت فلما اطمأننت قال مارمى بك الى هذا القطر فاخبرته وكتمت مالاقيت فكشر وصاح بغلمة يرعون قريبا منه فأقبل غلام منهم فقال ادع عشرقة فالبث أن أقبلت جويرية عجفاء كأنها وبيلة خيسفوج حتى وقفت بين يديه فقال ان ابن عمك هذا خرج من بلاده يتحدى بالمماتنة فهل عندك شئ فقالت قل أيها المتحدى وانم التقلب عينيها كعينى الارقم فقلت فما ابنة زرقاء فى ظل صخرة فقالت
ذخيرة غزاء الذرى جونة النضد فقلت
نفى سيلان الريح عن متنها القذى فقالت
وذادت غصون الايك عن متنها الوفد فقلت
سبائب مجاج اخلص الديرار به فقالت
بصهباء صرف حبب عن صفوها الزبد

ومثله لابن الابار ونهر كاذابت سبائك فضة * حكى بمحانيه انعطاف الاراقم

اذا الشفق استولى عليه احمراره * تبدّى خضيبا مثل دامى الصوارم

ولابن قلاقس فى تشبيه الشمس وقت الاصيل

والشمس فى وقت الاصيل بهارة لفت بورد

وله أيضا فى معنى ما سبق كأن الشعاع على متنه * فرند بصفحة سيف صدى

وأشبه اذ درّجته الصبا * برادة تبر على مبرد

ومن بديع ما وقع لشاعر فى وصف نهر جعده النسيم قول ابن حمديس وقد جلس فى متنزه باشبيلية ومعه جماعة من الادباء وقد هبت ريح لطيفة صنعت من الماء حبكا جميلة فأنشد حاكت الريح من الماء زرد واستجاز الحاضرين فأتوا عالم يرض الى أن قال الشاعر المشهور بالحجام مجيزا له هو درع لقتال لو جمد ومن الاندلسيين من ينسب هذا البيت الى أبى القاسم بن عباد ولابن حمديس المذكور مطلع قصيدة من وزن هذا البيت وقريب من معناه وهو

نثر الجوّ على الترب برد * هو درّ لنحور لو جمد لؤلؤ أصدافه السحب التى * أنجز البارق فيها ما وعد

ومن بديع ما وقع له فيهما من التشبيه أيضا قوله

وكأن الصبح كف حلّت * من ظلام الليل بالنور عقد

وكأن الشمس تجرى ذهبا * طائرا من جيده فى كل يد

ومن بديع ما يذكر فى معنى البيت المستشهد به قول عبد العزيز بن المنفتل القرطبى أو ابن الحداد

انى أرى شمس الاصيل عليلة * ترتاد من بين المغارب مغربا

مالت لتحجب شخصها فكأنها * مدّت على الدنيا بساطا مذهبا

وما أحسن قول ابن لؤلؤة الذهبى

وما ذهبت شمس الاصيل عشية * الى الغرب حتى ذهبت فضة النهر

وما أبدع قول الآخر أيضا

ونهر اذا ما الشمس حان غروبها * عليه ولاحت فى ملابسها الصفر

رأينا الذى أبقت به من شعاعها * كأنا أرقنا فيه كأسا من الخمر

وقول ابراهيم بن خفاجة أيضا

وقد غشى النبت بطحاءه * كبدو العذار بخدّ أسيل

وقد ولت الشمس محتثة * الى الغرب ترنو بطرف كحيل

كأن سناها على نهره * بقايا نجيع بسيف صقيل

وبديع أيضا قول ابن سارة هنا

النهر قد رقت غلالة صفوه * وعليه من صبغ الأصيل طراز

تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الأعجاز

وما أعذب قول الحسن بن سراج فيه

عمرى أبا حسن لقد جئت التى * عطفت عليك ملامة الاخوان

لما رأيت اليوم ولى عمره * والليل مقتبل الشبيبة دانى

والشمس تنفض زعفرانا بالربا * وتفت مسكتها على الغيطان

أطلعتها شمسا وأنت صباحها * وحففتها بكواكب الندمان

وأتيت بدعا فى الانام مخالدا * فيما قرنت ولات حين قران

وما أبدع قول عيسى بن لبون أيضا

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكب أحيانا وينحدر

فتركت ما قصدت له ومالت الى جهة أخرى ووصفت ناقة فقالت

اذا انتسج الحرباء فى رأس عوده فقالت

وألجأ أم الحسل فى مائها الصفد فقالت

أثارت تنوا بين تحت حجاجها فقالت

حواتك أشباه كرانية الجلد

قال فرحت وآليت أن لا أماتن أحدا ما عشت

(تفسير ما فى الكلام والشعر) العتود الجذع من الغنم أو فوق ذلك والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر

واذا مشين مشين غير جوارب * هز الجنوب نواعم العيدان

والشوامر التى قد شالت بأذيالها أى رفعتها والنواء السمان الواحدة ناوية قال الشاعر

ألا يا حمز للشرف النواء * وهن معقلات بالفناء

والبارح الذى يمر ومياسره عن مياسرك والسانح الذى يمر وميامنه عن ميامنك وأهل نجد يتيامنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح وأهل الحجاز يخالفونهم فى ذلك وأفاويق جمع فواق ويمكن أن يكون جمع فيقة وهى السكتة بين المطرتين والسكتة بين الحلبتين قال حتى اذا فيقة فى ضرعها اجتمعت

والارض مصفرة بالمزن كاسية * أبصرت تبراعليه الدر ينتثر
وبديع أيضا قول أبي العلاء المعري
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ * ـر فغطى المشيب بالزعفران
وقول أسعد بن ابراهيم بن أسعد بن بليطة
لو كنت شاهدنا عشية أنسها * والمزن يبكينا بعيني مذنب * والشمس قد مدت أديم شعاعها
في الارض تجنح غيران لم تذهب * خلت الرذاذ برادة من فضة * قد غربلت من فوق نطع مذهب
ولابن حمديس في وصف نهر ألقت الشمس عليه حمرتها عند الشروق من أبيات
ومشرق كيمياء الشمس في يده * ففضة الماء من القائها ذهب
ومثله أيضا قول أبي العلاء المعري
يظن به ذوب اللجين فان بدت * له الشمس أجرت فوقه ذوب عسجد
وبديع قول الشريف أبي القاسم شارح مقصورة حازم
وغريبة الانشاء سرنا فوقها * والبحر يسكن تارة ويموج
بجنا نؤم بها معاهد طالما * كرمت فعاج الحسن حين تعوج
وامتد من شمس الاصيل أمامنا * نور له مرءى هناك بهيج
فكأن ماء البحر ذائب فضة * قد سال فيه من النضار خليج
وبديع قول ابن العطار وهو في معنى قول ابن حمديس السابق وهو
مررنا بشاطي النهر بين حدائق * بها حدق الازهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق
وقوله أيضا
هبت الريح بالعشي فحاكت * زرد اللغدير ناهيك جنه
فانجلى البدر بعد هدء فصاغت * كفه للقتال فيه أسنه
(والشاهد في البيت) حذف أداة التشبيه ويسمى التشبيه المؤكد وهو هنا تشبيه صفرة الاصيل بالذهب
وبياض الماء وصفائه باللجين وهو الفضة ومن محاسن التشبيه من غير أداته قول الواوا الدمشقي
قالت وقد فتكت فينا لواحظها * مهلا أما للقتيل الحب من قود
وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد
ومثله قول الحريري
سألتها حين زارت نضو برقعها الـ * ـقاني وايداع سمعي أطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر * وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر
وقوله أيضا
وأقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح أقلهما * غصن وضرست البلور بالدرر
وقول الغزي الشاعر
ومانسيت ولا أنسى تبسمها * وملبس الجو غفل غير ذي علم
حتى اذا طاح عنها المرط من دهش * وانحل بالضم عقد السلك في الظلم
تبسمت فأضاء الجو فالتقطت * حبات منتثر في ضوء منتظم
وقول أبي طالب المأموني
عزماتهم قضب وفيض أكفهم * سحب وبيض وجوههم أقمار
وقول صردر
الباذلي العرف والانواء باخلة * والمانعي الجار والاعمار تخترم
حيث الدجى النقع والفجر الصوارم والاسد الفوارس والخطية الأجم
وقول محمد بن حمدون القنوع من قصيدة في شبل الدولة ابن صالح لما هزم ملك الروم

جاءت لترضع شق النفس لو رضعا والضيح اللبن الذي صب فيه ماء وكذلك المذق قال الراجز امتضحا وأسقياني ضيحا فقد كفيت صاحبي الميحا وانسغمت انصبت وبه سمي السفاح التغلبي لانه سفح ماء أصحابه وقال لا ماء لكم دون الكلاب قال
وأخوهما السفاح ظمأ خيله حتى وردن جبا الكلاب نهالا
الجبا الماء بعينه والجبا الحوض أيضا والضحضاح الماء القليل يضطرب على وجه الارض والخسفوج القطوف والخشب اليابس (ومن ذلك) ما رواه أبو عزبة قال أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع فلحق الربيع بن أبي الحقيق نازلا من أطمه فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة وكانت سوقا عظيمة فحاصت بالنابغة ناقته فقال
كادت تهال من الاصوات راحلتي
ثم قال يا ربيع أجز فقال
والنفر منها اذا ما أوجست خلق
فقال ما رأيت كاليوم شعرا ثم قال أجز
لولا أنهنهها بالزجر لاجتذبت
فقال
مني الزمام واني راكب لبق
فقال النابغة
قد ملت الحبس في الآطام واشتعفت

لسوادر وعامن ظبالك تقيهم * كانت عليهم للحتوف شبا كا
نالت بك العرب الغنى من مالهم * وتقاسمت أترا كك الاترا كا
لولم ينر جعلت صفحة خده * مثلا وقوسى حاجبيه شرا كا

أردت البيت الاخير ومنه قول أبي حفص عمر المطوعي

ومعسول الشمائل قام يسعى * وفي يده رحيق كالحريق
فأسقاني عقيقا حشو در * ونقلني بدر في عقيق

وما أبدع قول أبي الحسن العقيلي

وللاقاحي قصور كلها ذهب * من حولها شرفات كلها درر

(ولنذكر) هنا طرفا من التشبيهات على اختلاف أنواعها وغريب أساليبها واختراعها فمن ذلك قول منصور بن كيغلغ وهو

عاد الزمان عن هويت فأعتبا * ياصاحبي فاسقياني واشربا
كم ليلة سامرت فيها بدرها * من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
قام الغلام يديرها في كفه * فحسبت بدر التم يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنه * قد سل فوق الماء سيفا مذهبا

وأحسن ما سمع في هذا المعنى قول التنوخي

أحسن بدجلة والدجى متصوب * والبدر في أفق السماء يغرب
فكأنها فيه بساط أزرق * وكأنه فيها طراز مذهب

ولابي فراس في وصف الجلنار

وجلنار مشرق * على أعالي شجره
كأن في رؤسه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * في خرق معصفره

ولابي الفرج الببغاء في وصف كانون نار من أبيات وتعزى الى السرى الرفاء أيضا

وذي أربع لا يطيق النهوض * ولا يألف السير فيمن سرى
تحمله سبجا أسودا * فيحمله ذهبا أحمرا

وله في معناه أيضا

وأحدقنا بأزهرنا * فقات حوله العذب
فما ينفك عن سبج * يعود كأنه ذهب

وله فيه أيضا

والتهبت نارنا فنظرها * يغنيك عن كل منظر عجب
اذا رمت بالشرار واضطرمت * على ذراها مطارف اللهب
رأيت ياقوتة مشبكة * تطير منها قراضة الذهب

ولابن محمد الخالدي في معناه

ومقعد لا حراك ينهضه * وهو على أربع قد انتصبا * مصفر محرق تنفسه
تخاله العين عاشقا وصبا * اذا تناسمنا في جيده سبجا * صيره بعد ساعة ذهبا

ولابي بكر الخالدي في وصف الصباح من هذه القصيدة أيضا

طوى الظلام البنود منصرفا * حين رأى الفجر ينشر العذبا
والليل من فتكة الصباح به * كراهب شق جيبه طربا

وللسرى الرفاء في مثله

كراهب جن للهوى طربا * فشق جلبابه من الطرب

وله في معناه أيضا

والفجر كالراهب قد مزقت * من طرب عنه الجلابيب

وما أحسن قول ابن حبان الكاتب أيضا

كأنما الفحم والزناد وما * تفعله النار فيهما لهبا * شيخ من الزنج شاب مفرقه * عليه درع منسوجة ذهبا

فقال
الى منا هله الوآن طلق
فقال النابغة يار بيع أنت
أشعر الناس (ومن ذلك)
ما رواه ابراهيم بن المدبر عن
ابراهيم بن العباس الصولي
قال وحدثني به دعبل أيضا
وكانا متفقين قال كنا نطلب
جميعا الشعر نخرج ناسنة
وكنا في محل فابتدأت أقول
في المطلب بن عبد الله
أمطلب أنت مستعذب
فقال دعبل
لسمر المنايا ومستقتل
فقلت
فان أسف منك تكن سبة
فقال دعبل
وان أعف عنك فما تفعل
(وذكر الصولي في كتاب
الوزراء) قال حدثني محمد
ابن يحيى قال قدم أعرابي
اسمه عتبة يقول الشعر
وكان ظريفا من الاعراب
فضمه الحسن بن وهب اليه
فاجتمع الحسن يوما وابراهيم
ابن العباس فقال لهما عتبة
هذا ان كنتما تقولان الشعر
بالعجلة فاهجواني فقال الحسن
ان طلل في رأس عتبة مقبل
فقال ابراهيم
عفته رياح الصفع تعلو وتسفل
فقال الحسن
شكا ما يلاقيه من الصفع رأسه
فقال ابراهيم
تناوبه منه جنوب وشمال
فقال الاعرابي والله لئن لم
تمسكا لأخرجن من البلد
(وذكر الصابي في كتاب

الوزراء والكتاب) قال روى أبو الفتح منصور بن محمد بن المقتدر الاصفهاني قال كان أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر من وجوه أهل اصفهان وأعيانهم ورؤسائهم فحدثني أنه رأى في منامه قائلا يقول له لم لم ترث الصاحب بن عباد مع فضائك وشعرك فقلت ألجمني كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ منها وخفت أن أقصر وقد ظن بي الاستيفاء لها فقال أجز ما أقول فقلت قل فقال

ثوى الجود والكافي معا في حفيرة فقلت

ليأنس كل منهما بأخيه فقال

هما اصطحبا حيين ثم تعانقا فقلت

ضجيعين في قبر بباب دريه فقال

اذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم فقلت

أقاما الى يوم القيامة فيه

(ومن ذلك) ما أخبر به أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في كتابه المسمى بالحديقة قال أخبرني محمد بن حبيب القلانسي الشاعر قال حضرنا ليلة بمجلس السلطان أبي يحيى تميم بن المعز بن باديس فالتفت حميد بن سعيد الشاعر الى مملوكين من مماليكه قد جمعا بين رأسيهما متناجيين فقال لي ملط انظر الى اللتين قد حكيا فقلت

ولاخيه

وقول مجير الدين بن تميم وكأنما النار التي قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها المتضرم

سوداء أحرق قلبها افلسانها * بسفاهة للحاضرين يكلم

وقوله أيضا كأنما نارنا وقد خمدت * وجمرها بالرماد مستور

دم جرى من فواخت ذبحت * من فوقها ريشهن منشور

وقوله أيضا كأنما النار في تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها

زنجية شبكت أناملها * من فوق نارنجة لتخفيها

وقول الآخر كأن كانوننا سماء * والجمر في وسطه نجوم

ونحن جن بحافتيه * والشرر الطائر الرجوم

وبديع أيضا قول ابن مكنسة

ابريقنا عاكف على قدح * كأنه الام ترضع الولدا أو عابد من بني المجوس اذا * توهم الكاس شعلة سجدا

وفي معنى البيت الثاني قول القاضي أبي الفتح بن قادوس

وليلة كاغماض الجفن قصرها * وصل الحبيب ولم تقصر عن الامل

وكلما رام نطقا في معاتبتي * سددت فاه بنظم اللثم والقبل

وبات بدر تمام الحسن معتنقي * والشمس في فلك الكاسات لم تفل

فبت منها أرى النار التي سجدت * لها المجوس من الابريق تسجد لي

ومن بديع التشبيه وغريبه قول ابن حمديس من أبيات

حمراء تشرب بالانوف سلافها * لطفا مع الاسماع والاحداق

بزجاجة صور الفوارس نقشها * فترى لها حربا بكف الساقي

وكأنما سفكت صوارمها دما * لبست به عرفا الى الاعناق

وكأن للكاسات جرغلائل * ازرارها دار على الاطواق

وما أحسن قول ابن عطية أيضا

بتنا نديرالراح في شاهق * ليلا على نغمة عودين * والنار في الارض التي دوننا مثل نجوم الجو في العين * فياله من منظر مونق * كأننا بين سماءين

وما أحسن قول الخالدي من قصيدة أولها

لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج * لأرتك سالفتي غزال أدعج

أرعى النجوم كأنها في أفقها * زهر الاقاحي في رياض بنفسج

والمشترى وسط السماء تخاله * وسناه مثل الزئبق المترجرج

مسمار تبر أصفر ركبته * في فص خاتم فضة فيروزج

وتمايل الجوزاء يحكي في الدجا * ميلان شارب قهوة لم تمزج

وتنقبت بخفيف غيم أبيض * هي فيه بين تخفر وتبرج

كتنفس الحسناء في المرآة اذ * كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه بديع لم يسبق اليه ومثله قول أبي حفص بن برد

والبدر كالمرآة غير صقلها * حيث الغواني فيه بالأنفاس

وقول ابن طباطبا العلوي متى أبصرت شمسا تحت غيم * ترى المرآة في كف الحسود

يقابلها فيلبسها غشاء * بأنفاس تزايد في الصعود

وللخالدي في وصف النجوم كأنما أنجم السماء لمن * يرمقها والظلام منطبق

مال بخيل يظل يجمعه * من كل وجه فليس يفترق

ولاخيه أبي عثمان الخالدي في وصف النجوم أيضا

وليلة ليلاء في اللون كلون المفرق * كأنما نجومها في مغرب ومشرق

دراهم منثورة * على بساط أزرق

ومن التشبيه النفيس قول ابن حمديس في وصف خضاب الشيب

وكأن الخضاب دهمة ليل * تحته للشيب غرة صبح

وقوله أيضا في تشبيه العذار من أبيات

أودب بالحسن فوق عارضه * نمل أصاب المداد أرجلها

وقوله أيضا في وصف الشمعة

كأنها راقصة بيننا * لم تنتقل بالرقص من اقدم قائمة في ملبس أصفر * قد حركت منه لنا فردكم

وبديع قوله أيضا في وصف الشيب

ولي شبابي وراع شيبي * مني سرب المها وفضه كأنما المشط في عيني * يجر منه خيوط فضه

وللواوا الدمشقي ولرب ليل ضل عنه صباحه * وكأنه بك خطرة المتذكر

والبدر أول ما بدا متلثما * يبدي الضياء لنا بخد مسفر

فكأنما هو خودة من فضة * قد ركبت في هامة من عنبر

ولابي طالب الرفا في وصف اترجة مقنعة

مصفرة الظاهر بيضاء الحشى * أبدع في صنعتها رب السما

كأنها كف محب دنف * مبعد يحسب أيام الجفا

ولابن لنكك البصري وروض عبقري الوشي غض * يشاكل حين زخرف بالشقيق

سماء زبرجد خضراء فيها * نجوم طالعات من عقيق

وللنغري الكاتب في الباقلاء الاخضر

فصوص زبرجد في غلف در * باقماع حكت تقليم ظفر

وقد صاغ الاله لها ثيابا * لها لونان من بيض وخضر

ولعبدان الخوزي في قينة

لنا قينة تحمي من الشرب شربنا * فقد أمنوا سكرا وخوف خمار

تكشر عن أنيابها في غنائها * فتحكي حمارا شم بول حمار

وما ألطف قول عبد الله بن النطاح في أحدب

وقصير قد جمعت أعضاؤه * ليكون في باب الخلاعة أطبعا * قصرت أخادعه وغاص قذاله

فكأنه متوقع أن يصفعا * وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

وبديع قول السراج الحاربجو امرأة سوداء زامرة

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر * شبهت أنملها على صرنايها

وقبيح مبسمها الشنيع الابخر * بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

وهو من قول الاول يهجو زامرا أسود أيضا

فكأنها في حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

وقول محمد بن الحسن المصري الكاتب

رأيت يحيى اذا أفاد الغنى * هاج به ذكر ووسواس

كأنه كلب على جيفة * يخاف أن يطرده الناس

وقول البساحي في رجل لبس خلعة تطول عليه و يقصر عنها

جنى ظلام على صباحين

فقال

فاعجب لغصنين كلما انعطفا

فقلت

ماسا من اللين في وشاحين

فقال

ظبيان يحمي حماهما أسد

فقلت

لولاه كانا لنا مماحين

فقال

فلو تدانيت منهما لدنت

فقلت

مني في الحين أسهم الحين

(ومن ذلك) ماروي أن المعتمد بن عباد ركب في يوم قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد هذا المؤذن قد بدا بأذانه

فقلت

يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال

طوبى له من شاهد بحقيقة

فقلت

ان كان عقد ضميره كلسانه

(وأخبرني) الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الوهاب بن خليف بالاسكندرية قال أخبرني الاديب المعروف بابن رزين قال أخبرني عبد الجبار بن حمديس الصقلي قال أقمت باشبيلية لما قدمتها وافدا على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الي ولا يعبأ بي حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي فاني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي اذ أتاني

كأنه لما بدا طالعا * فى خلعة يقصر عن لبسها جارية رعناء قد قدرت * ثياب مولاها على نفسها

ولطيف قول ابن قلاقس فى عواد اسمه حسن

حسن ملاوى عوده * مهما تناوله مساوى * وكأنه ان جسه

من بعد تحرير الملاوى * كلب تجاذب كفه * أنشوطة والكلب عاوى

ولابى طالب المأمونى فى رمانة تفت

رمانة مازلت مستخرجا * فى الجام من حقتها جوهرا فالجام أرض و بنانى حيا * يمطر منها ذهبا أحمرا

وللصادع بالحق الواثق وأجاد

وليلة شاب بها المفرق * بل جمد الناظر والمنطق * كأنما الخم الغضا بيننا

والنار فيه ذهب محرق * أوسبج فى ذهب أحمر * بينهما النينوفر أزرق

وللامام أبى عامر التميمى رحمه الله تعالى

يارب كوماء خضبت نحرها * بمدية مثل القضاء السابق

كأنها والدم حبس حولها * سوسنة زرقاء فى شقائق

وله فى وصف الرمان خذوا صفة الرمان عنى فان لى * لسانا عن الاوصاف غير قصير

حقاق كأمثال الكرات تضمنت * فصوص بلخش فى غشاء حرير

وله فى النرجس يا نرجسا لم تعد قامته * سهم الزمرذ حين تنتسب

فرصافه عظم وقدته * قطع اللجين وفوقه ذهب

ولابى منصور البغوى رحمه الله تعالى

تراءت لنا من خدرها بسوالف * كما لاح بدر من خلال سحاب

وهز الصباصدغا لها فوق خدها * كما روحت نار بريش غراب

ولنصر بن يسار الهروى فى تفاحة معضوضة

تفاحة قد عضها قمر * عمدا ومسك موضع العضه * وكأن عضته ممسكة

صدغ أحاط بوجنة غضه * وكأنما نونان قد كتبا * بالمسك فى كرة من الفضه

وله أيضا وبدا لنا بدر الدجى والليل قد * شمل الانام بفاضل الجلباب

غطى الكسوف عليه الالمعة * فكأنه حسناء تحت نقاب

وله فى النرجس ونرجس غادرنى * ما بين عجب وعجب كطبق من فضة * عليه كأس من ذهب

وما أبدع قول أسعد بن ابراهيم بن بليطة

أحبب بنور الاقاح نوارا * عسجده فى لجينه حارا

كأن ما اصفر من موسطه * عليل قوم أتوه زوارا

كأن مبيضه صقالبه * كانوا مجوسا فاستقبلوا نارا

كأنه ثغر من هويت وقد * وضعت فيه بفى دينارا

ومن بديع ماقيل فيه قول ابن عباد الاسكندرى أيضا

كأن شمعته من فضة حرست * خوف الوقوع بمسمار من الذهب

وقول ظافر الحداد الاسكندرى أيضا

والاقحوانة تحكى ثغر غانية * تبسمت فيه من عجب ومن عجب * كشمعة من لجين فى زبرجدة

قد شرفت تحت مسمار من الذهب * وللشقائق جمر فى جوانبها * بقية الفحم لم تستره باللهب

ومن لطيف التشبيه قول محمد بن عبد الله بن طاهر فى الورد

أما ترى شجرات الورد مظهرة * منها بدائع قد ركبن فى قضب * أوراقها حمر أوساطها جمم

غلام ومعه شمعة ومركوب فقال لى أجب السلطان فركبت من فورى ودخلت عليه فأجلسنى على مرتبته وقال افتح الطاق الذى يليك ففتحته فاذا بكوز زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لى ملط انظرهما فى الظلام قد نجما فقلت

كما رنا فى الدجنة الاسد

فقال

يفتح عينيه ثم يطبقها

فقلت

فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال

فابتزه الدهر نور واحدة

فقلت

وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية وألزمنى خدمته (وأخبرنى) رجل من التجار يعرف بأبى الفضل بن فتوح المصرى قال سكنت بدار فى الخطة المعروفة بدويرة خلف فرأيت جميع جدران المنزل مكتوبة بأخبار بديعة وأشعار مستحسنة السبك ووجدت فى جملتها لما دخلت بجاية عند عبورى اجتزت فى بعض الايام بصديق لى من المعلمين وهو فى مكتبه وصبيانه قد حفوا به فأحضر صبيا منهم وقال لى اختبره فانه يقول الشعر الجيد فقلت له

أجز وشادن ذى شطاط

صفر ومن حولها خضر من الشطب * كأنهن يواقيت يطيف بها * زمرد وسطه شذر من الذهب
ولابى الحكم مالك بن المرحل يصف قصر الليل وآجاد
وعشية سبق الصباح عشاؤها * قصراً فأمسيت حتى أسفرا * مسكية لبست حلى ذهبية
وجلا تبسمها نقاباً أحمرا * وكأن شهب الرجم بعض حليها * عثرت به من سرعة فتكسرا
وما أحسن قول صفوان بن ادريس من أبيات
والورد فى شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء
وما ألطف قول بعضهم وشادن أبصرته راكبا * فى كفه جوكانه يلعب
كالبدر فوق البرق فى كفه * هلاله والكرة الكوكب
ومثله قول الصفى الحلى ولم أدر أيهما أخذ من الآخر
ملك يروض فوق طرف ضاربا * كرة بجوكان حذاه ضرابا
فكأن بدرا فى سماء راكبا * برقا يزحزح بالهلال شهابا
ومن بديع التشبيه قول الاستاذ على بن الحسن بن على بن سعد الخير فى دولاب
لله دولاب يفيض بسلسل * فى روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا
فكأنه دنف يدور بمعهد * يبكى ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجارى طرفه عن دمعه * فتفتحت أضلاعه أجفانا
وباب التشبيه واسع جدا تضيق الطاقة عن حصره وهذا القدر كاف فيه

(شواهد الاستعارة)

(لدى أسد شاكى السلاح مقذف)

قائله زهير بن أبى سلمى من قصيدته السابقة فى شواهد الايجاز وسيأتى كاملا فيما بعد وقبله
لعمرى لنعم الحى جر عليهم * بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحا على مستكنة * فلا هو أبداها ولم يتقدم
وقال سأقضى مأربى ثم أتقى * عدوى بألف من ورائى ملجم
فشد ولم ينظر بيوتا كثيرة * لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم
وبعده البيت والقصيدة طويلة يقول منها أيضا
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين عاما لا أبالك يسأم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
وشاكى السلاح وشائكه حديده والمقذف الذى يقذف به كثيرا الى الوقائع أو الذى رمى باللحم رميا
(والشاهد فيه) الاستعارة التحقيقية فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق حسا

(قامت تظللنى من الشمس * نفس أعز على من نفسى)
(قامت تظللنى ومن عجب * شمس تظللنى من الشمس)

البيتان لابن العميد وهما من الكامل قالهما فى غلام حسن قام على رأسه يظلله من الشمس وقال ابن النجار فى تاريخه قرأت على اسمعيل بن سعد الله أنبأنا أبا بكر بن على التاجر قال أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى الواعظ فى ولده أبى العباس لأنه كان يقوم اذا جاءت عليه الشمس ويظلله فقال

فقال تجنى لهو رباطى
فقلت موكل بضميرى
فقال معلق بنياطى
فعجبت من سرعة بديهته مع صغر سنه ثم تمادى الامر فاشتهر بقول الشعر فنمى الى السلطان تميم بن المعز أنه هجاه وأنه قال فيه
بلد مظلم وملك ظلوم
وهما فيه جنة وجحيم
هو فيها كالك والمقيم
نبها المجرمون وهو الجحيم
فاستحضره السلطان واستخبره عما قال فيه فأنكره وقال انما قلت
عرجا بى فذا مناخ كريم
هذه جنة وهذا تميم
هذه الجنة التى وعد الله
وهذا صراطه المستقيم
فاستظرفه تميم واستلطفه وأكرمه ثم صرفه * قال المخبر بهذه الحكاية ثم تقصيت عن المنزل فقيل لى انه كان منزل أبى الصلت حين قدومه الى مصر (قرأت) فى بعض المجاميع أن شاعرا من أهل تنس من بلاد افريقية قصد المعتمد على الله ابن عباد وهو بسبتة أيام جوازه للقاء أمير المؤمنين ابن تاشفين للاستنجاد به فوصف له لخضر فأنشده فقال هذا يصلح لمنادمتنا الليلة وأمر بامساكه فسقى وجرى فى المجلس حديث فرس أدهم كان مشهورا بالاندلس وعز بز المحل عند المعتمد واتفق

قامت تظللني من الشمس * نفس أعز عليّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجب * شمس تظللني من الشمس
لما رأيت الشمس بارزة * سترت عين الشمس بالخمس
ثم استغفرت على التي اختلست * مني الفؤاد بآية الكرسي

(وقال ياقوت في معجم الادباء) كان أبو اسحق الصابئ واقفا بين يدي عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركي جميل فكان اذا رأى الشمس عليه حجبها عنه فقال للصابئ هل قلت شيأ يا ابراهيم فقال

وقفت لتحجبني عن الشمس * نفس أعز عليّ من نفسي
ظلت تظللني ومن عجب * شمس تغيبني عن الشمس

فسر بذلك (والشاهد فيها) أن اطلاق اسم المشبه به على المشبه انما يكون بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به واذا كان كذلك فيكون استعمال الاستعارة في المشبه استعمالا فيما وضعت له فهنا لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقي وجعله شمسا لما كان لهذا التعجب معنى اذ لا تعجب في أن انسانا حسنا يظلل انسانا آخر * وقريب من معنى البيتين ما حكى أن سيماء التركي غلام المعتصم كان أحسن تركي على وجه الارض في وقته وكان المعتصم لا يكاد يفارقه ولا يصبر عنه محبة له ووجدا به فاتفق أن المعتصم دعا أخاه المأمون ذات يوم الى داره فأجلسه في بيت على سقفه جامات فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيماء فصاح المأمون لاحمد بن محمد اليزيدي فقال انظر ويلك الى ضوء الشمس على وجه سيماء أرأيت أحسن من هذا قط وقد قلت قد طلعت شمس على شمس * وزالت الوحشة بالانس فأجز فقال اليزيدي بعده

قد كنت أشنا الشمس من قبل ذا * فصرت أرتاح الى الشمس

قال وفطن المعتصم فعض شفتيه لاحمد قال أحمد للمأمون والله يا أمير المؤمنين لئن لم يعلم الامير حقيقة الامر منك لأقعن منه فيما أكره فدعاه المأمون فأخبره الخبر فضحك المعتصم فقال له المأمون كثر الله يا أخي في غلمانك مثله * ويقرب من هذا ما حكى أن المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية جلس يوما وبين يديه جارية تسقيه فخطف البرق فارتاعت منه فقال ابن عباد في ذلك

روعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهي شمس الضحى * من مثل ما تحمل ترتاع

ثم أنشد الاول لعبد الجليل بن وهبون المرسي واستجازه فقال

ولن ترى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

وابن العميد هو أبو الفضل محمد بن الحسين عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم قال في حقه أبو منصور الثعالبي كان أوحد العصر في الكتابة وكان يدعى الجاحظ الآخر والاستاذ والرئيس ويضرب به المثل في البلاغة وحسن الترسل وجزالة الالفاظ وسلاستها مع براعة المعاني ونفاستها وما أحسن ما قاله له الصاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد وكان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقد أجرى ذكرهما معا منلا أبو محمد الخازن في قصيدة مدح بها الصاحب بن عباد حيث وصف بلاغته فقال

دعوا الاقاصيص والأنباء ناحية * فما على ظهرها غير ابن عباد
والى بيان متى يطلق أعنته * يدع لسان أياد رهن أقياد
ومورد كلمات عطرت زهرا * على رياض ودرا فوق أجياد
وتارك أولا عبد الحميد بها * وابن العميد أخيرا في أبي جاد

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلالة بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صائد حاذق

أن الرجل سكر ونام فخرج منه ريح بصوت شديد فقال المعتمد ارتجالا

فواعجبا من ضعيف القوى * تزلزلت الارض من ضرطته

ثم قال لندمائه لا يشعره أحد بما جرى واستيقظ الرجل فقال كالمعتذر من نومه ان هذا النوم سلطان فقال بعض الندماء الحاضرين صدقت قد سمعنا طبله فجعل الرجل يقول رأيت في منامي كأن السلطان أعزه الله قد حملني على فرس أدهم من صفته كذا ومن صفته كذا فقال المعتمد صدقت قد سمعنا تحتك صهيله ثم قال المعتمد قولوا في هذا شيأ فقال بعض الحاضرين

وضرطة كالجرس

فقال المعتمد

أو كصهيل الفرس

فقال الشاعر

أفلتها صاحبنا

فقال المعتمد

عند انصرام الغلس

فقال الشاعر

سمعتها من سبتة

فقال المعتمد

وأصلها من تنس

(وأخبرني) الاديب أبو عبد الله محمد التوزري قال حدثني الشيخ الباغاني النحوي قال تذاكرت مع الشيخ الزاهد أبي الفضل البشكري رضي الله عنه أمر أبي الهيثم الشاعر فقال

ألفى أباه بذلك الكسب يكتسب * لان أباه عبد الله الملقب بكاه كان فى الرتبة الكبرى من الكتابة وكان قد تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر وكان يحضر ديوان الرسائل فى محفة لسوء أثر النقرس فى قدميه وفيه يقول أبو القاسم الاسكافى وكان يكتب فى ديوانه اذ ذاك ويرى نفسه أحق منه برتبته ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه

ياذا الذى ركب المحفـــة له جامعا فيها جهازه

أترى الاله يغيثنى * حتى يرينيها جنازه

ولم تطل الايام حتى أتت على أبى عبد الله منيته ووافت أبا القاسم أمنيته وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأتعب من بعده ولم يزل أبو الفضل هذا فى حياة أبيه وبعد وفاته بالرى وكورة الجبل وفارس يتدرج الى المعالى ويزداد فضلا وبراعة على الايام والليالى حتى بلغ ما بلغ واستقر فى الذروة من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمة الكبراء وانتجعه الشعراء وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدى فمدحه بتلك القصائد المشهورة التى منها يقول

من مبلغ الاعراب أنى بعـدها * شاهدت رسطاليس والاسكندرا

ومللت نحر عشارها فأضافنى * من ينحر البدر النضار لمن قرى

وسمعت بطليموس دارس كتبـه * متملكا متبــــديا متحضرا

ولقيت كل الفاضلين كأنما * ردّ الاله نفوســهم والاعصرا

ومنها

نسقوا لنا نسق الحساب مقدّما * وأتوا فذلك اذ أتيت مؤخرا

بأبى وأمى ناطق فى لفظــــه * ثمن تباع له القلوب وتشترى

قطف الرجال القول قبـل نباته * وقطفت أنت القول لما نوّرا

ومدحه الصاحب بن عباد بقصائد كثيرة استفرغ فيها جهده فمنها قوله فيه

من لقلب يهيم فى كل وادى * وقتيل للحب من غير وادى

انما أذكر الغوانى والمقصـــد سعدى تكثرا للسواد

واذا ما صدقت فهى مرامى * ومرادى وروضتى ومرادى

وندى ابن العميد انى عميد * من هواها أليـة الامجاد

لو درى الدهر أنه من بنيـه * لازدرى قدر سائر الاولاد

أو رأى الناس كيف يهتز للجو * د لما عـدّدوه فى الاطواد

وله أيضا

قالوا ربيعك قد قدم * فلك البشارة بالنعم قلت الربيع أخو الشتا * ءأم الربيع أخو الكرم

قالوا الذى بنـواله * يغنى المقل من العدم قلت الرئيس ابن العميـ * ـد اذا فقـالوا لى نعم

ولبعضهم فيه عند انتقاله الى قصر جديد قد بناه وهو مستبدع

لا يعجبنك حســن القصر تنزله * فضيلة الشمس ليست فى منازلها

لو زيدت الشمس فى أبراجها مائة * ما زاد ذلك شيأ فى فضائلها

وهذه نبذة من محاسن نثره (فصل من رسالة كتب بها الى أبى العلاء السروى) كتابى جعلنى الله تعالى فداك وأنا فى جدّ وتعب منذ فارقت شعبان وفى جهد ونصب من رمضان وفى العذاب الادنى دون العذاب الاكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ومرتهن بتضاعف حرّ لو أن اللحم يصلى ببعضه غريضا أتى أصحابه وهو منضج وممتحن بهواجر يكاد أوارهـا يذيب دماغ الضب ويصرف وجه الحرباء عن التحنف ويزويه عن التنصر ويقبض يده عن امساك ساق وارسال ساق ويترك الجأب فى شـغل عن الحقب ويقدح النار بين الجلد والعصب ويغادر الوحش قد مالت هواديها

سجود الدى الارطى كأن رؤسها * علاها صداع أو فواق يصورها

اجتمعت به ليلة وكان نديمنا فيها فتى رام ياوضىء الوجه فقلت له مستخبرا قريحته وسالكا به من التصنع غير مذهب أجزما أقول نشبت نشائب حب هذا الناشب فقال

بحشى حشاه نار وجد غالب

فقلت

تصمى رمايته القلوب كأنما

فقال

يرمى الورى عن قوس ذاك الحاجب

قال الشيخ أبو الفضل فقلت انما تظهر القرائح فى التشبيه ونظرت الى السماء فاذا الجوزاء متوسطة فقلت

وكأنما الجوزاء فى وسط السما

فقال

درّ تناثر من قلادة كاعب

قال الشيخ أبو الفضـل ومررت به يوما وهو مطرق بفكر فقلت

أراك تصـنع شــــعرا

فقال نعم لحبى بدرا

فقلت قد حار وصفى فيه

فقال فتركى الوصف أحرى

فقلت هذا على أن ذهنى

فقال من عاصف الريح أجرى

(وأخبرنى) العماد أبو حامد قال روى السمعانى فى تاريخه عن محمد بن على بن أحمد بن جعفر بن الحسن البندنيجى أنه قال سمعت والدى يقول سمعت عمى والدى أبا سعيد عقيل بن الحسـين يقول أتانى آت فى المنام فقـال هـل لك أن تمرع وأتم

كما قال الفرزدق ليوم أتى دون الظلال شموسه * تظل المهاصور اجماجها تغلي
كما قال مسكين الدارمي وهاجرة ظلت كأن ظباءها * اذا ماتقتها بالقرون سجود
تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها * كما لاذ من وخز السنان طريد
ويعتو بأيام تحاكي ظل الرمح طولا وليال كابهام القطاة قصرا ونوم كلا ولا قلة وكحسو الطائر من الماء الثماد دقه وكتصفيقة الطائر المستحر خفة
كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت
وكنقر العصافير وهي خائفة من النواطير يانع العنب وأحمد الله تعالى على كل حال وأسأله أن يعرفني بركته ويلقيني الخير في أيامه وخاتمته وأرغب الى الله أن يقرب على القمر دوره ويقصر سيره ويخفف حركته ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرته ويزيل بركة الطول من ساعاته ويرد على غرة شوال فهي أسر سائر الغرر عندي وأقرها للعيني ويسمعني النعرة في قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر وأظلم من الكفر وأنحف من مجنون بني عامر وأضنى من قيس بن دريج وأبلى من أسير الهجر ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل على رقاقته التي يغشي العيون ضوءها ويحط من الاجسام نوءها كلفا يغمرها وكسوفا يسترها ويريني مغمور النور مقمور الظهور قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة وينقص من أطرافه كما تنقص النار من أطراف الزند ويبعث اليه الارضة ويهدي اليه السوس ويغري به الدود ويبليه بالفار ويخترمه بالجراد ويبيده بالنمل ويجتحه بالذر ويجعله من نجوم الرجم ويرمي به مسترق السمع ويخاصنا من معاودته ويريحنا من دوره ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ويفعل به فعله بالثكلان ويصنع به صنيعه بالالوان ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق اذا افتضح بضوءه وتهتك بطلوعه ويرحم الله عبدا قال آمينا وأستغفر الله جل وجهه مما قلته ان كرهه وأستعفيه من توفيق لما يذمه وأسأله صفحا بفيضه وعفوا يسبغه وحالي بعد ماشكوت صالحة وعلى من تحب وتهوى جارية ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر ﴿ومن فصوله القصار الجارية مجرى الامثال﴾ قوله متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى وصفا فيه شرب من اعتراض قذى خير القول ما أغناك جده وألهاك هزله الرتب لاتبلغ الابتدرج وتدرب ولا تدرك الا بتجشم كلفة وتصعب المرء أشبه شيء بزمانه وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه المرء يبذل ماله في اصلاح أعدائه فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه هل السيد الامن تهابه اذا حضر وتغتابه اذا أدبر اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل المرح والهزل بابان اذا فتحا لم يغلقا الابعد العسر وخلان اذا القحا لم ينتجا غير الشر * ومما أخرج له من الشعر قوله

آخ الرجال من الاباعد والاقارب لاتقارب * ان الاقارب كالعقا رب بل أضر من العقارب

وكتب الى العلوي يامن تخلى وولى * وصد عني وملا
وأوسع العهد نكثا * واتبع العقد حلا ماكان عهدك الا * عهد الشبيبة ولى
أو طائفا من خيال * ألم ثم تولى أو عارضا لاح حتى * اذا دنا فتدلى
ألوت به نسمات * من الصبا فتجلى أهلا بما ترتضيه * في كل حال وسهلا
ليجزينك ودي * بمثل فعلك فعلا ان شئت هجرا فهجرا * أو شئت وصلا فوصلا
صبرت عني فاتطر * اني اذا الخل ولى اني اذا الخل ولى ظفرت بالصبر أم لا * وليته ماترلى

وكتب الى أبي الحسن بن هندو وأرسلها اليه صبيحة عرسه
انعم أباحسن صباحا * وازدد بزوجتك ارتياحا قد رضت طرفك خاليا * فهل استلنت له جماحا
وقدحت زندك جاهدا * فهل استبنت له انقداحا وطرقت منغلقا فهل * سنّ الاله له انفتاحا
قدكنت ارسلت العيو * ن صباح يومك والرواحا وبعثت مصغية تبيـ * ـت لديك ترتقب النجاحا

أو تمم وأمصرع فقلت لا بل أمصرع وتمم فقال لي ياعيار هربت من القافية ولكن قل فقلت
هل عندكم رحمة يرجو * عواطفها فقال
صب تشكت الى الشكوى * جوارحه فقلت
أغلقتم كل باب في مودته * فقال
وفي يدي ظبيكم كانت مفاتحه * فقلت
ما أمسكت قلبه اذ لم يطر جزعا * فقال
من فرط حر الجوى * الاجوانحه
ثم استيقظت (وأخبرني) القاضي الاعز أبو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله تعالى قال أخبرني والدي قال كان الصالح طلائع بن رزيك الوزير لايزال يحضر مجلسه في ليالي الجمع جلساؤه وبعض أمرائه لسماع قراءة مسلم والبخاري وأمثالهما من كتب الحديث وكان الذي يقرأ رجلا أبخر فلعهدي وقد حضر المجلس مع الامير علي بن الزبير والقاضي الجليس أبي محمد عبد العزيز ابن الحباب وقد أمال وجهه الى القاضي المهذب ابن الزبير وقال له وأبخر قلت لاتجلس بجنبي فقال الامير
اذا قابلت بالليل البخاري فقال الجليس ولم قال فقلت وقد سئلت بلا احتشام

فقدت على بجملة * لم توانى الافتضاحا وشكت الى خلاخلا * خرساوأوشحة فصاحا

منعت وساوسها المسا * مع ان تحس الكم صياحا

وللصاحب ابن عباد فى هذا المعنى الا أنه أقرب فى التصريح

قلبى على الجمرة يا أبا العـلا * فهل فتحت الموضع المقفلا

وهل فككت الختم عن كيسه * وهل كحلت الناظر الاكحلا

ان قلت يا هـذا نعم صادقا * أبعث نثارا عـالى المنزلا

وان تحينى من حياء بلا * أبعث اليك القطن والمغزلا

ولابن العميد فى المغنى القرشى

اذا غنانى القرشى يوما * وعنانى برؤيته وضربه

وددت لو ان أذنى مثل عينى * هناك وان عينى مثل قلبه

وللوزير المهلبى فيه أيضا اذا غنانى القرشى * دعوت الله بالطرش

وان أبصرت طلعته * فوالهفى على العمش

واجتمع عند ابن العميد يوما أبو محمد هندو وأبو القاسم بن أبى الحسين وأبو الحسين بن فارس وأبو عبد الله الطبرى وأبو الحسن البديهى فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة فقال لهم تعالوا نتجاذب أهداب وصفها فقالوا ان رأى سيدنا أن يبتدئ فعل فابتدأ وقال وأترجة فيها طبائع أربع فقال أبو محمد وفيها فنون اللهو والشرب أجمع فقال أبو القاسم يشبهها الرائى سبيكة عسجد فقال أبو القاسم ابن أبى الحسين على أنها من فأرة المسك أضوع فقال أبو عبد الله وما اصفر منها اللون للعشق والهوى فقال أبو الحسن ولكن أراها للمحبين تجمع

وكان ابن العميد متفلسفا متهما برأى الاوائل ويقال انه كان مع فنونه لا يدرى الشرع فاذا تكلم أحد بحضرته فى أمر الدين شق عليه وخنس ثم قطع على المتكلم فيه وكان قد ألف كتابا سماه الخلق والخلق ولم يبيضه ولم يكن الكتاب بذلك ولكن جعس الرؤساء خبيص وصنان الاغنياء ند وتوفى فى سنة ثلثمائة وستين وقام ابنه على أبو الفتح ذو الكفايتين مقامه اذ هو ثمرة تلك الشجره وشبل ذلك القسوره (وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقرا) وما أصدق قول الشاعر

ان السرى اذا سرى فبنفسه * وابن السرى اذا سرى أسراهما

وكان نجيبا ذكيا لطيفا سخيا رفيع الهمة كامل المروءة تأنق أبوه فى تأديبه وتهذيبه وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته وخرج حسن الترسل متقدم القدم فى النظم آخذا من محاسن الادب بأوفر الحظ ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال وعلى مدى بعيد من الاكتهال وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة ابن بويه لقب بذى الكفايتين وعلا شأنه وارتفع قدره وطاب ذكره وجرى أمره أحسن مجرى الى أن توفى ركن الدولة وأفضت حال أبى الفتح الى ما سيذكر قريبا بمشيئة الله تعالى وعونه ومن طرف أخباره ان أباه كان قد قيض جماعة من ثقاته فى السر يشرفون على ولده الاستاذ أبى الفتح فى منزله ومكتبه ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وأفعاله وينهون اليه جميع ما يأتيه ويذره ويقوله ويفعله فرفع اليه بعضهم ان أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الاحداث المترفون من عقد مجلس أنس واتخاذ الندماء وتعاطى ما يجمع شمل اللهو فى خفية شديدة واحتياط تام وانه فى تلك الحال كتب رقعة الى بعض أصدقائه فى استهداء الشراب فحمل اليهم ما يصلح لهم من المشروب والنقل والمشموم فدس أبوه الى ذلك الانسان من أتاه بالرقعة فاذا فيها بخطه بسم الله الرحمن الرحيم قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاك يا سيدى ومولاى رقدة من عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثريا فان لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام فاستطير الاستاذ فرحا واعجابا بهذه الرقعة

لانك دائما من فيك خارى

(قال على بن ظافر) أخبرنى أيضا هو وشهاب الدين يعقوب المقدم ذكره بما هذا معناه قالا جلسنا فى بعض الايام لاجتناء زهر المحادثه واقتناء درر المنافثه فسمعنا صوت شبابة تذكر الاشيب الهرم زمان الشبيبه وتحرك من الخرف الهم غزله وتشبيبه وصوتها أشجى من أنين المشتاق لفرط الاشواق وأرق من نوح العشاق عند عزم الفريق الى الفراق فقال شهاب الدين

وشبابة شبت لظى الشوق فى قلبى فقال الاعز

تذكرنى عهد الصبابة والحب فقال شهاب الدين

حبتنى على بعد بترجيعها الصبا فقال الاعز

فأحيت فؤادى المستهام على قرب

(وأخبرنى) الشهاب قال انفردت ببوصير يوما بالفقيه رضى الدين أبى اسحق بن عبد البارى رحمه الله وكنا خرجنا اليها فى خدمة الوزير نجم الدين رحمه الله وكان قد مضى اليها متنزها فجلس الينا غلام من أولاد بعض الرؤساء الذين كانوا فى خدمته حسن الوجه ثم انصرف فقال الرضى

لله يوم مضى ببوصير فقلت

البديعة وقال الآن ظهر لي أمر براعته ووثقت بجريه في طريق ونيابته مناب ووقع له بألفي دينار

(وحكى) أبو الحسين بن فارس قال كنت عند الاستاذ أبي الفتح في يوم شديد الحر فرمت الشمس بجمرات الهاجرة فقال لي ماقول الشيخ في قلبه فلم أحر جوابا الا أني لم أفطن لما أراد ولما كان بعد هنية أقبل رسول والده الاستاذ يستدعيني الى مجلسه فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكا الي وقال ماقول الشيخ في قلبه فبهت وسكت ومازلت متفكرا حتى تنبهت أنه يريد الخيش وكان من يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة فأفرط اهتزازه لها ورأت صحيفة السرور في وجهه ثم أخذت أتحفه بنكت نظمه ونثره فكان مما أعجب به واستفصله رقعة له وردت علي وصدرها وصلت رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة وأقصر من أنملة نملة قال أبو الحسين وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الرئيس الاستاذ وزنها واستحلى رويها وأنشد كل من الحاضرين ماحضره على ذلك الروي وهو قول القائل

لئن كففت عني والا ＊ شققت منك ثيابي

فأصغى الاستاذ أبو الفتح ثم أنشد في الوقت وقال

يا مولعا بعذابي ＊ أما رحمت شبابي تركت قلبي قريحا ＊ نهب الأسى والتصابي
ان كنت تنكر مابي ＊ من ذلتي واكتئابي فارفع قليلا قليلا ＊ عن العظام ثيابي

وله من نوروزية

ابشر بنوروز أتاك مبشرا ＊ بسعادة وزيادة ودوام
واشرب فقد حل الربيع نقابه ＊ عن منظر متهلل بسام
وهديتي شعر عجيب نظمه ＊ ومديحه يبقى على الايام
فاقبله واقبل عذر من لم يستطع ＊ اهداء غير نتيجة الافهام

ومن بدائعه المشهورة قوله من قصيدة

عودي وماء شبيبتي في عودي ＊ لاتعمدي لقاتل المعمود
وصليه مادامت أصائل عيشه ＊ تؤويه في ظل لها ممدود
مادام من ليل الصبا في فاحم ＊ رجل الذرى متهدل العنقود
قبل المشيب وطارقات جنوده ＊ بيد لنه بقضاء بعضم سود

ومن شعره

أين لي من يفي بشكر الليالي ＊ اذ أضافت خيالها وخيالي
لم يكن لي على الزمان اقتراح ＊ غيرها منية فجاد بها لي

ومنه

اذا أنا بلغت الذي كنت أشتهي ＊ وأضعافه ألفافكلني الى الحجر
وقل لنديمي قم الى الدهر واقترح ＊ عليه الذي يهوى وكلني الى الدهر

يحكى أنه سر يوما وطلب الندماء وهيأ مجلسا عظيما بآلات الذهب والفضة والمغاني والفواكه وشرب بقية يومه وعامة ليلته ثم عمل شعرا وغنوه به وهو هذا

دعوت الغناء ودعوت المنى ＊ فلما أجابا دعوت القدح
اذا بلغ المرء آماله ＊ فليس له بعدها مقترح

وكان ذلك بعد تدبيره على الصاحب وابعاده عن ركن الدولة وانفراده بالدست كما سنذكره ثم طرب بالشعر وشرب الى أن سكر وقال غطوا المجلس لأصطبح عليه غدا وقال لندمائه باكروني ثم نام فدعاه مؤيد الدولة في السحر وقبض عليه وأخذ ماعلكه ثم قتله وكان من خبر ذلك أنه لما توفي ركن الدولة وقام بعده ولده مؤيد الدولة مقامه خليفة لأخيه عضد الدولة أقبل من أصبهان الى الري ومعه الصاحب أبو القاسم بن عباد فخلع على أبي الفتح هذا خلع الوزارة وألقى اليه مقاليد المملكة والصاحب على حالته في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به وشدة الحظ لديه فكره أبو الفتح مكانه وأساء به الظن فبعث الجند على أن يشغبوا عليه وهموا بالايقاع به فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسر في نفسه الموجدة على أبي الفتح وانضاف الى ذلك تغير عضد الدولة واعتقاده عليه أشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها منها ميله الى عز الدولة بختيار ومنها

والعيش صفو بغير تكدير
فقال
تدعنا فيه شادن غنج
فقلت
مكحل جفنه بتفتير
(قال علي بن ظافر) وجلست مع الشهاب يوما بالجامع الانور بالقاهرة لانتظار الجمعة وكان يجلس بالقرب من مكاننا صبي وضيء تذهب وجهه وشعره من البدر نوره ومن الليل ديجوره واغتصب طرفه وعطفه من الظبي كحله ومن الغصن تميله ينعت بالشمس فتأخر حضوره يوما فتعاطينا القول في غيبته فقلت
فدى الذي غاب فغاب السرور
فقال الشهاب
واتسع الهم بضيق الصدور
فقلت
وأظلم الانور من بعده
فقال الشهاب
وليس بعد الشمس للافق نور
(واتفق لي) أني اجتمعت ليلة مع القاضي أبي الحسن بن النبيه ومعناجاعة من شعرائه مصر فأنشدهم قول مؤيد الدين الطغرائي في الهلال
قوموا الى لذاتكم بأنيام
وأترعوا الكاس بصفو المدام
هذا هلال العيد قد جاءنا
بمنجل يحصد شهر الصيام
فقال المذكور لو شبهه بمنجل ذهب يحصد نرجس النجوم لكان أولى ثم قال نظما

ميل الفؤاد اليه بل غلوّهم فى موالاته ومحبته ومنها ترفعه عن التواضع له فى مكاتباته واجتمع رأى الاخوين على اعتقاله وأخذ أمواله والقبض عليه بدرت منه كلمات أيضا نقلت الى عضد الدولة فزادت فى استيحاشه منه وأنهض من حضرته من طالبه بالاموال وعذبه بأنواع العذاب ويقال انه سمل احدى عينيه وقطع أنفه وجز لحيته وفى تلك الحال يقول وقد أيس من نفسه واستأذن فى صلاة ركعتين ودعا بدواة وقرطاس وكتب

بدّل من صورتى المنظر * لكنه ما غير المخبر * ولست ذا حزن على فائت
لكن على من بات يستعبر * ووالِه القلب لما مسنى * مستخبر عنى ولا يخبر

(وحدّث) أبو جعفر الكاتب قال كان أبو الفتح قبل النكبة التى أتت على نفسه قد لهج بانشاد هذين البيتين فى أكثر أوقاته ولست أدرى أهما له أم لغيره وهما

سكن الدنيا أناس قبلنا * رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا * ونخليها لقوم بعدنا

ولما تيقن بهلاكه وانه لا ينجو منهم ببذل المال مد يده الى جيب جبة كانت عليه ففتقه عن رقعة فيها مكتوب مالا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره وألقاها فى كانون كان بين يديه ثم قال للموكل به المأمور بقتله اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالى المستورة الى صاحبك الدرهم الواحد فما زال يعرضه على العذاب ويمثل به حتى تلف وفيه يقول بعض الشعراء المتعصبين له

آل العميد وآل برمك مالكم * قلّ المعين لكم وقلّ الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له * ان الزمان هو المحب الغادر

ورثاه كثير من الشعراء بغرر القصائد

(لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زرّ أزراره على القمر)

البيت لابى الحسن بن طباطبا العلوىّ من المنسرح وقبله

يا من حكى الماء فرط رقته * وقلبه فى قساوة الحجر
يا ليت حظى كحظ ثوبك من * جسمك يا واحدا من البشر

وبعده البيت ورأيته بلفظ قد زرّ كتانها على القمر

ولعله أبلغ فى المراد والغلالة بكسر الغين المعجمة شعار يلبس تحت الثوب (والشاهد فيه) ما فى البيت الذى قبله لانه لولم يجعله قمرا حقيقيا لما كان للنهى عن التعجب معنى لان الكتان انما يسرع اليه البلى بسبب ملازمته للقمر الحقيقى لا بسبب ملابسة انسان كالقمر حسنا وردّ كون الاستعارة مجازا عقليا بأن ادّعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له للعلم الضرورى بأنها مستعملة فى الرجل الشجاع مثلا والموضوع له هو السبع المخصوص وأما التعجب والنهى عنه فى البيت والذى قبله فللبناء على تناسى التشبيه قضاء لحق المبالغة ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلا حتى ان كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهى عنه يترتب على المشبه أيضا (وأبو الحسن بن طباطبا) اسمه محمد بن احمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو شاعر مفلق وعالم محقق مولده باصبهان وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وله عقب كثير باصبهان فيهم علماء وأدباء ومشاهير وكان مذكورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد وله من المصنفات كتاب عيار الشعر وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض ولم يسبق الى مثله ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ليس فيها راء ولا كاف أوّلها

يا سيدا دانت له السادات * وتتابعت فى فعله الحسنات

يقول منها فى وصف القصيدة

ميزانها عند الخليل معدّل * متفاعلن متفاعلن فعلات

انظر الى حسن هلال بدا
فقلت
يذهب من أنواره حندسا
فقال
كمنجل قد صيغ من عسجد
فقلت
يحصد من شهب الدجا نرجسا

ثم زدت على هذا المعنى زيادتين بديعتين يدركهما الناقد البصير فقلت

أما ترى الهلال يخفى أنجم الافق بنور وجهه الوسيم
كمنجل من ذهب يحصد من روض الظلام نرجس النجوم

(ومن التمليط الواقع بين شاعرين ببيت لبيت) ويسمى هذا النوع الانقاذ ما ذكره أبو الفرج برواية تتصل بحماد الراوية قال تحرك كعب بن زهير لقول الشعر فنهاه زهير مخافة أن يكون لم يستحكن شعره فيروى له ما لا خير فيه فكان يضربه فى ذلك فيغلبه فلما طال عليه أخذه فحبسه ثم قال والذى أحلف به لا يبلغنى أنك قلت بيتا الا نكلت بك فبلغه أنه يقول فضربه ضربا مبرحا ثم أطلقه وسرحه فى بهمة وهو غليم صغير فانطلق فرعاها ثم راح عشية وهو يرتجز

كأنما أحدو ببهمى عيرا
من القرى موقرة شعيرا

فخرج زهير فركب ناقته وأردفه وهو يريد أن يتعنته ليعلم ما عنده من الشعر فقال

لو واصل ابن عطاء البانى لها * تليت توهم أنها آيات

ومن شعره يهجو أبا على الرستمى و يرميه بالدعوة والبرص

أنت أعطيت من دلائل رسل الله آيا بها عــلوت الرؤسا

جئت فردا بلا أب و بيمنا * لـئ بياض فأنت عيسى وموسى

وما أحسن قول أبى المطاع ناصر الدولة ابن حمدان فى معنى البيت المستشهد به

ترى الثياب من الكتان يلمحها * نور من البدر أحيانا فيبليها

فكيف تنكر أن تبلى معاجرها * والبدر فى كل وقت طالع فيها

وقال منصور البستى المعروف بالغزال فيه من قصيدة يصف الساقى

ومشى بكتان نخلت عنا كبا * نسجت على الياقوت ثوب قتام

اعجب ببدر سالم كتانه * وبه يحترق أنفس الأقوام

ومثله قول الآخر كيف لا تبلى غلائله * وهو بدر وهى كتان

(فان تعافوا العدل والايمانا * فان فى أيماننا نيرانا)

قائله بعض العرب من الرجز (والشاهد فيه) ذكر القرينة فى الاستعارة لانها مجاز ولا بد لها من قرينة مانعة من ارادة المعنى الموضوع له وهى اما أمر واحد أو أكثر وهو هنا قوله تعافوا فان تعلقه بكل من العدل والايمان قرينة دالة على أن المراد بالنيران السيوف أى سيوفا تلمع كشعل النيران لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجؤن الى الطاعة بالسيوف

(وصاعقة من نصله تنكفى بها * على أرؤس الاقران خمس سحائب)

البيت للبحترى من قصيدة من الطويل أولها

هبيه لمنهل الدموع السواكب * وهبات شوق فى حشاه لواعب

والا فردى نظرة فيه تهتجى * لما فيه أولا تحفلى بالعجائب

وهى طويلة والرواية فيه وصاعقة فى كفه كما فى الديوان وبعده

يكاد الندى منها يفيض على العدا * لدى الحرب فى ثنى قنا وقواضب

والصاعقة الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب والمخراق الذى بيد الملك سائق السحاب ولا يأتى على شئ الا أحرقه أو نار تسقط من السماء والانكفاء الانقلاب والارؤس جمع رأس والاقران جمع قرن وهو الكفؤ (والشاهد فيه) مجئ القرينة معانى ملتئمة مربوطة بعضها ببعض ويكون الجميع قرينة لا كل واحد فههنا أراد بخمس سحائب أنامل الممدوح الخمس التى هى فى الجود وعموم العطاء سحائب أى يصبها على أكفائه فى الحرب فيهلكهم بها وأراد بأرؤس الاقران جمع الكثرة بقرينة المدح لان كلا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر فههنا لما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هنالك صاعقة وبين انها من نصل سيفه ثم قال على أرؤس الاقران ثم قال خمس فذكر العدد الذى هو عدد الانامل فظهر من جميع ذلك انه أراد بالسحائب الخمس الانامل

(واذا احتبى قربوسه بعنانه)

قائله يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان من قصيدة من الكامل يصف فرسا له بأنه مؤدب وانه اذا نزل عنه وألقى عنانه فى قربوس سرجه وقف مكانه الى أن يعود اليه وتمامه

علك الشكيم الى انصراف الزائر والقربوس بفتح الراء ولا تسكن الا فى ضرورة الشعر وهو حنو السرج وهما قربوسان والعنان بكسر العين سير اللجام الذى تمسك به الدابة والشكيم والشكيمة الحديدة المعترضة فى فم الفرس فيها الفأس وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله وهو

زهير حين برز من الحى منشدا

وانى لتعدينى على الهم جسرة تخب بوصال صروم وتعنق

ثم ضرب كعبا وقال أجز لكع فقال

كبنيانة القرئى موضع رحلها وآثار نسعيها من الدم أبلق

فقال زهير

على لاحب مثل المجرة خلته اذا ما علا لنشز امن الارض مهرق

ثم ضربه وقال أجز فقال

منير هداه ليله كنهاره جميع اذا يعلو الحزونة أفرق

قال فبدا بزهير فى وصف النعام ونزل عن حركة القاف يتعنته بذلك ليعلم ما عنده فقال

وظل بوعثاء الكثيب كأنه خباء على صقبى بوان مورق بوان عمود من أعمدة البيت فقال كعب

تراخت به خب الضحى وقد رأى سماوة قشراء الوظيفين عوهق

فقال زهير

يحن الى مثل الحبابير جثم لدى منتج من بيضها المتفلق الحبابير جمع حبارى ويجمع أيضا على حباريات فقال كعب

تحطم عنها بيضها عن خراطم وعن حدق كالنبخ لم يتفلق

النبخ الجدرى شبه عيون أولاد النعام به قال فأخذ زهير بيده وقال قد أذنت

عودته فيما أزور حبائبي * اهماله وكذاك كل مخاطر

(والشاهد فيه) الاستعارة الخاصة وهي الغريبة والغرابة قد تكون في نفس الشبه كما في البيت فانه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا الى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبي ممتدا الى جانبي ظهره وساقيه بثوب أوغيره كوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغرابة المشبه ومن الاستعارات الغريبة قول طفيل الغنوي

وجعلت كوري فوق ناجية * يقتات شحم سنامها الرحل

وكذا قول الاستاذ ابن المعتز

حتى اذا ما عرف الصيد أنصار * وأذن الصبح لنا بالابصار

وقول جرير تحيي الروامس ربعها فتجده * بعد البلى وتميته الامطار

وقول أبي نواس بصحن خد لم يغض ماؤه * ولم تخضه أعين الناس

وقوله أيضا فاذا بدا اقتادت محاسنه * قسرا اليه أعنة الحدق

(وسالت بأعناق المطي الاباطح)

قائله كثير عزة من قصيدة من الطويل وصدره أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا

وقبله ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا * ولم ينظر الغادى الذي هو رائح

وقيل الابيات لابن الطثرية وذكر الشريف الرضي في كتابه غرر الفرائد قال أنشدني ابن الاعرابي للمضري وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى رحمهم الله تعالى

ومازلت أرجو نفع سلمى وودها * وتبعد حتى ابيض مني المسائح

وحتى رأيت الشخص يزداد مثله * اليه وحتى نصف رأسي واضح

علا حاجبي الشيب حتى كأنه * ظباء جرت منها سنيح وبارح

وهزة أظعان عليهن بهجة * طلبت وريعان الصبا بي جامح

فلما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطي الاباطح

وشدت على حدب المهارى رحالها * ولم ينظر الغادى الذي هو رائح

قفلنا على الخوص المراسيل وارتمت * بهن الصحارى والسناح الصحاصح

والاباطح جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى والمعنى لما فرغنا من أداء مناسك الحج ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع وشددنا الرحال على المطايا وارتحلنا ولم ينظر السائرون في الغداة السائرين في الرواح للاستعجال أخذنا في الاحاديث وأخذت المطايا في سرعة السير (والشاهد فيه) حصول الغرابة في الاستعارة العامية بتصرف فيها فانه استعار سيلان السيول الواقعة في الاباطح لسير الابل سيرا عنيفا حثيثا في غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة والشبه فيها ظاهر عامي لكنه تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل وهو سالت الى الاباطح دون المطي أو أعناقها حتى أفاد انه امتلأت الاباطح من الابل وأدخل الاعناق في السير لان السرعة والبطء في سير الابل يظهران غالبا في الاعناق ويتبين أمرهما في الهوادي وسائر الاجزاء يستند اليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة ومثل هذه الاستعارة في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز رحمه الله تعالى حيث يقول

سالت عليه شعاب الحي حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون الى نصرته كالسيل وكما أن ادخال الاعناق في السير أكد كلا من الرقة والغرابة في الاول أكده هنا تعدية الفعل الى ضمير الممدوح بعلى لانه يؤكد مقصوده من كونه

لك في قول الشعر يا بني فلما نزل وانتهى الى أهله قال قصيدته وهو صغير يومئذ وهي أول شعر رويناه

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع لعرض أبيه في المعاشر ينفق

(ومن ذلك) ما أنبأني به الشيخان الشيخ الاجل العلامة تاج الدين الكندي والشيخ الفقيه جمال الدين الحرستاني قالا أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم بن عساكر سماعا عليه أخبرنا أبو العز ابن كادش أخبرنا أبو يعلى ابن الفراء أنبأنا أبو القاسم اسمعيل بن سعيد بن المعدل بن سويد أنبأنا أبو علي الحسين ابن القاسم بن جعفر الكوكبي أنبأنا دعبل بن ذكوان أخبرنا الثوري عن الاصمعي عن ابن أبي طرفة قال جلس حسان بن ثابت ليلة ومعه ابنته ليلى فجعل يريد شعرا يقوله فقال

متاريك أدبار الامور اذا اعترت

تركنا الفروع واجتثثنا أصولها

ثم جعل يريد الزيادة فلم يقدر فقالت له ابنته كأنك قد أجبلت قال نعم قالت أفأجيز عنك قال نعم فقالت

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا كرام يعاطون العشيرة سولها

فحمي حسان فقال

مطاعا فى الحى (وكثير عزة) هو عبد الرحمن بن أبى جمعة الاسود بن عامر بن عويمر أبو صخر الخزاعى الشاعر المشهور أحد عشاق العرب وانما صغر ولانه كان شديد القصر * حدث الوقاصى قال رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه وكان اذا دخل على عبد الملك بن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله تعالى يقول له طأطئ رأسك لا يصيبه السقف وكان يلقب زب الذباب وعن أبى عبيدة قال كان الحزين الكنانى قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين فى كل شهر منهم ابن أبى عتيق فجاءه لاخذ درهميه على حمار له أعجف قال وكثير مع ابن أبى عتيق فأمر ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين فقال الحزين لابن أبى عتيق من هذا الذى معك قال أبو صخر كثير بن أبى جمعة قال وكان قصيرا دميما فقال له الحزين أتأذن لى فى أن أهجوه ببيت من الشعر قال لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسى ولكنى أشترى عرضه منك بدرهمين ودعا له بهما فأخذهما وقال لا بدلى من هجائه ببيت قال وأشترى ذلك منك بدرهمين آخرين فدعا له بهما فأخذهما أيضا وقال ما أنا بتاركه حتى أهجوه قال وأشترى ذلك منك بدرهمين أيضا فقال له كثير ائذن له وما عسى أن يقول فى بيت واحد قال فأذن له ابن أبى عتيق فقال

قصير القميص فاحش عند بيته * يعض القراد باسته وهو قائم

قال فوثب اليه كثير فلكزه فسقط عن الحمار فخاص ابن أبى عتيق بينهما وقال لكثير قبحك الله أتأذن له وتسفه عليه فقال كثير وأنا ما ظننت أن يبلغ بى فى بيت واحد هذا كله وكان كثير يقول بتناسخ الارواح وكان يدخل على عمة له يزورها فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوما لا والله ما تعرفينى ولا تكرمينى حق كرامتى قالت بلى والله انى لأعرفك قال فمن أنا قالت فلان ابن فلان وابن فلانة وجعلت تمدح أباه وأمه فقال قد علمت أنك لا تعرفينى قالت فمن أنت قال أنا يونس بن متى وكان يقرأ فى أى صورة ما شاء ركبك وكان يؤمن بالرجعة ودخل عليه عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم يعوده فى مرضه الذى مات فيه فقال له كثير أبشر فكأنك بى بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق فقال له عبد الله بن حسن رضى الله عنه مالك عليك لعنة الله فوالله لئن مت لا أشهدك ووالله لا أعودك ولا أكلمك أبدا وكان شيعيا غاليا فى التشيع وكان يأتى ولد حسن بن حسن رضى الله عنهم اذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ويقول أنا نبى الانبياء الصغار وقال عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى انى لأعرف صالح بنى هاشم من فاسدهم بحب كثير من أحبه منهم فهو فاسد ومن أبغضه فهو صالح لانه كان خشبيا يؤمن بالرجعة (وحدث) رجل من مزينة قال ضفت كثيرا ليلة وبت عنده ثم تحدثنا وغنا فلما طلع الفجر تضور ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير نائم فى لحافه فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال يا جارية أنجزى لى ماء أى سخنى قال فقلت تبا لك سائر اليوم وبعده وركبت راحلتى وتركته وكان كثير عاقا لأبيه وكان أبوه قد أصابته قرحة فى اصبع من أصابع يديه فقال له كثير أتدرى لم أصابتك القرحة فى اصبعك قال لا أدرى قال مما ترفعها الى الله فى يمين كاذبة (وعن) طلحة بن عبيد الله قال ما رأيت أحمق من كثير دخلت عليه فى نفر من قريش وكنا كثيرا ما نهزأ به وكان يتشيع تشيعا قبيحا فقلت له كيف تجدك يا أبا صخر وهو مريض فقال أجدنى ذاهبا فقلت كلا فقال هل سمعتم الناس يقولون شيأ قلت نعم يتحدثون بأنك الدجال قال أما لان قلت ذاك فانى لأجد فى عينى هذه ضعفا منذ أيام (وعن) عبد العزيز بن عمر رحمهما الله ان أناسا من أهل المدينة المنورة كانوا يهزأون بكثير فيقولون وهو يسمع ان كثيرا لا يلتفت من تيهه فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضى فى قميص وكان عبد الملك بن مروان معجبا بشعره قال له يوما كيف ترى شعرى يا أمير المؤمنين قال أراه يسبق السحر ويغلب الشعر وقال عبد الملك له يوما من أشعر الناس يا أبا صخر قال من يروى أمير المؤمنين شعره فقال له عبد الملك انك لمنهم (وحدث كثير) قال ما قلت الشعر حتى قولته قيل له وكيف ذاك قال بينا أنا نصف النهار أسير على بعير لى بالغميم أو بقاع حمران اذ راكب قد دنا الى حتى صار الى جنبى فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه فى الارض

وقافية مثل السنان رزينة
تناولت من جو السماء نزولها
فقالت
يراها الذى لا ينطق الشعر عنده
ويعجز عن أمثالها أن يقولها
فقال والله لا قلت بيت شعر
ما دمت حية قالت أو ومنك
قال فذاك قالت فأنت آمن
أن أقول بيت شعر ما بقيت
(وروى) عقيل بن خالد عن
ابن شهاب أن مروان بن
الحكم وعبد الله بن الزبير
اجتمعا ذات يوم فى حجرة
عائشة رضى الله تعالى عنها
والحجاب بينهما وبينها يحدثانها
ويسألانها فجرى الحديث
بين مروان وابن الزبير ساعة
وعائشة تسمع فقال مروان
فمن يشا الرحمن يخفض بقدره
وليس لمن لم يرفع الله رافع
فقال ابن الزبير
ففوض الى الله الامور اذا اعترت
وبالله لا بالاقربين أدافع
فقال مروان
وداو ضمير القلب بالبر والتقى
فلا يستوى قلبان قاس وخاشع
فقال ابن الزبير
ولا يستوى عبدان هذا مكذب
عتل لأرحام العشيرة قاطع
فقال مروان
وعبد يجافى جنبه عن فراشه
يبيت يناجى ربه وهو راكع
فقال ابن الزبير
وللخير أهل يعرفون بهديهم

حتى قال لي قل الشعر وألقاه على قلت من أنت قال قرينك من الجن فقلت الشعر وكان أول أمره مع عزة التي يتعشقها أنه مر بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن اليه عزة وهي صغيرة فقالت له يقلن لك النسوة بعنا كبشا من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه الى أن ترجع فأعطاها كبشا وأعجبته فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه فقال وأين الصبية التي أخذت مني الكبش قالت وما تصنع بها هذه دراهمك قال لا آخذ دراهمي الا ممن دفعت اليه وولى وهو يقول

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقلن له أبيت الا عزة وأبرزنها له وهي كارهة ثم انها أحبته بعد ذلك أشد من حبه لها وعن الهيثم ابن عدي أن عبد الملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فقال حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ولم يعلم أحدنا بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعاما لأهل رفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت الي وهي لا تعلم أنها خيمتي وكنت أبري سهما لي فلما رأيتها جعلت أبري وأنظر اليها ولا أعلم حتى بريت ذراعي وأنا لا أشعر به والدم يجري فلما تبينت ذلك دخلت الي فأمسكت بيدي وجعلت تمسح الدم بثوبها وكان عندي نحي من سمن فحلفت لتأخذنه فجاءت به الى زوجها فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقنه فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمني في وجهي فوقفت علي وهو معها فقالت لي يا ابن الزانية وهي تبكي ثم انصرفا فذلك حيث أقول

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

ومنه قوله فيها أيضا ودِدت وحق الله انك بكرة * وأني هجان مصعب ثم نهرب

كلانا به عر فمن يرنا يقل * على حسنها جرباء تعدى وأجرب

نكون لذي مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

اذا ما وردنا منهلا صاح أهله * علينا فما ننفك نرمى ونضرب

يحكى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها أنشدته الابيات وقالت له ويحك لقد أردت بي الشقاء أما وجدت أمنية أوطأ من هذه فخرج من عندها خجلا وأسوأ من هذه الامنية أمنية الفزاري حيث قال

من حبها أتمنى أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناع فينعاها

كيما أقول فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ولكنه استدرك بعد ذلك فقال

ولو تموت وراعتني لقلت لها * يا بؤس للموت ليت الدهر أبقاها

وقال الآخر تمنيت من حبي بثينة أننا * وندنا جميعا ثم نحيي ولا أحيا

فترجع دنياها عليها وانني * بساعة ضمي بها رضيت من الدنيا

وكل امرء أماله تلتقي بعماليه قيل للامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا وقيل لبعض الوراقين ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا وأوراقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال دفشا ودلقا ولا أريد رزقا وقال بعضهم

لو قال لي خالقي تمني * قلت له سائلا بصدق * أريد في صبح كل يوم

فتوح خبر يأتي برزق * كف حشيش ورطل لحم * ومن خبزونيك علق

وقول الآخر لو قيل ما تتمنى قلت في عجل * أخا صدوقا أمينا غير خوان

اذا فعلت جميلا ظل يشكرني * وان أسأت تلقاني بغفران

وما أحسن قول ابن سارة في الاماني

أماني من ليلى حسان كأنما * سقتني بها ليلى على ظما بردا

اذا اجتمعت عند الخطوب الجامع فقال مروان وللشعر أهل يعرفون بشكلهم تشير اليهم بالعجور الاصابع فسكت ابن الزبير ولم يجب فقالت عائشة رضي الله عنها يا عبد الله مالك لم تجب صاحبك فوالله ما سمعت تحاول رجلين تحاولا في نحو ما تحاولتما فيه أعجب الي من تحاولكما فقال ابن الزبير اني خفت عوار القول فكففت فقالت عائشة رضي الله عنها أما ان لمروان ارثا في الشعر ليس لك من قبل صفوان بن محرث الكناني وكانت أم مروان آمنة بنت علقمة بن صفوان (وروى) أبو عبد الله الجماز قال كنت أنا وأبو نواس جالسين عند باب عثمان اذ مر بنا أحمد بن عبد الوهاب الثقفي وهو غلام حسن فقال له أبو نواس قبلني قبلة فقال لا حتى تقول في شيأ فقال أبو نواس

حبك يا أحمد أضناني

يا قراني زي انسان

فقبله فقلت وأنا فاشأني فقال حتى تقول في فقلت بذلت للاول ما يشتهي فجد أبا العباس للثاني فقبلني فقال أبو نواس وهذا بيت يكون عندك دينا وأنشد يا وردة أعجلها قاطف مرت بنا في باب عثمان

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وبديع قول الوزير مؤيد الدين الطغرائى رحمه الله تعالى

أعلل النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا فسحة الامل

وقد أخذه العماد الكاتب فقال

وما هذه الايام الا صحائف * نؤرخ فيها ثم نمحى ونمحق

ولم أر عيشا مثل دائرة المنى * توسعها الآمال والعيش ضيق

وقال العفيف اسحق بن خليل كاتب الانشاء للناصر داود

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحى من زمن

وانما طرف آمالى به مرح * يجرى بوعد الامانى مطلق الرسن

وقال آخر في المنى راحة وان عللتنا * من هواها ببعض مالا يكون

وقال أبو الوليد بن زيدون أيضا

أمانى قلبى فانت جميعه * ياليتنى أصبحت بعض منالك

يدنى مزارك حين شط به النوى * وهم أكاد به أقبل فالك

ومن هنا أخذ الحاجرى قوله

يمثلك الشوق الشديد لناظرى * فأطرق اجلالا كأنك حاضر

وقال ابن رزين من شعراء الذخيرة

لأسرحن نواظرى * فى ذلك الروض النضير ولآكلنك بالمنى * ولأشربنك بالضمير

وقال علم الدين ايدمر المحيوى

كم لدينا أمانيا * قد حوت محكم العمل فارغات من الدنا * نيرملأى من الأمل

وهو عكس قول الآخر وأن رجاء كامنا فى نواله * لكالمال فى الاكياس تحت الخواتم

وقال أبو الحسين الجزار

ليت شعرى ما العذر لولا قضاء الله فى رزقه وفى حرمانى

ولقد كنت أن أهم بحمل الهم لولا تعللى بالأمانى

وله أيضا حسب الفتى حسن الامانى انه * لا يعتريه مدى الزمان زوال

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمى

لى حبيب لو قيل ما تتمنى * ما تعديته ولو بالمنون

أشتهى أن أحل فى كل طرف * فأراه بلحظ كل العيون

وقال غيره أعلل بالمنى قلبى لانى * أفرج بالامانى الهم عنى

وأعلم أن وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

وقال الآخر وهو أصرح مما قبله

اذا ما عن ذكرك فى ضميرى * وقابلنى محيالك الجميل

أصير لفرط أشواقى أيورا * لعلى أن نيكك مستحيل

وهو يشبه قول الصفى الحلى أيضا

اذا صد الحبيب لغير ذنب * وقاطعنى وأعرض عن وصالى

أمثله وأنكح عند صلحى * بابر الفكر فى ثقب الخيال ى

وقد سد ابن المعتز باب المنى بقوله

لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

(وذكر الاصبهانى فى كتاب الاغانى) قال دخل أبو نواس على عنان جارية الناطفى وهى تبكى وقد كان سيدها ضربها فأومأ اليه الناطفى أن يحركها بشئ فقال

عنان لو جدت لى فانى من * عمرى لا آمر الرسول بها

فقالت مسرعة

فان تمادى ولا تمادى فى * قطعك حبلى أكن كمن حسبها

فقال

عاقت من لو أتى على أنفس الـ * ـباقين والغابرين ما رحما

فقالت

لو نظرت عينه الى حجر * ولد فيه فتورها سقما

(قال أبو الفرج) وقرأت فى بعض الكتب دخل بعض الشعراء على عنان فقال لها مولاها عابثيه فقالت

سقيا لبغداد لا أرى بلدا * يسكنه الساكنون يشبهها

فقال

كأنها فضة مموهة * أخلص تمويهها مموهها

فقالت

أمن وخفض ولا كبهجتها * أرغد أرض عيشا وأرفهها

فانقطع (وذكر الصولى فى كتاب الوزراء) قال قال على بن يحيى المنجم كنت عند أبى الصقر اسمعيل بن بلبل فقال

جد بتيه علينا * بشكله وبقده

فقالت

وتابعه الخالدي فقال ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس
وقال الآخر من نال من دنياه أمنية * أسقطت الايام منها الالف
وقال شرف الدين القيرواني أيضا
غلف تعنوا في البيوت أمانيا * وجميع أعمار اللئام أماني
وقال الآخر ألا يا نفس ان ترضى بقوت * فأنت عزيزة أبدا غنيه
دعى عنك المطامع والاماني * فكم أمنية جلبت منيه
وقال أبو الحسين الجزار أناني راحة من الآمال * أين من همتي بلوغ المعالي
لي عجز أراح قلبي من الهم ومن طول فكرتي في المحال
ما لباس الحرير مما أرجيه فيرجي ولا ركوب البغال
راحة السر في التخلف عن كل محل أضحى بعيد المنال
وقال بعضهم وأكثر ما تلقى الاماني كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا
وقال آخر ولي من تمني النفس دنيا عريضة * ومستفتح يغدو على ويطرق
فقدت المنى لا النفس تلهو عن المنى * لتجربة منها ولا هي تصدق
وقال الصلاح الصفدي
ألا فاطرح عنك التمني ولا تبت * بكاسأته نشوان غير مفيق
فان كان مما لا غنى عنه فليكن * وفاة عدو أو حياة صديق

وقد أكثرنا في طول الامل وضده فلنرجع الى أخبار كثير عزة يحكى أنه خرج في الحج بجمل يبيعه فمر بسكينة بنت الحسين رضي الله عنهما ومعها عزة وهو لا يعرفها فقالت لها سكينة هذا كثير سومه بالجمل فسامته فاستام بمائتي درهم فقالت ضع عنا كذا وكذا الشئ قليل فأبى فدعت له بتمر وزبد فأكل فقالت له ضع عنا كذا وكذا الشئ قليل فأبى أيضا فقالت له قد أكلت بأكثر مما نسألك فقال ما أنا واضع شيأ فقالت سكينة اكشفوا عنها وعن عزة فلما رآها استحى وانصرف وهو يقول هو لكم هو لكم وحدث محمد بن سلام قال كان كثير يتقول ولم يكن عاشقا وكان جميل صادق الصبابة والعشق وقال أبو عبيدة كان جميل يصدق في حبه وكان كثير يكذب في حبه ويروى أنه نظر ذات يوم الى عزة وهي تميس في مشيتها فلم يعرفها فاتبعها وقال لها يا سيدتي قفي لي أكلمك فاني لم أر مثلك قط فمن أنت قالت ويحك وهل تركت عزة فيك بقية لاحد فقال بأبي أنت لو أن عزة أمة لوهبتها لك قالت فهل لك في المخاللة قال وكيف لي بذلك قالت وكيف بما قلته في عزة قال أقلبه كله وأحوله اليك فكشفت عن وجهها وقالت أغدرا يا فاسق وانك لهكذا فأبلس ولم ينطق وبهت فلما مضت أنشأ يقول

ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي * من السم جرعات بماء الذرارح
فمت ولم تعلم علي خيانة * وكم طالب للربح ليس برابح
أبوء بذنبي انني قد ظلمتها * واني بباقي سرها غير بائح

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة المنورة فاشتاق اليها فسافر ليلقاها فصادفها في الطريق وهي متوجهة الى مصر فجرى بينهما كلام طويل الشرح ثم انها انفصلت عنه وقدمت مصر ثم عاد كثير الى مصر فوافاها توفيت والناس منصرفون عن جنازتها فأتى قبرها وأناخ راحلته ومكث ساعة ثم رحل وهو يقول أبياتا منها قوله أقول ونضوي واقف عند قبرها * عليك سلام الله والعين تسفح
وقد كنت أبكي من فراقك حية * فأنت لعمري الآن أنأى وأنزح

وقال له عبد الملك بن مروان يوما بحق علي بن أبي طالب هل رأيت أحدا أعشق منك قال يا أمير المؤمنين لو أنشدتني بحقك لأخبرتك بينما أنا أسير في بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبالته فقلت له ما حبسك

جزاؤه كلما نا
ه ان يهان بصده
فقال
وقد ملا الارض طرا
بتيهه وببرده
فقلت
يا رب فامنن علينا
قبل الممات بفقده
(وذكر) محمد بن أيوب الغرناطي في كتاب فرحة الانفس في أخبار أهل الاندلس أن الناصر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل جلس في جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان يعده للمجون فقال له اهج عبد الملك بن جهور وأحدوز رائه فقال أخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضي منه فقال أهجوه أنا وأنت ثم صنع لب أبو القاسم ذو لحية طويلة في طولها ميل فقال عبد الملك
وعرضها ميلان ان كسرت
والعقل مافون ومخبول
فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها
قال أمين الله في عصرنا
لي لحية أزرى بها الطول
وابن عبير قال قول الذي
ما كوله القرضيل والفول
لولا حياء من امام الهدى
نخست بالمنخس شو
ثم سكت فقال الناصر هات

ههنا فقال أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالتي هنا لأصيب لهم شيأ يكفينا ويعصمنا يومنا هذا قلت أرأيت ان أقمت معك فأصبت صيدا تجعل لي جزأ منه قال نعم فبينا نحن كذلك وقعت ظبية في الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرني اليها فحلها وأطلقها فقلت ما حملك على هذا قال دخلتني لها رقة لشبهها بليلى وأنشأ يقول

أيا شبه ليلى لا تراعي فانني * لك اليوم من وحشية لصديق

أقول وقد أطلقتها من وثاقها * فأنت لليلى ما حييت طليق

(وحدث) عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال بكى بعض آل كثير عليه حين نزل به الموت فقال له كثير لا تبك فكأني بك بعد أربعين يوما تسمع خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعا اليكم وحدث يزيد بن عروة رحمهم الله تعالى قال مات كثير وعكرمة رحمهما الله تعالى في يوم واحد فقيل مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس ولم تتخلف امرأة ولا رجل عن جنازتيهما وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة في ندبهن فقال أبو جعفر محمد بن علي افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها قال فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل محمد بن علي رضي الله عنه يضربهن بكمه ويقول تنحين ياصويحبات يوسف فانتدبت له امرأة منهن فقالت يا ابن رسول الله لقد صدقت انا لصويحباته وقد كنا خيرا منكم له فقال أبو جعفر لبعض مواليه احتفظ بها حتى تجيئني بها اذا انصرفنا فلما انصرف أتى بتلك المرأة كأنها شرر النار فقال لها أنت القائلة انكن ليوسف خير منا قالت نعم تؤمنني غضبك يا ابن رسول الله قال أنت آمنة من غضبي فأبيني قالت نحن يا ابن رسول الله دعوناه الى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن فأينا كان عليه أحنى وبه أرأف فقال لها محمد لله درك لن تغالب امرأة الا غلبت ثم قال ألك بعل فقالت لي من الرجال من أنا بعله فقال لها أصدقت مثلك من تملك زوجها ولا يملكها فلما انصرفت قال رجل من القوم هذه زينب بنت معيقيب الانصارية وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك رحمهم الله تعالى

(قتل البخل وأحيى السماحا)

هو لابن المعتز من قصيدته السابقة في التشبيه وصدره جمع الحق لنا في امام وبعده قوله

ان عفا لم يبلغ لله حقا * أوسطا لم يخش منه جناحا

ألف الهيجاء طفلا وكهلا * يحسب السيف عليه وشاحا

(والشاهد فيه) مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فان القتل والاحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود

(تقريهم لهذميات)

قائله القطامي ولفظه نقريهم لهذميات نقدّ بها * ما كان خاط عليهم كل زرّاد

وهو من قصيدة من البسيط يمدح بها زفر بن الحرث الكلابي أولها

ما اعتاد حب سليمى غير معتاد * ولا تقضي بواقي دينها الصادي

بيضاء محطوطة المتنين بهكنة * ريا الروادف لم تغمل بأولاد

ما للكواعب ودّعن الحياة كما * ودّعنني واتخذن الشيب ميعادي

أبصارهنّ الى الشبان مائلة * وقد أراهنّ عني غير صداد

اذ باطلي لم تقشع جاهليته * عني ولم يترك الخلان تقوادي

كنية الحي من ذي الغيظة احتملوا * مستحقبين فؤادا ماله فادي

بانوا وكانت حياتي في اجتماعهم * وفي تفرقهم قتلي واقصادي

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادي

فهنّ ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

تمام البيت فامتنع فقال له قولو يعني تمام البيت قال لها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابه قله على حكم المثنى مع الطبع والراحة من التكلف فقال له يا مولانا أنت هجوته ففطن الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة

القرضيل شوك له ورق عريض تأكله البقر وشواسم ذكر الرجل بالرومية وقولو اسم للاست فكأنه قال لولا حياءي من امام الهدى نخست بالمنخس الذي هو الذكر استه (قال علي ابن ظافر) أخبرني من أثق به وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي القرموني بما معناه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاستاذ أبو العباس بن صارة في يوم جلا الذهب برقه وأذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فتراءا في صفتها فقال ابن صارة

هذي البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوّار

فقال ابن القبطرنة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

وهي

وهي طويلة والله ذم القاطع من الاسنة وأراد بلهذميات طعنات منسوبة الى الاسنة القاطعة أو أراد نفس الاسنة والتشبيه للمبالغة والقد القطع والزرد صانع الدروع (والشاهد فيه) ان مدار قرينة الاستعارة التبعية في الفعل وما يشتق منه على الفاعل أو المفعول كما هنا فان المفعول الثاني وهو اللهذميات قرينة على أن نقريهم استعارة وقد تقدم ذكر القطامي في شواهد القلب والله أعلم

(غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا)

هو من الكامل وتمامه غلقت لضحكته رقاب المال وهو من قصيدة لكثير عزة وأراد بغمر الرداء كثير العطاء (والشاهد فيه) الاستعارة المجردة وهي ما قرنت بملائم المستعار له فانه استعار الرداء للعطاء لانه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ثم وصفه بالغمر الذي يلائم العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة والقرينة سياق الكلام وهو قوله اذا تبسم ضاحكا أي شارعا في الضحك آخذا فيه غلقت لضحكته رقاب المال يقال غلق الرهن في يد المرتهن اذا لم يقدر على انفكاكه وهو يريد في البيت أن ممدوحه اذا تبسم غلقت رقاب أمواله في أيدي السائلين ومن استعارة الرداء قوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني * فدونك فاعتجر منه بشطر

فانه استعار الرداء للسيف وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء وما أحسن استعارة الرداء في قول أبي الوليد بن الجنان الشاطبي وهو فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف

برداء الشمس أضحى * بعد ما سال يجفف

وفي معنى عجز البيت قول امرئ القيس

غلقن برهن من حبيب به ادعت * سليمى فأضحى حبلها قد تبترا

وقول زهير وفارقتك برهن لا فكاك له * يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقول الوليد ومن يك رهنا للحوادث يغلق

وقول عمر بن أبي ربيعة وكم من قتيل لا يباء به دم * ومن غلق رهن اذا ضمه منى

وقول أبي جعفر بن مسلمة بن وضاح يخاطب ساجع حمام من أبيات

وهاج مبكاك بين ابراهيم للنجدي ذكر القطين

فرج فساعدني على لوعتي * فان رهني غلق في الرهون

وقول أبي نصر الساجي تشكوا اليك جملتي ما نالها * فيا لها ان صبرت ويا لها

لانها مرهونة بحبكم * طوبى لها ان غلقت طوبى لها

وما ألطف قول الصلاح الصفدي مع زيادة ايهام وايهام الطباق

سهام لحظك أصمت * قلبي ولم تترفق ما تفتح الجفن الا * ورهن قلبي يغلق

(لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم)

تقدم قريبا أن قائله زهير بن أبي سلمى من قصيدة من الطويل واللبد بالكسر شعر زبرة الأسد وكنيته أبو لبد والتقليم مبالغة القلم وهو قطع الاظفار (والشاهد فيه) اجتماع التجريد والترشيح في الاستعارة فالتجريد قد عرف قبله والترشيح هو ما قرن بملائم المستعار منه فقوله هنا لدى أسد شاكي السلاح تجريد لانه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع وباقي البيت ترشيح لانه وصف يلائم المستعار منه وهو الاسد الحقيقي ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر حيث قال

لعمرك انا والأحاليف هؤلا * لفي حجبة أظفارها لم تقلم

أي نحن في حرب وكذلك أخذه النابغة حيث قال أيضا

وبنو قعين لا محالة أنهم * آتوك غير مقلمي الاظفار

فقال ابن القبطرنة من أجل ذلك ذاو عزة هذه يبكي الغمام وتضحك الازهار (قال علي بن ظافر) وأخبرني أبو يحيى بن أحمد السبتولي بما سمعناه أخبرني كل من الاديب أبي عبد الله المتيطي وأبي العباس أحمد بن خير سبتة عشية في منار سبتة والشمس قد آذنت بالرواح ونثرت زعفرانها على مسك البطاح فقال ابن خير عشيتنا وقد لبست رداءي شحوب للتفرق والوداع فقال المتيطي فيا شمس الاصيل أراك تشكو كشكواي أطبعك من طباعي فقال ابن خير فلا تجزع لعل الدهر يوما يجود على التفرق باجتماع (قال علي بن ظافر) وقال لي السبتولي ما سمعناه وأخبراني أيضا أنهما مرا على صبي نجار ينجر أخشاب سفينة كأن البدر يبسم عن محياه والزهر ينسم عن رياه وهو يبذل من أخشابه ما كان مصونا ويعاقبها بالقطع لسرقتها حركات أعطافه حين كانت غصونا فتجاريا القول فيه فقال المتيطي ورب ظبي غرير يروع بالهجر روعي فقال ابن خير ذلت له الخشب طوعا

(ويصعد حتى يظن الجهو * ل بأن له حاجة في السما)

البيت لابي تمام الطائي من قصيدة من المتقارب يرثي بها خالد بن يزيد الشيباني ويذكر أباه وأولها

نعاء الى كل حي نعي * فتى العرب اختط ربع الفنا أصبنا جميعا بسهم النضا * ل فهلا أصبنا بسهم العلا

ألا أيها الموت فجعتنا * بماء الحياة وماء الحيا فماذا حضرت به حاضرا * وماذا خبأت لاهل الخبا

نعاء نعاء شقيق الندى * اليه نعيا قليل الجدا وكانا زمانا شريكي عنان * رضيعي لبان خليلي صفا

الى أن قال يخاطب ولده أبا جعفر ليعزك الزما * ن عزا و يكسك طول البقا

فما مزنك المرتجي بالجهام * ولا ريح منك بالجربيا

فلا رجعت فيك تلك الظنون * حيارى ولا انسد شعب الرجا

وقد نكس الثغر فابعث له * صدور القنا في ابتغاء الشفا

فقد مات جدك جد الملوك * ونجم أبيك حديث الضيا

ولم ترض قبضته للحسام * ولا حمل عاتقه للوى

فما زال يقرع تلك العلا * مع النجم مرتديا بالعما

وبعده البيت وهي قصيدة طويلة وهذا البيت في مدح أبيه وذكر علوه (والشاهد فيه) أن مبنى الترشيح على تناسي التشبيه حتى ان المرشح يبنى على علو القدر الذي يستعار له علو المكان ما يبنى على علو المكان والارتقاء الى السماء فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه و يصر على انكاره فيجعله صاعدا في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه ومثله قول بشار

أتتني الشمس زائرة * ولم تك تبرح الفلكا

وقول ابن الرومي يمدح به بني نوبخت

شافهتم البدر بالسؤال عن الا مر الى أن بلغتم زحلا

وقول أبي الطيب المتنبي أيضا

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق

وقول الآخر ولم أر قبلي من مشى البدر نحوه * ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

وقد اتفق علماء البديع على تقديم الاستعارة المرشحة على غيرها في هذا الباب وانه ليس فوق رتبتها رتبة ولنذكر نبذة منها ومن غيرها فمن محاسن ما ورد فيها قول أبي جعفر الشقري

ياهل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق * وأنطق الورق بعيدانه

مرقصة كل قضيب وريق * والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا بكؤوس الشقيق

ومثله في الرشاقة قول ابن رشيق

باكر الى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المزاح

من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادي من ثغور الاقاح

ولطيف قول بعضهم أيضا شربنا الريق وكاساتنا * شفاهنا والقبل النقل

ويقرب من البيت الاول من قول ابن رشيق قول ابن المعتز

وقد ركضت بنا خيل الملاهي * وقد طرنا بأجنحة السرور

وبديع أيضا قول ابن وكيع

غرد الطير فنبه من نعس * وأدر كاسك فالعيش خلس * سل سيف الفجر من غمد الدجى

وتعرى الصبح من ثوب الغلس * وانجلى عن حلل فضية * نالها من ظلم الليل دنس

وقول أبي نواس بعجن خد لم يغض ماؤه * ولم تخضه أعين الناس

وقوله أيضا فاذا بدا اقتادت محاسنه * قسرا اليه أعنة الحدق

كذلتي وخضوعي

فقال المتيطي

فقلت حتى ماذا

تبغي بهذا الصنيع

فقال ابن خمير

فقال أنشي سفينا

لرحلتي وتزوعي

فقال المتيطي

فقلت دونك فاجعل

سفينة من ضلوعي

فقال ابن خمير

شراعها من فؤادي

وبحرها من دموعي

(قال علي بن ظافر) وأخبرني القاضي الاسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير المقدم ذكره قال اجتمعت مع الوجيه أبي الحسن علي بن الذروي رضي الله تعالى عنه ومعنا رجل سيء الخلق كثير الضجر والحنق ذو صدر يضيق عن مثقال الذره ويتسع عنه اتساع الافق لسم الابره فتر أفذنا في ذمه فقال ابن الذروي

لو كان سرمك مثل صدرك ضيقة

طال اشتياق حتاره للفيشل

فقلت

ولكنت أول من يقال بأنه

بغاء الا أنه لم يدخل

(وأخبرني) الاديب عبد المنعم بن صالح الجزيري قال اجتمع عندي ابن المنجم والوجيه أبو الحسن بن الذروي والفقيه الاديب أبو الفضل المنبوز بطيري وجلسوا للحديث فدخل

وقوله أيضا وهو عجيب هنا

مازلت أستل روح الزق فى لطف * وأستقى دمه من جفن مجروح

حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى * والزق منطرح جسم بلا روح

وقول البدر الذهبى وأجاد مانظرت مقلتى عجيبا * كاللوز لما بدا نواره

اشتعل الرأس منه شيبا * واخضر من بعد ذا عذاره

وقول ابن خفاجة الاندلسى

وقد جال من حول الغمامة أدهم * له البرق سوط والشمال عنان

وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان

ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقول ابن قرناص قد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان

ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

وبديع أيضا قول ابن نباتة السعدى

خرقنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

لقوا نبلنا مرد العوارض وانثنوا * لأوجههم منها لحى وشوارب

وقول الشريف أبى الحسن العقيلى

وفرق تيجان نواره * فلم ينس من غصن مفرقا

وقوله أيضا اذا أبدى مؤامرة التجنى * أقمت له وجوه الاحتمال

وقوله أيضا خلص بجاه الوصل قلب متيم * غمز الصدود عليه أعوان الضنى

وقوله أيضا كلما لاح وجهه بمكان * كثرت زحمة العيون عليه

وقوله أيضا فلما تبدى لنا وجهه * نهبنا محاسنه بالعيون

وقول السرى الرفاء فى وصف يوم بارد من أبيات

متلون يبدى لنا * طرفا بأطراف النهار

فهواه منسكب الردا * وغمامه جافى الازار

يبكى فيجمد دمعه * والبرق يكحله بنار

وقول أبى القاسم الدينورى

من عذيرى من بديع الحسن ذى قد رشيق أنبتت فى فمه اللؤ * لؤ أرض من عقيق

وما ألطف قول أبى زكرياء المغربى من قصيدة أولها

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

يقول فيها كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

تحسب البدر محيا ثمل * قد سقته راحة الفجر مداما

وقول السلامى وهو بديع

والكأس للسكر التبرى صائغة * والماء للحبب الدرى نظام

بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا * كأننا فى حجور الروض أيتام

وما أبدع قوله أيضا تبسطنا على الآثام لما * رأينا العفو من ثمر الذنوب

قيل كان الصاحب بن عباد يستحسن هذا البيت وكان يستشهد به كثيرا ويقول مادرى قائله أى درة رمى بها وأى غرة سيرها وخلدها وقول التنوخى وهو من غريب الاستعارات

ورياض حاكت لهن الثريا * حللا كان غزلها للرعود * نثر الغيث در دمع عليها

علينا أبو الربيع سليمان بن تنين الطحان وذكر أنه رأى رجلا مصلوبا بأعلى الجسر وطعن بعد صلبه فقال لوجيه ابن الذروى يا أصحابنا اصنعوا فى هذا شيأ فقال ابن المنجم انما يصنع فيه من يتهم بأنه لا يشعر وليس ههنا من يتهم الا الشيخ أبو الفضل والشيخ أبو الربيع فليصنعا بيتين على حرف الذال على سبيل المرافدة ليثبت لهما ما ادعياه من قول الشعر فصنع طيرى فى الحال

ومقيم تخذ الجذوع مطية * فتقطعت لركوبها أفخاذه

وأطال أبو الربيع التفكر واقتضح فى تمادى التأمل فدس اليه ابن المنجم رقعة صغيرة فيها

وبدا السنان الرمح فيه نفاذه * أخنى على افلاذه فولاذه

وناولها له بحيث فطنت الجماعة وتغافلوا وخفى الامر على طيرى لسوء بصره فقال بيتى خير من هذا البيت وأكثر الصياح والجلبة فقال له ابن الذروى دع عنك هذا القول ألست القائل فى بيتك تخذ الجذوع فهذا صلب على جذع أو مائة وقلت أفخاذه فله فخذان أو عشرة وأوحى اليه بالقصة وأقصر عن الكلام ثم التفت ابن الذروى الى سليمان وقال له قد ثبت اليوم عملك للشعر فانصرف وقد ألزموه بعمل دعوة

فتحلت بمثل در العقود * أقحوان معانق لشقيق * كثغور تعض ورد الخدود
وعيون من نرجس تتراآ * كعيون موصولة التسهيد * وكأن الشقيق حين تبدى
ظلمة الصدغ فى خدود الغيد * وكأن الندى عليها دموع * فى عيون مفجوعة بفقيد
وقول السيد أبى الحسن على بن أبى طالب البلخى من أبيات
وكم قد مضى ليل على أبرق الحمى * مضىء ويوم بالمشرق مشرق
تسرقت فيه اللهو أملس ناعما * وأطيب أنس المرء ما يتسرق
ويا حسن طيف قد تعرض موهنا * وقلب الدجى من صولة الصبح يخفق
وقول ابن الساعاتى ولولا وشاة بل رواة تخرصوا * أحاديث ليست فى سماع ولا نقل
لثمت ثغور النور فى شنب الندى * خلال جبين النهر فى طرر الظل
وقول القاضى كمال الدين ابن النبيه
تبسم ثغر الروض عن شنب القطر * ودب عذار الظل فى وجنة النهر
وقوله أيضا والنهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء فى سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان
وقول ابن قرناص أيضا لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم بغصنه خصرا نحيلا
ودب مع العشى عذار ظل * على نهر حكى خدا أسيلا
وكلهم قد أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال
وانى وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير
وما أحسن قول الشهاب محمود الوراق
اذا الكرى در فى أجفاننا سنة * من النعاس نفضناها عن الهدب
وقول ابن نباتة المصرى أيضا
والماجنى طرفى رياض جمالكم * جعلت سهادى فى عقوبة من جنى
أأحبابنا ان عفتم السفح منزلا * وأخليتم من جانب الجذع موطنا
فقد حزتم دمعى عقيقا ومهجتى * غضى وسكنتم من ضلوعى منحنى
وقوله أيضا هذى الحمائم فى منابر أيكها * تملى الغنا والطل يكتب فى الورق
والقضب تخفض للسلام رؤسها * والزهر يرفع زائريه على الحدق
وهو أحسن من قول الامير مجير الدين بن تميم
انى لأشهد للعمى بفضيلة * من أجلها أصبحت من عشاقه
مازاره أيام نرجسه فتى * الا وأجلسه على أحداقه
وقول مجد الدين الاربلى
أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال
وقول مانى الموسوس دعتنى الى وصلها جهرة * ولم تدر أنى لها أعشق
فقمت وللسكر من مفرقى * الى قدمى ألسن تنطق
وما أجود قول أبى طاهر البغدادى فى نار القرى
خطرت فكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام لمولع بالبان
من معشر نشروا على تاج الربا * للطارقين ذوائب النيران
وهو مأخوذ من قول الاول

سرور ابنك (وأخبرنى) الاديب أبو القسم عبد الرحمن العداس قال اجتمع فى منزلى أبو الفضل جعفر المنبوز بشلعلع والمهذب وابن سعدان الدمشقى فأنشدنا ابن سعدان قصيدتين مفرطتى الطول وقال صنعتهما وبيضتهما وحملتهما الممدوح فى يومى هذا وكان الظهر لم يؤذن به بعد فرددناه عليه قوله فأخذ يدعى قوة الارتجال وسرعة البديهة فقال له جعفر هذا مكان يمكن فيه اقامة البينة من كل مدع ثم أطرق وقال
ولقد قطعت اليوم غير مقصص
بهذين محلق ومقصص
وقال له اصنع على هذا البيت والزم الصاد فقال ابن سعدان هذا ينبغى أن يقوله صاحب المنزل وصدق لان جعفرا عنى بقوله محلق نفسه وعنى بقوله مقصص ابن سعدان لانه كان يفرط فى قص لحيته فقال له جعفر قل فلم يصنع شيأ فقلت أنا
وطفقت أغتنم السرور كأنما
قد فزت من لذاته بتلصص
ثم استدعينا منه القول فما أمكن وكأنما يبس أو اعتراه الخرس فقال المهذب
فكأنما أسقيتها من خاتم
ورق بياقوت المدام مفصص
ثم استدعيناه فلم يقل شيأ فقلت أنا أصنع عنك وقلت

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعتلن بقرى
اذا ضل عنهم طارق رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

وقول صردر فيها

قوم اذا حيا الضيوف جفانهم * ردت عليهم ألسن النيران

ومنه قول التهامى

نادته نارك وهى غير فصيحة * وهنا بخفق ذوائب النيران

وقد بالغ مهيار الديلمى فى قوله

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى طربا على النيران

وما أحسن قول ابن سكرة وهو صاحب البيتين الجامعين لكافات الشتاء

قيل ما أعددت للبر * د فقد جاء بشده
قلت درّاعة عرى * تحتها جبة رعده

وما ألطف قول ابن عمار

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا

ومن بديع الاستعارة على سخفه ومجونه قول سعيد بن سناء الملك

ياهذه لا تستحى * منى فقد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تثنا * ءب ان ايرى قد تمطى

فاستعارة التثاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات قال ابن جبارة أنشد فى هذا ابن سناء الملك وزاد فى الاعجاب به فلما عدت الى البيت أخذت جزءا من البصائر والذخائر لابى حيان التوحيدى فوجدت فيه أن بغدادية قالت لاخرى خرجت اليوم الى العيد قالت اى وحياتك قالت لها فارأيت قالت أحراحا تتثاءب وأيورا تتمطى فلما اجتمعت به قلت له قد عرفت وعثرت على الكنز الذى انتهبته وحكيت له الحكاية قال سيدنا يفتش عن أمرى ومن ظريف الاستعارات قول الامير مجير الدين بن تميم

كيف السبيل لأن أقبل خد من * أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور ترمى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

وبديع قول السلامى أيضا فى وصف الحرب

والنقع ثوب بالنسور مطرز * والارض فرش بالجياد مخيل
وسطور رخيلك انما ألفاتها * سمر تنقط بالدماء وتشكل

وأجاد البدر بن يوسف الذهبى بقوله

هلم ياصاح الى روضة * يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومن ظريف الاستعارة أيضا قول ابن الغويرة

عاينت حبة خاله * فى روضة من جلنار
فغدا فؤادى طائرا * فاصطاده شرك العذار

وما أبدع أيضا قول الشريف الرضى الموسوى

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت * حوامل المزن فى أجداثكم تضع
ولا يزال جنين النبت ترضعه * على قبوركم العراضة الهمع

وقد أخذه ابن أسعد الموصلى فقال من قصيدة يتشوق فيها الى دمشق

سقى دمشق وأياما مضت فيها * حوامل السحب باديها وعاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى احشا أراضيها

ومحاسن هذا الباب كثيرة والاقتصار على هذه النبذة أولى

(هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا)
(فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا)

وترلت عن تكرير الصاد أشنى المفند فى المدام فدامة وأحب كل مسامح ومرخص وانقضى المجلس ولم يصنع شيأ (قال على بن ظافر) وكتب الى القاضى الاعز ابن المؤيد من الاسكندرية ولفظ الخبر له قال تسايرت أنا والقاضى المخلص أبو العباس أحمد بن يحيى بن عوف بشاطئ خليج الاسكندرية من جهة القنطرة المعروفة بقنطرة السوارى وقد رقصت أشجاره على غناء أطياره وملأ لها ساقى الغمام كؤس جلناره فبينما نحن نتناشد من نفيس رقيق الاشعار ونتعاطى من كؤس رحيق الاخبار ونتعجب من سماء ذلك الماء كيف خلت من البدور ومن نجوم تلك الازهار مع طلوع شمس النهار كيف لا تغور اذ بجواز هناك جوار وبدور من قبل السوارى سوار فقلت

لله أى بدور
من السوار سوارى

فقال المخلص

من كل هيفاء جرسى الـ
وشاح خرسى السوار

فقلت

لاحت فخلت وحلت
قلبى وعقد اصطبارى

فقال

تنوب فرعا ووجها
عن الدجى والنهار

فقلت

البيتان للعباس بن الاحنف من المتقارب (والشاهد فيهما) جواز البناء على الفرع وهو المشبه به مع جحد الاصل وهو المشبه لانه هنا طوى ذكر الاصل وجعل الكلام خاوا منه ويسمى هذا المجاز المفرد ومنه قول الفرزدق أبى أحمد الغيثين صعصعة الذى * متى تخلف الجوزاء والدلو عطر
وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين
يتعاوران من الغبار ملاءة * بيضاء محكمة اذا نسجاها
تطوى اذا وردا مكانا محزنا * واذا السنابك أسهلت نشراها
وقول سعيد الكاتب التسترى النصرانى
قلت زورى فأرسلت * أنا آتيك سحره قلت فالليل كان أخ * فى وأدنى مسره
فأجابت بحجة * زادت القلب حسره أنا شمس وانما * تطلع الشمس بكره
وله فى معناه أيضا وعد البدر بالزيارة ليلا * فاذا ما وفى قضيت نذورى
قلت ياسيدى فلم تؤثر الليـ * ـل على بهجة النهار المنير
قال لى لا أحب تغيير رسمى * هكذا الرسم فى طلوع البدور
وقال فى معناه أيضا قلت للبدر حين أعتب زورنى * واشمت الوصل بالقلا والتجافى
قال انى مع العشاء سآتى * فانتظرنى ولا تخف من خلاف
قلت ياسيدى فزرنى نهارا * فهو أدنى لقربة الائتلاف
قال لا أستطيع تغيير رسمى * انما البدر فى الظلام يوافى
وقد جمع أبو العلاء المعرى المعنيين فى قوله
هى قالت لما رأت شيب رأسى * وأرادت تنكرا وازورارا
أنا بدر وقد بدا الصبح من شيبك والصبح يطرد الاقمارا
قلت لا بل أراك فى الحسن شمسا * لا ترى فى الدجى وتبدو نهارا

(واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع)

البيت لابى ذؤيب الهذلى من قصيدة من الكامل قالها وقد هلك له خمس بنين فى عام واحد وكانوا فى من هاجر الى مصر فرثاهم بهذه القصيدة وأولها
أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحبا * منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا * الا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما لجسمى انه * أودى بنى من البلاد فودعوا
أودى بنى فأعقبونى حسرة * عند الرقاد وعبرة لا تقلع
فالعين بعدهم كأن حداقها * كحلت بشوك فهى عورى تدمع
فغبرت بعدهم بعيش ناصب * وأخال أنى لاحق مستتبع
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم * فاذا المنية أقبلت لا تدفع
وبعده البيت وبعده وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأنى للحوادث مروة * بصفا المشرق كل يوم تقرع
والدهر لا يبقى على حدثانه * جون السحاب له جدائد أربع
يروى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما استأذن على معاوية فى مرض موته ليعوده فادهن واكتحل وأمر أن يقعد ويسند وقال ائذنوا له وليسلم قائما ولينصرف فلما سلم عليه وولى أنشد معاوية قول الهذلى

فناظراها وقلبى
ما بين راض وضار
فقال
وخدها وفؤادى
من جلنار ونار
فقلت
تحكى الغزالة فى بهـ
ـجة وحسن منار
فقال
والظبى فى حسن جيد
ومقلة ونفار
(قال على بن ظافر) وأخبرنى
شهاب الدين يعقوب ابن
أخت الوزير نجم الدين
المقدم ذكره بمعناه جلسنا
على بركة فى منظرة خالى
بالجزيرة وقد ألقى عليها
ورد أحمر ملأ بكثرة نجومه
فسحة سمائها ونقبت حمرة
خدوده صفحة مائها وأهدى
ومدة الى مقلتها الزرقاء
فصح سرور ناباد ائها فقال
رضى الدين اسحق بن عبد
البارى
وبركة صادقة الصفاء
فقلت
بريئة من دنس الاقذاء
فقال
نقب فيها الورد وجه الماء
فقلت
فأبصرت من مقلة رمداء
(وأخبرنى أيضا) هو
والشريف فخر الدين أبو
البركات العباس بن عبد الله
العباسى الحلبى أنهما كانا
مجتمعين فتر عليهما صبى من
أبناء السوادين بسوق

في هذه القصيدة وتجلدي للشامتين البيت فأجابه ابن عباس على الفور واذا المنية أنشبت البيت ثم ماخرج من داره حتى سمع الناعية عليه (والشاهد فيه) الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فهو هنا شبه في نفسه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم فأثبت لها الاظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدونها تحقيقا للمبالغة في التشبيه فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية واثبات الاظفار لها استعارة تخييلية (وأبو ذؤيب) اسمه خويلد بن خالد بن محرث ابن زبيد بن مخزوم ينتهي نسبه لنزار وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام ولم تثبت له رؤية (وحدث) أبو ذؤيب قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فظللت أقاسي طولها حتى اذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا * تذري الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع في العرب وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتي وسرت فلما أصبحت طلبت شيأ أزجر به فعن لي شيهم يعني القنفذ قد قبض على صل يعني الحية فهي تلتوي عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شيء مهم والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أولت أكل الشيهم اياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر فحثثت ناقتي حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرني بوفاته ونعب غراب سانح فنطق بمثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لي في طريقي وقدمت المدينة المنورة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا انطوى بالاحرام فقلت مه فقالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت الى المسجد فوجدته خاليا فأتيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبت بابه مرتجا وقيل هو مسجى وقد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل في سقيفة بني ساعدة صاروا الى الانصار فجئت الى السقيفة فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالما وجماعة من قريش ورأيت الانصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وملأ منهم فأويت الى قريش وتكلمت الانصار فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب وتكلم أبو بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا مال اليه وانقاد له ثم تكلم عمر بعده بكلام دون كلامه ومد يده فبايعه وبايعوه ورجع أبو بكر ورجعت معه فشهدت الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشهدت مدفنه صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ أبو ذؤيب يبكي النبي صلى الله عليه وسلم

لما رأيت الناس في عسلانهم * ما بين ملحود له ومضرح
متبادرين لشرجع بأكفهم * نص الرقاب لفقد أبيض أروح
فهناك صرت الى الهموم ومن يبت * جار الهموم يبيت غير مروح
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها * وتضعضعت آطام بطن الابطح
وتزعزعت أجبال يثرب كلها * ونخيلها لحلول خطب مفدح
ولقد زجرت الطير قبل وفاته * بمصابه وزجرت سعد الاذبح
وزجرت أن نعب المشحج سانحا * متفائلا فيه بفأل أقبح

ثم انصرف أبو ذؤيب رحمه الله تعالى الى باديته فأقام بها وقال محمد بن سلام كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن وسئل حسان بن ثابت من أشعر الناس قال أحيا أم رجلا قالوا أحيا قال أشعر الناس حيا هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب وقال محمد بن معاذ المعمري في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراء وكان اسم الشاعر بالعبرانية مؤلف زوراء فأخبرت بذلك بعض أصحاب العبرانية وهو كثير ابن اسحق فعجب منه وقال قد بلغني ذلك وكان أبو ذؤيب يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يرسل اليها خالد

يقر أو كان وضيء الوجه حسن القد فتعاطينا القول في صفته فقال الشهاب

بنفسي غزال يسوق البقر
ويقتل عمدا نفوس البشر

فقال الشريف

بدا فبدا الغصن فوق الكثيب
وبدر الدجى في ظلام الشعر

فقال الشهاب

تقل الغزالة عن وجهه
ويصغر تشبيهه بالقمر

فقال الشريف

شكوت اليه غرامي به
فأعرض عني دلالا ومر

فقال الشهاب

حلا لي لما انثنى قده
ولكنه لحياتي أمر

(قال علي بن ظافر) كنت في بعض العشايا بالقرافة أنا والاعز بن المؤيد المقدم ذكره في منزل قد انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طينه ومدت بكاسات الجلنار بنان غصونه والنسيم قد خفت فاعتل وسقط رداؤه في الماء فابتل ووهت قواه فضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير فاقترح علينا أصحاب لنا كانوا معنا أن نصنع في صفة تلك العشية على هذه القافية فقال الاعز

جاء النسيم الى الغصون رسولا
ومشى يجر على الرياض ذيولا

ابن زهير نخانه فيها وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويمر بن مالك بن عويمر وكان رسوله اليها فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها فأرسلت تترضاه فلم يفعل وقال فيها

تريدين كيما تجمعيني وخالدا * وهل يجمع السيفان ويحك في غمد
أخالد ما راعيت من ذي قرابة * فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي
دعاك اليها مقلتاها وجيدها * فملت كما مال المحب على عمد
وكنت كرقراق السراب اذا جرى * لقوم وقد بات المطي بهم تخدي
فآليت لا أنفك أحذو قصيدة * تكون وإياها بها مثلا بعدي

وقال أبو زيد عمر بن شبة تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية يعني قصيدته المثبتة قريبا * وعن ابن عياش بالياء التحتية والشين المعجمة قال لما مات جعفر الاكبر ابن المنصور مشى في جنازته من المدينة الى مقابر قريش ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ثم انصرف الى قصره فأقبل على الربيع فقال يا ربيع انظر من في أهلي ينشدني أمن المنون وريبها تتوجع حتى أتسلى عن مصيبتي قال الربيع فخرجت الى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور فسألتهم عنها فلم يكن فيهم أحد يحفظها فرجعت فأخبرته فقال والله لمصيبتي بأهل بيتي لا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهم في الأدب أعظم وأشد علي من مصيبتي بابني ثم قال انظر هل في القواد والعوام من يعرفها فاني أحب أن أسمعها من انسان ينشدها فخرجت فاعترضت الناس فلم أجد أحدا ينشدها الا شيخا مؤدبا قد انصرف من تأديبه فسألته هل يحفظ شيأ من الشعر قال نعم شعر أبي ذؤيب فقلت أنشدني فابتدأ بهذه القصيدة العينية فقلت أنت بغيتي فأوصلته الى المنصور فأنشده اياها فلما قال والدهر ليس بمعتب من يجزع قال صدق والله فأنشدني هذا البيت مائة مرة لتردد هذا المصراع علي فأنشده ثم مر فيها فلما انتهى الى قوله والدهر لا يبقى على حدثانه الخ قال سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ثم أمر الشيخ بالانصراف فاتبعته فقلت أمر لك أمير المؤمنين بشيء قال نعم وأراني صرة في يده فيها مائة درهم وعن الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي الى افريقية سنة ست وعشرين غازيا في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث معه نفرا منهم أبو ذؤيب ففي عبد الله يقول

وصاحب صدق كسيد الغضا * ينهض في الغزو نهضا نجيحا

في قصيدة له فلما قدموا الى مصر مات أبو ذؤيب بها وعن أبي عمرو عبد الله بن الحرث الهذلي من أهل المدينة المنورة قال خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عبيد حتى قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أي العمل أفضل يا أمير المؤمنين قال الايمان بالله ورسوله قال قد فعلت فأيه أفضل بعده قال الجهاد في سبيل الله قال ذلك كان علي ولا أرجو جنة ولا أخاف نارا ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين فلما قفلوا أخذه الموت فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعا فمنعهما صاحب الساقة وقال ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول فكلاهما أراد أن يتخلف عليه فقال لهما أبو ذؤيب اقترعا فطارت القرعة لابي عبيد فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس فكان أبو عبيد يحدث قال قال لي أبو ذؤيب يا أبا عبيد احفر ذلك الجرف بمحلك ثم أعضد من الشجر بسيفك ثم اجررني الى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى أفرغ فاغسلني وكفني بكفني ثم اجعلني في حفرتي وانثل علي الجرف بمحلك وألق علي الغصون والحجارة ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها في الافق اذا أمسيت كأنها جهامة قال فما أخطأ مما قال شيأ ولولا نعته لم أهتد لاثر الجيش وقال وهو يجود بنفسه

أبا عبيد رفع الكتاب * واقترب الموعود والحساب
وعند رحلي جمل نجاب * أحمر في حاركه انصباب

ثم مضيت حتى لحقت بالناس فكان يقال ان أهل الاسلام أبعدوا الاثر في بلاد الروم فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعلم لاحد من المسلمين وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة والله أعلم أي ذلك كان

فقلت
نشوان يعثر في الخمائل عابثا
بالزهر مبلول الرداء عليلا
فقال
فتمايلت قاماتها فكأنما
شربت بكاسات الشمال شمولا
فقلت
فكأنه قد هز رايات له
خضرا وسل من المياه نصولا
فقال
قد أطلعت من زهرها غررا ومن
جاري المياه بسوقها تحجيلا
فقلت
تحكي العرائس في القلائد للثرا
لبست خلاخل فضة وحجولا
فقال
ضحكت مباسم زهرها ولطالما
بكت بدمع الهاطلات طويلا
فقلت
وبدا عليها الجلنار كأنه
وجنات خود سمتها التقبيلا
فقال
سلت عليهن البروق صوارما
فكسونها منه دما مطلولا
فقلت
وتناظرت أطيارها فيه وقد
أكثرن قالا في الهديل وقيلا
(قال علي بن ظافر) ومررت
أنا وهو رحمه الله بمابدولاب
يئن أنين ثكالى فقدت
أطفالها والنواعير أضلت
آفالها ويبكي بكا صب
آلمه هواه وصارمه من
يهواه وفرق البين بينه

(ولئن

﴿ولئن نطقت بشكر برك مفصحا * فلسان حالى بالشكاية أنطق﴾

البيت من الكامل ولا أعرف قائله (والشاهد فيه) مافى البيت قبله فانه شبه الحال بانسان متكلم فى الدلالة على المقصود وهذا هو الاستعارة بالكناية فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان المتكلم وهذه الاستعارة التخييلية وقريب من معناه قول ابن الخيمى

أبدا أحن الى محيالك الذى * يصبى البعيد اليه نور مشرق
وأروم شكوى موجعات الحب لا * أسخطها لكن لعلك تشفق
فأرى لسانى بالصبابة أخرسا * ولسان حالى بالشكاية ينطق
وأفوه باسمك والمسافة بيننا * فصوى فيضحى الجو طيبا يعبق

﴿صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرى أفراس الصبا ورواحله﴾

البيت لزهير بن أبى سلمى وهو أول قصيدة من الطويل وبعده

وأقصرت عما تعلمين وسددت * على سوى قصد السبيل معادله

الى أن يقول فيها

فقلنا له أبصر وسدد طريقه * وما هو فيه عن وصاتى شاغله
وقلت تعلم أن فى الصيد عزة * وأن لا تضيعه فانك قاتله
فأتبع آثار الشياه وليدنا * كشؤبوب غيث يحفش الاكم وابله
نظرت اليه نظرة فرأيته * على كل حال مرة وهو حامله

وهى طويلة يقال أقصر عن الشئ بمعنى انتهى أو أعجز عنه (والشاهد فيه) مافى البيت قبله أيضا فانه أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغى وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته فشبه فى نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها ووجه الشبه الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال بمهلكة ولا متحرز عن معركة وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية فأثبت له بعض ما يختص بتلك الجهة وهى الافراس والرواحل التى بها قوام جهة السير والسفر فاثبات الافراس والرواحل استعارة تخييلية والصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل الى الجهل والفتوة ويحتمل أنه أراد بالافراس والرواحل دواعى النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات أو أراد بها الاسباب التى قلما تتخذ فى اتباع الغى الا أوان الصبا وعنفوان الشباب فتكون استعارة الافراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلا اذا أريد بها الدواعى وحسا اذا أريد بها اتباع أسباب الغى

﴿والطاعنين مجامع الاضغان﴾

هو من الكامل ولا أعرف قائله وصدره الضاربين بكل أبيض مخذم والمخذم بالذال المعجمة السيف والاضغان جمع ضغن وهو الحقد (والشاهد فيه) القسم الاول من أقسام الكناية وهو أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة وتكون لمعنى واحد كما هنا وتكون لمجموع معان فقوله بمجامع الاضغان معنى واحد كناية عن القلوب ونحوه قول البحترى

فأتبعتها أخرى فاضلات نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

﴿ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج﴾

البيت لزياد الاعجم من أبيات من الكامل قالها فى عبد الله بن الحشرج وكان قد وفد عليه وهو أمير على نيسابور فأمر بانزاله وألطفه وبعث اليه بما يحتاجه فغدا اليه فأنشده البيت وبعده

ملك أغر متوج ذونائل * للمعتفين يمينه لم تشنج
ياخير من صعد المنابر بالتقى * بعد النبى المصطفى المتحرج
لما أتيتك راجيا لنوالكم * ألفيت باب نوالكم لم يرتج

وبين محبوبه فراقا لا يرجى انقطاعه ولا يمكن استرداد ما سلبه منه ولا استرجاعه فقلبه قد ملأته أوجاعه وجفنه قد ضاق مجراه عن دمعه فتفتحت به أضلاعه فقلت

وساقية تئن أنين ثكلى
شكت بأنينها حر الاوار

فقال

تحن ولا تزال تطوف عجلى
كرازمة تحن الى حوار

فقلت

غدت تحكى محياذا انتحاب
يطوف باكيا فى رسم دار

فقال

حكت فلكا لحلب اللهو دارت
عليه من قواديسه درارى

(وبصرنا) بساقية تتلوى تلوى الافعوان وتخفق خفقان قلب الجبان والزهر قد نظم بلبتها عقودا فوق أثوابها الممسكه والنسيم يكسوها ويلبسها غلائل مفركه فقلت

أساقية أم أرقم فر هاربا

فقال

أم الريح قد هزت من الماء قاضبا

فقلت

حصى مثل در الثغر أجرى زلاله

رضابا وأبدى نبته النضر شاربا

فقال

يوشحها زهر الرياض قلائدا
ويلبسها مر الرياح جلاببا

(واجتمعت) أنا وشهاب الدين يوما فتعاطينا القول فى

فأمر له بعشرة آلاف درهم والمروءة كمال الرجولية (والشاهد فيه) القسم الثالث من أقسام الكناية وهو أن يكون المطلوب بها اثبات أمر لامر أو نفيه عنه فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات وترك التصريح باختصاصه بها الى الكناية بأن جعلها في قبة ضربت عليه تنبيها على ان محلها ذو قبة وهي تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء قال أبو تمام

لولا بنو جشم بن بكر فيكم * كانت خيامكم بغير قباب

وانما احتاج في هذا البيت الى هذا الوجه لذوي قباب في الدنيا كثيرين فأفاد اثبات الصفات المذكورة له لانه اذا أثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته له وفي معنى البيت قول زياد أيضا في مرثية المغيرة ابن المهلب

ان السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح

وقريب منه قول ابن خلاد يمدح ابن العميد

لقد شهدت عقول الخلق طرا * وحسبك بالبصائر من شهود

بأن محاسن الدنيا جميعا * بأفنية الرئيس ابن العميد

وقول الآخر يمدحه والمجد يدعو أن يدوم بجيده * عقد مساعي ابن العميد نظامه

(وابن الحشرج الممدوح) اسمه عبد الله وكان سيدا من سادات قيس وأميرا من أمرائها ولي كثيرا من أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان وكان جوادا ممدوحا وفيه يقول زياد أيضا

اذا كنت مرتادا السماحة والندى * فسائل تخبر عن ديار الاشاهب

وكان عبد الله كثير العطاء أعطى بخراسان حتى أعطى فراشه ولحافه فقالت له امرأته لشدّ ما تلاعب بك الشيطان وصرت من اخوانه مبذرا كما قال الله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فقال عبد الله ابن الحشرج لرفاعة بن دريّ النهدي وكان أخاله وصديقا ألا تسمع ماتقول هذه النوكى وماتتكلم به فقال له رفاعة صدقت والله وبرّت وانك لمبذر وان المبذرين لاخوان الشياطين فقال ابن الحشرج في ذلك

متى يأتنا الغيث المغيث تجد لنا * مكارم ماتعيي بأموالنا التلد

مكارم قد جدنا بها اذ تمنعت * رجال وضنت في الرخاء وفي الجهد

أردنا بما جدنا به من تلادنا * خلاف الذي يأتي خيار بني نهد

تلوم على اتلافي المال ختني * ويسعدها نهد بن زيد على الزهد

أنهد بن زيد لست منكم فتشفقوا * عليّ ولا منكم غوائي ولا رشدي

أتنت صغيرا ناشئا ما أردتم * وكهلا وحتى تبصروني في اللحد

سأبذل مالي ان مالي ذخيرة * لعقبي وما أجني به ثمر الحمد

ولست بعبكاء على الزاد باسل * يهرّ على الازواد كالاسد الورد

ولكنني سمح بما حزت باذل * لما كلفت كفاي في الزمن الجحد

بذلك أوصاني الرقاد وقبله * أبوه بأن أعطي وأوفي بالعهد

والرقاد كان أحد عمومته وكان سيدا جوادا

﴿شواهد الفن الثالث وهو علم البديع﴾

﴿تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الا وهي من سندس خضر﴾

البيت لابي تمام الطائي من قصيدة من الطويل يرثي بها أبا نهشل محمد بن حميد حين استشهد وأولها

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الآمال بعد محمد * فأصبح في شغل عن السفر السفر

وماكان الامال من قلّ ماله * وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

صبي ينعت بالشمس قد مضى ذكره فقال

وشمس اذا ما أشرقت يكسبها الحيا شقيقا ويلبسني الهوى حلة الورس فقلت

بلوح فأبكي حين أنظر وجهه وبالقسر يبكي من يحدق للشمس

(قال علي بن ظافر) واجتمعنا بالقرافة في ليلة وقد عمّ السرور الارض بسحابه وغمرها بفائض انسكابه فأنبتت نواحيها زاهي جلنار من شعل النار في غصون مائسات كحبال القرقيسات وكشف بها النور سجف الظلماء ونقل طرف الليل الى الشبة الشقراء عن الشبة الدهماء وزهت الارض بشهب النيران على جو السماء فترافدنا القول فقلت

أنعت ليلا مدلهما أقتما

فقال

أشعل بالنار وكان أدهما

فقلت

أضحى من الحسن منيرا مظلما

فقال

كاثرت النيران فيه الانجما

فقلت

فلم نكد نعرف أرضا من سما

(قال علي بن ظافر) واجتمعنا يوما على أن نتغزل في غلام رأيناه كأن الشمس من ازراره أشرقت وكأن النار من وجناته أنارت وما أحرقت ذي خيلان قد انبثت دهم

وما كان يدرى من بلا يسر كفه * اذا ما استهلت أنه خلق العسر

يقول فيها

غدا غدوة والحمد نسج ردائه * فلم ينصرف الا وأكفانه الاجر

وبعده البيت وبعده

كأن بنى نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

يعزون عن ثاو تعزى به العلا * ويبكى عليه البأس والجود والشعر

وأنى لهم صبر عليه وقد مضى * الى الموت حتى استشهدا هو والصبر

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدم فلم ينقض يوم قتله ولم يدخل فى ليلته الا وقد صارت الثياب خضرا من سندس الجنة أقول ولو قال أبو تمام

تردى ثياب الموت حمرا فما اختفى * عن العين الا وهى من سندس خضر

لكان أبلغ فى القصد وأبدع فانه جعل غاية تبديلها بالسندس دخوله فى الليل وهذا ليس بمعلوم فان الميت اذا غيب بالدفن عن الاعين تبدلت أحواله الى خير أو شر والعياذ بالله تعالى ويشهد لذلك ما ورد أن الميت بمجرد ستره عن الاعين يأتيه ملكا السؤال وفى معنى بيت أبى تمام قول القاضى الفاضل عبد الرحيم رحمه الله

لهفى لمقتول تلا * حظه عيون البيض شزرا متضرجا بدم رأتـ * ـه الحور فى الجنات عطرا

متكفن بملابس * حمراء وهى تعود خضرا

يروى أنه لما ورد نعى هذا المرثى غمس أبو تمام طرف ردائه فى مداد ثم ضرب به كفيه وصدره وأنشد هذه القصيدة والى ذلك أشار ابن زنجى الكاتب المغربى فى قوله يرثى الشيخ أبا على بن خلدون

لولا الحياء وأن أجىء بفعلة * تنضى على بها سيوف ملام * وأكون متبع الاشنع سنة

قد سنها قبلى أبو تمام * للبست لبس الثاكلات وكنت فى * سود الوجوه كأننى من حام

(والشاهد فى البيت) الطباق المسمى بالتدبيج وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر فى معنى من المدح أو غيره ألوانا القصد الكناية أو التورية ويسمى تدبيج الكناية أيضا فانه هنا ذكر لون الحمرة والخضرة والمراد من الاول الكناية عن القتل ومن الثانى الكناية عن دخول الجنة ومن طباق التدبيج قول عمرو بن كلثوم

بأنا نورد الرايات بيضا * ونصدرهن حمرا قد روينا

ولو اتفق له أن يقول

من الاسل الظماء يردن بيضا * ونصدرهن حمرا قد روينا

لكان أبدع بيت للعرب فى الطباق لانه يكون قد طابق بين الايراد والاصدار والبياض والحمرة والظماء والرى وقد تم لابى الشيص فقال

فأوردها بيضا ظماء صدورها * وأصدرها بالرى ألوانها حمرا

فصار أخذه مغفورا بكمال معناه وما أحسن قول ابن حيوس

وعلك العلياء بالسعى الذى * أغناك عن متعالم الانساب * ببياض عرض واحمرار صوارم

وسواد نقع واخضرار رحاب * والخربم عم جود نواله * وأب لافعال الدنية آبى

وقوله أيضا

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم فى مكارم أو نزال

تلق بيض الاعراض سمر مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وقد أخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله

لهم بنان طائح بالندى * فهن امادم أو بحار

بيض الايادى خضر روض الربا * حمر المواضى فى العجاج المثار

وقول بعضهم

الغصن فوق الماء تحت شقائق * مثل الاسنة خضبت بدماء

كالصعدة السمراء تحت الراية الحمراء فوق اللامة الخضراء

وقريب من لفظه قول الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء

خيلها فى محياه وتفرقت
لاقتناص فرسان القلوب
التى كسرها هواه وقد حذت
وجناته بالشقيق ولففت
فصوص السبج بالعقيق
فقال
بى رشأ أصداغه كالاوراق
بل غصن من وشيه فى أوراق
بل قمر من شعره فى أغساق
فقلت
أجفانه مثل جسوم العشاق
وقرطه مثل القلوب خفاق
يرمقنى شزرا فيفنى الارماق
فقال
فى خده ماء الجمال رقراق
عجبت منه شم ذو احراق
يريك خيلا ناخيال الاحداق
(قال على بن ظافر) واجتمعنا
بالجامع فرأينا غلاما مائس
العطف ذابل الطرف
قد عانق أفعوان شعره غصن
قده وطابق بين مبيض وجهه
ومسوده فقلت فيه
يارب ظبى عطر الانفاس
يسكن قلبى بدل الكناس
وجنته تزهر كالنبراس
وشعره فى قده المياس
مثل لواء لبنى العباس
فقال لو شبهته بعلم الخطيب
لاسيما اذا كرت حاوله
بالجامع ثم صنع فقال
يارب غصن أهيف رطيب
أنبته الحسن على كثيب
قام مقام الخاشع المنيب
يفتك فى الجامع بالقلوب
وقده فى شعره الغربيب
يميس مثل علم الخطيب

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقـلة السوداء

ولابن النبيه دع النوح خلف حدوج الركائب * وسـل فؤادك عن كل ذاهب
بيض السـوالف حمـر المراشـف صفر الترائب سود الذوائب
فما العيش الا اذا ما نظمت * بثغر الحباب ثنايا الحبائب

ولابن الساعاتى من معشر ويجـل قدر علائه * عن أن يقـال لمثـله من معشر
بيض الوجوه كأن زرق رماحهم * سر يحـل سواد قلب العسكر

ولابن دوقاء العماد من أبيات
أرى العـقد فى ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهرى
وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعى غـدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادى بغى الهوى * لاجلك يا طلعة المشترى

ولابى الحسن محمد بن القنوع من أبيات
ويخترم الارواح والموت أحمـر * بأبيض يتلوه لدى الطعن أزرق

وما أحسن ما قال بعده
ويجرى عتـاق الخيل قبا شوازبا * تبارى هبوب الريح بل هى أسبق
اذا حفرت منهـا الحوافر فى الصفا * محاريب ظلت بالنجيع تخلق

ولابى الفرج الببغاء فى قريب من معناه
وكأنما نقشت حوافر خيله * للنـاظرين أهلة فى الجلمد

وما أحسن قوله بعده
وكأن طرف الشمس مطروف وقد * جعـل الغبـار له مكان الاثمد

ولابى سعيد الرستمى من النفر العالين فى السلم والوغى * وأهـل المعالى والعوالى واللها
اذا نزلوا اخضر الثرى من نزولها * وان نازلوا احمر القنا من نزالها

ولابن جابر الاندلسى
تشتكى الصـفر من يديه وترضى * السمر من راحتيه عند الحروب
أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غـبراء من سـواد الخطوب

ولابى القاسم عبد الصمد بن على الطبرى من قصيدة
حمريدى بالكاس فالروض مخـضر الربا قبل اصفرار البنان

ولابى بكر الخالدى ومدامة صـفراء فى قارورة * زرقاء تحـملها يد بيضـاء
فالراح شمس والحباب كواكب * والكف قطب والاناء سماء

ولنجم الدين البارزى فى وصف قلم
ومثقف للخط يحكى فعل سمـر الخط الآن هـذا أصـغر
فى رأسه المسود أن أجروه فى المبيض للاعـداء موت أحمـر

ومن المضحك فيه قول ابن لنكك البصرى يهجو أبا رياش وكان نهما شرها على الطعام
يطـير الى الطعام أبو رياش * مبادرة ولو واراه قـبر
أصابعـه من الحلواء صـفر * ولكن الاخادع منه حمر

وكان أبو رياش هـذا باقعـة فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها غاية بل آية فى هـذه دواوينها وسرد أخبـارها مع فصاحة وبيان واعراب واتقان ولكنه كان عديم المروءة وسخ اللبسة كثير التقشف قليـل

ثم زدنا فقلت
وشادن ساجى اللحاظ أحور
فقال
أبيض يحكيه قوام الاسمر
فقلت
وقده تحت أثيث الشعر
فقال
من فوق ردف كالكثيب الاعفر فقلت
كعلم الخطيب فوق المنبر
(قال على بن ظافر) ولما أعرس ابن الامير اياس المصرى الاسدى بابنة الامير سيف الدين ايار كوح مقدم الاسدية احتفل الامراء والاجناد وبلغوا فى الحشد غاية الاجتهاد وأبرزوا من ضروب آلات الحرب ما يفوق الوصف ويروق الطرف وظهرت من مرد المماليك بدور فى سماء الغبار وغصـون من زعقهم فى غدران ومن سيوفهم بين أنهار يسبون النواظر بالقـدود النـواضر ويستملكون الخـواطر بالثغور العواطر فكانت أوقات ذلك الزفاف مشهورة مشهوده وأيامه فى أيام الاعياد المعـدومة النظير معـدوده فخرجت أنا والشـهاب لننظـر ذلك الاحتشـاد ونتأمل تلك الظباء الظاهرة بزى الآساد فقال
نقبوا بالغبار وجه ذكاء
ثم نابوا عن حسنها بالبهاء

التنظف وفيه يقول أبو عثمان الخالدي

كأنما قل أبي رياش * مابين صئبان قفاه الفاشي وذا وذا قد لج في انتفاش * شهدانج يذر في خشخاش

وفيه يقول ابن لنكك وقد ولي عملا بالبصرة

قل للوضيع أبي رياش لا تبل * تيه كل تيهك بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت الا خسة * كالكلب أنجس ما يكون اذا اغتسل

وله فيه أيضا

نبئت أن أبا رياش قد حوى * علم اللغات وفاق فيما يدعي
من مخبري عنه فاني سائل * من كان حنكه بأير الاصمعي

وله فيه أو في غيره من الادباء

يا من تطيب وهو من خرق استه * قلق بكابد كل داء معضل
فشل الصيال وما عهدنا دبره * مذ كان يفشل عن صيال الفيشل
وأراه في الكتب الجليلة زاهدا * لا يستجيد سوى كتاب المدخل
قبلته ولثمت فاه مسلما * لثم الصديق فم الصديق المجمل
فدنا الي على المكان وقال لي * أفديك من متعشق متغزل
ان كنت تلثمني بود فاشفني * بلسان بطنك في فمي من أسفلي

وقد زاغ القلم وطاش بجريرة أبي رياش وأنا أستغفر الله من ذلك

(لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى)

البيت لدعبل من قصيدة من الكامل أولها

أين الشباب وأية سلكا * لا أين يطلب ضل بل هلكا

وبعده البيت وبعده

يا سلم ما بالشيب منقصة * لا سوقة يبقى ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر * أجد السبيل اليه مشتركا
ياليت شعري كيف نومكما * ياصاحبي اذا دمي سفكا
لا تأخذا بظلامتي أحدا * قلبي وطرفي في دمي اشتركا

حدث أبو هفان قال قال مسلم بن الوليد

مستعبر يبكي على دمنة * ورأسه يضحك فيه المشيب

فسرقه دعبل فقال وأنشد البيت فجاء به أجود من قول مسلم فصار أحق به منه وحدث أبو المثنى قال كنا في مجالس الاصمعي فأنشده رجل لدعبل لا تعجبي يا سلم البيت فاستحسناه فقال الاصمعي انما سرقه من قول الحسين بن مطير الاسدي

أين أهل القباب بالدهناء * أين جيراننا على الاحساء * فارقونا والارض ملبسة نو
ر الاقاحي تجاد بالانواء * كل يوم بأقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

وروي عن أبي العباس المبرد أنه قال أخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من بكاء السماء من قول دكين الراجز

جن النبات في ذراها وزكا * وضحك المزن به حتى بكى

وقال أبو هفان أنشدت يوما بعض البصريين الحمقاء قول دعبل ضحك المشيب برأسه فبكى فجاءني بعد أيام فقال قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبل فقلت يا هذا وأي شيء قلت فتمنع ساعة ثم قال

قهقه في رأسه القتير وقد تداول الشعراء معنى بيت دعبل فمنه قول الراضي القرطبي

ضحك المشيب برأسه * فبكى بأعين كأسه رجل تخونه الزما * ن ببوسه وببأسه
تجري على غلوائه * طلق الجموح بفأسه أخذا بأوفر حظه * لرجائه من يأسه

ومنه أيضا قول ابن نباتة المصري رحمه الله تعالى

فقلت

وأرونا من سحر أعينهم مد
هم شموسا للنقع في ظلماء

فقال

طاولوا بالنقا السماء اقتدارا
وتبدوا من زعقهم في سماء

فقلت

كل بدر يسير تحت ثريا
مغفر خاف كوكب السمراء

فقال

مل سكنى البروج فاعتاض عنها
بسروج على متون ظباء

فقلت

ماتثني في الدرع الا أرانا
غصنا ماثسا بجدول ماء

(قال علي بن ظافر) واتفق أن مضى السلطان الملك الاشرف أبقاه الله في أوائل خدمتي له وأواخر سنة ثمان وستمائة الى مدينة نصيبين وضرب خيمته على تل بين بساتينها يعرف بتل أبي نواس وهو تل مشرف في غاية العلو مستدير الشكل أحسن استدارة قد استقبل جرية نهر الهرماس حتى اذا وصل النهر اليه تفرق حواليه وتلوى تلوى الحيات من جانبيه والبساتين محيطة به قدملا ت أكثر مرمى البصر وهو في نفسه قد تأزر بالاعشاب واكتسى بغرائب الازهار التي أدناها شقائق النعمان وباسم الاقحوان وكنت أنا مقيما بالبلد لتدبير أحوالها

تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصباذلة * أن يضحك الشيب على ذقنه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى أيضا في هذا المعنى

ضحك الشيب برأسي * فبكت عيني الشبابا

ومن البكاء على الشباب وهو أبكى بيت قيل في فقده وينسب لابى الغصن الاسدى

أتأمل رجعة الدنيا سفاها * وقد صار الشباب الى الذهاب
فليت الباكيات بكل أرض * جمعن لنا فنحن على الشباب

وما أحسن قول أبي العلاء المعري فيه أيضا

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

وقول الآخر

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

ولابى بكر بن مجير

رحل الشباب وما سمعت بعبرة * تجرى لمثل فراق ذاك الراحل
قد كنت أزهى بالشباب ولم أخل * ان الشبيبة كالخضاب الناصل
ظل صفالى ثم زال بسرعة * ياويح مغتر بظل زائل

ولابن حمديس في قريب من معناه

ولم أر كالدنيا خؤنا لصاحب * ولا كمصابى بالشباب مصابا
فقدت الصبا فابيض مسودّ لمتى * كأن الصبا للشيب كان خضابا

ولابى الفتح البستى فيه

دع دموعى تسيل سيلا بدارا * وضلوعى يصلين بالوجد نارا
قد أعاد الاسى نهارى ليلا * مذ أعاد المشيب ليلى نهارا

ولعلى بن محمد الكوفى في البكاء من الشيب والبكاء عليه

بكى للشيب ثم بكى عليه * فكان أعز من فقد الشباب
فقل للشيب لا تبرح حميدا * اذا نادى شبابى بالذهاب

ومثله قول مسلم بن الوليد

الشيب كره وكره أن يفارقنى * فاعجب لشئ على البغضاء موجود
يمضى الشباب وقد يأتى له خلف * والشيب يذهب مفقودا بمفقود

وقد أعاد مسلم بن الوليد هذا المعنى فقال

لا يرحل الشيب عن دار أقام بها * حتى يرحل عنها صاحب الدار

ويقال أن مسلما أخذ هذا المعنى من قول بعض الاعراب

أستغفر الله واستقيله * ما أنا من شيبه يهوله * أعظم من حاوله رحيله

ومثل قول مسلم قول البحترى

يعيب الغانيات على شيبى * ومن لى أن أمتع بالمشيب
ووجدى بالشباب وان تقضى * حميدا دون وجدى بالمشيب

وما أحسن قول كشاجم الكاتب

تفكرت في شيب الفتى وشبابه * فأيقنت أن الحق للشيب واجب
يصاحبنى شرخ الشباب فينقضى * وشيبى الى حين الممات مصاحب

وبديع قول الغزى

وترجية وجوه أموالها وأنا أتكثر اليه وانما انقطع المسافة الى الخيام في جنات ذات أنهار وظلال تمنح الحبور وتأذن للنسيم والانوار فعن لى أن قلت في بعض خرجاتنا ونحن سائرون على ظهور دوابنا

اجلس بتل أبى نواس
ما بين باطية وكاس
واتبع سرورا باعه
منك الزمان بلا مكاس
في ظل غيث ذى ارتجا
ز بالرواعد وارتجاس

واستدعيت من شهاب الدين المذكور المساعدة وهو يسايرنى فقال

تل تطلع مشرفا
بين المزارع والغراس
بالنهر منتطق على
زهر كوشى اللباس
من قاس ربوة جلق
بذراه أخطأ في القياس

فقلت

أضربته بعصا الثريا
موسى فأصبح ذا انبجاس
فالماء يفرى الحلـ
ـف منه مكفوف الدياس
والقضب أمثال القنا
والورد أمثال التراس

فقال

والثم خدود الورد فيه
فتحتها أصداغ آس
وابن اصطباحك ان أردت
من الغبوق على أساس

وقال

واسمع غناء كالغنى

ذهب الشباب ذهاب سهم مارق * لا يستطاع مع التأسف رده
وأتى المشيب بقضه وقضيضه * وأشد من وجدان ذلك فقده
أناف السرى والسير كالطفل الذى * يجد السكون اذا تحرك مهده
من يقتدح زندا بكف مالها * زند فكيف تراه يقدح زنده

وبديع أيضا قول حسن بن النقيب رحمه الله تعالى

لا تأسفن على الشباب وفقده * فعلى المشيب وفقده يتأسف
هذا الذى يخلفه سواه اذا انقضى * ومضى وهذا ان مضى لا يخلف

وقوله أيضا

عجبت للشيب كيف أكرهه * فأصبح القلب وهو عاشقه
وكنت لا أشتهى أراه وقد * أصبحت لا أشتهى أفارقه

وما أحسن قول الصفى الحلى

لو تيقنت أن شين بياض الشيب يبقى لما كرهت البياضا
غير أنى علمت من ذلك الزا * ئر ما يقتضى وما يتقاضى

ولأبى الفتح البستى رحمه الله تعالى فيه

ياشيبتى دومى ولا تترحلى * وتيقنى أنى بوصلك مولع
قد كنت أجزع من حلولك مرة * والآن من خوف ارتحالك أجزع

ولأبى اليمن الكندى فيه أيضا

عفا الله عما جره اللهو والصبا * وما مر من قال الشباب وقيله
زمان صحبناه بأرغد عيشة * الى أن مضى مستكرها السبيله
وأعقبنا من بعده غير مشتهى * مشيبا نفى عنا الكرى بحاوله
لئن عظمت أحزاننا بقدومه * فأعظم منها خوفنا من رحيله

وقد خالف ابن الرومى حيث يقول

من كان يبكى الشباب من أسف * فلست أبكى عليه من أسف
كيف وشرخ الشباب عرضنى * يوم حسابى لموقف التلف
لا صوحبت شرة الشباب ولا * عدمت ما فى المشيب من خلف

ومثله قول بعضهم

لم أقل للشباب فى دعة الله ولا حفظه غداة استقلا
زائر زارنا أقام قليلا * سود الصحف بالذنوب وولى

ومن الجيد فيه أيضا قول العلوى

لعمرك للمشيب على مما * فقدت من الشباب أجل فوتا
تمليت الشباب فصار شيبا * ومليت المشيب فصار موتا

وما أحسن أيضا قول الآخر

والمرء ان حل شيب فى مفارقه * فإما يفارقه أو يرحلان معا

وما أحسن قول المعرى فى مدح الشيب

خبرينى ماذا كرهت من الشيب فلا علم لى بذنب المشيب
أضياء النهار أم وضح اللؤ * لؤ أم كونه كثغر الحبيب
أخبرينى فضل الشباب وماذا * فيه من منظر يسر وطيب
غدره بالخليل أم حبه للـ * غى أم كونه كعيش الأديب

وبالجملة فما أحسن قول الحافظ بن سهل بن غانم الاصفهانى وأصدقه

قد جاء من بعد الاياس
شدو اذا أدوى القلو
ب أسى فنه لمن اسى
فقال
لا تقنعن بالكاس وا
غ الرى من جام وكاس
واكرع فما حق المدا
مة أن تراك وأنت حاسى
فقلت
خذها اذا ما ان ساورت
عقل الفتى أى افتراس
واترك على الاعراب ما انـ
تاره من ابن العباس
فقال
من كف ظبى لين ال
أعطاف صلد القلب قاسى
ظبى ولكن القلو
ب تكنه بدل الكناس
فقلت
يجنى بلا سكر ويكـ
سر جفنه لا من نعاس
يهوى ويذكر وهو سا
ل للذى يهواه ناسى
ثم شغلنا بالوصول واستدعانى
السلطان فدخلت اليه
فعمل الشهاب تمامها وأنا
عنده وكتبها على هذه
الصورة وأنفذها الى
سهل الخلائق رطبها
صعب الشكيمة والمراس
لا يستخيب ولا يطيـ
ع ولا يجود ولا يواسى
ما بين ندمان ظرا
ف حين تخبرهم كياس
واشرب براس التل لا
تحفل بغمدان راس
واهنأ بدولة سيف ذى

من شاب قدمات وهو حيّ * يمشي على الارض مشي هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * لكان في شيبه فذالك

(والشاهد في البيت) الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان فانه هنا لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب لكنه عبر عن ظهوره بالضحك الذي يكون معناه الحقيقي مضادا لمعنى البكاء ويسمى ايهام التضاد لان المعنيين المذكورين وان لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقيا لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد نظرا الى الظاهر والحمل على الحقيقة ومن الشواهد على ايهام التضاد قول أبي تمام الطائي

وتنظري خبب الركاب ينصها * محيي القريض الى مميت المال

فليس بين محيي ومميت هنا تضاد بالمعنى الاعتبار يتوهم من اللفظ لان محيي القريض هنا كناية عن مجيده ويعني به نفسه ومميت المال كناية عن مفنيه في الكرم وليس بينهما تضاد ومنه قول الشاعر

يبدي وشاحا أبيضا من سيفه * والجو قد لبس الرداء الاغبرا

فان الابيض ليس بضد الاغبر وانما يوهم بلفظه أنه ضده ودعبل هو ابن علي بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي ويكنى أبا علي وهو شاعر مطبوع متقدم هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا من أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أولم يحسن ولا أفلت منه كبير أحد (وحدث) أبو هفان قال قال لي دعبل قال لي أبو زيد الانصاري مم اشتق دعبل قلت لا أدري قال الدعبل الناقة التي معها أولادها (وحدث) محمد بن أيوب قال دعبل اسمه محمد وكنيته أبو جعفر ودعبل لقب لقب به وعن أبي عمرو الشيباني قال الدعبل البعير المسن (وحدث) دعبل قال كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم فلما قمت سأل رجل لم يعرفني أصحابنا عني فقالوا هذا دعبل قال قولوا في جليسكم خيرا كأنه ظن اللقب شتما وقال دعبل صرع مجنون مرة فصحت في أذنه دعبل ثلاث مرات فأفاق وكان سبب خروجه من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة كان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله فلما طلع مقبلا عليهما وثبا عليه وجرحاه وأخذا ما في كيسه فاذا هي ثلاث رمانات في خرقة ولم يكن كيسه معه ليلتئذ ومات الرجل في مكانه واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان أيضا في ذلك فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن يهرب من الكوفة فما دخلها حتى كتب اليه أهله أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد (وحدث) أحمد بن أبي كامل قال كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى وكانت السراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بغلاميه نقنف وشنعف وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يواصلونه ويصلونه قال وأنشدني دعبل لنفسه في بعد أسفاره

حللت محلا يقصر البرق دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

(وحدث) محمد بن عمر الجرجاني قال دخل دعبل الري في أيام الربيع فجاءهم ثلج لم ير مثله في الشتاء فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعرا وكتبه في رقعة وهو

جاءنا دعبل بثلج من الشعـ * ـر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الري بعد ما سكن البر * د وقد أينعت رياض المروج
فكسانا ببرده لا كساه الله * ثوبا من كرسف محلوج

وألقى الرقعة في دهليز دعبل فلما قرأها ارتحل عن الري (وحدث) أحمد بن خالد قال كنا يوما عند دار رجل يقال له صالح بن عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على كنيسة في سطحه ديك طار من بيت دعبل فلما رأيناه قلنا هذا صيد فأخذناه فقال صالح ما نصنع به قلنا نذبحه فذبحناه وشويناه يوما وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنا فلما كان من

يزن ودولة ذي نواس
فلقد فضلتهما بمجـ
ـد شامخ وندى وباس
ورواق ملك ثابت الـ
أركان سامي الفخر راسي
فالعمر ما تم السرو
ر به كقول أبي فراس
لا زال يخدمك الزما
ن ومن حواه من أناس

(ومن التمليط الواقع بين ثلاثة من الشعراء مما كان بقسيم لقسيم)

(روى) المدائني قال خطب أويس القرني رضي الله عنه أم الشماخ ومزرد وجزء بني ضرار وحضر اليهم فقال الشماخ

نبئتها نكحت أويسا

فقال مزرد

يهدي اليها أعنزا وتيسا

فقال جزء

حقا ترى ذلك بها أم كيسا

فقال أويس لعن الله من يكون رابعكم وما أحسب أويسا رضي الله عنه خطب امرأة قط ولعل غيره أوفى الرواية وهم (ومن ذلك) ما رواه أبو الفرج الاصبهاني عن رجاله وتتصل روايته بالحرمازي قال نزل شبيب بن البرصاء المري وأرطاة بن زفر وعويف القوافي برجل من أشجع كثير المال يسمى علقمة فأتاهم بشربة لبن ممذوقة ولم يذبح لهم فلما رأوا ذلك منه قاموا الى مطيهم ورواحلهم فركبوها ثم قالوا ابنوا هذا الكلب

الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على باب المسجد وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ونبهاء الناس فجلس دعبل على باب المسجد وقال

أسر المؤذن صالح وضيوفه * أسر الكمي هفا خلال الماقط
بعثوا عليه بناتهم وبنيهم * ما بين ناتفة وآخر سامط
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا * خاقان أو هزموا كتائب ناعط
نهشوه فانتزعت له أسنانهم * وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

قال فكتبها الناس عنه ومضوا فقال لى أبى وقد رجع الى البيت ويحكم ضاقت عليكم الماء كل فلم تجدوا شيأ تأكلونه سوى ديك دعبل ثم أنشدنا الشعر وقال لى لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها الا اشتريت ذلك لدعبل وبعثت به اليه والا أوقعتنا فى لسانه ففعلت ذلك قال وناعط قبيلة من همدان وأصله جبل نزلوا به فنسبوا اليه وقال دعبل كنا يوما عند سهل بن هرون الكاتب البليغ وكان شديد البخل فأطلنا الحديث واضطره الجوع الى أن دعا بغداء له فأتى بقصعة فيها ديك عاس هرم لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ كسرة خبز فخاض بها مرقته وقلب جميع ما فى القصعة ففقد الرأس فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه وقال للطباخ أين الرأس فقال رميت به فقال ولم قال ظننتك لا تأكله قال بئس ما ظننت والله انى لأمقت من يرمى برجليه فكيف من يرمى برأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الاربع ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل وفيه فرقه الذى يتبرك به وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجب لوجع الكليتين ولم ير عظم قط أهش من عظم رأسه أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق فان كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فانظر أين هو قال لا أدرى والله أين هو رميت به قال لكنى أدرى أين هو رميت به فى بطنك فالله حسيبك (وحدث) ابراهيم بن المدبر قال لقيت دعبل بن على فقلت له أنت أخبر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول يعنى فى حق المأمون

انى من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال لى يا أبا اسحق أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبنى عليها بعد وبات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشأم وبات عندهم رجل من أهل بيت لهيان يقال له حوى بن عمرو السكسكى وكان جميل الوجه فدب اليه صاحب البيت وكان شيخا كبيرا فانيا قد أتى عليه حين فقال فيه دعبل

لولا حوى لبيت لهيان * ما قام ايرالعزب الفانى له دواة فى سراويله * يليقها النازح والدانى

وشاع هذان البيتان فهرب حوى من ذلك البلد وكان الشيخ اذا رأى دعبلا سبه وقال فضحتنى أخزاك الله (وحدث) محمد بن الاشعث قال سمعت دعبلا يقول ما كانت لاحد عندى منة قط الا تمنيت موته وكان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده ما قاله فيه وهو جالس وفى يده طومار قد جعله على فيه كالمتكئ وهو جالس فلما فرغ أمر له بشئ قليل لم يرضه فقال

يا من يقبل طومارا ويلثمه * ماذا بقلبك من حب الطوامير
فيه مشابه من شئ تسر به * طولا بطول وتدويرا بتدوير
لو كنت تجمع أموالا كجمعكها * اذا جمعت بيوتا من دنانير

وقال دعبل فى الفضل بن مروان

نصحت فأخلصت النصيحة فى الفضل * وقلت فسيرت المقالة فى الفضل
ألا ان فى الفضل بن سهل لعبرة * اذا اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بن يحيى مواعظ * اذا فكر الفضل بن مروان فى الفضل
فأبق جميلا من حديث تفز به * ولا تدع الاحسان والاخذ بالفضل

فقال شبيب

أفى حدثان الدهر أو فى قديمه * تعلمت أن لا تقرى الضيف علقما

فقال أرطاة

لبئنا طويلا ثم جاء بمذقة * كماء السلى فى جانب القعب أثلما

فقال عويف

فلما رأينا أنه شر منزل * رمينا بن الليل حتى تصرما

(وروى أيضا) أن عقيل بن علقمة المرى خرج هو وابناه جثامة وعلقمة وابنته الجرباء فانتجعوا بنى مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما * على عرض ناطحنه بالجماجم

اذا هبطت أرضا يموت غرابها * بها عطشا أعطينه بالخزائم

ثم قال أجز يا علقمة فقال

اذا علم غادرنه بتنوفة * تذارعن بالايدى لآخر طاسم

ثم قال أجز يا جثامة فقال

وأصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال أجيزى يا جرباء فقالت وأنا آمنة قال نعم فقالت

كأن الكرى سقاهم صرخدية * عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف ما تحت قرطيك أما وجدت من الكلام غير هذا فقال جثامة وهل أساءت انما أجازت وليس

فانك قد أصبحت لي الك قيما * وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أر أبياتا من الشعر قبلها * جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب اذا هي أنشدت * سوى ان نصحي الفضل كان من الفضل

فبعث اليه الفضل بدنانير وقال له قد قبلت نصحك فاكفني خيرك وشرك (وحدثني) محمد بن حاتم المؤدب قال قيل للمأمون ان دعبلا قد هجاك فقال وأي عجب في هذا هو يهجو أبا عباد فلا يهجوني أنا ومن أقدم على جنون أبي عباد أقدم على حلمي ثم قال لجلسائه من كان فيكم يحفظ شعره في أبي عباد فلينشده فأنشده بعضهم

أولى الامور بضيعة وفساد * أمر يدبره أبو عباد
خرق على جلسائه فكأنهم * حضروا لملحمة ويوم جلاد
يسطو على كتابه بدواته * فمضمخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هرقل مفلت * حرد يجر سلاسل الاقياد
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه * فأصح منه بقية الحداد

قال وكان بقية هذا مجنونا في المارستان فضحك المأمون وكان اذا نظر الى أبي عباد يضحك ويقول لمن يقرب منه والله ما كذب دعبل في قوله (وحدثني) أبو ناجية قال كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله فهرب الى الجبل وقال يهجوه

بكى لشتات الدين مكتئب صب * وفاض بفرط الدمع من عينه غرب
وقام امام لم يكن ذا هداية * فليس له دين وليس له لب
وما كانت الانباء تأتي بمثله * يملك يوما أو تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا * من السلف الماضي اذا عظم الخطب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة * ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة * لانك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم * وصيف واشناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان سيثلم ثلمة * يظل لها الاسلام ليس له شعب

ولما مات المعتصم قال ابن الزيات يرثيه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا * في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت * مثلك الا بمثل هرون

فقال دعبل يعارضه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا * في شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما * خلتك الا من الشياطين
ما زلت حتى عقدت بيعة من * أضر بالمسلمين والدين

(وحدثني) محمد بن جرير قال أنشدني عبد الله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل وما سمعت له غيره فيه

ولست بقائل بدعا ولكن * لأمر ما تعبدك العبيد

قال يرميه في هذا البيت بالابنة (وحدثني) محمد بن جرير قال كنت مع دعبل بالصيمرة وقد جاءنا نعي المعتصم وقيام الواثق فقال لي دعبل أمعك ما تكتب فيه قلت نعم فأخرجت قرطاسا فأملى علي بديها

الحمد لله لا صبر ولا جلد * ولا عزاء اذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد * وآخر قام لم يفرح به أحد

وكان المأمون قد طلب دعبلا وجد في ذلك وهو طائر على وجهه حتى دس اليه قوله

علم وتحكيم وشيب مفارق * تطميس ريعان الشباب الرائق
وامارة في دولة ميمونة * كانت على اللذات أشغب عائق

غيري وغيرك فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه ثم شد عليها وقال لولا يعيرني بنو مرة بعد اليوم ما ذقت الحياة ثم نحر عند جثامة جزورا وتركه وقصد قومه وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم انه أصابه غير الطاعون أتيت عليك فلما قدموا على أهل أثير وهم بنو القين ندم عقيل على ما فعله بجثامة فقال لهم هل لكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال الزموا أثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه وقد أنزفه الدم فحملوه واقتسموا الجزور وأنزلوه عليهم وعالجوه حتى برأ وألحقوه بقومه فلما احتملوه وقرب من الحي تغنى جثامة بقول

أيعذر لاهينا ونلحين في الصبا * وما هن والفتيان الا شقائق

فقال له القوم انما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آنفا وقد عاودت ما يكرهه فأمسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لئلا يلحقك منه شر فقال انها خطرة عرضت والراكب اذا سار يترنم (وقد) ذكر ابن قتيبة في كتاب الاشربة هذه الحكاية على غير هذه الصفة وذكر لعقيل البيت الاول من بيتيه وجعل بدل علقمة أخاه عملس وأنشد له البيت الاول أيضا

نعوا

نعوا ابن شكلة بالعراق وأهله * فهفا اليه كل أخرق مائق
أني يكون ولا يكون ولم يكن * يرث الخلافة فاسق عن فاسق
ان كان ابراهيم مضطلعا بها * فلتصلحن من بعده لمخارق

ولما قرأها المأمون ضحك وقال قد صفحت عن كل ما هجانا به اذ قرن ابراهيم بمخارق في الخلافة وولاه عهده ثم انه كتب الى دعبل أمانا فلما دخل وسلم عليه تبسم في وجهه وقال أنشدني مدارس آيات خلت من تلاوة فجزع فقال له لك الأمان فلا تخف وقد رويتها ولكني أحب سماعها من فيك فأنشده اياها الى آخرها والمأمون يبكي حتى اخضلت لحيته بدمعه ثم انه أحسن اليه وانسر به حتى كان أول داخل اليه وآخر خارج من عنده ثم عاد الى خباثته وشاعت له أبيات بعدها أيضا يهجو بها المأمون (وحدث) دعبل قال دخلت على علي بن موسى الرضي فقال أنشدني شيأ مما أحدثت فأنشدته

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات
حتى انتهيت الى قولي فيها اذا وتروا مدوا الى واتريهم * أكفا عن الاوتار منقبضات

قال فبكى عنده حتى أغمي عليه فأومأ الى خادم كان على رأسه أن اسكت فسكت فمكث ساعة ثم قال لي أعد فأعدت حتى انتهيت الى هذا البيت فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الاولى وأومأ الخادم أيضا الى أن اسكت فسكت ثم مكث ساعة أخرى ثم قال لي أعد فأعدت حتى انتهيت الى آخرها فقال أحسنت أحسنت ثلاث مرات ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن دفعت الى أحد بعد وأمر لي من في منزله بحلي كثير أخرجه الى الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة اشتراها مني الشيعة فحصل لي مائة ألف درهم فكان أول مال اعتقدته ثم ان دعبلا استوهب من علي بن موسى الرضي رضي الله عنهما ثوبا قد لبسه ليجعله في أكفانه فخلع جبة كانت عليه فأعطاه اياها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم اياها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها غصبا وقالوا له ان شئت أن تأخذ المال فافعل والا فأنت أعلم فقال لهم اني والله لا أعطيكم اياها طوعا ولا تنفعكم غصبا وأشكوكم الى الرضي فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفرد كم من بطانتها فرضي بذلك (وحدث) دعبل قال لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة فاني لفي ذلك اذ سمعت والباب مردود علي قائلا يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ألج يرحمك الله فاقشعر بدني من ذلك ونالني أمر عظيم فقال لي لا ترع فاني رجل من اخوانك من الجن من ساكني اليمن طرأ علينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك (مدارس آيات) الى آخرها فأحببت أن أسمعها منك قال فأنشدته اياها فبكى حتى خر ثم قال يرحمك الله ألا أحدثك بحديث في نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك قلت بلى قال مكثت حينا أسمع بجعفر بن محمد رحمهما الله تعالى فصرت الى المدينة المنورة فسمعته يقول حدثني أبي عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي وشيعته هم الفائزون ثم ودعني لينصرف فقلت يرحمك الله ان رأيت أن تخبرني باسمك فافعل قال أنا ظبيان بن عامر (وحدث) اسحق بن ابراهيم الموصلي قال بويع ابراهيم بن المهدي ببغداد وقد قل المال عنده وكان قد لجأ اليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوباش الناس وأوغادهم فاحتبس عليهم العطاء فجعل ابراهيم يسوفهم وهم لا يرون لوعده حقيقة الى أن خرج رسوله اليهم يوما وقد اجتمعوا وضجوا فصرح اليهم بأنه لا مال عنده فقال قوم من غوغاء أهل بغداد أخرجوا الينا خليفتنا ليغني أهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءهم ولأهل هذا الجانب مثلها قال اسحق فأنشدني دعبل بعد أيام

ألا معشر الاجناد لا تقنطوا * وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية * يلتذها الامرد والاشمط
والمعبديات لقوادكم * لا تدخل الكيس ولا تربط

من بيتيه ثم ذكر أنه انحنى على ابنته الجرباء يضربها بالسوط فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فشالوا فخذه بسهم فقال

ان بني زملوني بالدم
من يلق آساد الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم

(وذكر أبو الفرج) هذا الرجز في حكاية أخرى تتصل بزيد ابن العباس التغلبي والربيع ابن غير قالا عدا عقيل بن علقمة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع فوجد بنيه وأمهم مجتمعين فشد على علقمة بسيف فحاد عنه وتغني بقوله

فهي يا ابنة المري نسألك ما الذي
تريدين فيما كنت منيتنا قبل
نخبرك ان لم تنجزي الوعد أننا
ذوا خلة لم يبق بينهما وصل
فان شئت كان الصرم بيني وبينكم
وان شئت لم تبق المكارم والبذل

فقال عقيل يا ابن اللخناء متى منتك نفسك بهذا وشد عليه بالسيف وكان عملس أخاه لأمه فحال بينه وبينه فشد على عملس بالسيف فرماه علقمة بسهم فأصاب ركبته فسقط عقيل وجعل يتمعك في دمه ويرتجز بالرجز المقدم وبعده قوله

من يلق أبطال الرجال يكلم
ومن يكن ذا أود يقوم
(قال المدائني) وأخزم فحل

وهكذا يرزق قواده * خليفة مصحفه البربط

ودخل عبد الله بن طاهر على المأمون فقال له أى شئ تحفظ يا عبد الله لدعبل قال أحفظ أبياتاً له فى أهل بيت أمير المؤمنين قال هاتها فأنشده عبد الله قوله

سقيا ورعيا لأيام الصبابات * أيام أرفل فى أثواب لذاتى
أيام غصنى رطيب من ليانته * أصبو الى غير جارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه * واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله * نحو الهداة بنى بيت الكرامات

فقال المأمون انه وجد والله مقالا فقال ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله فى وصف غيرهم ثم قال المأمون لقد أحسن فى وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه

ألم يأن للسفر الذين تحملوا * الى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها * وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالى صرفهن كما ترى * لكل اناس جدبة وربيع

ثم قال المأمون ما سافرت قط الا كانت هذه الابيات نصب عينى وهجيراى ومسليتى حتى أعود ومن شعره يهجو

رفع الكلب فاتضع * ليس فى الكلب مصطنع بلغ الغاية التى * دونها كل ما ارتفع
انما قصر كل شئ * اذا طار ان يقع لعن الله نخوة * صار من بعدها ضرع

ومن شعره يهجو أيضا

سمعت المديح رجالا دون مالهم * ردّ قبيح وقول ليس بالحسن
فلم أفز منهم الا بما جلبت * رجل البعوضة من فخارة اللبن

ومنه قوله فيمن استشفع به فى حاجة فاحتاج الى شفيع يشفع له

يا عجبا للمرتجى فضله * لقد رجا ما ليس بالنافع جينابه يشفع فى حاجة * فاحتاج فى الاذن الى شافع

(وحدث) دعبل قال خرجت الى الجبل هاربا من المعتصم فكنت أسير فى بعض طريقى والمكارى يسوق بى بغلا تحتى وقد أتعبنى تعبا شديدا فتغنى المكارى بقولى

لا تعجبى يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فقلت له وأنا أريد أن أتقرب اليه ليكف ما يستعمله من الحث للبغل لئلا يتعبنى تعرف لمن هذا الشعر يا فتى قال لمن ناك أمه وغرم درهمين فما أدرى من أى أموره أعجب أمن هذا الجواب أم من قلة الغرم على عظم الجناية (وحدث) على بن عبد الله بن مسعدة قال قال لى دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى ابن البراء النصرانى

زناره فى خصره معقود * كأنه من كبدى مقدود

والله ما أعلم انى حسدت أحدا كما حسدت بكرا على قوله كأنه من كبدى مقدود وكان بكر هذا ورّاقا ضيقا عيشه معاقرا للشراب فى منازل الخمارين وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحا مطبوعا حسنا ماجنا خليعا وكانت الخمرة قد أفسدت عقله فى آخر عمره فصار يهجو ويمدح بالدرهم والدرهمين ونحو هذا فاطرح (وحدث) بعض الكوفيين قال حضر نادعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضى وبتنا عنده وغنت فما أنبهنى الاصياح بكر يستغيث من العطش فقلت له مالك قم فاشرب فالدار ملأى ماء قال أخاف قلت من أى شئ قال فى الدار كلب كبير فأخاف أن يظننى غزالا فيثب علىّ و يقطعنى و يأكلنى فقلت له خرّب الله بيتك أنت والله بالخنازير أشبه منك بالغزلان قم فاشرب ان كنت عطشانا وأنت آمن وكان عقله قد فسد من كثرة الشرب (وحدث) أحمد بن عثمان الطبرى قال سمعت دعبل بن على يقول لما هاجيت أبا سعد المخزومى أخذت معى

لرجل كان منجبا فضرب ابل رجل آخر ولا يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله جملا فقال

شنشنة أعرفها من أخزم

فأرسلت مثلا (قال على بن ظافر) ذكر الحريرى فى تفسير بعض مقاماته أن أخزم جد حاتم الطائى وأن جده الادنى سعدا ضرب له مثلا لما رأى من تخلقه بأخلاقه وآثاره والشنشنة الشبه والصحيح ما ذكره أبو الفرج وهذه الفعلة من علقمة كانت سبب تفريق عقيل أولاده وطردهم عنه وكانوا يقصدون أذاه بانشاد الغزل بحضرة أخواتهم لانه كان مفرط الغيرة مبالغا فى الظن شديد الرقاعة وهم من شياطين العرب (وذكر أبو الفرج) محمد بن اسحق المعروف بالورّاق ابن يعقوب النديم فى كتاب الفهرسة قال صار جياد واسحق بن الجصاص الى أبى غزار العجلى أحد رواة اللغة فقال له جياد اسمع شيأ قلته وأجزه قال قل فقال جياد

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظرى
الى دير هند كيف خطت مقابره

فقال اسحق

ترى عجبا مما قضى الله فيهم
رهائن حتف أوجبته مقادره

فقال أبو غزار

بيوت ترى أثقالها فوق أهلها

جوزا ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه وقلت لهم صيحوا به قائلين

يا أبا سعد قوصره * زاني الاخت والمره لو تراه مجيبا * خلته عقد قنطره

أو ترى الاير في استه * قلت ساق بقنطره

فصاحوا به فغلبته ولابي سعد المخزومي يهجو دعبلا وكان قد دعاه الى بيته وأضافه

لدعبل منة يمن بها * فلست حتى الممات أنساها أدخلنا بيته فأكرمنا * ودس امرأته فنكناها

(وحدث) أبو سعد المخزومي واسمه عيسى بن خالد الوليد قال أنشدت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دعبل قوله ويسومني المأمون خطة عاجز * أوما رأى بالامس رأس محمد

وأول قصيدتي أخذ المشيب من الشباب الاغيد * والنائبات من الانام بمرصد

ثم قلت له يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أجيئك برأسه فقال لا هذا رجل قد فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا فأما قتله فلا حجة فيه وكان الرشيد قد غني بقول دعبل (لا تعجبي يا سلم من رجل) الابيات فطرب لها وسأل عن قائلها فقيل لدعبل غلام نشأ من خزاعة فأمر له بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه ومركب من مراكبه وجهزله ذلك مع خادم من خدمه الى خزاعة فأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير اليه فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس واستنشده الشعر فأنشده اياه فاستحسنه وأمره بالازمته وأجرى عليه رزقا سنيا فكان أول من حرضه على قول الشعر ثم انه ما بلغه ان الرشيد مات حتى كافأه على فعله بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت رضي الله عنهم وهجا الرشيد

وليس حي من الاحياء نعلمه * من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

الا وهم شركاء في دمائهم * كما تشارك ايسار على جزر

قتل وأسر وتحريق ومنهبة * فعل الغزاة بأرض الروم والخزر

أرى أمية معذورين ان قتلوا * ولا أرى لبني العباس من عذر

أربع بطوس على القبر الزكي اذا * ما كنت تربع من دين على وطر

قبران في طوس خير الناس كلهم * وقبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قبر الزكي ولا * على الزكي بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت * له يداه فخذ ما شئت أو فذر

يعني قبر الرشيد وقبر موسى الكاظم ولعمري لقد هذى هذا ولنفسه ظلم وآذى (وحدث) أبو حفص النحوي مؤدب آل طاهر قال دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد

جئت بلا حرمة ولا سبب * اليك الا بحرمة الادب فاقض ذمامي فانني رجل * غير ملح عليك في الطلب

قال فانتقل عبد الله ودخل الى الحرم ووجه اليه بصرة فيها ألف درهم وكتب اليه معها

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا * ولو انتظرت كثيره لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسل * ونكون نحن كأننا لم نفعل

وكان دعبل قد قصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال فيه

ان ابن طوق وبني تغلب * لو قتلوا أو جرحوا قصره

لم يأخذوا من دية درهما * يوما ولا من ارشهم بعره

دماؤهم ليس لها طالب * مطلولة مثل دم العذره

وجوههم بيض وأحسابهم * سود وفي آذانهم صفره

وقال فيه أيضا

سألت عنكم يا بني مالك * في نازح الارضين والدانيه

طرا فلم نعرف لكم نسبة * حتى اذا قلت بني الزانيه

قالوا فدع دارا على يمنة * وتلك ها دارهم ثانيه

وبجمع زور لا يكلم زائره

(وذكر محمد بن سنان) مما رواه أبو الفرج أن مطيع ابن اياس وحماد عجرد ويحيى ابن زياد خرجوا في سفر فلما نزلوا بعض القرى عرفوا فأنزلوا منزلا وأتوا بطعام وشراب وبينما هم يشربون في صحن الدار اذ أشرفت عليهم بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق فقال مطيع لحماد عندك يا حماد فقال حماد خذ فيما شئت فقال مطيع

ألا يا بأبي الناظر من بينهم نحوي

فقال حماد

ويا سقيا السطح أشرفت من فوقه حذوي

فقال يحيى

ألا يا ليت فوق الحقو منها الاصق حقوي

(وروى محمد بن خلف المرزباني) عن بعض شعراء الكوفة قال قال لي محمد بن كناسة قد اشتهيت دنانير يعني جاريته المشهورة جمالا وأدبا أن تنظر الى الحيرة فهل لك أن تساعدنا وكان الزمان ربيعا فقلت نعم فقال تقدمنا الحق بك فقصدت الخورنق وجلست في بعض المواضع المعشبة واذا به قد أقبل على بغلة ومعه دنانير على حمار فنزلا وجلسنا وقد سترت بعض وجهها مني فقلت أداعبها وكان محمد يأنس بي ويسكن الي فقلت

فبلغت الابيات مالكا فطلبه فهرب فأتى البصرة وعليها اسحق بن العباس بن محمد بن علي العباسي وكان قد بلغه هجاء دعبل وعبد الله بن عيينة نزارا فأما ابن عيينة فانه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه وأما دعبل فانه حين دخل البصرة بعث اليه فقبض عليه ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف بالطلاق على جحدها وبكل يمين تبرئ من الدم أنه لم يقلها وان عدو الله قالها اما أبو سعد المخزومي أو غيره ونسبها اليه ليغري بدمه وجعل يتضرع اليه ويقبل الارض ويبكي بين يديه فرق له وقال أما اذا أعفيتك من القتل فلا بد أن أشهرك ثم دعا له بالعصى فضربه حتى سلح وأمر به فألقي على قفاه وفتح فمه فرد سلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه وهو يحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله ثم خلاه فهرب الى الاهواز وبعث مالك بن طوق رجلا حصيفا مقداما وأعطاه سما وأمره أن يغتاله كيف شاء وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس فاغتاله في وقت من الاوقات بعد صلاة العتمة فضرب ظهر قدمه بعكاز له زج مسموم فمات من الغد ودفن بتلك القرية وقيل بل حمل الى السوس فدفن فيها وكانت ولادته في سنة ثمان وأربعين ومائة ووفاته في سنة ست وأربعين ومائتين ولما مات وكان صديق البحتري وكان أبو تمام قد مات قبله رثاهما البحتري بقوله

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي * مثوى حبيب يوم مات ودعبل
أخوي لا تزل السماء مخيلة * تغشاكما بسماء مزن مسبل
جدث على الاهواز يبعد دونه * مسرى النعي ورمسه بالموصل

ودعبل بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة

(ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل)

البيت من البسيط ويعزى لابي دلامة يحكى أن أبا جعفر المنصور سأل أبا دلامة عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة فقال بيت يلعب به الصبيان قال وما هو على ذلك قال قول الشاعر وأنشده البيت قال ابن أبي الاصبع لاخلاف في أنه لم يقل قبله مثله فانه قابل بين أحسن وأقبح والدين والكفر والدنيا والافلاس وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ وأحسن من بيت أبي دلامة قول المتنبي

فلا الجود يفني المال والجد مقبل * ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

ومن المقابلة قول النابغة الجعدي

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

وقول الفرزدق

وانا لنمضي بالاكف رماحنا * اذا أرعشت أيديكم بالمعالق

وقول عبد الله بن الزبير الاسدي

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

وقول أبي تمام

يا أمة كان قبح الجور يسخطها * دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

وقول البحتري

فاذا حاربوا أذلوا عزيزا * واذا سالموا أعزوا ذليلا

وقول يزيد بن محمد المهلبي لسليمان بن وهب

فمن كان للآثام والذل أرضه * فأرضكم للاجر والعز معقل

وقول العباس بن الاحنف

اليوم مثل الحول حتى أرى * وجهك والساعة كالشهر

لان الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر ولمؤلفه من أبيات

لو كان ذا الكشح في بلدتي * لم يستطع لو مضني ومضا
وكنت في العز سماء له * وكان لي من ذله أرضا

وحسن في المقابلة قول الشريف الموسوي

ومنظر كان بالسراء يضحكني * يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني

وقول أبي عبد الله الغواص

اغتاسترن وجهك عن شيخ فقالت طماح العين قال فضحكنا ثم أخذنا ننظر الى رياض الحيرة وبقاعها ونتذكر ما مضى لها من الزمان ونستحسن حمرة الشقائق على ائتلاف تلك الانوار والالوان فأخذ محمد عودا وكتب على الارض الآن حين تزين القطر أنجاده ووهاده العفر ثم قال لدنانير أجيزيه فكتبت تحته

بسط الربيع بها الرياض كما * بسطت ثياب في الثرى خضر

فقلت أحسنت

المقابلة

وكتبت بترية في الحيرة بانية يجبى اليها البر والبحر فكتبت

وسرى الفرات على مياسرها * وجرى على أيمانها النهر
وبدا الخورنق في مطالعها * فردا يلوح كأنه الفجر
كانت منازل للملوك ولم * يعمل بها للملك قبر

وقد ذكر أبو الفرج هذه الحكاية ورواها عن عبيد ابن الحسين وعزا جميع أبياتها لابن كناسة * قال الاصمعي مارأيت أثر النبيذ في وجه الرشيد الا مرة دخلت عليه أنا وأبو حفص الشطرنجي فقال استبقا الى بيت فمن أصاب غرضي فله عشرة آلاف درهم

جهل الرئيس وحق الله يضحكنا * وفعله والهِ الناس يبكينا
وقول ابن شمس الخلافة طالت الشقوة للمرء اذا * قصر الرزق وطال العمر
وقول السري الرفاء
* وصاحب يقدح لي * نار السرور بالقدح في روضة قد لبست * من لؤلؤ الطل سبج
والجو في ممسك * طرازه قوس قزح يبكي بلا حزن كما * يضحك من غير فرح
وقوله وقد شرب ليلة في زورق
ومعتدل يسعى الى بكاسه * وقد كاد ضوء الصبح بالليل يفتك
وقد حجب الغيم السماء كأنما * يزرّ عليها منه ثوب ممسك
ظللنا نبث الوجد والكاس دائر * ونهتك أستار الهوى فتهتك
ومجلسنا في الماء يهوي ويرتقي * وابريقنا في الكأس يبكي ويضحك
وقول التمتام الحداد المصري
أما ترى الغيث كلما ضحكت * كمائم الزهر في الرياض بكى
كالصب يبكي لديه عاشقه * وكلما فاض دمعه ضحكا
وما أحسن قول الارجاني وأرشقه
شبت أنا والتحى حبيبي * حتى برغمي سلوت عنه وابيض ذاك السواد مني * واسود ذاك البياض منه
وما أصفى قول الصفي الحلي
مليح يغير الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * ولا فيه شيء بارد غير ريقه
وما أشرق قول الشمس التلمساني
فكم يتحالى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدّعي صونا وهذي جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد
ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي
أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي
وقد أخذه بعضهم أخذا مليحا فقال
أقلي النهار اذا أضاء صباحه * وأظل أنتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا * والليل يرثي لي فيدبر عابسا
والمتنبي أخذ معنى بيته من مصراع بيت لابن المعتز وهو قوله
لا تلق الا بليل من تواعده * فالشمس نمامة والليل قوّاد
الا ان ابن المعتز هجن هذا المعنى بذكر نمامة وقوّاد وأبو الطيب سبكه أحسن سبك وأبدعه فصار أحق به منه
وقال عبد الله بن خميس من شعراء المغاربة
باتت له الاهواء أدهم سابقا * وغدت به الايام أشهب كابي
فأحسن ما شاء لمقابلته الادهم بالاشهب والسابق بالكابي على انه مأخوذ من قول ذي الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الخصال رحمه الله تعالى
وقد كنت أسري في الظلام بأدهم * فها أنا أغدو في الصباح بأشهب
وفي بيت كل منهما زيادة على الآخر ومن مقابلة ستة بستة ما أورده الصاحب شرف الدين مستوفي اربل وهو
على رأس عبد تاج عز يزينه * وفي رجل حر قيد ذل يشينه
(حكى) غرس الدين الاربلي ان الصاحب المذكور لما أنشد لغيره هذا البيت قال هو بديها

قال فأشفقت ومنعتني هيبته وبدر الشطرنجي بجراءة العميان فقال
كلما دارت الزجاجة زادته اشتياقا وحرقة فبكاك
فاستحسنه وأجازه فزالت عني الهيبة فقلت
لم ينلك الرجاء أن تحضريني وتجافت أمنيتي عن سواك
فقال لله درك لك عشرون ألفا ثم أطرق ورفع رأسه وقال أنا والله أشعر منكما وأنشد
فتمنيت أن يغشيني الله نعاسا لعل عيني تراك
(وقد أنبأني التقي) أبو محمد عبد الخالق المسكي عن أبي طاهر الحافظ السلفي قال أنبانا أبو محمد جعفر بن السراج وابن بملان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ عن أبي يعقوب النجيرمي قال حدثنا الازدي عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد وعنده أبو حفص الاعمى المعروف بالشطرنجي فقال استبقا الى آخره فوقع في نفسي أنه يريد جارية الناطفي فهبته وبدرني أبو حفص فقال
مجلس ينسب السرور اليه لمحب ريحانه ذكراك
فقال قد قاربت ولك العشرة وتهيبته فقال
كلما دارت الزجاجة

تسر لئيما مكرمات تزينه * وتبكى كريما حادثات تهينه

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول القائل فى ذى أبنة

يأتى الى الاحرار يجلس فوقهم * وينام من تحت العبيد ويؤتى

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول النميرى الغرناطى

هن البدور تغيرت لما رأت * شعرات رأسى آذنت بتغير

راحت تحت دجى شباب مظلم * وغدت تعاف ضحى مشيب نير

(وأبودلامة) اسمه زند بن الجون وأكثر الناس يصحف اسمه ويقول زيد بالياء التحتية وهو خطأ وانما هو بالنون وهو كوفى أسود مولى لبنى أسد وكان أبوه دلامة عبدا لرجل منهم يقال له قضافض فأعتقه وأدرك آخر أيام بنى أمية ولم يكن له فيها نباهة ونبغ فى أيام بنى العباس فانقطع الى السفاح والمنصور والمهدى وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره ولم يصل لاحد من الشعراء ما وصل لابى دلامة من المنصور خاصة وكان أبودلامة فاسد الدين ردىء المذهب مرتكبا للمحارم مجاهرا بذلك وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أباجعفر المنصور وذكر قتله أبامسلم وفيها يقول

أبامسلم خوفتنى القتل فانتحى * عليك بما خوفتنى الاسد الورد

أبامسلم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد

وأنشدها المنصور فى محفل من الناس فقال له احتكم فقال له عشرة آلاف درهم فأمر له بها فلما خلا به قال له أما والله لو تعديتها لقتلتك وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها وان يعلقوا السيوف فى المناطق ويكتبوا على ظهورهم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فدخل عليه أبودلامة فى هذا الزى فقال له أبوجعفر ما حالك قال شر حال وجهى فى وسطى وسيفى فى استى وقد صبغت بالسواد ثيابى ونبذت كتاب الله وراء ظهرى فضحك منه وأعفاه وحذره من ذلك وقال له اياك أن يسمع منك هذا أحد وفى ذلك يقول أبودلامة

وكنا نرجى منحة من امامنا * فجاءت بطول زاده فى القلانس

تراها على هام الرجال كأنها * دنان يهود جللت بالبرانس

(وحدث) الجاحظ قال كان أبودلامة واقفا بين يدى المنصور أو السفاح فقال له سلنى حاجتك قال أبودلامة كلب صيد قال أعطوه اياه قال ودابة أتصيد عليها قال أعطوه قال وغلام يقود الكلب قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية قال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال وان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال وما الغامرة قال ما لا نبات فيه من الارض قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوا المائتين كلها عامرة قال فأذن لى أن أقبل يدك قال أما هذه فدعها فانى لا أفعل قال والله ما منعت عيالى شيأ أقل ضررا عليهم منها قال الجاحظ فانظر الى حذقه بالمسألة ولطفه فيها حيث ابتدأ بكلب فسهل القضية وجعل يأتى بما يليه على ترتيب فكاهة حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه (وحدث) الهيثم بن عدى قال دخل أبودلامة على المنصور فأنشده قصيدته التى أولها

بان الخليط أجد البين فانتجعوا * وزودوك خيالا بئس ما صنعوا

الى أن قال فيها يعوز وجته

لا والذى يا أمير المؤمنين قضى * لك الخلافة فى أسبابها الرفع

مازلت أخلصها كسبى فتأكله * دونى ودون عيالى ثم تضطجع

ثم ذكر باقى الحكاية بنحو ما فى الاولى (وحدث) زريق العروضى قال أصبحت مخمورا فتذكرت فيمن آنس به فذكرت عنان فاستأذنت عليها فاذا عندها أعرابى فقالت يا عم قد أتانى الله بك على فاقة ان هذا الاعرابى قصدنى فقال قد بلغنى أنك شاعرة فقولى حتى أجيز وقد أرتج على فقلت لقد قل العزاء وعيل صبرى عشية عيسهم للبين زمت فقال الاعرابى

نظرت الى أوائلهن صبحا

وقد رفعت لها حدج فخنت

فقالت عنان

كتمت هواهم فى الصدر منى

ولكن الدموع على نمت

فقال الاعرابى أنت أنت أشعرنا ولولا أنك حرمة لقبلتك (قال) وروى محمد ابن عيسى بن عبد الرحمن قال خرج ابراهيم بن العباس الصولى ودعبل الخزاعى وأخوه رزين فى نظراء من أهل الادب رجالة الى بعض البساتين فى خلافة المأمون وذلك فى زمن خمول ابراهيم فلقوا جماعة من أهل السواد من حمال الشوك فأعطوهم شيأ وركبوا حميرهم فأنشأ ابراهيم يقول

أعيضت من حمول الشو

ك أحمالا من الحرف

نشاوى لا من الصهبا

ء بل من شدة الضعف

شوهاءمشنية في بطنها بخـل * وفي المفاصل من أوصالها فدع
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا * ولم تكن بكتاب الله ترتدع
فاخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة * أأنت تتلو كتاب الله يالكع
اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة * كما لجيرانناما لومزدرع
واخدع خليفتنا عنا بمسألة * ان الخليفة للسؤال ينخدع

فضحك المنصور وقال أرضوها عنه واكتبوا لها بستمائة جريب عامرة وغامرة فقال أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف وان شئت زدتك فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة وشهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبي ليلى القاضي على أتان نازعها فيه رجل فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبي ليلى اسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض بما شئت قال هات فأنشده

ان الناس غطوني تغطيت عنهم * وان بحثوا عني ففيهم مباحث
وان حفروا بئري حفرت بئارهم * ليعلم يوما كيف تلك النبائث

فأقبل القاضي على المرأة وقال أتبيعيني الأتان قالت نعم قال بكم قالت بمائة درهم قال ادفعوها اليها ففعلوا وأقبل على الرجل فقال قد وهبتها لك وقال لابي دلامة قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكي لمن رأيت أرضيت قال نعم وانصرف ودخل أبو عطاء السندي يوما الى أبي دلامة فاحتبسه ودعا بطعام وشراب فأكلا وشربا وخرجت الى أبي دلامة صبية له فحملها على كتفه فبالت عليه فنبذها عن كتفه ثم قال

بللت علي ثوبي لاحييت * فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمان الحكيم

ثم التفت الى أبي عطاء فقال له أجز يا أبا عطاء فقال

صدقت أبا دلامة لم تلدها * مطهرة ولا فحل كريم
ولكن قد حوتها أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

فقال له أبو دلامة عليك لعنة الله ما حملك على ان بلغت بي هذا كله والله لا نازعتك بيت شعر أبدا فقال له أبو عطاء يكون الذي من جهتك أحب الي ثم غدا أبو دلامة الى المنصور فاخبره بقصة ابنته وأنشده الابيات ثم اندفع فأنشده بعدها

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم * الى السماء فأنتم أكرم الناس
وقدموا القائم المنصور رأسكم * فالعين والانف والاذنان في الراس

فاستحسنها وقال بأي شئ تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه فأخرج خريطة قد خاطها من الليل وقال تملأ لي هذه دراهم فوسعت أربعة آلاف درهم ولما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يعزونه فأنشأ أبو دلامة يقول

أمسيت بالانبار يا ابن محمد * لم تستطع عن غيرها تحويلا
ويلي عليك وويل أهلي كلهم * ويلا وعولا في الحياة طويلا
فلتبكين لك السماء بعبرة * ولتبكين لك الرجال عويلا
مات الندى اذ مت يا ابن محمد * فجعلته لك في التراب عديلا
اني سألت الناس بعدك كلهم * فوجدت أسمح من سألت بخيلا
ألشقوتي أخرت بعدك للتي * تدع العزيز من الرجال ذليلا
فلأحلفن يمين حق برة * بالله ما أعطيت بعدك سولا

فأبكى الناس قوله وغضب المنصور غضبا شديدا وقال لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لاقطعن لسانك فقال

فقال رزين
فلو كنتم على ذاك
تميلون الى قصف
تساوت حالكم فيه
ولم تبقوا على خسف
فقال دعبل
واذ فات الذي فات
فكونوا من أولي الظرف
ومروا ننقصف اليوم
فاني بائع خفي
ثم باعه وأنفق ثمنه عليهم
(وذكر يزيد بن أبي اليسر الرياضي) في كتابه الامثال الذي جمعه للمعز بن تميم صاحب القاهرة قال أخبرني سيبويه قال اجتمع محمد بن مقبل ومحمد بن مجمع وأبو نصر الاشعثي في بستان لابن مقبل وفي البستان نرجس تميس به الريح فقال ابن مقبل
شموس وأقمار من الزهر طلع
لذي اللهو في أكنافها متمتع
فقال محمد بن مجمع
تجاذب أعلاها الرياح فتنثني
فيلثم بعض بعضها ثم يرجع
فقال الاشعثي
كأن عليها من مجاجة ظلها
لآلي الا انها هي أملع
ويحدرها عنها الصبا فكأنها
دموع براها البين والبين يفجع
(وذكر) عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر في تاريخ بغداد قال اجتمع عند أبي الحسن علي بن يحيى بن المنجم أحمد ابن أبي طاهر وأبو هفان

أبو دلامة يا أمير المؤمنين ان أبا العباس كان لى مكرما وهو الذى جاءبى من البدو كما جاء الله عز وجل باخوة يوسف عليه السلام اليه فقل أنت كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فسرى عن المنصور وقال قد أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها فقال المنصور ومن يعلم ذلك قال هؤلاء وأشار الى جماعة ممن حضر فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا صدق يا أمير المؤمنين فنحن نعلم ذلك فقال المنصور لأبى أيوب الخازن وهو مغيظ ادفع اليه وسيره الى هذه الطاغية يعنى عبد الله بن على وكان قد خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف فوثب أبو دلامة فقال يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم فانى والله لمشؤم فقال له المنصور وامض فان يمنى يغلب شؤمك فاخرج فقال والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر فانى لا أدرى أيهما يغلب يمنك أو شؤمى الا أنى بنفسى أدرى وأوثق وأعرف وأطول تجربة فقال دعنى من هذا فما لك من الخروج بد قال فانى أصدقك الآن شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها فان شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل فاستفرغ المنصور ضحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة (وحدث) أبو دلامة قال أتى بى الى المنصور أو الى المهدى وأنا سكران فحلف ليخرجنى فى بعث حرب فاخرجنى مع روح بن عدى بن حاتم المهلبى لقتال الشراة فلما التقى الجمعان قلت لروح أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرا ترتضيه منى فضحك وقال والله العظيم لأدفعن ذلك اليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما الى ودعا بغيرهما فاستبدل به فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنه حلاوة الطمع قلت له أيها الامير هذا مقام العائذ بك وقد قلت بيتين فاسمعهما فقال هات فأنشدته

انى استجرتك أن أقدم فى الوغى * لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة * فتركتها ومضيت فى الهراب
ماذا تقول لمن يجئ ولا يرى * لما درأت الموت فى النشاب

فقال دع عنك هذا وستعلم فبرز رجل من الخوارج يطلب المبارزة فقال أخرج اليه يا أبا دلامة فقلت أنشدك الله أيها الامير فى دمى فقال والله لتخرجن قلت أيها الامير انه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله جائع ما تنبعث منى جارحة من الجوع فمر لى بشئ آكله ثم أخرج فأمر لى برغيفين ودجاجة فأخذت ذلك وبرزت من الصف فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فاقفعل وعيناه تقدان فأسرع الى فقلت على رسلك يا هذا كما أنت فوقف فقلت أتقتل من لا يقاتلك قال لا قلت أفتستحل أن تقتل رجلا على دينك قال لا قلت أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من يقاتلك الى دينك قال لا فاذهب عنى الى لعنة الله فقلت لا أفعل أو تسمع منى قال قل قلت هل كان بيننا عداوة قط أو ترة أو تعلم بين أهلى وأهلك وترا قال لا والله قلت ولا أنا والله لك الا على جميل وانى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين بدينك وأريد الشر لمن أراده لك قال يا هذا جزاك الله خيرا فانصرف قلت ان معى زادا وأريد أن آكله وأريد مواكلتك لتتأكد المودة بيننا ونرى أهل العسكرين هوانهم علينا قال فافعل فتقدمت اليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل والناس قد غلبوا ضحكا فلما استوفينا ودعنى ثم قلت له ان هذا الجاهل ان أقمت على طلب المبارزة ندبنى لك فتتعب وتتعبنى فان رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل قال قد فعلت ثم انصرف وانصرفت فقلت لروح أما أنا فقد كفيتك قرنى فقل لغيرى يكفيك قرنه قال ثم خرج آخر يريد البراز فقال أخرج اليه فقلت

انى أعوذ بروح أن يقدمنى * الى القتال فتخزى بى بنو أسد
ان البراز الى الاقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الخلق بالرصد

عبد الله بن أحمد العبدى وأبو يوسف يعقوب بن يزيد التمار على نبيذ فقال أبو هفان بديها يمدح عليا

وقائل اذ رأى عزمى على الطلب
أتهت أم نلت ما ترجو من الادب
ن ابن يحيى عليا قد تكفل بى
وصان عرضى كصون الدين والحسب

فابتدر التمار فقال

تذكى لزواره نار منورة
على يفاع ولا تذكى على صبب
من فارس الخيل فى أبيات عملكة
وفى الاكارم من جرثومة النسب

فقال أحمد بن أبى طاهر

له خلائق لم تطبع على طبع
ونائل وصلت أسبابه سببى
كالغيث يعطيك بعد الرى نائله
وليس يعطيك ما يعطيك عن طلب

(ومنه) قال اجتمع عند أحمد ابن أبى طاهر أبو الضياء القينى وأبو سليمان النابلسى الضرير فى أيام أبى الصقر على نبيذ فقال أحمد بن أبى طاهر

كأنما النف ريحانه
ثوب من النرجس مشقوق

فقال القينى

أو روضة خضراء نوارها
بالمزن مصبوح ومغبوق

فقال النابلسى

له نسيم بيننا ساطع

ان المهلب حب الموت أورثكم * وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

فضحك وأعفاني (وعزم) موسى بن داود على الحج فقال لابي دلامة احجج معي ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعت اليه فأخذها وهرب الى السواد فجعل ينفقها هنالك ويشرب الخمر وطلبه موسى فلم يقدر عليه وخشي فوات الحج فخرج فلما اشارف القادسية فاذا هو بأبي دلامة خارجا من قرية الى قرية أخرى وهو سكران فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في المحمل بين يديه ففعل به ذلك فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله

يا أيها الناس قولوا أجمعين معا * صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتي خديه من ذهب * اذا بدا لك في أثوابه السود
انى أعوذ بداود وأعظمه * عن أن أكلف حجا يا ابن داود
أنبئت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربي بتصريد
والله مافي من أجر فتطلبه * ولا الثناء على ديني بمحمود

فقال موسى ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه فينصرف فألقي وعاد الى قصفه بالسواد حتى نفدت العشرة آلاف (ودخل) أبو دلامة يوما على المنصور فأنشده

رأيتك في المنام كسوت جلدي * ثيابا جمة وقضيت ديني
وكان بنفسجي الخز فيها * وساج ناعم فأتم زيني
فصدق يا فدتك النفس رؤيا * رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك وقال لا عدت تتحلم على ثانية فاجعل حالك أضغاثا ولا أحققه ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكر وانصرف وهو ثمل فلقيه العسس فأخذ فقيل له من أنت وما دينك فقال

ديني على دين بني العباس * فأختم الطين على القرطاس
اذا اصطبحت أربعا بالكاس * فقد أدار شربها براسي
فهل بما قلت لكم من باس

فأخذوه ومضوا به فخرقوا أثوابه وساجه وأتوا به الى المنصور وكان يؤتى بكل من أخذه العسس فحبسه مع الدجاج في بيت فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرة وجاريته مرة فلا يجيبه أحد وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديكة فلما أكثر قال له السجان ما شأنك قال ويلك من أنت وأين أنا قال في الحبس وأنا فلان السجان قال ومن حبسني قال أمير المؤمنين قال ومن خرق طيلساني قال الحرس فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ففعل فكتب الى المنصور

أمير المؤمنين فدتك نفسي * على م حبستني وخرقت ساجي
أمن صهباء صافية المزاج * كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى * لقد صارت من النطف النضاج
تهش لها القلوب وتشتهيها * اذا برزت ترقرق في الزجاج
أقاد الى السجون بغير جرم * كأني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان سهلا * ولكني حبست مع الدجاج
وقد كانت تخبرني ذنوبي * بأني من عقابك غير ناجي
على أني وان لاقيت شرا * لخيرك بعد ذاك الشر راجي

فدعا به وقال له أين حبست يا أبا دلامة فقال مع الدجاج قال فما كنت تصنع قال أقوقئ معهم حتى أصبحت فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة فلما خرج قال له الربيع انه شرب الخمر يا أمير المؤمنين أما سمعت قوله وقد طبخت بنار الله يعني الشمس فأمر برده ثم قال له يا خبيث شربت الخمر قال لا قال أفلم تقل طبخت بنار الله

كأنه بالمسك مفتوق
كأنه يا ابن أبي طاهر
من طيب اخلاقك مخلوق

(وذكر أبو حفص عمر بن محمد بن علي المطوعي) في كتاب درك الغرر ودرج الدرر في محاسن نظم الامير أبي الفضل الميكالي قال سمعت الامير أبا الفضل يقول سمعت أبا القاسم الكرخي يقول كنت ليلة عند الصاحب بن عباد ومعنا أبو العباس الضبي وقد وقف على رؤسنا غلام كأنه فلقة قمر فغاب فقال الصاحب مرتجلا

أين ذاك الظبي أينه

فقال أبو العباس الضبي

شادن في زي قينه

فقال الصاحب

بلسان الدمع تشكو
أبدا عيناي عينه

فقال أبو القاسم

لي دين في هواه
ليته أنجز دينه

فزاد الامير أبو الفضل عند انشاد أبي القاسم فقال

لا قضى الله بين
أبدا بيني وبينه

(وأخبرت) أن الامير أبا الفتح ابن أبي حصينة السلمي وأبا محمد عبد الله بن محمد بن سعد الخفاجي الحلبي اجتمعا عند الامير سديد الملك أبي الحسن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ الكناني فتفاوضوا في فنون الادب فقال ابن أبي

تعنى الشمس قال لا والله ما عنيت الا نار الله الموصدة التى تطلع على فؤاد الربيع فضحك وقال خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض له (ولما) قدم المهدى من الرى دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول

انى نذرت لئن لقيتك سالما * بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال صلى الله على النبى محمد وسلم وأما الدراهم فلا فقال له أنت أكرم من أن تفرق بينهما ثم تختار أسهلهما فضحك وأمر بأن يملأ حجره دراهم (ودخل) أبو دلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته فعزاها به وبكى فبكت معه فقالت أم سلمة لم أجد أحدا أصيب به غيرى وغيرك يا أبا دلامة قال ولا سواء يرحمك الله لك منه ولد وما ولدت أنا منه قط فضحكت ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح الا [illegible] وقالت له لو حدثت الشيطان لأضحكته (ودخل) يوما على المهدى وهو يبكى فقال له مالك قال ماتت أم دلامة وأنشد لنفسه فيها

وكنا كزوج من قطا فى مفازة * لدى خفض عيش مونق ناضر رغد
فأفردنى ريب الزمان بصرفه * ولم أر شيأ قط أوحش من فرد

فأمر له بطيب وثياب ودنانير وخرج فدخلت أم دلامة على الخيزران وأعلمتها أن أبا دلامة قد مات فأعطتها مثل ذلك وخرجت فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه (وحدث) المدينى قال دخل أبو دلامة على المهدى وعنده جماعة من بنى هاشم فقال المهدى له أنا أعطى الله تعالى عهدا لئن لم تهج واحدا ممن فى البيت لأضرب عنقك فنظر اليه القوم وغمزوه بأن عليهم رضاه قال أبو دلامة انى وقعت وانها عزمة من عزماته ولا بد منها فلم أر أحدا أحق بالهجاء منى ولا أدعى الى السلامة من هجائى نفسى فقال

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
اذا لبس العمامة قلت قرد * وخنزير اذا وضع العمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وخرج) المهدى وعلى بن سليمان الى الصيد فسنح لهما قطيع من ظباء فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل فرمى المهدى سهما فصرع ظبيا ورمى على بن سليمان فأصاب كلبا فقتله فقال فى ذلك أبو دلامة

قد رمى المهدى ظبيا * شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كـ * ـل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه وقال صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة ولقب على بن سليمان بصائد الكلاب فلحق به (وتوفيت) حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها فلما وقف على حفرتها قال لأبى دلامة ما أعددت لهذه الحفرة قال بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه (وحدث) الهيثم بن عدى قال حجت الخيزران فلما خرجت صاح أبو دلامة جعلنى الله فداك الله الله فى أمرى فقالت من هذا قالوا أبو دلامة قالت اسألوه ما أمره قال أدنونى من محملها فأدنى فقال أيها السيدة انى شيخ كبير وأجرك فى عظيم قالت فه قال تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى وأطالت كدى فقد عاف جلدى جلدها وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها فضحكت وقالت سوف آمر لك بما سألت فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها الى بغداد وأقام حتى سئم ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهرون فدفع اليها رقعة قد كتبها الى الخيزران فيها

أبلغى سيدتى بالله يا أم عبيده * أنها أرشدها الله وان كانت رشيده
وعدتنى قبل أن تخرج للحج وليده * فتأنيت وأرسلت بعشرين قصيده

حصينة

قران غاب عن بصرى

فقال الخفاجى

فؤادى حد مطلعه

فقال ابن أبى حصينة

لست أنسى أدمعى ولما

فقال الخفاجى

خلطت فى فيض أدمعه

فقال سديد الملك

قلت زرنى قال مبتسما

طمع فى غير موضع

(قال على بن ظافر) أخبرنى من أثق به عن سماعه قال خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبنى عباد بموضع يقال له الغيث تحف به مروج مشرقة الانوار متنسمة النجود والاغوار مبتسمة عن ثغور النوار فى زمن ربيع سقت السحب الارض فيه بوسميها ووليها وجلتها فى زاهر ملابسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النور قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسيم عند هباتها وهنالك من البهار ما يزرى بمداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الاجفان وقد ثووا انفرادهم باللهو والطرب والتنزه فى روضتى النبات والادب وبعثوا

كلما اخلقن اخلفت لها أخرى جديده ... ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيده
غير عجفاء عجوز * ساقها مثل القديده ... وجهها أقبح من حوت طري في عصيده
ماحياتي مع أنثى * مثل عرسي بسعيده

فلما قرئت عليها الابيات ضحكت واستعادت قوله وجهها أقبح من حوت الى آخره وجعلت تضحك ودعت بجارية من جوار بها فائقة فقالت لها خذي كل مالك في قصري ففعلت ثم دعت بخادم وقالت له سلمها الى أبي دلامة فانطلق الخادم بها فلم يصبه في منزله فقال لامرأته اذا رجع فادفعيها اليه وقولي له تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها فقالت له نعم فلما خرج دخل اليها ابنها دلامة فوجد أمه تبكي فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت ان أردت أن تبرني يوما من الدهر فاليوم قال قولي ماشئت فاني أفعله قالت تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها فتطؤها وتحرمها عليه والا ذهبت بعقله وجفاني وجفاك ففعل ودخل على الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه وخرج ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته أين الجارية فقالت في ذلك البيت فدخل اليها شيخ محطم ذاهب فمد يده اليها وذهب ليقبلها فقالت له مالك وبلك تنح عني والا لطمتك لطمة دققت بها أنفك فقال أبهذا أوصتك السيدة فقالت انها بعثت بي الى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت وقد كان عندي آنفا ونال مني حاجته فعلم أنه قد دهي من أم دلامة وابنها فخرج الى دلامة فلطمه وتلبب به وحلف أنه لا يفارقه الى المهدي فمضى به متلببا حتى وقف على باب المهدي فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بادخاله فلما دخل قال له مالك وبلك قال عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة مالم يعمله ولد بأبيه ولا يرضيني الا أن تقتله فقال وبلك فما فعل بك فأخبره الخبر فضحك حتى استلقى على قفاه ثم جلس فقال له أبو دلامة أعجبك فعله فتضحك منه فقال علي بالسيف والنطع فقال له دلامة قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي قال هات قال هذا الشيخ أصفق الناس وجها وهو ينيك أمي منذ أربعين سنة ماغضبت ونكت أنا جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بي ماترى فضحك المهدي أشد من ضحكه الاول ثم قال دعها له وأنا أعطيك خيرا منها قال على أن تخبأها لي بين السماء والارض والا ناكها والله كما ناك هذه فتعهد المهدي الى أبي دلامة أن لا يعاود دلامة مثل فعله وحلف أنه ان عاود قتله وأمر له بجارية أخرى كما وعده (ودخل) أبو دلامة على المهدي وسلمة الوصيف واقف فقال اني قد أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لاحد مثله فان رأيت أن تشرفني بقبوله فأمر بادخاله اليه فخرج أبو دلامة وأدخل فرسه الذي كان تحته فاذا هو برذون محطم أعجف هرم فقال له المهدي أي شئ وبلك هذا ألم تزعم أنه مهر فقال له أوليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائما تسميه الوصيف وله ثمانون سنة وهو بعد عندك وصيفا فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك ثم قال لسلمة ويحك ان لهذه منه أخوات وان أتى بمثلها في محفل يفضحك فقال أبو دلامة اي والله يا أمير المؤمنين لافضحنه فليس في مواليك أحد الا وقد وصلني غيره فاني ماشربت له الماء قط قال فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك قال قد فعلت على أن لا يعاود قال أفعل ولولا أني ما أخذت منه شيأ قط ما استعملت معه مثل هذا فمضى سلمة فحملها اليه وسأله اياها (وجاء) دلامة يوما الى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالس فجلس بين يديه ثم أقبل على الجماعة فقال لهم ان شيخي كما ترون قد كبر سنه ودق عظمه وبنا الى حياته حاجة شديدة ولا أزال أشير عليه بالشئ يمسك رمقه ويبقي قوته فيخالفني واني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته فاسعفوني بمسألته معي فقالوا نفعل وحبا وكرامة ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضي ابنه وهو ساكت فقال قولوا للخبيث فليقل مايريد فستعلمون أنه لم يأت الا ببلية فقالوا قل فقال ان أبي انما يقتله الاكثرة الجماع فتعاونوني عليه حتى أخصيه فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره فعجبوا مما أتى به وعلموا أنه أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه ويرتفع له به ذكر فضحكوا منه

صاحبهم خليفة قوم لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه في لجين زجاجه ويرمونه منه بما يقضي بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا الانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قمقم النبيذ الذي كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه راكضا حتى خفي عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا في ذكر الزمن وعدوانه والخطب وألوانه ودخوله بطوام المضرات على توائم المسرات وتكديره الاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أتلهو والحتوف بنا مطيفه ... ونأمن والمنون لنا مخيفه

وقال ابن خلدون

وفي يوم وما أدراك يوم ... مضى قمقامنا ومضى خليفه

وقال ابن عمار

هما انفاراتاراح وروح ... تكسر ذا فشقفات وجيفه

(وأخبرني) الشريف فخر

ثم قالوا لابى دلامة قد سمعت فأجب قال قد سمعتم أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخير قالوا فما عندك فى هذا قال قد جعلت أمه حكما بيني وبينه فقوموا بنا اليها فقاموا بأجمعهم ودخلوا اليها وقص أبو دلامة القصة عليها وقال قد حكمتك فأقبلت على الجماعة فقالت ان ابنى هذا أبقاه الله قد نصح أباه وبره ولم يأل جهدا وما أنا الى بقاء أبيه بأحوج منى الى بقائه وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة ولا أشك فى معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخصها فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا استعمله أيضا أبوه فجعل أبوه يضحك منه وخجل ابنه دلامة وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعا واتفاقهم فى ذلك المذهب (وكان) عند المهدى رجل من بنى مروان قد جاءه مسلما فأتى المهدى بعلج فأمر المروانى أن يضرب عنقه فأخذ السيف وقام فضربه فنبا عنه فرمى به المروانى وقال لو كان من سيوفنا ما نبا فسمعها المهدى فغاظه حتى تغير وجهه وبان فيه فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال يا أمير المؤمنين ان هذه السيوف سيوف الطاعة ولا تعمل الا فى أيدى الاولياء ولا تعمل فى أيدى أهل المعصية ثم قام أبو دلامة فقال يا أمير المؤمنين قد حضرنى بيتان أفأقول قال قل فأنشده

أيهذا الامام سيفك ماض * وبكف الولى غير كهام

فاذا ما نبا بكف علمنا * أنه كف مبغض للامام

فقام المهدى من مجلسه وسرى عنه وأمر حجابه بقتل المروانى فقتل (وقال ابن النطاح) دخل أبو دلامة على المهدى فأنشده قصيدته فى بغلته المشهورة يهجوها ويذكر معايبها فلما أنشده قوله

أتانى خائب يستام منى * عريقا فى الخسارة والضلال
فقال تبيعها قلت ارتبطها * بحكمك ان بيعى غير غالى
فأقبل ضاحكا نحوى سرورا * وقال أراك سهلا ذا جمال
هلم الى يخاوى خداعا * وما يدرى الشقى لمن يخالى
فقلت بأربعين فقال أحسن * الى فان مثلك ذو سجال
فأترك خمسة منها لعلمى * بما فيه يصير من الخبال

فقال له المهدى لقد أفلت من بلاء عظيم فقال والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها على قال ثم أنشده

فابدلنى بها يارب طرفا * يكون جمال مركبه جمالى

فقال المهدى لصاحب دوابه خيره بين مركبين من الاصطبل فقال يا أمير المؤمنين ان كان الاختيار الى وقعت فى شر من البغلة ولكن مره أن يختار لى فقال اختر له وأخبار أبى دلامة كثيرة وقد أثبتنا منها طرفا صالحا وكانت وفاته سنة احدى وستين ومائة رحمه الله تعالى

﴿ كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار ﴾

البيت للبحترى من قصيدة من الخفيف يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما ومنها قوله

أبكاء فى الدار بعد الدار * وسلوا بزينب عن نوار
لا هناك الشغل الجديد بحزوى * عن رسوم برامتين قفار
ما ظننت الاهواء قبلك تمحى * فى صدور العشاق محو الديار

الى أن قال منها فى وصف النوق

يترقرقن كالسراب وقد خضـ * ـن غمارا من السراب الجارى

وبعده البيت والقصيدة طويلة يقول منها فى تشكيه من الغلام الاجير ويسأل مخدومه فى هبته غلاما ويصفه

قد ملتنك يا غلام فغاد * بسلام أو رائح أو سارى
سر وانأى عنى خصوصا فهلا * من عدو أو صاحب أو جار
أنا من ياسر وسعد وفتح * لست من عامر ولا عمار
لا أحب النظير يخرجه الشتم الى الاحتجاج والافتخار
فاذا رعته بناحية السو * ط على الذنب راعنى بالفرار

الدين أبو البركات العباس بن عبد الله المقدم ذكره قال أخبرنى الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى قال أخبرنى ابن الدهان القرطبى قال مضيت أنا وأبو الفضل البغدادى وابن صلاح الى دار أمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ فأساء لنا حاجبه قنبر وأفرط فى منعنا من الدخول اليه فقال أبو الفضل

قد بلينا فى دار أسعد خلق * بدبر

فقلت

بقصير مطول

مستطيل مقصر

فقال ابن الصلاح

كم تقولون قنبر

قطعوا رأس قنبر

ثم أذن لنا فدخلنا نضحك فسألنا عن سبب ضحكنا فأخبرناه بالسبب فقال أنشدونى الابيات جملة أميز لكم قول كل واحد منكم فأنشدناه الاول فقال هذا لابى الفضل لانه شاعركم ثم أنشدناه الثانى فقال هذا لك لان فيه شيأ من ألفاظ المهندسين وأنت رجل مهندس ثم قال والثالث لابن الصلاح لانه مخضرم (قال على بن ظافر) مضيت أنا وشهاب الدين المقدم ذكره والقاضى الاعز بن المؤيد رحمه الله فى جماعة من

مراعاة النظير

مابأرض العراق ياقوم حر * يشترينى من خدمة الاحرار
هل جواد بأبيض من بنى الاصفر محض الجدود محض النجار
لم يرم قومه السرايا ولم يغزهم غير جحفل جرار
توجته الرياح أغيد مجدو * لاقصير الزنار وافى الازار
فوق ضعف الصغاران وكل الام ر اليه ودون كبر الكبار
لك من ثغره وخديه ماشئت من الاقحوان والجلنار
وكأن الذكاء يبعث منه * فى سواد الامور شعلة نار
ياأباجعفر وماأنت بالد عو الا لكل أمر كبار
ولعمرى للجود بالناس للنا س سواه بالثوب والدينار
وقليل الا اليك بهذا الشعر أخذ الغلمان بالاشعار

ومعنى البيت أنه يصف ابلا أنحلها السرى بحيث صارت من الهزال كالقسى بل السهام بل الاوتار وقد تداول الشعراء هذا المعنى وتجاذبوا أطرافه فمن ذلك قول الشريف الموسوى

هن القسى من النحول فان سما * خطب فهن من النجاء الاسهم

وقد أخذه ابن قلاقس فقال أيضا

خوص كأمثال القسى نواحلا * واذا سما خطب فهن سهام

وقال أيضا

طرحنا العجز عن أعجاز عيس * نوشحها على الحزم الحزاما
وندفع بالسرى منها قسيا * فتقذف بالنوى منها سهاما

وقال ابن خفاجة أيضا

وقد ما برت منها قسيا يد السرى * وفوق منها فوقها المجد أسهما

وقال ابن النبيه

ان خوض الظلماء أطيب عندى * من مطايا أمست تشكى كلاله
فهى مثل القسى شكلا ولكن * هى فى السبق أسهم لامحاله

(والشاهد فى البيت) مراعاة النظير ويسمى التناسب والتوافق والائتلاف والمؤاخاة وهو جمع أمر وما يناسبه مع الغاء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالاسهم والاوتار لما تقدم من ذكر القسى وهذه المناسبة هنا معنوية لالفظية كما فى قول مهيار

ومديرسيان عيناه والابريق فتكا ولحظه والمدام

والابريق هنا السيف سمى بذلك لبريقه وكان يصح أن يقال سيان عيناه والصمصام أو الهندى فاختار الابريق لمناسبته لفظ المدام اذ الابريق يطلق على اناء الخمر وليس هذا من المعنى فى شئ والغاء ومراعاة مجرد اللفظ ومن أحسن ماورد فى مراعاة النظير قول ابن خفاجة يصف فرسا وهو

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعلة الباس من جلنار ناضر خده
وأذنه من ورق الآس * تطلع للغرة فى وجهه * حبابة تضحك فى الكاس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة وقول ابن الساعاتى من أبيات فى وصف الثلج

السحب رايات ولامع بروقها * بيض الظبى والارض طرف أشهب
والنقع تقسطله وزهر شموعنا * صم القنا والفحم نبل مذهب

وماأبدع قول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم

أنتم بنو طه ون والضحى * وبنو تبارك والكتاب المحكم
وبنو الاباطح والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

فانه أحسن فى المناسبة فى البيت الاول بين أسماء السور وفى الثانى بين الجهات الحجازية وماأعجب قول

أصحابنا الى الدير المعروف بالقصير ايثار النظر تلك الآثار فلما تنزهنا فى حسن منظره وقضينا الوطر من نظره تعاطينا القول فيه جرياعلى عادة خلعاء البلغاء وظرفاء الادباء ومجان الشعراء الذين نبذوا الوقار بالعراء فقطعوا طريق الاعمار بطروق الاغمار وضيعوا العين والعقار فى تحصيل العين والعقار فقال الشهاب

سقى الله يومى بدير القصير * قصير العزالى طويل الذيول
محل اذا الاح لى لم أقف * بصحبى على حومل فالدخول

فقلت

فكم فيه من قمر فى دجى * على غصن فى كثيب مهيل
بلحظ صحيح وجفن سقيم * وروح خفيف وردف ثقيل

فقال الاعز

قطعت به العيش مع فتية * صباح الوجوه كرام الاصول
بكل كريم قصير المرا * ح ازالمعالى بباع طويل

فقال الشهاب

اذا قسه سل سيف المدام * فكم من سليب وكم من قتيل

فقال الاعز

وكم من خليع كريم الفعال * يجدد بالجود رغم البخيل

فقلت

يوافيه ذاذهب جامد * فيقنيه فى ذائب الشمول
ثم صنع الشهاب فيه على غير

السلامي

أوماترى طرر البروق توسطت * أفقا كأن المزن فيه شنوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج * خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والارض طرس والرياض سطوره * والزهر شكل بينها وحروف

وقوله في وصف النارنج والسماريات في نهر طلعت عليه الشمس

تنشط للصبوح أباعلي * على حكم المنى ورضى الصديق * بنهر للرياح عليه درع
يذهب بالغروب وبالشروق * اذا اصفرت عليه الشمس صبت * على أمواجه ماء الخلوق
وقفت به فكم خد رقيق * يغازلني على قدر شيق * وجرشب في الأغصان حتى
أضاع الماء في وهج الحريق * فدهم الخيل في ميدان تبر * يصاغ لها كرات من عقيق

وقوله أيضا في وصف الحب

الحب كالدهر يعطينا ويرتجع * لا اليأس يصرفنا عنه ولا الطمع
صحبته والصبا تغري الصبابة بي * والوصل طفل غرير والهوى يفع
أيام لا النوم في أجفاننا خلس * ولا الزيارة من أحبابنا لمع
اذ الشبيبة سيفي والهوى فرسي * ورايتي اللهو واللذات لي شيع

وما أحسن قول السري الرفاء

وغيم من هفات البرق فيه * عوار والرياض بها كواسي * وقد سلت جيوش الفطر فيه
على شهر الصيام سيوف باس * ولاح لنا الهلال كشطر طوق * على لبات زرقاء اللباس

وبديع قول أبي طالب البغدادي النحوي من أبيات

ومهمه سرت فيه والبساط دم * والجو نقع وهامات الرجال ربا

وقول أبي حنيفة الاسترابادي غاية هنا وهو

هل عثرت أقلام خط العذار * في مشقها فالخال نضح العثار * أو استدار الخط لما غدت
نقطته من كز ذاك المدار * وريقه الخمر فهل ثغره * در حباب نظمته العقار

وقوله وهو بديع أنا الرمي بسهم اللحظ اذ رشقا * فلم تدرع من أصداغه الحلقا

وقول أبي علي الحسن الباخرزي والد صاحب دمية القصر

وذي زجل والى سهام رهامه * وولى فألقى قوسه في انهزامه
ألم تر خد الورد مدمي لوقعها * وانصالها مخضوبة في كمامه

وما أحسن قول الحسين بن علي التميري من قصيدة

روض اذا جرت الرياح مريضة * في زهره استشفت به مرضاها
واذا تقابلت الندامى وسطه * سكر الصحاة كأصحاسكراها

وما أزهر قول بعضهم يرثي فقيها حنفيا

روضة العلم قطبي بعد بشر * والبسي من بنفسج جلبابا
وهي النائحات منثور دمع * فشقيق النعمان بان وغابا

ولابي العصب الحلي

ذرفت عين الغمام * فاستهلت بمجام
وبكى الابريق في الكا * س بدمع من مدام
فاسقني دمعا بدمع * من مدام وغمام
واعص من لاملك فيه * ليس ذاوقت الملام

ولابي العلاء المعري

دع اليراع لقوم يفخرون بها * وبالطوال الردينيات فافتخر
فهن أقلامك اللاتي اذا كتبت * مجدا أتت بمداد من دم هدر

هذا الروي والوزن فقال على عمر القصير قصرت عمري وصنت خلاعتي وأزلت وقري

فقال الاعز

ولم أسمع لعمري قول زيد اذا املا مني أو قول عمرو

فقلت

ظفرنا فيه من شفة وكاس بشرو بين من ريق وخمر

فقال الشهاب

ودافعنا بقين الدين فيه بظنونين من خمر وخضر

فقال الاعز

كسوت به الكؤس البيض حمرا من القمص اشتريناها بصفر

فقلت

وظلت عارق للهو أتلو بهز البيض فيه عناق سمر

(قال علي بن ظافر) وجلسنا يوما في روض قد ماست قدوده واخضرت بروده وخجل ورده من عيون نرجسه فاحمرت خدوده والروض يهدي الى الآناف طيب عرفه والنسيم يركض في ميادين الازهار بطرفه

فقلت

بعث النسيم الى الرياض رسولا يوحي اليه بكرة وأصيلا

فقال الاعز

يدعو الى شرب المدام فليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

فقال الشهاب

ياويلتي ذهب الشباب فليتني لم أتخذ فيه العفاف خليلا

(ومما روي) في مثل هذا

وما أحسن قول الواوا الدمشقي

سقي القوم غداقوس الغمام به * والشمس مشرقة والبرق خلاس

كأنه قوس رام والبروق له * رشق السهام وعين الشمس برجاس

وما أبدع قول السلامي وقد خالط الفجر الظلام كما التقى * على روضة خضراء ورد وأدهم

وعهدي بها والليل ساق ووصلنا * عقار وفوها الكاس أو كاسها الفم

ولبعض شعراء الذخيرة بدارس قتهادعة أردعة * فالت بها الجدران شطرا على شطر

فمن عارض يسقي ومن سقف مجلس * يغني ومن بيت يسيل من السكر

ومن الغايات في هذا الباب قول البديع الهمداني من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من عزم أجوب جيوبه * كأني في أجفان عين الردى كحل

كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا لها شرب كأن المنى نقل

كأنا جياع والمطي لنا فم * كأن الفلا زاد كأن السرى أكل

كأن ينابيع الثرى ثدي مرضع * وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل

كأنا على أرجوحة في مسيرنا * لغور بنا تهوي ونجد بنا تعلو

ومنها في المديح ولم يخرج عن حسن المناسبة

كأن في قوس لساني له يد * مديحي له نزع به أملي نبل * كأن دواتي مطفل حبشية

بناني لها بعل ونقشي لها نسل * كأن يدي في الطرس غواص لجة * بها كلمي در به قيمتي تغلو

وله أيضا في قريب منه يمدح الممدوح في القصيدة قبله وهو الملك خلف بن أحمد صاحب سجستان

وليل كذكراه كمعناه كاسمه * كدين ابن عباد كادبار فائق * شققنا بأيدي العيس برد ظلامه

وبتنا على وعد من السير صادق * تزج بنا الاسفار في كل شاهق * وترى بنا الآمال في كل حالق

كأن مطايانا شفار كأنها * تمد اليهن الفلا كف سارق * كأن نجوم الليل نظارة لنا

تعجب من آمالنا والعوائق * كأن نسيم الصبح فرصة آيس * كأن سراب القيظ لجة وابق

ومن الغريب هنا قول ابن الرومي يصف أينقا

تطوي الفلا وكأن الآل أردية * وتارة وكأن الليل سيجان

كأنها في ضحاضح الضحى سفن * وفي الغمار من الظلماء حيتان

وما أرشق قول ابن رشيق

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن كف الامير تميم

ومن المستحسن في هذا النوع قول ابن زيلاق في غلام معه خادم يحرسه

ومن عجب أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر

عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك ياقوت وخالك عنبر

وما أبدع قول ابن مطروح وليلة وصل خلت * فيا عاذلي لا تسل

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

ومثله قول العماد السلماسي شقت عليك يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول

وعجيب قول ابن الخشاب في المستضيء وأجاد

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم

ظمآن أطلب خفة من زحمة * والورد لا يزداد غير تزاحم

وقول ابن شرف في اجتماع البعوض والذباب والبراغيث في مجلس مخاطبا لصاحبه يستهزئ به

الا أنه روى عن قوم مجاهيل فأخرناذكره حتى انتهى الترتيب ولم نراخلاء الكتاب من ذكره لانه يجري مجرى الملح ماروى أن ثلاثة من الكتاب خرجوا الى منتزه فبينما هم يأكلون طعاما كان معهم اذا بطفيل جلس اليهم وابتدأ في تلقف ما في الطبق مما بين أيديهم فقالوا له هل عرفت منا أحدا قال نعم هذا وأشار الى الطعام فتعاطوا اصفته فقال أحدهم لم أر مثل جذبه ومطه فقال الآخر وأكله دجاجة وبطه فقال الثالث كأن جالينوس تحت ابطه فقالا أما نحن فوصفنا من شدة أكله ما عايناه فما معنى كون جالينوس تحت ابطه فقال يلقمه جوارش الكمون لئلا يتخم

(ومن التمليط الواقع بين أربعة من الشعراء) ماروى الاصبهاني بسند يتصل باسحق الموصلي عن رجاله أن عمر بن أبي ربيعة والحرث بن خالد المخزوميين وأبا ربيعة المصطلقي ورجلا من بني مخزوم وهو ابن أخت الحرث خرجوا يشيعون بعض خلفاء بني أمية فلما انصرفوا نزلوا بسرف فلاح لهم برق فقال الحرث كلنا شعراء فهلموا نصف البرق فقال أبو ربيعة

لك مجلس كلت ستارتنابه * للهو لكن تحت ذاك حديث
غني الذباب وظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث
ومن النهايات هنا قول القاضي عبد الرحيم الفاضل
في خده فخ كعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر
وقول مجير الدين بن تميم
لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى * في موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل
وقد أغرب الاديب بدر الدين حسن الزغاري بقوله
كأن السحاب الغر لما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب وثلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها
والباب واسع ولا بد من مراعاة الاختصار هنا

﴿ اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع ﴾

البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي من قصيدة من الوافر وأولها
أمن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني وأصحابي هجوع
سباها الصمة الجشمي غصبا * كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس * تكشف عن سواعدها الدروع
وبعده البيت وبعده وصله بالزمان فكل أمر * سما لك أو سموت له ولوع
وهي طويلة قال المدائني حدثني رجل من قريش قال كنا عند فلان القرشي فجاء رجل بجارية فغنته
بالله يا ظبي بني الحارث * هل من وفى بالعهد كالناكث
وغنته أيضا بغناء ابن سريج
يا طول ليلي وبت لم أنم * وسادي الهم مبطن سقمي
فأعجبته واستام مولاها فاشتط عليه فأبى شراءها وأعجبت الجارية بالفتى فلما امتنع مولاها من البيع الابشطط قال القرشي ولا حاجة لنا في جاريتك فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها تقول
* اذا لم تستطع شيأ فدعه * البيت قال فقال الفتى القرشي أفأنا لا أستطيع شراءك والله لأشترينك بما بلغت قالت الجارية فذلك أردت قال القرشي اني لا أخيبك وابتاعها من ساعته (والشاهد فيه) الارصاد ويسميه بعضهم التسهيم وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز اذا عرف الروي وهو الحرف الذي تبنى عليه أواخر الابيات أو الفقر ويجب تكراره في كل منها فانه قد يكون منها ما لا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروي كقول البحتري
أحلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي قد حللته بمحلل * وليس الذي قد حرمت بحرام
فانه لو لم يعرف أن القافية مثل سلام وكلام لربما توهم أن العجز بمحرم وقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب
وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا
والقول فيه كالذي قبله ومما اختير من شواهد هذا النوع قول الراعي
وان وزن الحصى فوزنت قومي * وجدت حصى ضريبتهم وزينا
(وقد حكي) أن عمر بن أبي ربيعة المخزومي جاء الى ابن عباس رضي الله عنهما فابتدأ ينشده * تشط غدا دار جيراننا * فقال ابن عباس رضي الله عنه * وللدار بعد غد أبعد * وكان كذلك ولم يسمع غير الشطر الاول (وكذلك) يحكى عن عدي بن الرقاع أنه أنشد في صفة الظبية وولدها * تزجي أغر كأن ابرة روقه *

أرقت لبرق في دجى الليل لامع
جرى من سناه ذو الربى فمتالع
فقال الحرث
أرقت له ليل التمام ودونه
مهامه موماة وأرض بلاقع
فقال ابن أخته
يضيء عضاه الشوك حتى كأنه
مصابيح أو فجر من الصبح ساطع
فقال عمر بن أبي ربيعة
أيا رب لا آلو المودة جاهدا
لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع
ثم قال مالي وللبرق والشوك
(وأنبأني) الفقيه التقي عبد الخالق المسكي عن السلفي قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوي وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ قال أخبرني أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرمي قال ذكر أبو بكر الصولي أنه وجد بخط ابن خرداذبة أن أبا نواس ومسلم بن الوليد الصريع والحسين بن الضحاك الخليع والعباس ابن الاحنف خرجوا الى متنزه ومعهم يحيى بن معاذ فأدركتهم صلاة المغرب فقدموا ابن معاذ للصلاة فنسي الحمد وأرتج عليه في قل هو الله أحد فقطعوا الصلاة ثم تعاطوا القول فيه فقال أبو نواس

وغفل الممدوح عنه فسكت وكان جرير حاضرا فقيل له ما تراه يقول فقال جرير * فلم أصاب من الدواة مدادها * وأقبل عليه الممدوح فقال كما قال جرير فلم يغادر حرفا ومنه قول الخنساء

بيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا

وقول دعبل

وإذا عاندنا ذو قوة * غضب الروح عليه فعرج

فعلى أيماننا يجري الندى * وعلى أسيافنا تجري المهج

ومن جيده قول بعضهم

ولو انني أعطيت من دهري المنى * وما كل من يعطى المنى بمسدد

لقلت لأيام مضين ألا ارجعي * وقلت لأيام أتين ألا ابعدي

وما أحسن قول البحتري

أبكيكما دمعا ولو أني على * قدر الجوى أبكي بكيتكما دما

(وحدث) ابراهيم بن أبي محمد اليزيدي قال كنت عند المأمون يوما وبحضرته عريب فقالت له على سبيل الولع بالسلعوس وكانت جواري المأمون يلقبنني بذلك عبثا فقلت

قل لعريب لا تكوني مسلمسه * وكوني كتعريف وكوني كونسه

فقال المأمون

فان كثرت منك الاقاويل لم يكن * هنالك شيء ان ذا منك وسوسه

فقلت كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول فعجبت من ذهن المأمون وطبعه وفطنته ولمؤلفه من أبيات

ليس التقدم بالزمان مقدما * أحدا ولا التأخير فيه يؤخر

فلكل عصر مستجد تبع * ولكل وقت مقبل اسكندر

ومدح أبو الرجاء الاهوازي الصاحب ابن عباد لما ورد الاهواز بقصيدة منها

الى ابن عباد أبي القاسم * الصاحب اسمعيل كافي الكفاه

فاستحسن جمعه بين اسمه ولقبه وكنيته واسم أبيه في بيت واحد ثم ذكر وصوله الى بغداد وملكه اياها فقال * ويشرب الجند هنيأ بها * فقال له ابن عباد أمسك أمسك أريد أن تقول * من بعد ماء الري ماء الفراه * فقال هكذا والله أردت وضحك (وعمرو بن معدي كرب) هو أبو عبد الله وقيل أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو ابن عاصم بن عمرو بن زبيد ينتهي نسبه لقحطان ويكنى أبا ثور وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرهم فيما ذكروهي معدودة من المنجبات وعن أبي عبيدة قال عمرو بن معدي كرب فارس اليمن وهو مقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس (وعن) زيد بن قعيف الكلابي قال سمعت أشياخنا يزعمون ان عمرا ابن معدي كرب كان يقال له مائق بني زبيد فبلغهم أن خثعم تريدهم فتأهبوا لهم وجمع معدي كرب بني زبيد فدخل عمرو على أخته فقال لها أشبعيني اني غدا آتي الكتيبة فجاء معدي كرب فأخبرته ابنته فقال هذا المائق يقول ذلك قالت نعم قال فسليه ما يشبعه فسألته فقال فرق من ذرة وعنز رباعية قال وكان الفرق يومئذ ثلاثة آصع فصنع له ذلك وذبح العنز وهيأ الطعام قال فجلس عمرو عليه فسلته جميعا وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم فوضع رأسه ثم رفعه فاذا هو قد زال فقام كأنه سرحة محرقة فتلقى أباه وقد انهزموا فقال له انزل عنها فقال اليك يا مائق فقال له بنو زبيد خله أيها الرجل وما يريد فان قتل كفيت مؤنته وان ظهر فهو لك فألقى اليه سلاحه ثم ركب فرمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم ثم كر عليهم وفعل ذلك مرارا وحملت عليهم بنو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا فقيل له يومئذ فارس بني زبيد وكان من خبر اسلام عمرو بن معدي كرب الزبيدي ما حكاه المدايني عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوك يريد المدينة فأدرك عمرو بن معدي كرب الزبيدي في رجال من بني زبيد فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك عنه حتى أوذن به فلما تقدم ورسول الله يسير قال حياك الملك أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله

أكثر يحيى غلطا

في قل هو الله أحد

فقال مسلم بن الوليد

قام طويلا ساهيا

حتى اذا أعيا سجد

فقال العباس بن الاحنف

يزحر في محرابه

زحير حبلى بولد

فقال الحسين بن الضحاك الخليع

كأنما لسانه

شد بحبل من مسد

قال ابن رشيق في كتاب العمدة وأخبرني بهذه الحكاية بعض أصحابنا فقلت وما على أحد لو قال

ونسي الحمد فما

مرت له على خلد

وسمع هذه الحكاية أيضا العباس بن الحطيئة فقال

ورام شيأ غير ذا

يقرؤه فما وجد

(وذكر) أبو الفرج قال أولم محمد بن خالد فدعا أبان بن عبد الحميد اللاحقي وسهل بن عبد الحميد وعبيد الله بن عمرو العتبي والحكم بن قنبر وأخر عنهم الغداء ثم جاء فوقف وقال مالكم أعزكم الله ألكم حاجة عمار أحهم فقال أبان

حاجتنا فاعجل علينا بها

من الحشاوي كل طرويه

فقال الحكم

ومن خبيص قد حكى عاشقا

صفرته زينت بتلوين

فقال العتبي

واتبعوا ذاك بأبنية

فانكم أصحاب ابين

عليه وسلم ان لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فآمن بالله يؤمنك
الله يوم الفزع الاكبر فقال عمرو بن معدي كرب وما الفزع الاكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
فزع ليس كما تحسب وتظن انه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي الا مات الا ماشاء الله تعالى من ذلك ثم يصاح
بالناس صيحة لا يبقى ميت الا نشر ثم تلج تلك الارض بدوي تنهد منه الارض وتخر منه الجبال وتنشق
السماء انشقاق القبطية الجديدة ماشاء الله من ذلك ثم تبرز النار فينظر اليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان
في السماء ترمي بمثل رؤس الجبال من شرر النار فلا يبقى ذو روح الا انخلع قلبه وذكر ذنبه أين أنت
يا عمرو فقال اني أسمع أمرا عظيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمرو أسلم تسلم فأسلم وبايع لقومه
على الاسلام وذلك منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك وكانت في رجب سنة تسع وعن أبي
عبيدة قال لما ارتد عمرو بن معدي كرب مع من ارتد عن الاسلام من مذحج استجاش فروة النبي صلى الله
عليه وسلم فوجه اليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما اذا اجتمعتما فعلي بن أبي طالب
أميركم وهو على الناس ووجه عليا رضي الله عنه فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا
بعض فلم تزل جعفي وزبيد وأود بن سعد العشيرة بعدها قليلة يروى أنه لما بلغ عمرو بن معدي كرب قرب
مكانهم أقبل في جماعة من قومه فلما دنا منهم قال دعوني حتى آتي هؤلاء القوم فاني لم أسم لاحد قط
الا هابني فلما دنا منهم نادى أنا أبو ثور أنا عمرو بن معدي كرب فابتدره علي وخالد وكلاهما يقول لصاحبه
خلني واياه ويفديه بأبيه وأمه فقال عمرو اذ سمع قولهما العرب تفزع مني وأراني لهؤلاء جزرا فانصرف
عنهما ثم رجع الى الاسلام وفي هذا الوجه وقعت الصمصامة الى آل سعيد وكان سبب وقوعها اليهم أن
ريحانة بنت معدي كرب وهي المعنية أول القصيدة سبيت يومئذ فأفداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة
فصار الى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحا يوم قتل عثمان رضي الله عنه حين حصر (أي في الدار) وقد ذهب
السيف والغمد ثم وجد الغمد فلما قام معاوية جاءه أعرابي بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر فقال سعيد هذا
سيفي فجحد الاعرابي مقالته فقال سعيد الدليل على انه سيفي أن تبعث الى غمده فتغمده فيكون كفافه
فبعث معاوية الى الغمد فأتي به من منزل سعيد فاذا هو عليه فأقر الاعرابي أنه أصابه يوم الدار فأخذه
سعيد منه وأثابه فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدي من البصرة فأرسل الى آل سعيد فيه فقالوا انه للسبيل
فقال خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه (وعن الشعبي) أن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لعمرو بن معدي كرب في الفي ألفين فقال له يا أمير المؤمنين ألف
ههنا وأومأ الى شق بطنه الايمن وألف ههنا وأومأ الى شق بطنه الايسر فما يكون ههنا وأومأ الى وسط
بطنه فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما وزاده خمسمائة وقال أبو اليقظان قال عمرو
ابن معدي كرب لو سرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلقني حراها
وعبداها فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث بن شهاب وأما العبدان فأسود بني عبس يعني
عنترة والسليك بن السلكة وكلهم لقيت فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت وأما عتيبة
ابن الحرث فأول الخيل اذا غارت وآخرها اذا آبت وأما عنترة فقليل النبوة شديد الكلب وأما السليك
فبعيد الغارة كالليث الضاري (وعن قيس) أن عمر رضي الله عنه كتب الى سعد بن أبي وقاص اني قد أمددتك
بألفي رجل عمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد وهو طليحة الاسدي فشاورهما في الحرب ولا تولهما
شيأ وعنه قال شهدت القادسية وكان سعد على الناس فجاء رستم فجعل يمر بنا وعمرو بن معدي كرب الزبيدي
يمر على الصفوف ويحض الناس ويقول يا معشر المهاجرين كونوا أسدا أعني عباسا فانما الفارسي تيس
بعد أن يلقي نيزكه قال وكان مع رستم أسوار لا تسقط له نشابة فقيل له يا أبا ثور اتق ذلك فانا لنقول له ذلك
اذ رماه رمية فأصاب فرسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سواري ذهب كانا عليه وقباء ديباج
قال غير قيس ورجع بسلبه وهو يقول

فقال سهل
دعنا من الشعر وأوصافه
واعجل علينا بالاخاوين
فأمر باحضار الغداء وخلع
عليهم ووصلهم (ومن ذلك)
ما أنبأنا به العماد أبو محمد
الاصبهاني قال حدثني
صديقي النجيب محمد بن
مسعود القسام بأصفهان
قال حضرت مجلس مؤيد
الدين أبي علي محمد بن
أسهسلار رئيس جرباذقان
وعنده شمس الدين أحمد بن
شاد الغزنوي ومجد الدين
اسمعيل بن أحمد اليماني
فأحضر بين يديه ورد أحمر
فابتدر الغزنوي فقال
الورد فاح كأنه
خلق الامير أبي علي
فقلت
أوصيته بين الانا
م وذكره في المحفل
فقال اليماني
فاحمر من خجل ومن
فضحته دعوى يخجل
فقال مؤيد الدين
في عمره كعدوه
في عرفه مثل الولي
فانظم به ورد الثنا
وانثر عليه من عل
* (وأخبرني) القاضي
الموفق بهاء الدين أبو علي
الديباجي قال كنا بالعسكر
المنصور الكاملي أعزه الله
على العباسة وعندي في
خيمتي القاضي السعيد أبو
القسم بن سناء الملك رحمه

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون * أضربهم ضرب غلام مجنون * يا لزبيد انهم يموتون

وفي رواية عن أبي زيد ان عمرا شهد القادسية وهو ابن مائة وست سنين وقيل بل ابن مائة وعشر ولما اقتتل العلج عبر بنهر القادسية هو وقيس بن مكسوح المرادي ومالك بن الحرث الاشتر وكان عمرو آخرهم وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها فاتى بفرس فأخذ بعكدة ذنبه وأخلد به الى الارض فأقعى الفرس فرده وأتى بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع فقال هذا على كل حال أقوى من ذلك وقال لاصحابه اني حامل وعابر الجسر فان أسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم وقد قتلت وجردت وان أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم يابني زبيد علام تدعون صاحبكم والله ماترى أن تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده فلما غشيناه رمى الاعجمي بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني قالوا أين فرسك قال رمى بنشابة فشب فصرعني وغار (وعن) أبان بن صالح قال قال عمرو بن معدي كرب يوم القادسية ألزموا خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل الا خراطيمها ثم شد على رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجزم عرقوبيه فسقط وحمل رستم على فرس وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فحازه المسلمون وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله وانهزم المشركون وقيل ان الخرج سقط عليه فقتله (وعن الشعبي) قال جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن معدي كرب لطليحة أما ترى أن هذه الزعانف تزاد ولا نزاد انطلق بنا الى هذا الرجل حتى نكلمه فقال هيهات والله لا ألقاه في هذا أبدا فلقد لقيني في بعض فجاج مكة فقال يا طليحة أقتلت عكاشة فتوعدني وعيدا ظننت انه قاتلي ولا آمنه قال عمرو ولكنني ألقاه قال أنت وذاك فخرج الى المدينة فقدم على عمر رضي الله عنه وهو يغدي الناس وقد جفن لعشرة عشرة فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو فأقعده مع عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام فقال يا أمير المؤمنين انه كانت لي مآكل في الجاهلية منعني منها الاسلام وقد صررت في بطني صرتين وتركت بينهما هواء فسده فقال عليك حجارة من حجارة الحرة فسده بها يا عمرو انه بلغني أنك تقول ان لي سيفا يقال له الصمصامة وعندي سيف اسمه المصمم واني ان وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك (وحدث) يونس وأبو الخطاب قالا لما كان يوم فتح القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجانا ومناطق ورقابا فبلغت مالا عظيما فعزل سعد الخمس ثم فض البقية فأصاب الفارس ستة آلاف والراجل ألفان وبقي مال دثر فكتب الى عمر رضي الله عنه بما فعل فكتب اليه أن فض ما بقي على حملة القرآن فأتاه عمرو بن معدي كرب فقال له سعد ما معك من كتاب الله فقال عمرو اني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن قال مالك في هذا المال نصيب وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانة بشر فقال ما معك من كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم ولم يعطه شيأ فقال عمرو في ذلك

اذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد * قالت قريش الا تلك المقادير
نعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر بن ربيعة

أنخت بباب القادسية ناقتي * وسعد بن وقاص علي أمير
وسعد أمير شره دون خيره * وخير أمير بالعراق جرير
وعند أمير المؤمنين نوافل * وعند المثنى فضة وحرير
تذكر هداك الله وقع سيوفنا * بباب قديس والمكر عسير
عشية ود القوم لو أن بعضهم * يعار جناحي طائر فيطير
اذا ما فرغنا من قراع كتيبة * دلفنا لاخرى كالجبال تسير
ترى القوم فيها واجمين كأنهم * جمال بأحمال لهن زفير

الله والمهذب بن الخيمي وأقبل بعض الشعراء من أصحابنا على اكديش وتحته على السرج خرج مشقوق فتعاطينا العمل فيه فقال ابن سناء الملك رحمه الله

بط خرج خرجه
عن قربوس سرجه

فقال المهذب بن الخيمي

لا ترجه لصالح
يأتي ولكن ارجه

فقلت

فانما آفاته
من بطنه وفرجه

وأقول قد بقي عليهم من تمام المعنى والقوافي أن يقول أحدهم

فهو كذا في دخله
يفكر لا في خرجه

*(ومن التغليط الواقع بين خمسة) ما ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة بالاسناد المتقدم أن الاستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد جلس يوما وعنده أبو محمد بن هندو وأبو الحسين بن فارس صاحب مجمل اللغة وأبو عبد الله الطبري وأبو الحسن البديهي فجاءه بعض الخدم بأترجة فقال لهم تعالوا نتجاذب أذيال وصفها فقالوا ان رأى سيدنا أن يبدأ أنا نفعل فقال

وأترجة فيها طبائع أربع

فقال ابن هندو

وفيها فنون اللهو للشرب أجمع

فقال ابن فارس

فكتب سعد الى عمر رضى الله عنه بما قال لهما وما ردا عليه وبالقصيدتين فكتب أن اعطهما على بلائهما فأعطى لكل واحد منهما ألفى درهم (وعن ابن قتيبة) ان سعدا كتب الى عمر رضى الله عنه يثنى على عمرو ابن معدى كرب فسأل عمر عمرا عن سعد فقال هو لنا كالاب أعرابى فى نمرته أسد فى تامورته يقسم بالسوية ويعدل فى القضية وينفر فى السرية وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة فقال عمر رضى الله عنه لشد ما تقارضتما الثناء (وجاء) رجل وعمرو بن معدى كرب واقف بالكناسة على فرس له فقال لأنظرن ما بقى من قوة أبى ثور فأدخل يده بين ساقه وبين السرج ففطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه قال يا ابن أخى مالك قال يدى تحت ساقك فخلى عنه وقال يا ابن أخى ان فى عمك لبقية بعد وكان عمرو مع شجاعته ومواقفه مشهورا بالكذب فحدث المبرد قال كانت الاشراف بالكوفة يخرجون الى ظهرها يتناشدون الاشعار ويتحدثون ويتذاكرون أيام الناس فوقف عمرو الى جانب خالد بن الصقعب النهدى فأقبل عليه يحدثه ويقول أغرت على بنى نهد فخرجوا الى مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه فقال له الرجل يا أبا ثور ان مقتولك الذى تذكره هو الذى تحدثه فقال اللهم غفرا انما أنت محدث فاستمع انما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذه المعدية (وقال محمد بن سلام) أبت العرب الا أن عمرا كان يكذب قال وقلت لخلف الاحمر وكان مولى للاشعريين وكان يتعصب لليمانية أكان عمرو يكذب قال كان يكذب باللسان ويصدق بالفعال (وعن زياد مولى سعد) قال سمعت سعدا يقول وبلغه أن عمرو بن معدى كرب وقع فى الخمر وأنه قد دله لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم الغناء شديد النكاية للعدو فقيل له فقيس بن مكسوح فقال هذا أبذل لنفسه من قيس وان قيسا لشجاع (وعن أبى محمد المرهبى) قال كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدث قال قدم عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياما ثم قال والله مالى بأبى ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط يعنى بأبى ثور عمرو بن معدى كرب أسرج لى يا غلام فأسرج له فرسا أنثى من خيله فلما قربها اليه ليركبها قال له ويحك أرأيتنى ركبت أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الاسلام فأسرج لى حصانا فأسرجه فركبه وأقبل الى محلة بنى زبيد فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب فأرشد اليها فوقف ببابه ونادى أى أبا ثور اخرج الينا فخرج اليه مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال أنعم صباحا أبا مالك قال أوليس قد أبدلنا الله بهذا السلام عليكم قال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندى كبشا ساحا فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم كشط جلده عنه وعضاه وألقاه فى قدر جماع وطبخه حتى اذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرده فيها وألقى القدر عليها فقعدا فأكلاه ثم قال له أى الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية قال أوليس قد حرمها الله عز وجل علينا فى الاسلام قال أنت أكبر سنا أم أنا قال أنت قال فأنت أقدم اسلاما أم أنا قال أنت قال فانى قد قرأت ما بين دفتى المصحف فوالله ما وجدت لها تحريما الا أنه قال فهل أنتم منتهون فقلنا لا فسكت وسكتنا فقال له أنت أكبر سنا وأقدم اسلاما فجاء بها فجلسا يتنادمان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا فلما أراد عيينة الانصراف قال عمرو بن معدى كرب ولئن انصرف أبو مالك بغير حباء انها لوصمة على فأمر بناقة له أرحبية كأنها جبيرة لجين فارتحلها وحمله عليها ثم قال يا غلام هات المزود فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضعها بين يديه فقال أما المال فوالله لا أقبله قال فوالله انه لمن حباء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يقبله عيينة وانصرف وهو يقول

جزيت أبا ثور جزاء كرامة * فنعم الفتى المزدار والمتضيف

قريت فأكرمت القرى وأفدتنا * تحية علم لم تكن قط تعرف

وقلت حلال ان تدير مدامة * كلون انعقاق البرق والليل مسدف

وقدمت فيها حجة عربية * ترد الى الانصاف من ليس ينصف

وأنت لنا والله ذى العرش قدوة * اذا صدنا عن شربها المتكلف

يشبهها الرائى سبيكة عسجد

فقال البديهى

على أنها من فأرة المسك أضوع

فقال الطبرى

وما اصفر منها اللون للعشق والهوى

ولكن أراها للمحبين تجزع

(وعلى ذكر هذه الحكاية ذكر القزوينى فى كتاب الروضة) قال أبو الفرج وذكر هذه الحكاية وما قال فيها الرئيس أبو الفضل وعمه أبو محمد بن هندو وغيرهم كان الوزراء والصدور فى ذلك الزمان من ذكرنا وشرحنا ووصفنا وصرنا الآن الى الزمان الخرف الهم الذى لا فضل فى أهله ولا افضال وأنموذجه ذلك أنى حضرت ضيافة وزير الرى أبى العلاء اللنكى منصرفى من العراق وقد احتشد لى ليرينى فضل عظمته فى الوزارة بعد ما رأيت حاله الاولى وحضر معى الوزير أبو العلاء بن حسول فلما صرنا الى مجلس الانس ودارت الكؤس وأخذت منه الخمر وقد كان انتهى اليه حكاية الرئيس أبى الفضل بن العميد مع عمى فدعا بدواة ودرج وكتب حتى عرق جبينه ولطخ الدرج بكثرة ما سود ثم تناول أترجة وقلبها ليعلمنا أنه عمل فيها شيأ ثم قال

نقول أبا ثور أحل حرامها * وقول أبي ثور أسد وأعرف

وغزا عمرو بن معدي كرب هو وأبي المرادي فأصابوا غنائم فادعى أبي أنه قد كان مسانداً فأبى عمرو أن يعطيه شيأ وبلغ عمراً أنه يتوعده فقال عمرو في ذلك قصيدة أولها

أعاذل سكتي بدني ورمحي * وكل مقلص سلس القياد

أعاذل انما أفنى شبابي * وأقرح عاتقي ثقل النجاد

تمناني ليلقاني أبي * وددت وأينما مني ودادي

ولو لاقيتني ومعي سلاحي * تكشف شحم قلبك عن سواد

أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

وهذا البيت كان يتمثل به علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا أعطى الناس ورأى ابن ملجم قاتله الله وكان سبب موت عمرو بن معدي كرب ما حكاه ابن قتيبة وغيره قالوا كانت مغازي العرب اذ ذاك الري ودمستى فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذي دون روذة فتغذى القوم ثم ناموا وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته وكان عمرو اذا أراد الحاجة لم يجترئ أحد أن يدعوه وان أبطأ فقام الناس للرحيل وترحلوا الا من كان في الخان الذي فيه عمرو فلما أبطأ صحنا به يا أبا ثور فلم يجبنا وسمعنا علزاً شديداً ومراساً في الموضع الذي دخله فقصدناه واذا به محمرة عيناه مائلاً شدقه مفلوجاً فحملناه على فرس وأمرنا غلاماً شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق فقالت امرأته الجعفية ترثيه

لقد غادر الركب الذين تحملوا * بروذة شخصاً لا ضعيفاً ولا غمراً * فقل لزبيد بل لمذحج كلها

فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا * فان تجزعوا لا يغن ذلك عنكم * ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا

﴿قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا﴾

البيت من الكامل وقائله أبو الرقعمق يروى أنه قال كان لي اخوان أربعة وكنت أنادمهم أيام الاستاذ كافور الاخشيدي فجاءني رسولهم في يوم بارد وليست لي كسوة تحصنني من البرد فقال اخوانك يقرؤن عليك السلام ويقولون لك قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشته علينا ما نطبخ لك منها قال فكتبت اليهم

اخواننا قصدوا الصبوح بسحرة * فأتى رسولهم الي خصوصا

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

قال فذهب الرسول بالرقعة فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير فلبست احدى الخلع وسرت اليهم (والشاهد في البيت) المشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً وهي هنا قوله اطبخوا فانه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام ومثل البيت قول ابن جابر الاندلسي

قالوا اتخذ دهنا لقلبك يشفه * قلت ادهنوه بخدها المتورد

وذكرت باشتهاء أبي الرقعمق قول بعضهم

قال لي عودي غداة أتوني * ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي

قلت مغلي فيه لسان وشاة * وطعموا فيه بصنع عجيب

وأضيفت اليه كبد حسود * فقئت فوقها عيون الرقيب

وقول الآخر

عندي لكم يوم التواصل فرحة * يا معشر الجلساء والندماء

أشوي قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء

ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم في معلقته

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أراد فنجازيه على جهله فجعل لفظة فنجهل موضع فنجازيه لاجل المشاكلة ومثل الاول ما حكي عن

كأنها لون فتى عاشق من برده قد لبس المحملا فالتفت الي أبو العلاء بن حسول وقال لي سر الابد من اجازة هذا البيت عاجلاً بشاكل سخنة عين الوزراء ولو عزلني عن عملي وقطع ضياعي ثم أقبل عليه كأنه يصل كلامه فقال أولون حاجي من خراسان من اسهاله قد ركب المحملا فتوهم الوزير أنه جد فأخذ يحرك رأسه مستحسناً لهذه الاجازة ومتعجباً من سرعة البديهة وملكني وأبا العلاء الضحك حتى تهتكنا ونبه على تحيرنا منه فظهرت منه حركات العربدة فانصرفنا اشفاقاً من حال مكروهة تجري علينا

(الباب الرابع في بدائع البدائه)

الواقعة على العمل في مقصود واحد من شاعرين فصاعداً وقد يكون اجتماعهما الشيئين أحدهما أن يكون ذلك لامر ملك أو وزير واقتراح رئيس أو كبير وسؤال صديق أو رفيق والثاني أن يقصدا تبيين فضلهما ان كانا متوافقين أو يقصد أحدهما تعجيز صاحبه ان كانا متنازعين أو متدافعين ويقع ما يصدر عنهما أيضاً على وجهين أحدهما أن يكونا فيما انتظما متباعدي

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر انه كان يشرب في منتزه وعنده مانى الموسوس فقال عبيد الله

أرى غيما تؤلفه جنوب * وأحسب أن ستأتينا بهطل
فحزم الرأى أن تأتى برطل * فتشربه وتأتينى برطل

فقال ماهكذا قال الشاعر وانما هو

أرى غيما تؤلفه جنوب * أراه على مساءتنا حريصا
فحزم الرأى أن تأتى برطل * فتشربه وتكسونى قميصا

وأبو الرقعمق هو أحمد بن محمد الانطاكى الشاعر المشهور ذكره الثعالبى فى اليتيمة فقال هو نادرة الزمان وجملة الاحسان ممن تصرف بالشعر فى أنواع الجد والهزل وأحرز قصبات الفضل وهو أحد المداح المجيدين والشعراء المحسنين وهو بالشام كابن الحجاج بالعراق ومدح ملوك مصر ووزراءها فمن غرر شعره قوله يمدح الوزير يعقوب بن كلس

قد سمعنا مقاله واعتذاره * وأقلناه ذنبه وعثاره
والمعانى لمن عنيت ولكن * بك عرضت فاسمعى ياجاره

منها

سحرتنى ألحاظه وكذا كل مليح عيونه سحاره
ماعلى مؤثر التباعد والاعـ * ـراض لو آثر الرضى والزياره

وهى طويلة وأكثر شعره جيد على هذا الاسلوب مثل صريع الدلاء والقصار ومن شعره على طريق ابن حجاج قوله

كتب الحصير الى السرير * أن الفصيل بن البعير فلأمنعن حمارتى * سنتين من أكل الشعير
لاهم الا أن تطير * من الهزال مع الطيور ولأخبرنك قصتى * فلقد سقطت على الخبير
ان الذين تصافعوا * بالقرع فى زمن القشور أسفوا علىّ لانهم * حضروا ولم أك فى الحضور
لو كنت ثم لقيل هل * من آخذ بيد الضرير ولقد دخلت على الصديـ * ـق البيت فى اليوم المطير
متشمرا متبخترا * للصفع بالدلو الكبير فأردت حين تبادروا * دلوى فكان على المدير
باللرجال تصافعوا * فالصفع مفتاح السرور هو فى المجالس كالبخو * ر وكالقلائد فى النحور

وله قصيدة طويلة مشهورة أولها

وفوقى وفوقى * هدية فى طبق أماترون بينكم * تيساطويل العنق

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وثلثمائة

(اذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى * أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر) (المزاوجة)

البيت للبحترى من قصيدة من الطويل فى الفتح بن خاقان أولها

متى لاح برق أو بدا طلل قفر * جرى مستهل لابطىء ولانزر * وما الشوق الالوعة بعد لوعة
وغزر من الآماق تتبعها غزر * فلا تذكراعهد التصابى فانه * تقضى ولم يشعر به ذلك العصر

الى أن يقول فيها هل العيش الا أن تساعفنا النوى * بوصل سعاد أو يساعدنا الدهر

الى أن يقول فيها على انها ماعندها لمواصل * وصال ولاعنها لمصطبر صبر

وبعده البيت وهى طويلة يقول منها فى الخلاص

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجدا * اذا بقى الفتح بن خاقان والقطر

ومعنى أصاخت استمعت والواشى النمام الذى يشى حديثه ويزينه (والشاهد فيه) المزاوجة وهى أن يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء فهنا زاوج بين نهى الناهى واصاختها الى الواشى الواقعين فى الشرط والجزاء فى أن يترتب عليها لجاج شئ ومثله قوله أيضا

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

الغرضين مختلفى المقصدين وهو الاكثر والثانى أن يتفقا على معنى واحد وهو الاقل وربما اشتركا فى كثير من الالفاظ واتفقا فى القافية وهذا انما يكون عند اشتراكهما فى جودة طبع وصفاء ذهن وحدة خاطر وقوة فكر واتقاد قريحة وبالجملة أن يكونا واردين على شريعة واحدة * وها أنا أذكر مامر بى من الاخبار على هذين الوجهين فى فصلين وأبدأ بما وقع الاتفاق فيه فأقول

(الفصل الاول فيما وقع الاتفاق فيه)

(قال على بن ظافر) أكثر مايقع هذا الاتفاق الغريب والتوارد العجيب اذا ضيق المقترح على الشاعرين بأن يعين الوزن والقافية * ذكر أبو عبد الله بن شرف القيروانى فى كتاب أبكار الافكار قال استدعانى المعز ابن باديس يوما واستدعى أبا على الحسن بن رشيق الازدى وكنا شاعرى حضرته وملازمى ديوانه فقال أحب أن تصنعا بين يدى قطعتين فى صفة الموز على قافية الغين فصنعنا حالا من غير أن يقف أحد نا على ماصنعه الآخر فكان الذى صنعته ياحبذا الموز واسعاده من قبل أن يمضغه الماضغ

فزاوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب فيضان شئ عليهما ومن المزاوجة
قول أبى تمام   وكنا جميعا شريكى عنان * رضيعى لبان خليلى صفا
وفى معنى صدر البيت قول أبى نواس

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

وقول ابن زريق البغدادى

لا تعذليه فان العذل يولعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

وقول ابن شرف القيروانى

قل للعذول لو اطلعت على الذى * عاينته أعناك ما يعنينى * أتصدنى أم للغرام تردنى
وتلومنى فى الحب أم تغرينى * دعنى فلست معاقبا بجنايتى * اذ ليس دينك لى ولا لك دينى

وقول الصابى   أيها اللائم المضيق صدرى * لا تلمنى فكثرة اللوم تغرى
قد أقام القوام حجة عشقى * وأبان العذار فى الحب عذرى

﴿ قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم ﴾

البيت من البسيط وهو أول قصيدة لزهير بن أبى سلمى يمدح بها هرم بن سنان وبعده

لا الدار غيرها بعد الانيس ولا * بالدار لو كلمت ذا حاجة صمم
دار لاسماء بالغمرين ماثلة * كالوحى ليس لها من أهلها أرم

يقول منها فى مدحه   ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * ـكن الجواد على علاته هرم

هو الجواد الذى يعطيك نائله * عفوا ويظلم أحيانا فيظلم
فان أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

وهى طويلة والارواح جمع ريح ويجمع على أرياح أيضا ورياح وريح بكسر الراء وفتح الياء والديم جمع ديمة وهى المطر الدائم فى سكون (والشاهد فى البيت) الرجوع وهو العود الى الكلام السابق بالنقض والابطال لنكتة فهنا دل صدر البيت على أن تطاول الزمان وتقادم العهد لم يعف الديار ثم عاد اليه ونقضه فى عجز البيت بأنه قد غيرتها الرياح والامطار لنكتة وهى هنا اظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهش كأنه أخبر أولا بما لم يتحقق ثم رجع اليه عقله وأفاق بعض الافاقة فنقض كلامه السابق ومثله قول الشاعر

فأف لهذا الدهر لا بل لأهله

وقول ابن الطثرية   أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل
وقول أبى البيداء   ومالى انتصار ان غدا الدهر جائرا * على بلى ان كان من عندك النصر
وقول المتنبى   لجنية أم غادة رفع السجف * لوحشية لا ما لوحشية شنف
وما أحسن قول أبى بكر الخوارزمى فى شمس المعالى قابوس بن وشمكير صاحب جرجان

لم يبق فى الارض من شئ أهاب له * فلم أهاب انكسار الجفن ذى السقم
أستغفر الله من قولى غلطت بلى * أهاب شمس المعالى أمة الامم

وله فيه أيضا   اذا ما ظمئت الى ريقه * جعلت المدامة منه بديلا
وأين المدامة من ريقه * ولكن أعلل قلبا عليلا

وبديع قول السراوندى

كالبدر بل كالشمس بل كليهما * كالليث بل كالغيث هطال الديم

وما ألطف قول ابن سناء الملك

ومليحة بالحسن يسخر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف
لا أرتضى بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا أكتفى بالمكتفى

لان الى أن لا مجس له
فالفم ملآن به فارغ
سيان قلنا ما كل طيب
فيه والا مشرب سائغ
﴿والذى صنعه ابن رشيق﴾
موز سريع أكله
من قبل مضغ الماضغ
مأكله لا كل
ومشرب لسائغ
فالفم من لين به
ملآن مثل فارغ
يخال وهو بالغ
للحق غير بالغ
وأمرنا للوقت أن نصنع فيه
على حرف الذال فعملنا ولم
ير أحدنا صاحبه ما عمل
فكان ما عملته
هل لك فى موز اذا
ذقناه قلنا حبذا
فيه شراب وغذا
يريك كالماء القذى
لومات من تلذذا
به لقيل ذا بذا
﴿وما عمله ابن رشيق﴾
لله موز لذيذ
بعيده المستعيذ
فواكه وشراب
به يداوى الوقيذ
ترى القذى العين فيه
كما يريها النبيذ
قال ابن شرف فأنت ترى
هذا الاتفاق لما كانت
القافية واحدة والقصد
واحدا ولقد قال من حضر
ذلك اليوم ما ندرى مم نتعجب
أمن سرعة البديهة أم من
غرابة القافية أم من حسن

وهو من قول ابن المعتز والله لا كلمتها وأنها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

جرير

﴿ اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا ﴾

نسب غالب شارحي التلخيص هذا البيت لجرير وهو من قصيدة من الوافر أولها

أقلى اللوم عاذل والعتابا * وقولى ان أصبت لقد أصابا

أجدك لا تذكر عهد نجد * وحيا طالما انتظروا الايابا

بلى فارفض دموعك غير نزر * كما عينت بالشرب الطنابا

وهاج البرق ليلة اذرعات * هوى ماتستطيع له طلابا

وهى طويلة والسماء الغيث ونسبه المفضل فى اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معوذ الحكماء وساقه فى قصيدة طويلة أولها أجد القلب من سلمى اجتنابا * واقصر بعد ماشابت وشابا

وشاب لداته وعدلن عنه * كما انضيت من لبس ثيابا

فان يك نبلها طاشت ونبلى * فقد نرمى بها حقبا صيابا

فتصطاد الرجال اذا رمتهم * واصطاد المخبأة الكعابا

منها

وكنت اذا العظيمة أفزعتهم * نهضت ولا أدب لها دبابا

بحمد الله ثم عطاء قوم * يفكون الغنائم والرقابا

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

بكل مقلص عبل شواه * اذا وضعت أعنتهن سابا

ويدل على ان هذا البيت من هذه القصيدة انه لم يوجد فى قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه (والشاهد فيه) الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره الآخر أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ثم يراد بالآخر الآخر فالاول كما فى البيت هنا فانه أراد بالسماء الغيث وبالضمير الراجع اليه من رعيناه النبت (وجرير) هو ابن عطية بن الخطفى وهو لقبه واسمه حذيفة بن بدر بن سلم بن عوف بن كليب بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة ينتهى نسبه لنزار ويكنى أبا حزرة بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة وهى المرة الواحدة من الحزر وهو والفرزدق والاخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ومختلف فى أيهم المقدم ولم يبق أحد من شعراء عصرهم الا تعرض لهم فافتضح وسقط وكان أبو عمرو يشبه جريرا بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله

ذهب الفرزدق بالفخار وانما * حلو الكلام ومره لجرير

ولقد هجا فامض أخطل تغلب * وحوى اللهى بمديحه المشهور

كل الثلاثة قد أبر بمدحه * وهجاؤه قد سار كل مسير

فهو كما تراه حكم للفرزدق بالفخار وللاخطل بالمدح والهجاء وبجميع فنون الشعر لجرير وقال أبو العلاء بن جرير العنبرى وكان شيخا قد جالس الناس اذا لم يجئ الاخطل سابقا فهو سكيت والفرزدق لا يجئ سابقا ولا سكيتا وجرير يجئ سابقا ومصليا وسكيتا (وحدث) مولى لبنى هاشم قال امترى أهل المجلس فى جرير والفرزدق أيهما أشعر فدخلت على الفرزدق فما سألنى عن شئ حتى نادى يانوار أدركت برنيتك يانوار قالت قد فعلت أو كادت قال فابعثى بدرهم فاشترى لحما ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ثم قال هات برنيتك فشرب قدحا ثم ناولنى وشرب آخر ثم ناولنى ثم قال هات حاجتك يا ابن أخى فأخبرته فقال أعن ابن الخطفى تسألنى ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ثم قال قاتله الله فما أحسن ناجيته وأشرد قافيته والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ولكنهم هروه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجد قادحا ولقد قال بيتا لان أكون قلته أحب الى مما طلعت عليه

الاتفاق (قال أبو عبد الله ابن شرف) استخلانا المعز يوما وقال أريد أن تصنعا شعرا تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذى يكون على سوق بعض النساء فانى أستحسنه وقد عاب بعض الضرائر بعضا به وكلهن قارئات كاتبات فأحب أن أريهن هذا وأدعى أنه قديم لاحتج به على من عابه وأسر به من عيب عليه فانفرد كل منا وصنع فى الوقت فكان الذى قلت

وبلقيسية زينت بشعر * يسير مثل ما يهب الشحيح

رقيق فى خدلجة رداح * خفيف مثل جسم فيه روح

حكى زغب الخدود وكل خد * به زغب فمعشوق مليح

فان يك صرح بلقيس زجاجا * فمن حدق العيون لها صروح

(وكان الذى قال ابن رشيق)

يعيبون بلقيسية أن رأوا بها * كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا

وقد زادها التزغيب ملحا كمثل ما * يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحا

فانتقد المعز على ابن رشيق قوله يعيبون وقال قد أوجدت لخصمها حجة بأن بعض الناس عابه وهذا انتقاد ما فطنت له (وروى ابن بسام فى كتاب الذخيرة) وهو روايتى عنه بالاسناد المتقدم قال حكى أبو صفوان

الشمس وهو

اذا غضبت عليك بنو تميم * لقيت القوم كلهم غضابا

وقال اسحق بن يحيى بن طلحة قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له فبينا نحن عنده ذات يوم اذ قام لحاجته فجاء الاحوص فقال أين هذا فقلنا قام آنفا ما تريد منه قال أخزيه والله ان الفرزدق لأشعر منه وأشرف فأقبل جرير علينا وقال من الرجل قلنا الاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الافلح قال هذا الخبيث بن الطيب ثم أقبل عليه فقال قد قلت

يقر بعيني ما يقر بعينها * وأحسن شيء ما به العين قرت

فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقر ذلك بعينك قال وكان الاحوص يرمى بالابنة فانصرف وأرسل اليه بتمر وفاكهة وكان راعي الابل الشاعر يقضي للفرزدق على جرير ويفضله وكان راعي الابل قد ضخم أمره وكان من أشعر الناس فلما أكثر من ذلك خرج جرير الى رجال من قومه فقال هل تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم قال جرير فضربت رأيي فيه ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابة وقال والله ما يسرني أن يعلم أحد وكان لراعي الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بالمربد بالبصرة يجلسون فيها قال فخرجت أتعرض اليه لعلي ألقاه على حياله حيث كنت أراه يمر اذا انصرف من مجلسه وما يسرني أن يعلم أحد حتى اذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى محذوف الذنب وانسان يمشي معه يسأله عن بعض النسيب فلما استقبلته قلت مرحبا بك يا أبا جندل وضربت بشمالي على معرفة بغلته ثم قلت له يا أبا جندل ان قولك يستمع وأنك تفضل الفرزدق عليّ تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي دونك ويكفيك عن ذلك اذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحتمل مني ولا منه لائمة قال فبينا أنا معه وهو كذلك واقفا عليّ وما رد عليّ بذلك شيأ حتى لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ثم قال لا أراك واقفا على كلب من كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعت منها قلنسوتي فوالله ما عرج عليّ الراعي فيقول سفيه غوي يعني جندلا ابنه ولكن لا والله ما عاج عليّ فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت

أجندل ما تقول بنو نمير * اذا ما الاير في است أبيك غابا

فسمعت الراعي قال لابنه أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤمة قال جرير ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمر لي لو كان عاج عليّ فانصرف جرير غضبان حتى اذا صلى العشاء ومنزله في علية له قال ارفعوا الى باطية من نبيذ وأسرجوا لي فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ قال فجعل يهينم فسمعت صوته عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة ونظرت اليه فاذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه فانحدرت فقالت ضيفكم مجنون رأيت منه كذا وكذا فقالوا لها اذهبي لطيتك فنحن أعلم به وبما يمارس فما زال كذلك حتى كان السحر ثم اذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتا يهجو بني نمير فلما ختمها بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبر ثم قال أخزيته ورب الكعبة ثم أصبح حتى علم أن الناس قد أخذوا مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا بدهن فادهن وكف رأسه وكان حسن الشعر ثم قال يا غلام أسرج لي فاسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى اذا كان موقع السلام قال يا غلام ولم يسلم قل لعبيد أبعثتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق أما والذي نفسي بيده لترجعن اليهن بمير تسوءهن ولا تسرهن ثم اندفع فيها فأنشدها فنكس الفرزدق وراعي الابل وأزم القوم حتى اذا فرغ منها وسار وثب راعي الابل ساعتئذ فركب بغلته بشر وعر وخلى المجالس حتى أوفى الى المنزل الذي ينزله ثم قال لاصحابه ركابكم ركابكم فليس لكم ههنا مقام فضحكم والله جرير فقال له بعض القوم ذاك شؤمك وشؤم ابنك قال فما كان الا ترحلهم فساروا الى أهلهم سيرا ما ساره أحد وهم بالشريف وهو أعلى دار بني نمير فحلف بالله راعي الابل انا وجدنا في أهلنا (فغض الطرف انك من نمير) وأقسم بالله ما بلغه انسي قط وان لجرير لأشياعا من الجن فتشاءمت به بنو نمير وسبوه

العتكي قال كان أبو اسحق الحصري يختاف الى بعض مشيخة القيروان وكان ذلك الشيخ كلفا بالمعذرين وهو القائل فيهم

ومعذرين كان نبت عذارهم
أقلام مسك تستمد خلوقا

قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا
تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

(قال) وكان يختلف اليه غلام من أبناء أعيان أهل القيروان وكان به كلفا فبينا هو يوما والحصري جالس عنده وقد أخذا في الحديث اذ أقبل الغلام

في صورة كملت تخال بأنها
بدر السماء لستة وثمان

يغشى العيون ضياؤها فكأنها
شمس الضحى تغشى بها العينان

فقال له الشيخ يا أبا اسحق ما تقول فيمن هام في هذا الغلام وصبا بهذا الخد والقوام فقال الحصري الهيمان به والله غاية الظرف والصبوة اليه من تمام اللطف لاسيما وقد شاب كافور خده هذا المسك الفتيت وهجم على صبحه هذا الليل البهيم والله ما خلت بياضه في سواده الا بياض الايمان في سواد الكفر أو غيهب الظلماء في منبر الفجر فقال صفه يا حصري فقال من ملك رق القول حتى ذلت له صعابه وانقاد له جوحه وسطع له

وابنه فهم يتشاءمون به الى الآن (وحدث) أبو عبيدة قال التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى * فخار فخبرنى بمن أنت فاخر

فقال له جرير لبيك اللهم لبيك قال فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه وعن العتبى قال قال جرير ماعشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكى على مافاتها من شبابها وانى لأروى من الرجز أمثال آثار الخيل فى الثرى ولولا أنى أخاف أن يستفرغنى لأكثرت منه وعن أبى عبيدة قال رأت أم جرير وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما خرج منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيقتله وفى عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرين فانتبهت فزعة فأولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما أسود شاعرا ذا شدة وشر وشكيمة وبلاء على الناس فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها قال والجرير الحبل (وحدث) بلال بن جرير أن رجلا قال لجرير من أشعر الناس قال قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء به الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به أخرج ياأبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال أترى هذا قال نعم قال أوتعرفه قال لا قال هذا أبى أفتدرى لم كان يشرب لبن العنز قال لا قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ثم قال أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الاب ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا (وحدث) المدائنى قال كان جرير من أعق الناس بأبيه وكان ابنه بلال أعق الناس به فراجع جرير بلالا الكلام فقال له بلال الكاذب منى ومنك ناك أمه فأقبلت أمه عليه فقالت له ياعدو الله أتقول هذا لأبيك فقال جرير دعيه فوالله لكأنى أسمعها وأنا أقولها لأبى (ونظير ذلك) ماحكى عن يونس بن عبد الله الخياط أنه مر به رجل وهو يعصر حلق أبيه وكان عاقا به فقال له ويحك أتفعل هذا بأبيك وخلصه من يده ثم أقبل على الاب يعزيه ويسكنه فقال له الأب أخى لا تلمه واعلم أنه ابنى حقا والله لقد خنقت أبى فى هذا الموضع الذى خنقنى فيه فانصرف الرجل وهو يضحك ولابيه يقول مازال بى مازال بى * طعن أبى فى النسب حتى تربيت وحتى ساء ظنى بأبى ونشا ليونس ولد يقال له دحيم فكان أعق الناس به فقال يونس فيه

جلا دحيم عماية الريب * والشك منى والظن فى نسبى

مازال بى الظن والتشكك حتى عقنى مثل ماعققت أبى

وقال يونس بن عبد الله الخياط جئت يوما الى أبى وهو جالس وعنده أصحاب له فوقفت عليهم لأغيظه وقلت ألا أنشدكم شعرا قلته بالأمس قالوا بلى فأنشدتهم

ياسائلى من أنا أومن يناسبنى * أنا الذى لا له أصل ولا نسب

الكلب يختال فخرا حين يبصرنى * والكلب أكرم منى حين ينتسب

لو قال لى الناس طرا أنت ألأمنا * ماوهم الناس فى ذاكم ولا كذبوا

قال فوثب الى أبى ليضربنى وعدوت من بين يديه فجعل يشتمنى وأصحابه يضحكون ﴿رجع الى بقية أخبار جرير﴾ حدث أبو العراف قال قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بحرين البصرة ائتيانى بلباس أبيكما فى الجاهلية فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة وشاور جرير دهاة بنى يربوع فقالوا والله مالباس آبائنا الا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لعباد بن الحصين يقال له المنحاز وأقبل فى أربعين فارسا من بنى يربوع وجاء الفرزدق فى هيئته فقال جرير

لبست سلاحى والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرج وخلاخله

أعدوا مع الحلى الملاب فانما * جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير فى مقبرة بنى حصن ووقف الفرزدق فى المربد ونعى الفرزدق الى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده فقال مات الفرزدق بعد ماجدعته * ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر بئس لعمر الله ماقلت فى ابن عمك أتهجو ميتا أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب

شهابه أقعدمنى بوصفه فقال صفه فانى معمل فكرى فى ذلك ثم أطرق كل منهما لحظة فكان الذى صنعه الحصرى

أورد قلبى الردى
لام عذار بدا
أسود كالكفر فى
أبيض مثل الهدى

فقال الشيخ أترانى اطلعت على ضميرى أم خضت بين جوانحى فقال له ولم ذلك أيها الشيخ قال لانى قلت

حركنى وأبى فطار
صولج لام العذار
أسود كالليل فى
أبيض مثل النهار

(وأنبانى) العماد أبو حامد قال حكى أن شرف الدين أبا المنذر ابن الوزير عون الدين ابن هبيرة نظر الى القمر فى بعض الليالى وهو يدخل تحت السحاب تارة وينكشف أخرى فقال للحاضرين ليقل كل منكم فى وصفه شيأ (فقال الاديب مقبل)

كأنما البدر حين يبدو
لنا ويستصحب السحابا
خريدة من بنى هلال
لاثت على وجهها نقابا

(وقال شرف الدين)

اذا تطلع بدر التم من فرج
دون السحاب وحالت دونه سحب
تخاله فى رثيث من ملاءته
خرقاء تسفر أحيانا وتنتقب

وقال عمه الاكرم أبو العباس

وأشعرها فقال ان رأى الامير أن يكتمها على فانها اسوءة ثم قال من وقته البيتين السابقين فى ترجمة الفرزدق فى شواهد المقدمة ثم بكى وقال أما والله انى لأعلم انى قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحدا وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد او صديق الا تبعه صاحبه فكان كذلك مات بعد سنة قال ابن الجوزى مات سنة احدى عشرة ومائة وكانت وفاته باليمامة وعمر نيفا وثمانين سنة وقال ابن قتيبة فى المعارف ان أمه حملت به سبعة أشهر

(فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانح وقلوب)

البيت للبحترى وهكذا هو فى ديوانه وان كان فى كثير من نسخ التلخيص بل وفى كثير من كتب هذا الفن بلفظ بين جوانحى وضلوعى وهو من قصيدة من الكامل أولها

كم بالكثيب من اعتراض كثيب * وقوام غصن فى الثياب رطيب
تأبى المنازل أن تجيب ومن جوى * يوم الديار دعوت غير مجيب

وبعده البيت وهى طويلة والغضا شجر معروف واحدته غضاة وأرض غضيانة كثيرته (والشاهد فيه) الاستخدام أيضا فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين الى الغضا وهو المجرور فى الساكنيه المكان وهو أرض لبنى كلاب وواد بنجد وبالآخر وهو المنصوب فى شبوه النار أى أوقدوا فى جوانحى نار الغضا يعنى نار الهوى التى تشبه نار الغضا وخص الغضا دون غيره لان جمره بطئ الانطفاء وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا فقال ابن أبى حصينة

أما والذى حج المامون بيته * فمن ساجد لله فيه وراكع
لقد جرعتنى كأس بين مريرة * من البعد سلمى بين تلك الاجارع
وحلت بأكناف الغضا فكأنما * حشت ناره بين الحشى والاضالع

وقال ابن جابر الاندلسى

ان الغضا لست أنسى أهله فهم * شبوه بين ضلوعى يوم بينهم
جرى العقيق بقلبى بعد ما رحلوا * ولو جرى من دموع العين لم ألم

وقال ابن قلاقس الاسكندرى

حلت مطاياهم بملتف الغضا * فكأنما شبوه فى الاكباد

وبديع قول البدر بن لؤلؤ الذهبى

أحمامة الوادى بشرقى الغضا * ان كنت مسعدة الكئيب فرجعى
ولقد تقاسمنا الغضا فغصونه * فى راحتيك وجمره فى أضلعى

ولمؤلفه من قصيدة وحقك انى للرياح لحاسد * ففى كل حين بالأحبة تخطر

تمر الصبا عفوا على ساكنى الغضا * وفى أضلعى نيرانه تتسعر
فتذكرنى عهد العقيق وأدمعى * تساقطه والشئ بالشئ يذكر
وتورث عينى السفح حتى ترى به * معالم بالاحباب تزهو وتزهر

ومن الاستخدام البديع قول المعرى يرثى فقيها حنفيا

وفقيها ألفاظه شدن للنعـ * ـمان ما لم يشده شعر زياد

وقوله أيضا يصف درعا نثرت من ضمامها القنا الخطى عند اللقاء نثر الكعوب

مثل وشى الوليد لانت وان كا * نت من الصنع مثل وشى حبيب
تلك ماذية وما لذباب السيف والضيف عندها من نصيب

فاستخدم لفظ الذباب فى معنييه الاول طرف السيف والثانى الطائر المعروف ولابن جابر الاندلسى فيه

فى القلب من حبكم بدر أقام به * فالطرف يزداد نورا حين يبصره

عبد الواحد بن محمد بن هبيرة

وكأن هذا البدر حين تظله
سحب فيخفى تارة ويثوب
حسناء تبدو من خلال سجوفها
طورا فتنظر نحونا وتغيب

(وقال ابن ظافر) أخبرنى أبو عبد الله بن المنجم عما معناه صعدت الى سطوح الجامع بمصر فى آخر شهر رمضان مع جماعة فصادفت الاديب الاعز أبا الفتوح بن قلاقس وعلى بن مفرج بن المنجم وابن مؤمن وشجاعا المغربى فانضفت اليهم فلما غابت الشمس وفاتت ودفنت فى المغرب حين ماتت وتطرز حداد الظلام بعلم هلاله وتحلى زنجى الليل بخلخاله اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يصنعا فى صفة الهلال فأطرق كل منهما مفكرا وميز ما قذفه اليه بحر خاطره من جواهر المعانى متخيرا فلم يكن الا كرجعة طرف أو وثبة طرف حتى أنشدا فكان ما صنعه ابن المنجم

وعشاء كأنما الافق فيه
لازورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمـ
ـس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه الغرب دينا
راقه أعطاه الرهن نصف سوار

(وكان) الذى صنعه ابن قلاقس

لا تظن الظلام قد أخذ الشمـ
ـس وأعطى النهار هذا الهلالا

تشابه العقد حسنا فوق لبته * والثغر منه اذا ما لاح جوهره
ومن ظريف الاستخدام قول السراج الوراق
دع الهوينى وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى معزل * فالصفع موجود مع الراحه
استخدم الراحة فى معنييها الاول من الاستراحة والثانى من اليد وبديع قول الصفى الحلى
لئن لم أبرقع بالحيا وجه عفتى * فلا أشبهته راحتى فى التكرم
ولا كنت ممن يكسر الجفن فى الوغى * اذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم
ومن الاستخدامات البديعة قول ابن نباتة المصرى يمدح النبى صلى الله عليه وسلم
اذا لم تفض عينى العقيق فلا رأت * منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل غادة السفح مقلتى * فلا عادها عيش بمغناه أخضر
منها
سقى الله أكناف الغضا سائل الحيا * وان كنت أسقى أدمعا تتحدر
وعيشا نضى عنه الزمان بياضه * وخلفه فى الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذى يا عز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فيا أسفى والشيب كالصبح يسفر
يعللنى تحت العمامة كتمه * فيعتاد قلبى حسرة حين أحسر
وتذكرنى ليلى وما خلت أنه * اذا وضع المرء العمامة يذكر
ومن الاستخدام أيضا قول العلامة عمر بن الوردى رحمه الله تعالى
ورب غزالة طلعت * بقلبى وهو مرعاها نصبت لها شباكا من * لجين ثم صدناها
وقالت لى وقد صرنا * الى عين قصدناها بذلت العين فاكحلها * بطلعتها ومجراها
ومنه قول ابن مالك رحمه الله تعالى
فكم ردة من عين وجاد بمثلها * ولولاه ما ضاءت ولم تك تعذب
وقوله من قصيدة أخرى نبوية
كم رد من عين وجاد بها وكم * ضاءت به وسقى بها من صادى
ومنه قول الرشيد الفارقى
ان فى عينيك معنى * حدث النرجس عنه ليت لى من غصنها سهما فى قلبى منه
وقد أخذه الشهاب محمود ولم يحسن الاخذ فقال
نازعت عيناه قلبى حبة * لم تك تقبل قبل الانقساما
يا لقومى هل علمتم قبلها * أن للاعين فى القلب سهاما

اللف والنشر

﴿كيف أسلو وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا﴾

البيت من الخفيف وهو منسوب لابن حيوس ولم أره فى ديوانه ولعله لابن حيوس الاشبيلى والحقف بكسر الحاء الرمل العظيم المستدير (والشاهد فيه) اللف والنشر وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الاجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين ثقة بان السامع يرد ما لكل من آحاد المتعدد الى ما هو له ثم الذى على سبيل التفصيل ضربان لان النشر اما على ترتيب اللف واما على غير ترتيبه كما فى البيت هنا وهو ظاهر ومما جاء على الترتيب قول ابن الرومى
آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم
وقول بعضهم
ألست أنت الذى من ورد نعمته * وورد راحته أجنى وأغترف

انما الشرق أقرض الغرب دينا
فأعطاه رهنه خلالا
وقطعة ابن النجم أحسن من قطعة الاعز لتنصيفه السوار وعلى كل حال فقد أبدعا ولم يتركا للزيادة فى الاحسان موضعا (قال ابن ظافر) وقد جرى لى مثل ذلك مع القاضى الاعز بن أبى الحسن على بن المؤيد رحمه الله وذلك أنا حضرنا فى عشية على بستان مجاور للنيل فرأينا فيه بتراعيها دولابان يتجاذبان قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الامانى بالمفاليس وهما يئنان أنين أهل الاشواق ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون والسواقى قد أذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه ورضاب الماء قد استتر من الظل فى لمى وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرذ النبات أن يدركها العمى والنهر قد صقل صيقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى

وما أبدع قول ابن شرف القيرواني

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

وقد أخذه تاج الدين الذهبي فقال

بدر سما للمجتلي ثغرا * للمجتني بحر طما للمجتدي
سل عنه وادن اليه واستمسك تجد * ملء المسامع والنواظر واليد

وما أزهر قول البهاء زهير ولي فيه قلب بالغرام مقيد * له خبر يرويه طرفي مطلقا
ومن فرط وجدي في لماه وثغره * أعلل قلبي بالعذيب وبالنقا

وما أحلى قول ابن نباتة المصري مع زيادة التورية

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا * تلك غزالة وذي عساله

وقوله أيضا سألته عن قومه فانثنى * يعجب من اسراف دمعي السخي
وابصر المسك وبدر الدجى * فقال ذا خالي وهذا أخي

وبديع قول ابن مكنسة والسكر في وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

وقد جاء اللف والنشر بين ثلاثة فأكثر فمنه قول ابن حيوس

ومقرطق يغني النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * من مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقول حمدة الاندلسية ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وقول ابن نباتة وأجاد الى الغاية

عرج على حرم المحبوب منتصبا * لقبلة الحسن واعذرني على السهر
وانظر الى الخال فوق الثغر دون لمى * تجد بلالا يراعي الصبح في السحر

وبديع قول بعضهم ورد ومسك ودر * خد وخال وثغر * لحظ وجفن وغنج
سيف ونبل وسحر * غصن وبدر وليل * قد ووجه وشعر

ومنه بين أربعة وأربعة قول الشاعر

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح

ومثله قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

رأى جسدي والدمع والقلب والحشى * فأضنى وأفنى واستمال وتيما

ولابي جعفر الاندلسي الغرناطي بين خمسة وخمسة

ملك يجيء بخمسة من خمسة * لقي الحسود بها افات لما به
من وجهه ووقاره وجواده * وحسامه بيديه يوم ضرابه
قمر على رضوى تسير به الصبا * والبرق يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر الاندلسي بين ستة وستة

ان شئت ظبيا أو هلالا أو دجى * أو زهر غصن في الكثيب الاملد
فالحظ وانظر وجهها ولشعرها * ولخدها والقد والردف اقصد

ولنجم الدين البارزي بين سبعة وسبعة

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق في مجلس لأصاحبه
كبدر ببرق قد شق شمسا أهلة * لدى هالة في الافق بين كواكبه

في ذيل الجو ردعه فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا حسنا وقلوبنا التذاذا وملنا الى الدولاب بين شاكين أزمرا حين سمعت قيان الطير بألحانها وشدت على عيدانها أمذكرا أيام نعمى وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفيا عنهما لذة الهجوع ورجعا النفوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر ما في تركيب الدواليب من الاعاجيب وتناشدنا ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذي هو شجون الى ذكر الاعمى التطيلي وقوله في أسد نحاس يقذف الما

أسد ولو أني أنا
قشه الحساب لقلت صخره
فكأنه أسد السما
ء يمج من فيه المجره

فقال لي رحمه الله يتولد من هذا معنى في الدولاب يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائي والسامع فتأملته فلمت اطرابا وأوسعت اغرابا وأخذ كل منا ينظم ما جاش به غمر بحره وأنبأه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقر العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف أحدنا

وسبقه الى ذلك ابن قلاقس فقال

أتانا الغلام ببطيخة * وسكينة أحكموها صقالا

فقسم بالبرق شمس الضحى * وأعطى لكل هلال هلالا

ومثله قول محاسن الشواء وأجاد

وغلام يحز بطيخة في اللون مثلي وفي المذاقة مثله

لأناس غر على طبق في * مجلس مشرق يشابه أهله

قد بدر شمسا بافق شهدت الليـ * ـل في هالة ببرق أهله

وقول الآخر

ولما بدا ما بيننا منية النفس * يحز بالسكين صفراء كالورس

توهمت بدر التم قد أهله * على أنجم بالبرق من كرة الشمس

وقول الآخر

خلناه لما حز البطيخ في * اطباقه بصقيلة الصفحات

بدرا بقد من الشموس أهلة * بالبرق بين الشهب في الهالات

وقول البديع الدمشقي في غلام يقطع بطيخا بسكين نصابها أسود

انظر بعينك جوهرا متلألئا * سحرا لفرط بيانه وجماله

قمر يقد من الشموس أهلة * بظلام هجرته وفجر وصاله

والسابق الى فتح هذا الباب العسكري حيث يقول

وجامعة لاصناف المعانى * صلحن لوقت اكثار وقله

فلم ير مثلها ساداتها الخلق * فنها ما تشبه بدورا * فان قطعتها رجعت أهله

ولابن مقاتل بين ثمانية وثمانية

خدود وأصداغ وقد ومقلة * وثغر وأرياق ولحن ومعرب

وورد وسوسان وبان ونرجس * وكأس وجريال وجنك ومطرب

وللصفي الحلي

وظبي بقفر فوق طرف مفوق * بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم

كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى في الليل جنا بأنجم

ولبعضهم بين عشرة وعشرة

شعر جبين محيا معطف كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر

ليل صباح هلال بانة ونقا * آس اقاح شقيق نرجس در

ولابن جابر بين اثنى عشر واثنى عشر

فروع سنا قد كلام فم لمى * حلى عنق ثغر شذا مقلة خد

دجى قمر غصن جنى خاتم طلا * نجوم رشا در صبا نرجس ورد

وجل القصد هنا أن يكون اللف والنشر في بيت واحد خاليا من الحشو وعقادة التركيب جامعا بين سهولة اللفظ والمعانى المخترعة (وابن حيوس) بحاء مهملة وياء تحتية مشددة مضمومة وواو ساكنة بعدها سين مهملة هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الملقب بمصطفى الدولة الشاعر المشهور وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين وفحولهم المجيدين وله ديوان شعر كبير لقي جماعة من الملوك والاكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم وكان منقطعا الى بنى مرداس أصحاب حلب وله فيهم القصائد الفائقة وقضيته مع الامير جلال الدولة وصمصامها نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس مشهورة فانه كان قد مدح أباه محمودا فأجازه ألف دينار فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدة رائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه أولها

كفى الدين عزا ما قضاه لك الدهر * فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

على ما صنعه الآخر فكان الذى قال

حبذا ساعة المجرة والدو لاب يهدى الى النفوس مسره

أدهم لا يزال يعدو ولكن ليس يعدو مكانه قدر ذره

ذو عيون من القواديس تبدى كل عين من فائض الماء عبره

فلك دائر يرينا نجوما كل نجم منها يرينا المجره

(وكان الذى قلت)

ودولاب يئن أنين ثكلى ولا فقد اشتكاه ولا مضره

ترى الازهار في ضحك اذا ما بكى بدموع عين منه ثره

حكى فلكا تدور به نجوم تؤثر في سرائرنا مسره

يظل النجم يغرب بعد نجم ويطلع بعدما تجرى المجره

فعجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منا سائر رفاقنا (قال ابن ظافر رحمه الله) ومن هذا الاتفاق أيضا ما أخبرنى به ابن المؤيد رحمه الله بمعناه قال اجتمعت مع جماعة من أدباء أهل الاسكندرية في بستان لبعض أهلها فخللنا روضا تثنت قامات أشجاره وتغنت قينات أطياره وبين أيدينا بركة ماء تجتو سماء أو مرقمة مراء فنثر عليها بعض الحاضرين ياسمينا زان سماءها بزواهر منيره وأهدى الى لجتها جواهر نثيره فتعاطينا

صبرنا على حكم الزمان الذى سطا * على أنه لولاك لم يكن الصبر
غزانا بيؤسى لا عائلها الاسى * تقارب نعمى لا يقوم بها الشكر
تباعدت عنكم حرفة لا زهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فلاقيت ظل الأمن ما عنه حاجز * يصد وباب العز ما دونه ستر
وطال مقامى فى اسار جميلكم * فدامت معاليكم ودام لى الأسر
وأنجزلى رب السموات وعده الـ * كريم بأن العسر يتبعه اليسر
فجاد أبو نصر بألف تصرمت * وانى عليم أن سيخلفها نصر
لقد كنت مأمورا ترجى لمثلها * فكيف وطوعا أمرك النهى والامر
ومابى الى الالحاح والحرص حاجة * وقد عرف المبتاع وانفصل السعر
وانى بآمالى لديكم مخيم * وكم فى الورى ثاو وآماله سفر
وعهدك ما أبغى بقولى تصنعا * بأيسر ما توليه يستعبد الحر

فلما فرغ من انشادها قال الامير نصر والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها لأضعفتها له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة وكان اجتمع على باب الامير نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه وتأخرت صلته عنهم ونزل بعد ذلك الامير نصر الى دار بولص النصرانى وكانت له عادة بغشيان منزله وعقد مجلس الانس عنده فأتت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم الى باب بولص وفيهم ابن الدويدة المعرى الشاعر المعروف فكتبوا ثلاثة أبيات اتفقوا على نظمها وقيل بل نظمها ابن الدويدة المعرى المذكور وصيروا الورقة اليه وفيها الابيات وهى

على بابك المحروس مناعصابة * مفاليس فانظر فى أمور المفاليس
وقد قنعت منك الجماعة كلها * بعشر الذى أعطيته لابن حيوس
ومابيننا هذا التفاوت كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الامير نصر أطلق لهم مائة دينار وقال والله لو قالوا بمثل الذى أعطيته لابن حيوس لاعطيتهم مثله وكان الامير نصر سخيا واسع العطاء تملك حلب بعد وفاة أبيه محمود سنة سبع وستين وأربعمائة ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه ثانى شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بنى مرداس فبنى دارا بحلب وكتب على بابها من شعره

دار بنيناها وعشنا بها * فى نعمة من آل مرداس
قوم نفوا بؤسى ولم يتركوا * على للايام من باس
قل لبنى الدنيا ألا هكذا * فليفعل الناس مع الناس

وقيل ان هذه الابيات لابن أبى حصينة الحلبى وهو الصحيح (وحكى) الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال أنشدنا أبو القاسم على بن ابراهيم العلوى من حفظه سنة سبع وخمسمائة قال أخذ الامير أبو الفتيان ابن حيوس بيدى وقال اروعنى هذا البيت وهو فى شرف الدولة مسلم بن قريش

أنت الذى نفق الثناء بسوقه * وجرى الندى بعروقه قبل الدم

وهذا البيت فى غاية المدح ومن غرر قصائده السائرة قوله

هو ذاك ربع العامرية فاربع * واسأل مصيفا عافيا عن مربع
واستسق للدمن الخوالى بالحمى * غر السحائب واعتذر عن أدمعى
فلقد غدوت أمام دان هاجر * فى قربه ووراء ناء مزمع
لو تخبر الركبان عنى حدثوا * عن مقلة عبرى وقلب موجع
ردى لنا زمن الكثيب فانه * زمن متى يرجع وصالك يرجع
لو كنت عالمة بأدنى لوعتى * لرددت أقصى نيلك المسترجع
بل لو قنعت من الغرام بظاهر * عن مضمر بين الحشى والاضلع

القول فى تشبيهه وأطرق كل منا لتحريك خاطره وتنبيهه ثم أظهرنا ما حررنا ونشرنا ما حبرنا فأنشد العباس بن طريف الخراط الاسكندرى

نثر والياسمين لما جنوه * عبثا فاستقر فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكى * زهر الارض فى أديم السماء

وأنشد الاديب أبو الحسن على بن سيف الدين الحصرى

نثروا الياسمين لما جنوه * فوق ماء أحبب به من ماء
فحكى زهره لنا اذ تبدى * زهر الشهب فى أديم السماء

(قال وكان الذى صنعته)

نثروا الياسمين فى لجة الما * ء فخلنا النجوم وسط السماء
فكأن السماء فى باطن الار * ض أو الدر طاف فوق الماء

(قال) وسمع أبو عبد الله بن الزين النحوى القصة ولم يكن حاضرا معنا فقال

نثر الغلام الياسمين ببركة * مملوءة من مائها المتدفق
فكأنما نثر النجوم بأسرها * فى يوم صحو فى سماء أزرق

(قال على بن ظافر) وسألنى الاعز رحمه الله تعالى أن أصنع فى مثله فصنعت

زهر الياسمين ينثر فى الما * ء أم الزهر فى أديم السماء
أم هما مبسم شنيب شتيت * فى رضاب الخريدة الحسناء
ظل يحكى عقود در على صد * ر فتاة فى حلة زرقاء

اعتبت أثر تعتب ووصلت غب تجنب وبذلت بعد تمنع

ولو أنني أنصفت نفسي صنتها * عن أن أكون كطالب لم ينجح

اني دعوت ندى الغرام فلم يجب * فلأشكرن ندى أجاب وما دعي

ومن العجائب والعجائب جمة * شكر بطيء عن ندى متسرع

ومن شعره يمدح سابق بن محمود

يزداد ان قصر الخطي عن غرض * طولا ويمضي اذا حد الحسام نبا

حل السماك وما حلت تمائمه * عن جيده وحبا العافين مذ حبا

حوى من الفضل مولودا بلا طلب * أضعاف ما أعجز الطلاب مكتسبا

طاق الحيا اذا ما زرت مجلسه * حزت الغنى والعلا والبأس والأدبا

ومحاسنه كثيرة وكان أحمد بن محمد الخياط الشاعر قد وصل الى حلب سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ ابن حيوس المذكور فكتب اليه ابن الخياط يقول

لم يبق عندي ما يباع بدرهم * وكفاك مني منظري عن مخبري

الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع وأين أين المشتري

فقال لو قال ونعم أنت المشتري لكان أحسن وكان مولد ابن حيوس سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق وتوفي سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وابن حيوس الاشبيلي ذكره ابن فضل الله فقال لا يخف له ضرع خاطر ولا يجف له نوء سحاب ماطر لو مس بقريحته الصلد لتفجر أو الجهام لانعجر وحسبك من مرمى غرضه البعيد ما ذكره له ابن سعيد وأورده في المرقص قوله في أشتر العين لا تفارقه الدمعة

شترت فقلنا زورق في لجة * مالت باحدى دفتيه الريح

فكأنما انسان اما لاحها * قد خاف من غرق فظل يميح

(ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أي مفسده)

البيت لابي العتاهية من أرجوزته المزدوجة التي سماها ذات الامثال يقال ان له فيها أربعة آلاف مثل فمنها

حسبك مما تبتغيه القوت * ما أكثر القوت لمن يموت * الفقر فيما جاوز الكفافا

من اتقى الله رجا وخافا * هي المقادير فلمني أو فذر * ان كنت أخطأت فما أخطا القدر

لكل ما يؤذي وان قل ألم * ما أطول الليل على من لم ينم * ما انتفع المرء بمثل عقله

وخير ذخر المرء حسن فعله * ان الفساد ضده الصلاح * ورب جد جره المزاح

من جعل النمام عينا هلكا * مبلغك الشر كباغيه لكا وبعده البيت وبعده

يغنيك عن كل قبيح تركه * يرتهن الرأي الاصيل شكه * ما عيش من آفته بقاؤه

نغص عيشا كله فناؤه * يارب من أسخطنا بجهده * قد سرنا الله بغير حمده

ما تطلع الشمس ولا تغيب * الا لامر شأنه عجيب * لكل شئ قدر وجوهر

وأوسط وأصغر وأكبر * فكل شئ لاحق بجوهره * أصغره متصل بأكبره

من لك بالمحض وكل ممتزج * وساوس في الصدر منك تختلج * مازالت الدنيا لنا دار أذى

ممزوجة الصفو بأنواع القذى * الخير والشر بها أزواج * لذا نتاج ولذا نتاج

من لك بالمحض وليس محض * يخبث بعض ويطيب بعض * لكل انسان طبيعتان

خير وشر وهما ضدان * والخير والشر اذا ما عدا * بينهما بون بعيد جدا

انك لو تستنشق الشحيحا * وجدته أنتن شئ ريحا * عجبت حتى غمني السكوت

صرت كأني حائر مبهوت * كذا قضى الله فكيف أصنع * والصمت ان ضاق الكلام أوسع

وهي طويلة جدا وهذا الانموذج كاف منها والجدة الاستغناء والمفسدة الخلة الداعية الى الفساد

واذا خلته حبابا حسبت السماء طيبا كالقهوة الصهباء (وهذا) آخر ما وقع لي مما فيه توارد في المعاني وتوافق في المباني (ومما يشبه هذا الباب) أن يتفق الشعراء على نظم معنى مخصوص أنبأنا العماد أبو حامد الاصبهاني اجازة قال صنع الشريف أبو المحاسن ابن الشريف ضياء الدين فضل الله بن علي بن عبد الله الحسني الراوندي القاشاني في تعريب شعر اعجمي

اني لاحسد فيه المشط والنشفه لذاك فاضت دموع العين مختلفه

هذا يعلق في صدغيه أغلة وذا يقبل رجليه بألف شفه

قال وتسامع الناس بهذا المعنى فاجتمع على العمل فيه جماعة منهم شمس الدين شاد الغزنوي وكان حينئذ بأصبهان فقال

اني أغار على مشط يعالجه ونشفة حظيت من قربه زمنا

هذا يغازل صدغيه وأحرمه وذا يقبل رجليه ولست أنا

(وقال أيضا)

المشط والنشفة المحمود شأنهما كلاهما في الهوى بالسعد محظوظ

فتلك بالالثم من رجليه فائزة وذاك بالمس من صدغيه محظوظ

(وقال فخر الدين القسام)

أغار منه على مشط ومنشفة حتى أغص بدمع فيه منسجم

(والشاهد فيه) الجمع وهو الجمع بين متعدد في حكم وهو ظاهر في البيت وما أحسن قول الصفي الحلي فيه

آراؤه وعطاياه ونعمته * وعفوه رحمة للناس كلهم

ومنه قول ابن حجة مع تسمية النوع

آدابه وعطاياه ورأفته * سجية ضمن جمع فيه ملتئم

وقول ابن جابر الاندلسي

قد أحرز السبق والاحسان في نسق * والعلم والحلم قبل الدرك للحلم

وأبو العتاهية هو اسمعيل بن القاسم بن سويد بن كيسانة مولى عنزة وكنيته أبو اسحق وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لانه كان يحب الشهرة والمجون فكنى لعتوه بذلك وقيل ان المهدي قال له يوما أنت انسان متحذلق فاستوت له من ذلك كنية ويقال للرجل المتحذلق عتاهية وفيه يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أنه فضل عليه العتابي

قل للمكنى نفسه * متخيرا بعتاهيه والمرسل الكلم القبيح * وعنه أذن واعيه

ان كنت سرا سؤتني * أو كان ذاك علانيه فعليك لعنة ذي الجلا * ل وأم زيد زانيه

وأم زيد هي أم أبي العتاهية ومنشأه بالكوفة وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم ويقال أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وما قدر أحد قط على جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرته وكان غزير البحر كثير المعاني لطيفها سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكلف الا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك وأكثر شعره في الزهد والامثال وكان قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ويحتجون بأن شعره انما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد (وحدث) الخليل بن أسد النوشجاني قال أتانا أبو العتاهية الى منزلنا فقال زعم الناس أني زنديق والله ما ديني الا التوحيد فقلنا له قل شيأ نتحدث به عنك فقال

ألا اننا كلنا بائد * وأي بني آدم خالد وبدؤهم كان من ربهم * وكل الى ربه عائد

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

وكان من أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الاموال (وحدث محمد بن عيسى الخرقي) قال وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حواليه فسأله دونهم فقال له صنع الله لك فأعاد السؤال فرد عليه فأعاد الثالثة فغضب وقال له ألست الذي يقول

كل حي عند ميتته * حظه من ماله الكفن

قال نعم قال فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله لثمن كفنك قال لا قال فبالله كم قدرت لكفنك قال خمسة دنانير قال فاعمل على أن دينارا من الخمسة وضيعته قيراط وادفع الي قيراطا واحدا والا فواحدة أخرى قال وما هي قال القبور تحفر بثلاثة دراهم فاعطني درهما وأقيم لك كفيلا بأن أحفر لك به قبرك متى مت وتربح درهمين لم يكونا في حسابك فان لم أحفر رددته على ورثتك أو رده كفيلي عليهم فخجل أبو العتاهية وقال أغرب لعنك الله وغضب عليك وضحك جميع من حضر ومر السائل يضحك فالتفت الينا أبو العتاهية وقد اغتاظ فقال من أجل هذا وأمثاله حرمت الصدقة فقلنا له ومن حرمها ومتى حرمت فما رأيت أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده وقال قلت لابي العتاهية أتزكي مالك فقال والله ما أنفق على عيالي الا من زكاة مالي فقلت له سبحان الله انما ينبغي لك أن تخرج زكاة مالك للفقراء والمساكين فقال لي لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الارض أفقر منهم (وحدث أيضا) قال كنت جار الابي العتاهية وكان له جار يلتقط النوى ضعيف سيء الحال متجمل عليه ثياب فكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار فيقول أبو العتاهية اللهم أغنه عما هو بسبيله شيخ ضعيف سيء الحال عليه ثياب متجمل اللهم اصنع له اللهم بارك فيه فبقي على هذا الى

فذا عقيد به نحو طرته
وذي يقبل فوها صفحة القدم
(قال العماد) وعمات وأنا في
سن الصبا وشعري حينئذ
لا أرضاه
مشط ومنشفة فيه حسدتهما
دمعي لذا بهما فياض عارضه
فتلك حاظية من مس أخمصه
وذاك مستغرق في مسك
عارضه
(وأخبرني بعض أصحابنا
المصريين) أن بعض جلساء
الصالح بن رزيك أنشد
بمجلسه بيتا من الاوزان
التي يسميها المصريون
الزكالش ويسميها
العراقيون كان وكان
النار بين ضلوعي
وناغريق في دموعي
كني فتيلة قنديل
أموت غريق وحريق
وكان عنده القاضي الجليس
أبو المعالي عبد العزيز بن
الحباب والقاضي المهذب
ابن الزبير فتقدم اليهما
بنظم معناه فصنعا بديها
فكان ما صنعه الجليس
هل عاذر ان رمت خلع
عذاري
في شم سالفة ولثم عذار
تتالف الاضداد فيه ولم تزل
في سالف الايام ذات نفار
وله من الزفرات لفح صواعق
وله من العبرات لج بحار
كذبالة القنديل قدر هلكها
ما بين ماء في الزجاج ونار
(وكان) ما صنعه ابن الزبير

أن مات الشيخ نحوا من عشرين سنة لا والله ان تصدّق عليه بدرهمين ولا دانق قط وما كان زاده على الدعاء شيأ فقلت له يا أبا اسحق انى أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير معيل فلم لا تتصدّق عليه بشئ فقال أخشى أن يعتاد الصدقة وهى آخر مكاسب العبد وان فى الدعاء خيرا كثيرا (وقال الجاحظ) حدّثنى ثمامة ابن أشرس قال دخلت يوما على أبى العتاهية فاذا هو يأكل خبزا بلا شئ فقلت له كالمنكر كأنك رأيته يأكل خبزا وحده فقال لا ولكنى رأيته يتأدّم بلا شئ فقلت وكيف ذلك فقال رأيت قدّامه خبزا يابسا من دقاق فطير وقدحا فيه حليب فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويخرجها فلم تتعلق منه بقليل ولا كثير فقلت له كأنك اشتهيت أن تتأدّم بلا شئ وما رأيت أحدا قبله تأدّم بلا شئ وقال ثمامة أنشدنى أبو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه
ألا انما مالى الذى أنا منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذى * يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له من أين قضيت بهذا قال من قوله صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت فقلت أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق قال نعم قلت فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك وفاقتك قال يا أبا معن والله ان ما قلت لحق ولكنى أخاف الفقر والحاجة الى الناس قلت وما يزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الى عيد فترك جواب كلامى كله ثم قال لى والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم فلما قال لى هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته وأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام وقيل له مالك تبخل بما رزقك الله تعالى فقال والله ما بخلت بما رزقنى الله قط قيل له فكيف ذلك وفى بيتك من المال ما لا يحصى قال ليس ذلك رزقى ولو كان رزقى لأنفقته (وحدّث) أبو العتاهية قال أخرجنى المهدى معه الى الصيد فوقعنا منه على شئ كثير وتفرّق أصحابه فى طلبه وأخذ هو فى طريق آخر غير طريقهم فلم يلتقوا وعرض لنا واد جرار عظيم وتغيمت السماء وبدأت بمطر فتحيرنا وأشرفنا على الوادى واذا فيه ملاح يعبر الناس فلجأنا اليه وسألناه عن الطريق فجعل يضعف رأينا ويعجزنا فى بذل أنفسنا فى ذلك الغيم والمطر للصيد حتى أبعدنا ثم أدخلنا كوخاله وكاد المهدى يموت بردا فقال له أغطيك بجبتى هذه الصوف فقال نعم فغطاه بها فتماسك قليلا ونام وافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاؤنا فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه وألقوا عليه الخز والوشى فلما انتبه قال لى ويحك ما فعل الملاح فوالله لقد وجب حقه علينا فقلت والله هرب خوفا مما خاطبنا به قال انا لله وانا اليه راجعون والله لقد أردت أن أغنيه وبأى شئ خاطبنا نحن والله مستحقون لأضعاف ما خاطبنا به بحياتى عليك الا ما هجوتنى فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسى بأن أهجوك قال والله لتفعلن فاننى ضعيف الرأى مغرم بالصيد فقلت

يا لابس الوشى على ثوبه * ما أقبح الاشيب بالراح

فقال زدنى بحياتى عليك فقلت

لو شئت أيضا جلت فى خامة * وفى وشاحين وأوضاح

فقال ويلك هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستأهل زدنى شيأ آخر فقلت أخاف أن تغضب فقال لا والله فقلت

كم من عظيم القدر فى نفسه * قد نام فى جبة ملاح

فقال معنى سوء عليك لعنة الله وقمنا فركبنا وانصرفنا (وعن الحسن بن عابد) قال كان أبو العتاهية يحج فى كل سنة فاذا قدم أهدى للمأمون بردا وقطريا ونعلا سوداء ومساويك أراك فيبعث اليه بعشرين ألف درهم فأهدى له مرة كما كان يهدى كل سنة اذا قدم فلم يثبه ولا بعث اليه بالوظيفة فكتب اليه أبو العتاهية يقول

كأنى وقد سالت سيول مدامعى
فأذكت حريقا فى الحشا والترائب
ذبالة قنديل تعوم بمائها
وتشعل فيها النار من كل جانب

(وصنع الصالح)

واذا تشب النار بين أضالعى
قابلتها من عبرتى بسيولى
فأنا الحريق بل الغريق أموت فى
هذا وذا كذبالة القنديل

(قال على بن ظافر) أخبرنى الامير الاجل عضد الدين مرهف بن اسامة بن منقذ قال كان لى مملوك اسمه ياقوت فقصدت أنا وابن عمى عبد الرحمن بن محمد نظم المعنى المشهور من أن النار لا تعدو على الياقوت فكان الذى قلته

أسكنته قلبى وأصبح حبه
من دون أقوات البرية قوتى
قالوا وكيف يقيم من أحببته
فى نار قلب بالجوى منعوت
فأجبتهم لا تعجبوا لمقامه
فالنار ليس تضر بالياقوت

(وكان الذى قاله ابن عمى)

يا عجبا للذى كلفت به
تدنيه منى ان غاب أفكارى
يسكن قلبا من الجحيم ويز
داد ضراما بدمعى الجارى
لا تعجبوا منه حين يسكنه
فما ابتلى الياقوت بالنار

(الفصل الثانى فيما لم يقع فيه توارد)

خبروني ان من ضرب السنه * جددا بيضا وصفرا حسنه
أحدثت لكنني لم أرها * مثل ما كنت أرى كل سنه

قال فأمر المأمون بحمل العشرين ألفا اليه وقال أغفلناه حتى أذكرنا (وحدث) أبو عكرمة قال كان الرشيد اذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة يتمثل بقول أبي العتاهية

أخت بني شيبان ان مرت بنا * ممشوطة كورا على بغل

وهذا البيت من أبيات لأبي العتاهية يهجو بها عبد الله المذكور وبعده

تكنى أبا الفضل ومن ذا رأى * جارية تكنى أبا الفضل * قد نقطت في وجهها نقطة
مخافة العين من الكحل * ان زرتموها قال حجابها * نحن عن الزوار في شغل
مولاتنا مشغولة عندها * بعل ولا اذن على البعل * يا بنت معن الخير لا تجهلي
وأين تقصير عن الجهل * أتجلد الناس وأنت امرؤ * تجلد في دبرك والقبل
ما ينبغي للناس أن ينسبوا * من كان ذا جود الى البخل * يبذل ما يمنع أهل الندى
هذا لعمري منتهى البذل * ما قالت هذا فيك الاوقد * جفت به الاقلام من قبلي

قال فبعث اليه عبد الله بن معن فأتى به فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ففعلوا ذلك ثم أجلسه وقال له قد جزيتك على قولك فهل لك بعد هذا في الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب وما ترى قال بل الصلح قال فأسمعني ما تقوله في معنى الصلح فقال

ما لعذالي ومالي * أمروني بالضلال عذلوني في اعتقادي * لابن معن واحتمالي
ان يكن ما كان منه * فبجرمي وفعالي أنا منه كنت أسوا * عبرة في كل حال
ما لمن يجب من حسن رجوعي ومقالي * ربوة بعد صدّ * وهوى بعد تقالي
قدر أيناذا كثيرا * جاريا بين الرجال انما كانت عيني * لطمت مني شمالي

وكان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة لها حسن ودماثة وكان ممن يهواها أيضا عبد الله بن معن وكانت مولاة لهم يقال لها سعدى تهواها وكانت صاحبة حبائب وكان أبو العتاهية مولعا بالنساء فقال فيها

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق * أفقن فان النيك أشهى من السحق
أفقن فان الخبز بالأدم يشتهى * وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق
أراكن ترقعن الخروق بمثلها * وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق
وهل يصلح الهراس الابعوده * اذا احتيج منه ذات يوم الى الدق

وقال فيها أيضا قلت للقلب اذ طوى وصل سعدى * لهواه البعيدة الاسباب
أنت مثل الذي يفر من القطر * حذار الندى الى الميزاب

فغضب ابن معن لسعدى فضرب أبا العتاهية مائة فقال فيه

جلدتني بكفها * بنت معن بن زائده جلدتني بكفها * بأبي تلك جالده
وتراها مع الخصي على الباب قاعده * تتكنى كنى الرجا * ل لعمد مكائده
جلدتني وبالغت * مائة غير واحده أجلدني أجلدي أجلدي * انما أنت والده

وقال في ضربه اياه أيضا ضربتني بكفها بنت معن * أوجعت كفها وما أوجعتني
ولعمري لولا أذى كفها اذ * ضربتني بالسوط ما تركتني

(وحدث) أحمد بن أبي فنن قال كنا عند ابن الاعرابي فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي وهو

اذا كلمته ذات دار لحاجة * فهم بأن يقضي تنحنح أو سعل

وان عبد الملك بن عمير قال تركني والله وان السعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله قال فقلت هذا ابن معن

(فمن ذلك) ما أخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن فاضل ابن حمدون الصوري عن الامام الحافظ أبي طاهر السلفي رحمه الله عن أبي غالب شجاع الذهلي قال قال لنا أبو منصور بن أبي الضوء العلوي كنت في قرية يقال لها بشيناو بها أبو محمد النافي وهناك ناعورتان للزرع فقال فيهما وأنا حاضر

أناعورتي شطي بشينا انني * نظيركما في الوجد والهيمان
أنينكما يحكي أنيني وعبرتي * كأنكما في شدة الجريان
فلا زلتما في خفض عيش عدة * أمان من التفريق والحدثان

(وعملت أنا في الحال) بشينا لها ناعورتان كلاهما

تسح بدمع دائم الهملان
مخافة دهر أن يصيب بعينه * لاحداهما يوما فيفترقان

(وذكر أبو علي بن رشيق في كتاب الانموذج) قال كان لمحمد بن حبيب التنوخي معشوق لا يزال يزوره اذا غاب عن منزله فاذا حضر لم يأته وكثر ذلك منهما فقال لي يوما تعال حتى نصنع في ذلك فصنعت

ما بال النائي فلا نوصل * الا خلا فامثل ما تفعل
تأتي اذا غبنا فان لم نغب * جعلت لا تأتي ولا تسأل
كهاجر أحبابه زائر * أطلالهم من بعد أن يرحلوا
(وصنع هو)

ابن زائدة يقول له أبو العتاهية

فصغ ما كنت حليت * به سيفك خلخالا فاتصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

فقال عبد الله ما لبست السيف قط فلمحني انسان الا قلت يحفظ شعر أبي العتاهية في "فينظر الى" بسببه فقال ابن الاعرابي اعجبوا لهذا العبد يهجو مولاه وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان (وحدث) المدائني قال اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق في بيت ابن أذين وجاء أبو العتاهية وكان بينه وبين أبي الشمقمق شر "فخبأه من أبي العتاهية في بيت ودخل أبو العتاهية فنظر الى غلام عندهم فيه تأنيث فظنه جارية فقال لابن أذين متى استطرفت هذه الجارية قال قريبا يا أبا اسحق فقل فيها ما حضر فمدّ أبو العتاهية يده اليه وقال

مددت كفي نحوكم سائلا * ماذا تردون على السائل

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من داخل البيت بهذا البيت

تردّ في كفك ذا فيشة * يشفي جوى في استك من داخل

فقال أبو العتاهية الشمقمق والله وقام مغضبا وقال أبو العتاهية حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر فأدخلت السجن وأغلق الباب عليّ "فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال فاذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيد فجعلت أنظر اليه ساعة ثم تمثل وقال

تعوّدت مس الضرّ حتى ألفته * وأسلمني حسن العزاء الى الصبر

وصيرني يأسي من الله راجيا * لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فقلت له أعد أعزك الله هذين البيتين فقال لي ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقل عقلك دخلت عليّ الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسئلة الحرّ للحرّ ولا توجعت توجع المبتلي للمبتلي حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذي لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسألتهما عذر النفسك في طلبهما فقلت يا أخي اني دهشت لهذا الحال فلا تعذلني واعذرني متفضلا بذلك فقال والله أنا أولى بالدهش والحيرة منك لانك حبست في أن تقول الشعر الذي به ارتفعت وبلغت ما بلغت فاذا قلت أمنت وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ووالله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بي فأقتل فأينا أحق بالدهش فقلت أنت والله أولى سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك فقال لا نبخل عليك اذن ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما فسألته من هو قال أنا حاضر داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد ولم نلبث أن سمعت صوت الاقفال فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرة ولبس ثوبا نظيفا ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجنا جميعا وقدّم قبلي الى الرشيد فسأله عن أحمد بن عيسى فقال لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفت عنه فأمر بضرب عنقه فضربت ثم قال لي أظنك ارتعت يا اسمعيل فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس فقال ردّوه الى محبسه فرددت وانتحلت البيتين وزدت فيهما

اذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما * تكرّهت منه طال عتبي على الدهر

وكان أبو العتاهية مشتهرا بحب عتبة جارية المهدي وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله وكتب به الى المهدي يعرّض بها

نفسي بشيء من الدنيا معلقة * والله والقائم المهدي يكفيها

اني لأيأس منها ثم يطمعني * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهمّ المهدي بدفع عتبة اليه فخرجت وقالت يا أمير المؤمنين مع حرمتي وخدمتي أفتدفعني الى قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وكان قد كتب البيتين على حواشي ثوب مطيب ووضعه في برنية ضخمة فقال المهدي املؤا له البرنية مالا فقال للكتاب أمر لي بدنانير قالوا ما ندفع اليك ذلك ولكن ان شئت أعطيناك الدراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف في ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أضرب عن ذكري صفحا وجلس أبو العتاهية يوما يعذل أبا نواس ويلومه على استماع الغناء ومجالسته لاصحابه فقال له أبو نواس

يا تاركا كان لم أغمز ورقي وزائري دأبا اذا غبت
وددت أن وذلك لا ينثني يزور فقداني لومت

(قال علي بن ظافر) وذكرت بهاتين القطعتين قول ابن خفاجة الاندلسي في مثل هذه الواقعة وهو أحسن ما سمعت فيها

صح الهوى منك ولكنني أعجب من بين لنا يقدر
كأننا في فلك دائر فأنت تخفى وأنا أظهر

(قال ابن رشيق) وكان كثيرا ما ينتابني غلام وضيء الوجه ذو خال تحت لحيه فنظر اليه يوما بعض أصحابي ثم أطرق فعلمت انه يعمل فيه فصنعت بيتين وسكت عنهما خوف الوقوع دونه فلما رفع رأسه قال اسمع وأنشد يقولون لي من تحت صفحة خده

تنزل خال كان مسكنه الخد

فقلت رأى ذلك الجمال فهابه فحط خضوعا مثل ما خضع العبد

فقلت أحسنت ولكن اسمع وأنشدت

حبذا الخال كامنا منه بين الجيد والخد رقبة وحذارا
رام تقبيله اختلاسا ولكن خاف من سيف لحظه فتوارى

فقال فضحتني (وذكر الباخرزي في كتاب الدمية) انه اجتمع هو وأبو عاصم

أتراني ياعتاهي * تاركا تلك الملاهي أتراني مفسدا بالـ * ـنسك عند القوم جاهي

فوثب أبو العتاهية وقال لا بارك الله عليك وجعل أبو نواس يضحك (وحدث) مخارق قال جاءني أبو العتاهية يوما فقال لي قد عزمت على أن أتزود منك يوما تهبه لي فتى تنشط لذلك فقلت متى شئت قال اني أخاف أن تقطع بي فقلت لا والله ولو طلبني الخليفة فقال يكون ذلك في غد فقلت افعل فلما كان من الغد باكرني رسوله فجئته فأدخلني بيتا له نظيفا فيه فرش نظيف ثم دعا بمائدة وعليها خبز سميذ وخل وبقل وملح وجدي مشوي قال فأكلنا منها حتى اكتفينا ثم دعا بسمك مشوي فأصبنا منه أيضا ثم دعا بفراخ ودجاج وفراريج مشوية فأكلنا منها حتى اكتفينا ثم أتونا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ثم جاؤنا بفاكهة وريحان وألوان من الانبذة فقال لي اختر ما يصلح لك فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال غن لي قولي

أحمد قال لي ولم يدر ما بي * أتحب الغداة عتبة حقا

فغنيته فشرب أقداحا وهو يبكي أحر بكاء ثم قال غنني في قولي

ليس لمن ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر

فغنيته وهو ينتحب ويبكي ثم قال غنني فديتك في قولي

خليلي ما لي لا تزال مضرتي * تكون مع الاقدار حتما من الحتم

فغنيته اياه وما زال يقترح علي كل صوت غني به في شعره ويقول غنني به فأغنيه ويشرب ويبكي حتى صارت العتمة فقال لي أحب أن تصبر حتى ترى ما أصنع فجلست فأمر ابنه وغلامه فكسرا كل ما كان بين أيدينا من النبيذ وآلات الملاهي ثم أمر باخراج كل ما كان في بيته من النبيذ وآلاته فما زال يكسره ويصب النبيذ وهو يبكي حتى لم يبق من ذلك شئ ثم نزع ثيابه واغتسل ولبس ثياب بياض من الصوف ثم عانقني وبكى وقال عليك السلام يا حبيبي وفرحي من الناس كلهم سلام الفراق الذي لا لقاء بعده وجعل يبكي ويقول هذا آخر عهدك بي في حال تعاشر أهل الدنيا فظننت انها بعض حماقاته فانصرفت فما لقيته زمانا ثم تشوقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فاذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب احداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص وثقب أخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل فلما رأيته نسيت ما كان عندي من الغم عليه والوحشة لعشرته وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط فقال لي من أي شئ تضحك لا ضحكت فقلت أسخن الله عينيك هذا أي شئ هو ومن بلغك عنه انه فعل مثل هذا من الانبياء أو الزهاد أو الصحابة أو التابعين أو المجانين انزع عنك هذا يا سخين العين فكأنه استحيا مني ثم بلغني عنه انه جالس حجاما فجهدت أن أراه بتلك الحالة فلم أره ثم مرض فبلغني انه اشتهى أن أغنيه فأتيته عائدا فخرج الي رسوله يقول ان دخلت جددت لي حزنا وتاقت نفسي الى سماعك والى ما قد غلبتها عليه وأنا أستودعك الله وأعتذر اليك من ترك الالتقاء ثم كان آخر عهدي به وقيل لابي العتاهية عند الموت ما تشتهي فقال أشتهي أن يجئ مخارق فيضع فمه على أذني ثم يغنيني

ستعرض عن ودي وتنسى مودتي * ويحدث بعدي للخليل خليل
اذا ما انقضت عني من الدهر مدتي * فان غناء الباكيات قليل

(وحدث) محمد بن أبي العتاهية قال آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه

الهي لا تعذبني فاني * مقر بالذي قد كان مني
فمالي حيلة الا رجائي * لعفوك ان عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا * وأنت علي ذو فضل ومن
اذا فكرت في ندمي عليها * عضضت أناملي وقرعت سني
أجن بزهرة الدنيا جنونا * وأقطع طول عمري بالتمني
ولو أني صدقت الزهد عنها * قلبت لاهلها ظهر المجن

الفضل بن محمد الفضيلي الهروي في مجالس الامام عبد الله الانصاري قال وكان غاية في الكلام على المنبر فتعاطينا القول فيه فقال الفضيلي

عيون الناس لا تلفي
من الناس كعبد الله
ولا ينكر هذا غير
من مال عن الله

(فقال الباخرزي)

مجلس الاستاذ عبد الله روض العارفينا
ألحق الفخر بنابه داحتكام العارفينا

(قال علي بن ظافر) وذكر الفتح بن خاقان ما معناه قال ركب عبد الجليل بن وهبون المرسي وأبو الحسن الحكم بن محمد المعروف بغلام البكري زورقا بنهر اشبيلية في ليلة أظلم من قلب الكافر وأشد سوادا من طرف الظبي النافر ومعهما غلام وضئ قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه على غصن بان من قوامه وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء ومزقتا رداء الظلماء وموهتا بذهب نورهما لجين الماء فقال عبد الجليل ارتجالا

كأنما الشمعتان اذ سمتا * خدا غلام محاسن الغيد
وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدي

يظن الناس بي خيرا وأني * لشر الناس ان لم تعف عني

ومحاسنه كثيرة وكان الاصمعي يستحسن قوله

أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه فاذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه

(وحدث ابن الانباري أبو بكر) قال أرسلت زبيدة أم الامين الى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتا بعد قتل الامين يستعطف بها المأمون فأرسل اليها هذه الابيات

ألا ان صرف الدهر يدني ويبعد * ويمتع بالالاف طورا ويفقد

أصابت بريب الدهر مني يدي يدي * فسلمت للاقدار والله أحمد

وقلت لريب الدهر ان هلكت يد * فقد بقيت والحمد لله لي يد

اذا بقي المأمون لي فالرشيد لي * ولي جعفر لم يفتقد ومحمد

قال فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها فقيل له أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم وعطف على زبيدة وزاد في تكرمتها وقضى حوائجها جميعا (وحدث) عمر بن أبي شيبة قال مر عابد براهب في صومعة فقال له عظني قال أعظك وعليكم نزل القرآن ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم قلت نعم قال فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبي العتاهية حيث يقول

تجرد من الدنيا فانك انما * وقعت الى الدنيا وأنت مجرد

ومن شعر أبي العتاهية قوله

بادر الى اللذات يوما أمكنت * بحلولهن بوادر الآفات

كم من مؤخر لذة قد أمكنت * لغد وليس غد له بمؤات

حتى اذا فاتت وفات طلابها * ذهبت عليها نفسه حسرات

تأتي المكاره حين تأتي جملة * وأرى السرور يجيء في الفلتات

ومنه قول بعضهم

أي شيء يكون أعجب أمرا * ان تنكرت من صروف الزمان

عارضات السرور توزن فيه * والبلايا تكال بالقفزان

ومن شعره أيضا قوله

واذا انقضى هم امرئ فقد انقضى * ان الهموم أشدهن الأحدث

ويومي الى هذا المعنى قوله أيضا وهو عجيب في معناه

انما أنت طول عمرك ما عمـ * ـرت في الساعة التي أنت فيها

ومن هذا قول من قال وكانت بلى وجوه في الثرى * فكذا يبلى عليهن الحزن

ومن شعره أيضا قوله كأن عائبكم يبدي محاسنكم * منكم فيمدحكم عندي فيغريني

اني لأعجب من حب يقربني * فأبعده عنه ويقصيني

ومثل الاول قول عروة بن أذينة كأنما عائبها جاهدا * زينها عندي بتزيين

وكذا قول أبي نواس كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندي بالذي عابوا

وقال أبو العتاهية لابنته رقية في علته التي مات فيها وهي باكية فارث أباك واندبيه بهذه الابيات فقامت فندبته بقوله

لعب البلا بمعالمي ورسومي * وقبرت حيا تحت ردم همومي

لزم البلا جسمي فأوهى قوتي * ان البلا لموكل بلزومي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة ووفاته في يوم الاثنين لثمان من جمادى الاولى وقيل لثلاث من جمادى الآخرة سنة احدى عشرة ومائتين وقيل سنة ثلاث عشرة ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد وأمر أن يكتب على قبره ان عيشا يكون آخره الموت لعيش معجل التنغيص

وقيل أوصى أن يكتب عليه أذن حي تسمعي * واسمعي ثم عي وعي

(فقال غلام البكري)

أحبب بمنظر ليلة ليلاء * تجني بها اللذات فوق الماء

في زورق يزهى بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغناء

قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء

والتاج فوق الماء ضوء منهما * كالبرق يخفق في أديم سماء

(وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلي المعروف بالاعمى وأبو بكر ابن بقي الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

يا حسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن

ماء ونار حماهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

(ثم أعجبه المعنى فقال)

ليس على لهونا مزيد * ولا لحماما ضريب

ماء وفيه لهيب نار * كالشمس في دجنة تصوب

وأبيض تحته رخام * كالثلج حين ابتدا يذوب

(وقال ابن بقي)

حمامنا فيه فصل القيظ محتدم * وفيه للبرد صر غير ذي ضرر

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

(وقال الاعمى) وقد تطرف فيه الى فتى صبيح

هل استملك جسم ابن الامين وقد * سالت عليه من الحمام أنداء

أنا رهن بمضجعي * فاحذروا مثل مصرعي
عشت تسعين حجة * أسلمتني لمضجعي
كم ترى الحي ثابتا * في ديار التزعزع
ليس زاد سوى التقى * فخذي منه أودعي

ولما مات رثاه ابنه محمد فقال
يا أبي ضمك الثرى * وطوى الموت أجمعك
ليتني مت يوم صر * ت الى حفرة معك
رحم الله مصرعك * برد الله مضجعك

(مانوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء)
(فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء)

البيتان لرشيد الدين الوطواط الشاعر من الخفيف والنوال العطاء والبدرة كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار والعين هنا المال (والشاهد فيهما) التفريق وهو ايقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو في غيره فمن ذلك قول بعضهم

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

وقول الآخر

قاسوك بالغصن في التثني * قياس جهل بلا انتصاف
هذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا اخلاف

وما أحسن قول الموصلي مع تسميه النوع

قالوا هو البحر والتفريق بينهما * اذ ذاك غم وهذا فارق الغمم

وقد تلاعب الشعراء بمعنى البيتين المستشهد بهما فالوأواء الدمشقي

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف في الحكم بين شكلين
أنت اذا جدت ضاحكا أبدا * وهو اذا جاد باكي العين

ولبعضهم فيه أيضا وأجاد جدا

من قاس جدواك يوما * بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطي وتبكي * وأنت تعطي وتضحك

ولأبي الفتح البستي وأجاد

ياسيد الامراء يامن جوده * أوفى على الغيث المطير اذا همى
الغيث يعطي باكيا متجهما * ونوال تعطي ناضرا متبسما

ومثله لأبي منصور البوشنجي

وذلك ضاحك أبدا بجود * وجودك ليس يمطر غير باكي

وقول الاديب يعقوب النيسابوري في الامير أبي الفضل الميكالي

رأيت عبيد الله يضحك معطيا * ويبكي أخوه الغيث عند عطائه
وكم بين ضحاك بجود بماله * وآخر بكاء يجود بمائه

ولشرف الدين السنجاري في معناه

ماقست بالغيث العطايا منك اذ * يبكي وتضحك أنت اذ تولي الندا
واذا أفاض على البرية جوده * ماء تفيض لنا يمينك عسجدا

وما أبدع قول البديع الهمذاني مع زيادة المعنى والمبالغة في الغلو

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وقول ابن بابك يمدح نظام الملك

يقولون ان المزن يحكيك صوبه * مخاملها وقد شهدت وغابا
وكم عزمة عم البرية بؤسها * فهل ناب فيها عن نداك منابا
همت ذهبا فيها يداك عليهم * وضنت يداه أن ترش ذهابا

كالغصن بأسر حتى النار من كثب
فظل يقطر من أعطافه الماء
(قال علي بن ظافر) وذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويقرؤا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز وأنشد

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا
على ما رأت عيناك من هرمي مصر
أنافا بأكناف السماء وأشرفا
على الجو اشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا
كأنهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وانظر
وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل
بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع
وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب
تخلف فهو محزون كئيب

(وأخبرني) الشريف فخر الدين أبو البركات العباس ابن عبد الله العباسي الحلبي قال اجتمع مهذب الدين

وقول ابن اللبانة فى المعتمد على الله بن عباد

سألت أخاه البحر عنه فقال لى * شقيقى الا أنه البارد العذب

لنا ديمتا ماء ومال فديمتى * تماسك أحيانا وديمته سكب

اذا نشأت برية فله الندى * وان نشأت بحرية فلى السحب

وينظر الى معانى ما مرّ ولم يكن بعيدا منها قول بعضهم

ياعيون السماء دمعك يفنى * عن قريب ومالدمعى فناء

أنا أبكى طوعا وتبكين كرها * ودموعى دما ودمعك ماء

ولم أقف على ترجمة الوطواط الشاعر لكن رأيت ابن فضل الله ذكره فى المسالك فى معرض تراجم فأثبت ما رأيته قال فى ترجمة الشمس بن دانيال انه كان بينه وبين الوطواط ما يكون بين الادباء ويدبّ بين الاحباء فعرضت للوطواط رمدة تكدر بها صفحه وتكنى له فيها صريحه فقيل له لو طلبت ابن دانيال فقال ذلك لا يسمح بذرّة يعنى من كحله فبلغ ابن دانيال فقال فى ذلك

ولم أقطع الوطواط بخلا بكحله * ولا أنا من يعييه يوما تردد

ولكنه ينبو عن الشمس طرفه * فكيف به لى قدرة وهو أرمد

وقال فى ترجمة شافع بن على بن عباس الكاتب ومن قوله فى الوطواط الشاعر

كم على درهم يلوح حراما * بالئيم الطباع سرّا تواطى

دائما فى الظلام تمشى مع النا * س وهذا عوائد الوطواط

وقوله فيه

قالوا نرى الوطواط فى شدة * من تعب الكد ومن ويل

فقلت هذا دأبه دائما * يسعى من الليل الى الليل

ثم انى رأيت المرحوم الجلال السيوطى ذكره فى طبقات النحاة فقال محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه المعروف بالرشيد الوطواط (قال ياقوت) كان من نوادر الزمان وعجائبه وأفراد الدهر وغرائبه أفضل أهل زمانه فى النظم والنثر وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والادب طار فى الآفاق صيته وسار فى الاقاليم ذكره وكان ينشئ فى حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من آخر ويمليهما معا وله من التصانيف حدائق السحر فى دقائق الشعر أسفاره رسالة بالعربى ورسالة بالفارسى وغير ذلك مولده ببلخ ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة فتبين بهذا أن الذى ذكرناه أوّلا ليس هو ومن رسائله ما كتبه الى العلامة جار الله الزمخشرى يستأذنه فى حضور مجلسه والاستفادات من سؤاله

لقد حاز جار الله دام جماله * فضائل فيها لا يشق غباره

تجدّد رسم الفضل بعد اندراسه * بأيام جار الله فالله جاره

أنا منذ لفظتنى الاقدار من أوطانى ومعاهد أهلى وجيرانى الى هذه الخطة التى هى اليوم بمكان جار الله أدام الله جماله جنة للكرام وجنة من نكبات الايام كانت قصوى منيتى وقصار بغيتى أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة التى هى مخيم السياده ومقبل أفواه الساده فمن ألقى بها عصاه حاز فى الدارين مناه ونال فى المحلين مبتغاه ولكن سوء التقصير أوموانع التقدير حرمنى مدة تلك الخدمه وحرّم على تلك النعمه والآن أظن وظن المؤمن لا يخطئ أن آفل جدى هم بالاشراق وذابل اراقى تحرك للايراق فقد أجد فى نفسى نور امجد دايهدينى الى جنته ومن شوقى داعيا وقايدعونى الى عتبته ويقرع سمعى كل ساعة لسان الدولة أن اخلع نعلك واطرح بالوادى المقدس رحلك ولا تحفل بقصد قاصد وحسد حاسد فان حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فوائده وأكرم من أن تستثقل من وطأة طالب لعوائده ومع هذا أرجو اشارة تصدر عن مجلسه المحروس اما بخطه الشريف فان فى

أبو الحسين بن منير والشيخ أبو عبد الله محمد بن صغير القيسرانى الشاعران بحلب فمرّ عليهما صبى سراج يسمى يوسف مشهور بالحسن فسئلا القول فيه فصنعا فكان ما صنع ابن منير

ياسمى المتاح فى ظلمة الجب ابن ساوه القضاء اليها

والذى قطع النساء له الايدى ومكنّ حبله من يديها

لك وجه مباسم الحسن فيه صكة تطبع البدور عليها

(وكان ما صنع القيسرانى)

لا تخدعن فالحسام المرهف الا الذى يحويه جفن اوطف

واذا رأيت اللحظ يعمل فى الحشى عمل الاسنة فالقوام مثقف

ويح المحب اما يخالس نظرة الا هفا بالقلب ظبى أهيف

بالله يا نفحات أنفاس الصبا ما بال غصن البان لا يتعطف

يا مسكرى وجد ابخمر جفونه قل لى أتلك لواحظ أم قرقف

بادر جمالك بالجميل فربما ذوت المحاسن أو ابل المدنف

واسبق عذارك باعتذارك قبل أن يأتى بعزل هواك منه ملطف

ان جاز أن يرث الملاحة باسمه أحد فانك يوسف يا يوسف

(قال على بن ظافر) وروى أن الاعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك على بن مفرج ابن المنجم اجتمعا فى منار

ذلك شرفا الى يدوم مدى الدهر والايام وفخرا يبقى على مر الشهور والاعوام واتماء الى لسان من يوثق بصدق مقالته ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين فى سلك خدمته والراتعين فى رياض نعمته ورأيه فى ذلك أعلى وأصوب (وكتب اليه يهنئه بالعيد) الاعياد عرف الله سيدنا جار الله بركة قدومها وورودها وجعل له الحظ الاكمل والقسط الاجزل من ميامنها وسعودها فرائد قلائد الايام وغرر جبهات الاعوام لكنها راحلة لا تقوم وزائلة لا تدوم ولقاء جار الله أدام الله مجده لنا معشر خدمه والمرتضعين در فضله وكرمه عيد لا زال العيد له كتصحيفه باقية محاسنه دائمة ميامنه يهدى كل ساعة الى أبصارنا نورا والى أرواحنا راحة وسرورا فكيف نهنئ عيدا هذه حاله بعيد لا يؤمن زواله

أتى العيد جار الله وهو مجدد * بخدمته عهدا المهيمن تجديدا

فلست بعيد لا يدوم مهنئا * لصدر محياه يدوم لنا عيدا

(ولا يقيم على ضيم يراد به * الا الاذلان عير الحى والوتد)

(هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد)

البيتان من البسيط وقائلهما المتلمس من أبيات وهى

ان الهوان حمار الاهل يعرفه * والحر ينكره والرسلة الاجد

كونوا كسامة اذ ضنك منازله * اذ قيل جيش وجيش حافظ عتد

شد المطية بالانساع فانجردت * عرض التنوفة حتى مسها النجد

كونوا كبكر كما قد كان أولكم * ولا تكونوا كعبد القيس اذ قعدوا

يعطون ماسئلوا والبحر محتدهم * كما أكب على ذى بطنه الفهد

وبعده البيتان وبعدهما قوله

وفى البلاد اذا ما خفت ثائرة * مشهودة عن ولاة السوء تنتقد

والضيم الظلم والعير بفتح المهملة الحمار وغلب على الوحشى والمناسب هنا الاهلى والخسف النقيصة والاذلال تحميل الانسان ما يكره وحبس الدابة بلا علف والرمة بضم الراء وتكسر قطعة من حبل والشج الكسر والدق والاستثناء فى الا الاذلان استثناء مفرغ وقد أسند اليه فعل الاقامة فى الظاهر وان كان مسندا فى الحقيقة الى العام المحذوف (والشاهد فيهما) التقسيم وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين فانه ذكر العير والوتد ثم أضاف الى الاول الربط مع الخسف والى الثانى الشج على التعيين ومما ورد فى التقسيم قول زهير بن أبى سلمى السابق فى شواهد الايجاز والاطناب وهو

وأعلم علم اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وقد نقل أبو نواس هذا التقسيم من الجد الى الهزل فقال

أمر غد أنت منه فى لبس * وأمس قد فات فاله عن أمس

وانما الشأن شأن يومك ذا * فباكر الشمس بابنة الشمس

وقد نقله بعضهم أيضا فقال

تمتع من الدنيا بساعتك التى * ظفرت بها ما لم تعقك العوائق

فلا يومك الماضى عليك بعائد * ولا يومك الآتى به أنت واثق

ومن التقسيم قول بشار بن برد

وراحوا فريق فى الاسار ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

ومثله قول الصفى الحلى

أفنى جيوش العدا غزوا فلست ترى * سوى قتيل ومأسور ومنهزم

وهو مأخوذ من قول عمرو بن الايهم

الجامع ليلة فطر فظهر بها الهلال للعيون وبرز فى صفحة بحر النيل كانون ومعهما جماعة من غواة الادب الذين ينسلون اليه من كل حدب فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربه والى مستقرها جارية ذاهبه قد شمرت للمغيب الذيل واصفرت خوفا من هجوم الليل والهلال فى حمرة الشفق كحاجب الشائب أوزورق الورق اقترحوا عليهما وصف تلك الحال فصنع ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة * وانظر لما بعدها من حمرة الشفق

غابت وأبقت شعاعا منه يخلفها * كأنما احترقت بالماء فى الغرق

والهلال فهل وافى لينقذها * فى اثرها زورق قد صيغ من ورق

(وصنع نشو الملك)

يارب سامية فى الجو قت بها * أمد طرفى فى أرض من الافق

حيث العشية فى التمثيل معركة * اذ ارآها جبان مات للفرق

والشمس هاربة للغرب دارعة * بالنيل مصفرة من هجمة الغسق

وللهلال انعطاف كالسنان بدا * من سورة الطعن ملقى فى دم الشفق

اشربا ماشربتما فهـذيل * من قتيل أوهارب أوأسـير

ومنه وزعم قوم انه أفضل بيت وقع فيه تقسيم قول نصيب

فقال فريق القوم لاوفريقهم * نعم وفـريق أيمن الله ماندرى

وزعم أبو العيناء ان خير تقسيم قول عمر بن أبى ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمـل جامع * ولا الحبـل موصول ولا القلب مقصر

ولا قـرب نعم ان دنت لك نافع * ولانأيها يسـلى ولا أنت تصـبر

واختار آخرون قول الحارثى وقالوا انه أفضل

فلا كمـدى يفـنى ولا لك رقة * ولا عنك اقصار ولا فيك مطمع

وبديع قول الامير السلمـانى

وصلت فلما أن ملكت حشاشـتى * هجرت فجدوارحم فقد مسنى الضر

فليت الذى قد كان لى منك لم يكن * وليتـك لاوصل لديك ولا هجـر

فلا عـبرتى ترقا ولا فيـك رقة * ولا منـك المام ولا عنـك لى صبر

وقد ألم بنحو هذا التقسيم الشهاب محمود حيث قال

وانى لفى تطـرى نحـوها * وقد ودعتنى قبيـل الفراق

ولا صبر لى فأطيق الهوى * ولا طمع ان نأت فى اللحاق

ولا أمل يرتجى فى الرجوع * ولا حكم فى رد تلك النيـاق

كمضـنى يودع روحا غـدت * يراها على رغمه فى السياق

ومن مليح التقسيم قول داود بن مسلم

فى باعه طول وفى وجهه * نور وفى العرنين منه شمم

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم فى الشعر وكان معجبا بقول العباس بن الاحنف

وصالكم صرم وحبكم قلا * وعطفكم صد وسلمكم حرب

ويقول أحسن والله فيما قسم حيث جعل حيال كل شئ ضده والله ان هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات اقليدس ومن جيد التقسيم قول أبى تمـام

فما هو الا الوحى أو حد مرهف * تميـل ظباه الحـد عن كل مائل

فهـذا دواء الداء من كل عالم * وهـذا دواء الداء من كل جاهل

(وذكر الجاحظ) أن قتيبة بن مسلم المقدم خراسان خطب الناس فقال من كان فى يده من مال عبد الله بن حازم شئ فلينبذه وان كان فى فمه فليلفظه وان كان فى صدره فلينفثه قال فعجب الناس من حسن ما فصل وقسم (ووقف) اعرابى على حلقة الحسن فقال رحم الله من تصدق من سعة أو واسى من كفاف أو آثر من قوت ولقد أجاد ابن حيوس فى التقسيم بقوله

ثمانيـة لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر

ضميرك والتقوى وكفك والندى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

وما أحسن قول أبى ربيعة المخزومى

وهبها كشئ لم يكن أوكنازح * عن الدار أو من غيبته المقابر

وعجيب هنا قول أبى تمـام فى مجوسى أحرق فى النار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتـا ويدخلها مع الفجار

وما أعذب قول الشيخ شرف الدين بن الفارض

يقولون لى صفها فأنت بوصفها * خبير أجل عندى بأوصافها علم

(وهذا) لعمرى البديع الذى لا يلحظ سـواه ولا يحفظ الا اياه (قال على بن ظافر) والحكاية المشـهورة عن ابن قلاقس والوجيـه أبى الحسن على بن الذروى أنهما طلعا منارة الاسكندرية والوجيه يومئذ فى عنفوان شبابه وصـباه وهبوب شماله فى الجمال وصباه وابن قـلاقس مغرم به مغرى بحبه دئب فى تهذيبه مبالغ فى تفضيض شعره وتذهيبه ولم تكن وقعت بينهما تلك المناة ولا استحكمت بينهما أسباب المهـاجاة فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة فقال بديها

وسامية الارجاء تهدى أخا السرى
ضياء اذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها بردا من الانس ضافيا
فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظللتنى من ذراها بقبة
ألاحظ فيها من صحابى أنجما
تخيلت أن البحر تحتى غمامة
وأنى قد خيمت فى كبد السما

(فحين) رأى الاعز ما أتى به اشتد سروره وفرحه وقال يصفها ويمدحه

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا
كأنما فيه للنسرين أوكار
راسى القرارة سامى الفرع فى يده
للنون والنور أخبـار وآثار

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى * ونور ولا نار وروح ولا جسم

وقول محمد بن دراج القسطلي وأجاد

عطاء بلا منّ وحكم بلا هوى * وملك بلا كبر وعز بلا عجب

وقول الآخر أيضا بنو جعفر أنتم سماء رياسة * مناقبكم في أفقها أنجم زهر

طريقتكم مثلى وهديكم رضى * ومذهبكم قصد ونائلكم غمر

عطاء ولا منّ وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وبديع قول بعضهم أيضا قوس ولا وتر وسهم ولا قود * عين ولا نظر نحل ولا عسل

وقول بعضهم أيضا تسربل وشيا من خزوز تطرزت * مطارفها طرزا من البرق كالتبر

فوشي بلا رقم ورقم بلا يد * ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

وقول الرستمي فتى حاز رق الحمد من كل جانب * اليه وخلى كأهل الشكر ذا ثقل

بعفو بلا كدّ وصفو بلا قذى * ونقد بلا وعد ووعد بلا مطل

وما أشرف قول ابن شرف

لمحتاج في الحاجات جمع ببابه * فهذا له فنّ وهذا له فنّ

فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب العتبى وللخائف الأمن

وقول بعضهم أيضا نرجو سلوا في رسوم بينها الاغصان سكرى والحمام متيم

هذي تميل اذا تنسمت الصبا * والورق تذكر شجوها فترنم

ولابن جابر الاندلسي لقد عطفتني على حبها * بوجه تبدّى على عطفه

فهذا هو البدر في أفقه * وهذا هو الغصن في حقفه

ولابي الحسين الجزار وزير ما تقلد قط وزرا * ولا داناه في مثوى أنام

وجل فعاله صادات برّ * صلات أو صلاة أو صيام

ولشيخ شيوخ حماة لنا ملك واجد ما أشتهي * ولكنه لم يجد مثله

ملاذي به ومثولي لديه * وميلي اليه ومدحي له

ومثله قول بعضهم مجونا

وبديع الجمال معتدل القا * مة كالغصن حنّ قلبي اليه

أشتهي أن يكون عندي وفي بيتي * وبعضي فيه وكلي عليه

ومن المضحك فيه قول السراج الورّاق

رأت حالي وقد حالت * وقد غال الصبا فوت فقالت اذ تشاجرنا * ولم يخفض لنا صوت

أشيخ مفلس يهوى * ويعشق فاتك الفوت فلا خير ولا مير * ولا ايرفذا موت

ولطيف قول بعضهم

وفي أربع مني حلت منك أربع * فما منه أدري أيها هاج لي كربي

أوجهك في عيني أم الريق في فمي * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

وقد سمع يعقوب بن اسحق الكندي هذا فقال هو تقسيم فلسفي وقد أخذه الجاني العلوي فجعله خمسة فقال

وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في في طيب الرشف

ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

(والمتلمس) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم وهم المتلمس والمسيب بن علس وحصين بن الحمام ولقب بالمتلمس لقوله

وذاك أوان العرض طنّ ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

أطلقت فيه عنان الفكر فاطردت
خيل لها في بديع الشعر مضمار
ولم يدع حسنا فيه أبو حسن
الا تحكم فيه كيف يختار
حلى المنارة لما حل ذروتها
بجوهر الشعر بحر منه زخار
ما زال يذكي بها نار الذكاء الى
أن أصبحت علما في رأسه نار

(وأخبرني) الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموي وابن شيث من أصحابنا قالا مضى الوجيه علي بن الذروي والنجيب هبة الله ابن وزير في جماعة الى الحمام المعروفة بأبي فروة فجرى بينهما تنازع أدى الى تناكر فضيلة الادب ثم تراضيا بأن يحكم بينهما الشريف المعروف بانكدودة فحكم بأن يصنعا قطعتين في صفة الحمام على البديهة ثم يقع التفضيل بينهما بقدر التفاوت بين القطعتين فصنع ابن الذروي

ان عيش الحمام عيش هنيء
غير أن المقام فيها قليل
جنة تكره الاقامة فيها
وجحيم يطيب فيه الدخول
فكأن الغريق فيها كليم
وكأن الحريق فيها خليل

(وصنع ابن وزير بعد بطء)

لله يوم بحمام نعمت به
والماء من حوضها ما بيننا جاري
كأنه فوق شفاف الرخام بها
ماء يسيل على أثواب قصار

وكان هو وطرفة بن العبد يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيء الخلق شديده وكان قد حرق من تميم مائة رجل فهجوه وكان مما هجاه به المتلمس قوله

ان الخيانة والمقالة والخنا * والغدر نتركه ببلدة مفسد
ملك يلاعب أمه وقطينها * رخو المفاصل بطنه كالمزود
فاذا حللت فدون بيتي غارة * فابرق بأرضك ما بدالك وارعد

وهجاه طرفة بما تقدم في ترجمته في شاهد التكميل فاستحيا أن يقتلهما بحضرته وبينه وبينهما ادلال المنادمة فكتب لهما صحيفتين وختمهما ثلا يعلما ما فيهما وهو أول من ختم الكتاب وقال لهما اذهبا الى عاملي بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بالجوائز فذهبا فراقى طريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال المتلمس ما رأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا فقال الشيخ ما رأيت من حمق أخرج الداء وأدخل الدواء وأقتل الاعداء ويروى أطرح خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا أحمق والله مني من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس بقوله فطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب فقال له المتلمس أتقرأ يا غلام قال نعم ففك حينئذ الصحيفة فاذا فيها اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ علي وكان غرا صغير السن فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وقال

قذفت بها بالثني من جنب كافر * كذلك أقني كل قط مضلل
رضيت بها لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول

وأخذ نحو الشام وقال ألق الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها
يريد أنه تخفف للفرار وألقى ما يثقل وما لا بد للمسافر منه وأما طرفة فانه وصل الى البحرين وقتل كما مر في ترجمته وهلك المتلمس في الجاهلية وقال ابن فضل الله في حقه هو رجل نبيه الذكر معروف بصحة الفكر وهو الذي يضرب المثل بصحيفته ومن شعره

ألم تر أن المرء رهن منية * صريع للعافي الطير أوسوف يرمس
فلا تقبلن ضيما حذار منية * وموتن بها واحيا وجلدك أملس
فمن حذر الاوتار ما حز أنفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس
وما الناس الا ما رأوا وتحدثوا * وما العجز الا أن يضاموا فيجلسوا
فان تقبلوا بالود نقبل بمثله * والا فانا نحن آبى وأشمس

ومن شعره أيضا

تعيرني أمي رجالا ولا أرى * أخا كرم الا بأن يتكرما
أحارث انا لو تساقط دماؤنا * تزيلن حتى لا يمس دم دما
لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما
وما كنت الا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى فأصبح أجذما
يداه أصابت هذه حتف هذه * فلم تجد الاخرى عليها مقدما
فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لناباه الشجاع لصمما
اذا ما أديم القوم أنهجه البلى * تفرى وان كنبته وتخرما

ومما يتمثل به من شعره قوله وأعلم علم حق غير ظن * لتقوى الله من خير العتاد

وحفظ المال خير من ضياع * وضرب في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وهذه الابيات من قصيدة له مطلعها

صبا من بعد سلوته فؤادي * وأسمح للقرينة بالقياد

فانتقد عليه الجماعة تشبيهه الماء بالماء واستبردوا ما أتى به فقال ابن الذروي

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له
أو كاد يحرقه من فرط اذكاء
أقام يجهد أياما رويته
وشبه الماء بعد الجهد بالماء

(وأخبرني) الفقيه شجاع الغزلي رحمه الله قال جلست يوما بالوراقين على دكان الاديب أبي الفضل جعفر ابن مفضل القرشي المنبوز بشلعلع ونالنا ذخيرة الملك المشهور خيره المشكور أثره وهو شيخ كان يغني ويلفق كلاما من جنس كلام الحمقى والمعتوهين تلفيقا موزونا على انه شعر الا أنه بلغ به عند الصالح وزيره مالم يبلغه الاخطل عند عبد الملك وبنيه وقد اجتمع الناس عليه ووقفوا صفوفا بين يديه وهو يطرفهم بشعره ويملأ آذانهم ببعره قال فتر بنا ابن وزير فلما رأى الجمع جلس الينا ثم أخذ يقول أنصافا من الشعر وأبياتا متفرقة في مدح ذخيرة الملك تارة والطنز به أخرى يتباهى بها على العوام ويملأ بها قلوب أولئك الطغام ففهم أبو الفضل مقصده وأراد أن يفضحه ويظهر عيبه ويوضحه فقال له ما هذا الفتور والشعر المقذور

وقد ضمنه بعضهم فى الهجاء فقال

يحصن زاده عن كل ضرس * ويعمل ضرسه فى كل زاد * ولا يروى من الاشعار شيأ
سوى بيت لابرهة الايادى * قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وشطر هذا البيت رواية فى شطر البيت السابق وأخذه ابن وكيع فقال

مال يخافه الفتى * للشامتين من العدا خير له من قصده * اخوانه مسترفدا

ويقال ان حاتما الطائى لما سمع قول المتلمس هذا قال ماله قطع الله لسانه يحمل الناس على البخل والتباخل ألا كان يقول وما البذل يفنى المال قبل فنائه * ولا البخل فى مال الشحيح يزيد * فلا تلتمس فقرا بعيش فانه

لكل غد رزق يعود جديد * ألم تدر أن المال غاد ورائح * وأن الذى يعطيك ليس يبيد

انتهى وقد قال البلغاء فى معنى الاول ان فى اصلاح مالك جمال وجهك وبقاء عزك ونقاء عرضك وسلامة دينك وطيب عيشك ونماء مجدك فاصلحه ان أردت هذا كله وفى المثل احفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء يضرب فى الحث على أخذ الامر بالحزم وقيل من أصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وقيل التدبير يثمر التيسير والتبذير يبرد الكثير ولا جود مع تبذير ولا بخل مع اقتصاد والاعتدال فى الجود أحسن من الاعتداء على الموجود والرزق مقسوم محدود فمرزوق ومحدود والله أعلم بالوجود

((فوجهك كالنار فى ضوءها * وقلبى كالنار فى حرها))

البيت لرشيد الدين الوطواط من الخفيف (والشاهد فيه) الجمع مع التفريق وهو ادخال شيئين فى معنى والتفريق بين جهتى الادخال فهنا أدخل وجه الحبيب وقلبه فى كونهما كالنار ثم فرق بينهما بأن جهة ادخال الوجه من جهة الضوء وادخال القلب من جهة الحر والاحراق وفى معناه قول بعضهم

فكالنار ضوءا وكالنار حرا * محيا حبيبى وحرقة بالى
فذلك من ضوئه فى اختيال * وهذا لحرقته فى اختلال

وقريب منه قول الصفى الحلى

سناه كالنور يجلو كل مظلمة * والباس كالنار يفنى كل مجترم

ومما يستشهد به على هذا النوع قول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا * مشابهة فى قصة دون قصة
فوجنتها تكسو المدامع حمرة * ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

وقول مروان بن أبى حفصة

تشابه يوماه علينا فاشكلا * فلا نحن ندرى أى يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بؤسه * وما منهما الا أغر محجل

وقول البحترى أيضا ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقول بعضهم أيضا أرى قمرين قد طلعا * على غصنين فى نسق * وفى ثوبين قد صبغا
صباغ الخد والحدق * فهذى الشمس فى شفق * وهذا البدر فى غسق

وما أحسن قول على بن مليك فى هذا النوع

بالروح أفدى صاحبا لم يزل * محتقرا ذنبى فى عفوه فكفه كالماء فى جوده * وقلبه كالماء فى صفوه

وقد أحسن هنا ابن حجة فى تسمية النوع حيث قال

عيناه كالبرق ان أبدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

((حتى أقام على أرباض حرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع))
((للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا))

والعجب منك أن تتباهى بالشعر ونحن حضور واستقر الامر على أن يصنع كل منا قطعة فى مدح ذخيرة الملك على روى يختاره أول خارج من الجامع فكان حرف الذال فابتدر جعفر وقال

من كان فى درك الغرام ولم يكن لحشاه من أسر الهوى انقاذ
فذخيرة الملك الاجل بشعره توقى القلوب من الهوى وتعاذ
واذا ابدا مترنما له على كل القلوب بشدوه استحواذ

(قال وصنعت)

ذخيرة الملك أنت شاعرنا فكل شعر عداك منبوذ
وكل لفظ فمنك مسترق وكل معنى فعنك مأخوذ

قال وأبى ابن وزير أن ينشد ما عمله بل كتبه فى رقعة وقال انما أنشده بحضرة أبى الحسن بن بترى رحمه الله فأتيناه جميعا فأنشدته أنا وجعفر ما صنعنا فأثنى خيرا ثم ناوله ابن وزير الرقعة فاذا أولها يقول

هذا الفتى ذخيرة الملك نعيذه

فلما قرأه الشيخ جمع وجهه ثم قرأ الثانى فاذا هو

اذا تغنى منشدا قلوبنا منفوذه

فزاد فى تجمعه ثم قرأ الثالث فاذا هو

من كل هم فيهما يبدو لنا شذوذه

فرمى الرقعة من يده فكأنما

البيتان لابى الطيب المتنبى من قصيدة من البسيط يمدح بها سيف الدولة بن حمدان أولها

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أوحدّثوا شجعوا

أهل الحفيظة الا أن تجربهم * وفى التجارب بعد الغىّ ما يزع

وما الحياة ونفسى بعدما علمت * ان الحياة كما لا تشتهى طبع

ليس الجمال بوجه صح مارنه * أنف العزيز بقطع العز يجتدع

أأطرح المجد عن كتفى وأطلبه * وأترك الغيث فى غمدى وأنتجع

والمشرفية لازالت مشرّفة * دواء كل كريم أوهى الوجع

وفارس الخيل من خفت فوقرها * فى الدرب والدم فى أعطافها دفع

وأوحدته وما فى قلبه قلق * وأغضبته وما فى قلبه فزع

بالجيش يمتنع السادات كلهم * والجيش بابن أبى الهيجاء يمتنع

قاد المقانب أقصى شربها نهل * على الشكيم وأدنى سيرها سرع

لا يكتفى بلد امسراه عن بلد * كالموت ليس له رىّ ولا شبع

وبعده البيتان والقصيدة طويلة فريدة والارباض جمع ربض بفتح الباء وهو سور المدينة وحرشنة بلد بالروم وهى التى تسمى الآن أماصية والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهى معبد النصارى وانما لم يقل من نكحوا أومن ولدوا ليوافق قوله والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا وللدلالة على اهانتهم وقلة المبالاة بهم حتى كأنهم ليسوا من جنس من يعقل فيخاطبون بخطابه (والشاهد فيهما) الجمع مع التقسيم وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم فالاوّل كما فى البيتين وهو ظاهر والثانى كما فى البيتين الآتيين بعدهما وهما

(قوم اذا حاربوا ضرّوا عدوّهم * أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا)

(سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرّها البدع)

البيتان لحسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه من قصيدة من البسيط قالها حين قدم وفد تميم على النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب وأرادوا المفاخرة بخطيبهم وهو عطارد وشاعرهم وهو الزبرقان فى خبر طويل والقصيدة أولها

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا

وبعده البيتان وبعدهما

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

ان كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم * لا يطبعون ولا يزرى بهم طمع

ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طمع

يسمون للحرب تبدو وهى كالحة * اذا الزعانف من أظفارها خشعوا

لا يفرحون اذا نالوا عدوّهم * وان أصيبوا فلا خور ولا جزع

كأنهم فى الوغى والموت مكتنع * أسود بيشة فى ارساغها فدع

خذ منهم ما أتوا عفوا وما غضبوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا

فان فى حربهم فاترك عداوتهم * سما يخاض عليه الصاب والسلع

أكرم بقوم رسول الله قائدهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع

أهدى لهم مدحتى قلب يؤازره * فيما أراد لسان حاذق صنع

ألقمه حجرا ثم ادّعى أننا غيرنا سبكه وكتب بذلك محضرا منظوما كتب عليه الشعراء شهاداتهم بقطع من الشعر أنشدنى كثيرا منها ثم توفى قبل أن أكتبها عنه (وأخبرنى) بهاء الدين أسعد بن يحيى بن منصور ابن عبد العزيز بن وهبان السلمى المعروف بابن السنجارى بحماة وكتبه لى بخطه قال اجتمع عندى جماعة منهم جمال الدين بن رواحة وعلم الدين الشابانى الشاعر المعروف بقاع وضياء الدين سعيد بن حماة المقرى وضياء الدين الحورانى وهو فى ذلك الوقت مشتهر بعشق البهاء على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى فبينا نحن مجتمعون اذ دخل علينا ابن الساعاتى وهو فى عنفوان شبابه ونهاية حسنه وسنه حينئذ أربع عشرة سنة فداعبنا فجرّد سيفا وجعل يريد ضرب عنق الضياء الحورانى مداعبا له وذلك بعد أن عصب عينيه بطرف عمامته فكشف الضياء عن وجهه وقال أنتم كلكم تدعون أنكم فضلاء الوقت فقولوا فى هذا شيأ فعمل كل منا قطعة وخبأها فى بيقاره فقال الضياء وكانت فيه دعابة أراكم قد عملتم عمل

وانهم أفضل الاحياء كلهم * ان جدّ بالناس جدّ القول أو سمعوا

ولما أنشد حسان رضي الله عنه هذه القصيدة بعد ان خطب ثابت بن شماس خطبته المشهورة قال الاقرع ابن حابس ان هذا الرجل لمؤتى له والله لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا ولأصواتهم أرفع من أصواتنا أعطني يا محمد فأعطاه فقال زدني فزاده فقال اللهم انه سيد العرب وهم الذين أنزل الله في حقهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ومعنى حاولوا راموا وطلبوا والاشياع جمع شيعة بكسر الشين المعجمة وهي الانصار والاتباع والفرقة تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث والسجية الغريزة وما جبل عليه الانسان والخلائق جمع خليقة وهي الطبيعة هنا والبدع جمع بدعة وهي الحدث في الدين بعد الكمال والمراد بها هنا مستحدثات الاخلاق لا ما هو كالغرائز فيها (والشاهد فيهما) القسم الثاني من الجمع مع التقسيم فانه قسم في البيت الاول صفة الممدوحين الى ضر الاعداء ونفع الاولياء ثم جمعهما في البيت الثاني في كونهما سجية وقد أخذ ابن مقرغ عجز البيت الثاني برمته فقال من قصيدة

جاور بني خلف تحمد جوارهم * والاعظمين دفاعا كلما دفعوا والمطعمين اذا ما شتوة أزمت

فالناس شتى الى أبوابهم شرع * هم خير أقوامهم ان حدثوا صدقوا * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

وقد أجاد ابن حجة في قوله هنا مع تسمية النوع

جمع الاعادي بتقسيم بفرقته * فالحيّ للأسر والاموات للضرم

ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا

البيت للمتنبي من قصيدة من الطويل أولها

أقل فعالي بل أكثره مجد * وذا الجد فيه نلت أولم أنل جد

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ * كأنهم من طول ما التثموا مرد

وبعده البيت

وبعده

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده * وضرب كأن النار من حره برد

اذا شئت حفت بي على كل سابح * رجال كأن الموت في فمها شهد

أذم الى هذا الزمان أهيله * فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد

وأكرمهم كلب وأبصرهم عم * وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

فهو في البيت المذكور يصف شدة وطأتهم على العدا وثباتهم على اللقاء وانهم مسرعون الى الاجابة اذا دعوا الى كفاية مهم ومدافعة خطب مدلهم وان الواحد منهم يقوم مقام جماعة من غيرهم (والشاهد فيه) مجيء التقسيم على وجه آخر وهو أن تذكر أحوال الشيء مضافا الى كل من تلك الاحوال ما يليق به فانه ذكر أحوال المشايخ وأضاف الى كل منها ما يليق به وهو ظاهر ومن أنواع الجمع مع التقسيم قول الخالدي

في وجهه كل ريحان تراح له * منا قلوب وأبصار وتهواه

النرجس الغض عيناه وطرته * بنفسج وجنى الورد خداه

ومثله قول ابن قلاقس

حملت من الازهار أشباه الربا * فتساوت الأمثال والأشكال

فالآس صدغ والأقاحي مبسم * والورد خد والبنفسج خال

وقول الصاحب بن عباد في الوزير ابن العميد

قدم الوزير مقدما في سبقه * فكأنما الدنيا جرت في طوقه

فجبالها من حلمه وبحارها * من جوده ورياضها من خلقه

ومن بديع الجمع مع التقسيم قول ابن سكرة الهاشمي

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

القطاط فأنشدونا ما علمتم فقلنا على سبيل المزور لا يتقدم أحد على علم الدين فجعل الشاباني يصف شعره ويقول قد عملت بيتين ما يقدر أحد أن يعمل مثلهما وزاد في الدعوى ثم أنشد

قرعنه دنانيه

نم رجيرون كوثر

لو تراءى لسنجر

قبل الارض سنجر

فجرى بينه وبين الحوراني من المشاغبة ما ضاق به الوقت وقال له ويحك أين هذا مما نحن فيه وأي مناسبة بينه وبين المعنى الذي اقترح عليك وكان جمال الدين بن رواحة فاضلا لطيفا فقال لي بالله عليك الا أنشدت قبلي فقد رأيتك عملت أكثر مني وكنت الى جانبه فانشدت ما قلت وهو

حتام عذلك قد أسرفت في عذلي

قلبي من الوجد ملآن وأنت خلي

أعاذك الله من وجدي ومن كلفي

ومن غرامي ومن خوفي ومن وجلي

لو كان يا سعد للطوفان ما ذرفت

عيناي ما استعصم المغرور بالجبل

كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا
وقد تبع ابن سكرة في جادته هذه التي سلكها جماعة من الادباء فمنهم من جاراه ومنهم من كبا فمن ذلك قول بعضهم
وكافات الشتاء تعد سبعا * ومالى طاقة بلقاء سبع
اذا ظفرت بكاف الكيس كفي * ظفرت بعفرد يأتى بجمع
وقول الآخر أيضا جاء الشتاء وما الكافات حاضرة * وانما حضرت منهن أبدال
قل وقتر وقلب موجع وقلا * وقادرها جرو القيل والقال
وقول جمال الدين ياقوت الكاتب
جاء الشتاء ببرد لا مرد له * ولم يطق حر قاس يقاسيه
لا الكأس عندى ولا الكانون متقد * كنى ظلامى وكيسى قل ما فيه
دع الكباب وخل الكس وأسفا * على كسا أتغطى فى دياجيه
ولمؤلفه فى قريب منه قلت لذى صبوة بكافا * تشتوة من عنائه دعنى
والهف قلبى على كساء * يرد برد الشتاء عنى
ومن باب جاء الشتاء قول الاعرابى
جاء الشتاء وليس عندى درهم * ولقد يصاب بمثل هذا المسلم
وتقسم الناس الجباب وغيرها * وكأننى بفناء مكة محرم
وقول آخر من الاعراب جاء الشتاء ومسنا قتر * وأصابنا فى عيشنا ضرر
ضر وفقر نحن بينهما * هذا العمر أبيكما الشر
وقول جحظة أيضا جاء الشتاء وما عندى له ورق * مما وهبت ولا عندى له خلع
كانت فبددها جود ولعت به * وللسماكين أيضا بالندى ولع
وقول أبى نصر بن نباتة السعدى
جاء الشتاء وما عندى له عدد * الا ارتعاد وتقريض بأسنانى
ولو قضيت لما قد مرت فى كفنى * هبنى قضيت فهبنى بعض أكفانى
وقول أبى طالب المأمون فى طست الشمع
وحديقة تهتز فيها روضة * لم ينمها ترب ولا أمطار
فصعيدها صفر وناجى غصنها * شمع وما قد أثمرته نار
وقول أبى الفضل الميكالى ومهفهف تم فوبلب المرء منه شمائل
فالردف دعص هائل * والقد غصن مائل والخد نور شقائق * تنقد عنه غلائل
والعرف مثل حدائق * نمت بهن شمائل والطرف سيف ماله * الا العذار حمائل
والطيف قول منصور الفقيه بنو آدم كالنبت * ونبت الارض ألوان
فمنه شجر الصند * ل والكافور والبان * ومنه شجر أفضل ما يحمل قطران
وفى معناه قول رجل من عبد القيس
جامل الناس اذا ما جئتهم * انما الناس كأمثال الشجر
منهم المذموم فى منظره * وهو صلب عوده حلو الثمر
وترى منهم أثيثا نبته * طعمه مر وفى العود خور
ومثله قول الآخر أيضا الناس كالترب ومنها هم * من خشن اللمس ومن لين
فجلمد تدمى به أرجل * واثمد يوضع فى الأعين
وقول الآخر والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر

أو كنت عاينت ما عاينت من قرى
لكنت أول مشتاق الى أمل
يعتى راشق لى قوس حاجبه
كأنما الطرف رام من بنى ثعل
يميل عطفاه من سكر الصبا مرحا
كما تمايل عطف الشارب الثمل
ما لاحت الشمس فى رأد الضحى وبدا
للشمس الا رماها الطفل بالطفل
يا حامل الصارم الهندى منتصرا
ضع السلاح فقد استغنيت بالكحل
ما يفعل الظبى بالسيف الصقيل وما
ضرب الصوارم مع ضرب من المقل
قد كنت فى الناس سنيا فما برحت
بى شيعة الحسن حتى صرت عبد على
قال فأخرج ابن رواحة رقعته ومزقها وقال من يحسن مثل هذه البديهة لا ينشد معه شعر (وأخبرنى) الاديب راجح بن اسمعيل الحلى قال خرجنا مع مهذب الدين أبى الحسن على بن تطيف أيام كتابته للملك المعز اسحق ابن الملك الناصر رحمه الله تعالى الى الاهرام للتنزه ومعه الاديب بهاء

كالأرض مشتبهات في منابتها * وانما يقع التفضيل في الثمر

ولابي عبدالله الغواص في وصف دار

يادار سعد قد علت شرفاتها * بنيت شبيهة قوله للناس

لو رودوفد أو لدفع ملمة * أو بذل مال أو ادارة كاس

وما أحسن قول الرستمي

يا ابن الذين اذا بنوا شادوا وان * أسدوا يدا عادوا وان بعدوا يفوا

ان حاربوا لم يحجموا أو قاربوا * لم يندموا أو عاقبوا لم يشتفوا

ومتى استجيروا أسعفوا ومتى استنيلوا أسرفوا ومتى استعيدوا أضعفوا

ان عاهدوا لم يخفروا أو عاقدوا * لم يغدروا أو ملكوا لم يعسفوا

وبديع قول ابن شمس الخلافة

أناس أو اغير التلون عادة * فشأنهم في الحب هون واذلال

وصال وهجر واجتماع وفرقة * وبذل وامساك وحل وترحال

فان سمعوا ضنوا وان عطفوا جنوا * وان عقدوا حلوا وان عهدوا حالوا

وقول ابن هرمة قوم لهم شرف الدنيا وسوددها * صفو على الناس لم يخلط بهم رنق

ان حاربوا وضعوا أو سالموا رفعوا * أو عاقدوا ضمنوا أو حدثوا صدقوا

ومنه قول حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه يهجو

قوم لئام فلن تلقى لهم شبها * الا التيوس على أكتافها الشعر

ان سابقوا سبقوا أو نافروا نفروا * أو كاثروا أحدا من غيرهم كثروا

قوم لئام أقل الله خيرهم * كما تساقط حول الفقحة البعر

كأن ريحهم في الناس اذ برزوا * ريح الكلاب اذا ما بلها المطر

(وشوهاء تغدو بي الى صارخ الوغى * بمستلئم مثل الفنيق المرحل)

البيت من الطويل ولا يعرف قائله وشوهاء صفة لفرس وهي الطويلة الرائعة والمفرطة رحب الشدقين والمنخرين والوغى الحرب والمستلئم لابس اللأمة وهو الدرع والفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ويجمع على فنق بضم أوله وثانيه والمرحل من رحل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله (والشاهد فيه) التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه وهنا قال تعدو بي ومعي من نفسي لابس درع لكمال استعدادي للحرب فبالغ في اتصافه بالاستعداد حتى انتزع منه مستعدا آخر لابس درع والله أعلم

(ولئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوي الغنائم أو يموت كريم)

البيت لقتادة بن مسلمة الحنفي من قصيدة من الكامل أولها

بكرت علي من السفاة تلومني * سفها تجز بعلها وتلوم * لما رأتني قد رزئت فوارسي

وبدت بجسمي نهكة وكلوم * ما كنت أول من أصاب بنكبة * دهر وحي باسلون جميم

الى أن يقول فيها ومعي أسود من حنيفة في الوغى * للبيض فوق رؤسهم تسويم

قوم اذا لبسوا الحديد كأنهم * في البيض والحلق الدلاص نجوم

وبعده البيت والغنائم جمع غنيمة وهي الفوز بالشيء بلا مشقة (والشاهد فيه) التجريد بدون توسط حرف فانه عنى بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه ولذا لم يقل أو أموت

(ياخير من يركب المطي ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا)

البيت من المنسرح وقائله الاعشى من قصيدته السابقة في شواهد المسند (والشاهد فيه) التجريد بطريق

الدين بن الساعاتي والجمال ابن التاج البغدادي والمهذب ابن الخيمي والاوحد الواسطي فاتفق أن كبت به بغلته ثم وثبت ورفعت يديها فتعاطينا القول في ذلك فبدر بهاء الدين بن الساعاتي فقال

قيل مادت من تحت ذا السيد الار
ض ولم تأتنا له بمثال
هو طود النهى ومن أعجب الاشـ
ياء أرض تميد تحت الجبال

(وقال ابن التاج)

جلست بغلة الامين ترينا
صدق حس كأنه الهام
أظهرت ميزة على النوع اذ أصـ
بح في الجنس ذا علا لا يرام
نحن في خدمة قيام اديه
ثم بغلا تنالديه قيام

(وقال الواسطي)

لم تكب بغلتك الخضراء من خور
يامن هو اليوم للاسلام مسعده
لكنما الارض مادت تحتها طربا
اذ شرفت بك يامن طاب محتده

(وقال ابن الخيمي)

أقسمت بغلة الرئيس المفدى
حين حطت لعجزها عنه ظهرا
انما رفعت يديها اقنوتا
بعد أن قبلت ثرى الارض عشرا

الكناية فانه انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكناية لانه اذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبته له بكف الكريم ومعلوم أنه شرب بكفه فهو ذلك الكريم

(لاخيل عندك تهديها ولا مال)

قائله أبو الطيب المتنبي وهو أول قصيدة من البسيط يمدح بها فاتكا وقد حمل اليه هدية ألف دينار وكان بمصر مقيما وتمامه (فليسعد النطق ان لم تسعد الحال) وبعده

وأجز الامير الذي نعماه فاجئة * بغير قول ونعمى الناس أقوال

فربما جزت الاحسان موليه * خريدة من عذارى الحي مكسال

وان تكن محكمات الشكل تمنعني * ظهور جرى فلي فيهن تصهال

وما شكرت لان المال فرحني * سيان عندي اكثار واقلال

لكن رأيت قبيحا أن يجاد لنا * وأننا بقضاء الحق بخال

وهي طويلة وأراد بالحال الغنى (والشاهد فيه) التجريد بمخاطبة الانسان نفسه فكأنه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله في فقد الخيل والمال والحال ومثله قول الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق فراقا أيها الرجل

ومن الامثلة في التجريد قول التميمي لنجدة بن عامر الحنفي الخارجي

متى تلق الجريش جريش سعد * وعبادا يقود الدارعينا

تبين أن أمك لم تورك * ولم ترضع أمير المؤمنينا

ومثله قول ذي الرمة أيضا

وليل كأثناء الرويزي جبته * بأربعة والشخص في العين واحد

أحم علافي وأبيض صارم * وأعيس مهري وأروع ماجد

أراد بالاحم العلافي الرحل وهو منسوب الى علاف رجل من قضاعة تنسب اليه الرحال لانه أول من عملها وأراد بالاروع الماجد نفسه وهو تجريد ظاهر لان قوله جبته بأربعة ثم عدّ فيها الاروع الماجد مشعر بأنه شخص آخر وهو معنى التجريد ومنه قول الشاعر

أبا حسن بنو مروان ظلما دماءنا * وفي الله ان لم ينصفوا حكم عدل

وقول المعري هاجت غيرها فهاجت منك ذا لبد * والليث أفتك أفعالا من النمر

وقول الشاعر أيضا وبي ظبية أدماء ناعمة الصبا * تحار الظباء الغيد من لفتاتها

أعانق غصن البان من لين قدها * وأجني جنى الورد من وجناتها

وقول الآخر أيضا ان تلقني لا ترى غيري بناظرة * تنسى السلاح وتغزو جبهة الاسد

وقول ابن جابر الاندلسي جزيل الندى ذو أياد غدت * يحدث عنهن في كل نادي

يلاقيك منه اذا جئته * كثير الرماد طويل النجاد

(فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل)

البيت لامرئ القيس من قصيدته المشهورة السابقة في شواهد المقدمة وقبل البيت

فعن لنا سرب كأن نعاجه * عذارى دوار في ملاء مذيل * فأدبرن كالجزع المفصل بينه

بجيد معم في العشيرة مخول * فألحقنا بالهاديات ودونه * جواحرها في صرة لم تزيل

وبعده البيت وبعده فظل طهاة اللحم من بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه * متى ما ترق العين فيه تسهل

فبات عليه سرجه ولجامه * وبات بعيني قائما غير مرسل

والمعنى في البيت أنه يصف فرسه بأنه لا يعرق وان كثر العدو منه والعداء بالكسر والمد الموالاة بين الصيدين بصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد وأراد بالثور الذكر من بقر الوحش وبالنعجة الانثى منها ومعنى

اذ غدت من عطاه حاملة طو داومن جود كفه العذب بحرا (قال وقلت أنا)

وحسام ملك يستضاء برأيه ويفل حد النائبات بحده لم تكب بغلته لخون قوائم تطأ الصفا فافترض صفحة صلده لكنها احملت مشرع سودد بذ الاكارم في امامة مجده سجدت وقد صلت صفوف وفوده من خلفه يتلون آية حمده

(قال علي بن ظافر) وقد رأيت هذه القطعة التي نسبها الحلي لنفسه في ديوان ابن الساعاتي وقد كان الحلي مع جودته كثير الاغارة عليه (وأخبرني) الاديب أبو القاسم بن نفطويه قال أنشدني بعض أصحابنا بيتا وسألني أن أضمنه وهو

فليت الشمس لو بقيت قليلا ففيها كلما بقيت بقائي

(فصنعت بديها)

ولما أن تلاقينا بكينا بكاء القرب من بعد التنائي وعمت دوام طيب الوصل منه وأعرض عند ذلك عن اقتضائي وواعدني اذا ما الشمس غابت وولت لا سبيل الى اللقاء فليت الشمس لو بقيت قليلا ففيها كلما بقيت بقائي

(قال) ثم مر بي القاضي أبو الحسن علي بن النبيه

دراكامتتابعا ويغسل مجزوم معطوف على ينضح والمعنى لم يعرق فيغسل (والشاهد فيه) المبالغة ويسمى التبليغ وهو ادّعاء ممكن عقلا وعادة فانه ادّعى أن فرسه أدرك ثورا وبقرة وحشيين في مضمار واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلا وعادة وقد استعمل امرؤ القيس هذا المعنى في شعره كثيرا فقال من قصيدة

وعاديت منه بين ثور ونعجة * وكان عدائي اذ ركبت على بالي

وقال أيضا من أخرى فأقصد نعجة وأعرض ثورها * كفحل الهجان ينتحي لغضيض

ووالى ثلاثا واثنتين وأربعا * وغادر أخرى في قناة رفيض

وقال أيضا من أخرى فادرك لم يعرق مناط عذاره * عر كخذروف الوليد المثقب

الى أن قال بعد أبيات فغادر صرعى من حمار وخاضب * وتيس وثور كالهشيمة قرهب

وقال من أخرى فصاد لنا عيرا وثورا وخاضبا * عداء ولم ينضح بماء فيعرق

وقد ألمّ المتنبي بهذا المعنى فقال في وصف جواد وأجاد

وأصرع أيّ الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

وينظر الى صدر بيت المتنبي قوله أيضا

وخيل اذا مرّت بوحش وروضة * أبت رعيها الا ومرجلنا يغلي

وقد ألمّ به أبو طاهر الاردستاني بقوله من قصيدة

طمرّ أبى أن يرتع العشب في الطوى * ولم نغل للاضياف في الحيّ مرجلا

ومنه قول امرئ القيس أيضا

اذا ما ركبنا قال ولدان بيتنا * تعالوا الى أن يأتي الصيد نحطب

يشير الى سرعة مجيئهم بالصيد وقوة يقينهم بالظفر به ومثله قول ابن المعتز في وصف البازي

قد وثق القوم له بما طلب * فهو اذا جلى لصيد واضطرب

عدّوا سكاكينهم من القرب

ومثله قول الآخر فيه (مبارك اذا رأى فقد رزق) رجع الى المبالغة وان لم نخرج عنها قال ابن أبي الاصبع أبلغ شعر سمعته في باب المبالغة قول شاعر الحماسة

رهنت يدي بالعجز عن شكر برّه * وما فوق شكري للشكور مزيد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكنّ ما لا يستطاع شديد

ومن هنا قال أبو نواس لا تسدينّ اليّ عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

ومن المبالغة قول النظام توهمه طرفي فآلم خدّه * فصار مكان الوهم من نظري أثر

وصافحه كفي فآلم كفه * فمن صفح كفي في أنامله عقر

ومرّ بفكري خاطر فجرحته * ولم أر خلقا قط تجرحه الفكر

يقال أن الجاحظ لما بلغه ذلك قال هذا ينبغي أن لا ينالك الا بأيرمن الوهم ومن عجيب في المبالغة قول السلامي في عضد الدولة أيضا

اليك طوى عرض البسيطة جاعلا * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر

وبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

وقوله أيضا وأجاد أقبل عليّ وقل ضيفي ومتبعي * وشاعري قاصدي راجي ممتاري

أنت الأنام فمن أدعو وحضرتك الدنيا فأين أقضي بعض أوطاري

ومثله قول المتنبي هي الغرض الاقصى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

وقول القاضي ناصح الدين الارجاني

يا سائلي عنه لما جئت أمدحه * هذا هو الرجل العاري من العاري

فأنشدته البيت وسألته أن يضمنه فقال بديها

عسى العيس التي ظعنت بسلمى
تعود بها وتنعم باللقاء
تولت بالعشيّ ولا عجيب
مغيب الشمس في وقت العشاء
فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كلما بقيت بقائي

ثم جاء الى الاديب أبو المعز الاعجمي فسألته تضمينه فقال بديها

بدت شمس النهار فخيلت لي
بانك قد رفعت الى السماء
فصرت أذوب وهي تزول عني
الى أن صرت في حدّ الفناء
فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كما بقيت بقائي

(قال) ثم مرّ بي الفقيه أبو محمد القلعي فسألته تضمينه فقال بديها

اذا هزم الظلام سنى الضياء
قضى ترحال وصلك بانقضائي
فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كلما بقيت بقائي

(واجتمع) يوما شهاب الدين يعقوب والشريف فخر الدين أبو البركات العباس ابن عبد الله العباسي على أن يصنعا هجاء في صبيّ يسمى يونس فصنع الشريف بديها

يونس يا متلفي بهجر
قد لج فيه بلا انتهاء
ان بلع الحوت لابن متى
تمّ ألقاه بالعراء

لقيته فرأيت الناس في رجل * والدهر في ساعة والارض في دار

وقول أبي محمد الخوارزمي

أيا سائلي عن كنه علياه انه * لأعطى مالم يعطه الثقلان

فمن يره في منزل فكأنما * رأى كل انسان وكل مكان

ومن بديع المبالغة قول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة من قصيدة وأجاد

قد جدت لي باللهى حتى ضجرت بها * وكدت من ضجري أثني على البخل

ان كنت ترغب في بذل النوال لنا * فاخلق لنا رغبة أولا فلا تنل

لم يبق جودك لي شيأ أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

وأبلغ منه قول أبي الفرج الببغاء في سعد الدولة بن سيف الدولة

لا غيث نعماه في الورى خلب البرق ولا ورد جوده وشل

جاد الى ان لم يبق نائله * مالا ولم يبق للورى أمل

وقريب من هذا المعنى قول ابن بابك في الصاحب بن عباد

لحسن ظنك بي استوفي مدى أملي * وحسن رأيك بي لم يبق لي أربا

ومن محاسن المبالغة قول ابن اللبانة وقد رأى ابن المعتمد بن عباد صائغا بعد الملك

أذكى القلوب أسى أجرى الدموع دما * خطب وجودك فيه يشبه العدما

وعاد كونك في دكان قارعة * من بعدما كنت في قصر حكى ارما

صرفت في آلة الصواغ أنملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما

يد عهدت بها التقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما

يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلي منتظما

للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى * يوم رأيتك فيه تنفخ الفحما

وددت اذ نظرت عيني اليك به * لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى

لح في العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما

وما أبلغ قول السلامي في جيشه خمسون ألفا كعنتر * وأمضى وفي خزانه ألف حاتم

ولمؤلفه فيها من قصيدة متى لمست كفه معدما * أصاب الغنى وانثنى مسعفا

وان لحت عينه خاملا * غدا نابها قبل أن يطرفا

ومن المبالغة في المجون قول ابن حجاج

فتاة كالمهاة تروق عيني * مشاهدها وتفتن من رآها

تكاد ترد للمعيوب ابرا * وتحدث للفتى العنين باها

وهو من قول جحظة البرمكي لو مر بالأعمى لابصر أو بعنين لانعظ

ولقد أحسن الخالدي وأجاد الى الغاية في قوله من قصيدة

كأنما من ثناياها ومبسمها * أيدي الغمام سرقن البرق والبردا

وبديع قول السلامي أيضا

تبسمت والخيل العتاق عوابس * وأقدمتها والحرب لم تتأجج

فما وطئت الا على خد سيد * ولا عثرت الا برأس متوج

وقد أغرب الوأواء الدمشقي بقوله

متى أرعى رياض الحسن منه * وعيني قد تضمنها غدير

ولو نصبت رحى بازاء دمعي * لكانت من تحدره تدور

ومن المبالغة في البخل قول ابن الرومي

فرب حوت بلعت أضحى
مكتسيا منك بالحمراء
وصنع الشهاب وعرض بالحلى
أدار نون الصدغ في خده
حتى غدا يونس ذا النون
وأنبت الحلى من فوقه
لما علاه أصل يقطين
ثم صنعا فيه هذا البيت وهو
ان بلعت يونس حوت فكم
بلعت يا يونس من حوت
وكنت في صدر العمر وابتداء
قول الشعر صنعت قطعة
في صدر نارنج عليه طلع
مفروط وهي
انظر الى النارنج والطلع الذى
جاء الغلام بجمعه متمايلا
فكأنما النارنج قد صاغوه من
ذهب قناديلا وذاك سلاسلا
(ثم زدت عليه فقلت)
أتانا بصدر واسع لو بدا لمن
تعبد أحيا صبوة المتعبد
حكى طلعه فيه سلاسل فضة
ونارنجه يحكى قناديل عسجد
ثم اختصرته فقلت
أيا حسن صدر فيه مفروط طلعة
يقارن نارنجا به متلالى
لقد أحسن الشخص الذى جمعتهما
بداه وأهدى فيه كل جمال
قناديل تبر في سلاسل فضة
والاعقيق في سموط لآلى
(واتفق) انشاد القطع في
بعض الليالي بالجامع لجماعة
من أصحابنا فيهم ابن الذروى

لو ان قصرك يا ابن يوسف ممتل * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

ومثله قول كشاجم
يا من يؤمل جعفرا * من بين أهل زمانه
لو أن فى استك درهما * لاستله بلسانه

وقول دعبل
ان هذا الفتى يصون رغيفا * ما اليه لناظر من سبيل
هو فى سفرتين من أدم الطا * ئف فى سلتين فى منديل
ختمت كل سلة بحديد * وسيور قددن من جلد فيل
فى جراب فى جوف تابوت موسى * والمفاتيح عند اسرافيل

وقول بعضهم أيضا
فتى لو أدخل الحمام حولا * وحولا بعد أحوال كثيره
وألبس ألف فرو بعد ألف * ولحف حشوها قطن الجزيره
وأوقدت الجحيم عليه حتى * تصير عظامه مثل الذريره
لما عرقت أنامله ببخل * بعشر عشير معشار الشعيره

ومنه قول بعضهم
رغيفك فى الحجاب عليه قفل * وحراس وأبواب منيعه
رأوا فى بيته يوما رغيفا * فقال لضيفه هذا وديعه

ومنه قول عبدان الاصفهانى
رغيفك فى الأمن يا سيدى * يحل محل حمام الحرم
فلله درك من سيد * حرام الرغيف حلال الحرم

وقول ابن الرومى أيضا
فتى على خبزه ونائله * أشفق من والد على ولده
رغيفه منه حين تسأله * مكان روح الجبان من جسده

ومن المبالغة فى الهجو قول الشريف الناسخ
لست أخشى حر الهجير اذا كا * ن حسين الصواف فى الناس حيا
فببيت من شعره أتقى الحر وفى ظل أنفه أتفيا

ومنه قول الآخر أيضا
ورب أنف لصديق لنا * تحديده ليس بمعلوم
ليس عن العرش له حاجب * كأنه دعوة مظلوم

وقول النجم يحيى أيضا
شبهت أنفك كردكوه بعينها * والفرق بينهما جلى المقصد
ان الملاحدة أصبحوا فى قلعة * ورأيت أنفك قلعة فى ملحد

وقول الصابى يهجو أبخر
قد أبصرت عينى العجائب كلها * ما أبصرت مثل ابن نصر أبخرا
ما شم نكهته امرؤ متعطر * الا وعاد مخاطه منها خرا

وقوله فيه أيضا
نطق ابن نصر فاستطارت جيفة * فى العالمين لنتن فيه الفاسد
فكأن أهل الارض كلهم فسوا * متواطئين على اتفاق واحد

ومثله قول ابن زريق الكوفى فى الكاتب
ولى صاحب أفسى البرية كلها * يشككنى فيه اذا ما تنفسا
تحولت الأنفاس منه الى استه * فما أحد يدرى تنفس أم فسا

ولبعضهم وأجاد
أتانا عالم من أرض فاس * يجادل بالدليل وبالقياس
وما فاس ببلدته ولكن * فسا يفسو فساء فهو فاسى

وقول ابن درة الشاعر فى معيان

فقال يتولد من هذا معنى فى صدر فيه نارنجتان وطلع مفروط ويشبه ذلك بنهدين فى صدر عليهما أسماط در فاستحسنت المعنى وأطرق كل منا لنظمه ثم أنشدت

وصدر به نارنجتان تبدتا
ومفروط طلع بالملاحة حالى
تخالت بذاك الصدر نهدى خريدة
وقد وشحت زهوا بسمط لآلى

(ثم أنشد هو)

أرسلت لى نارنجتين على صد
رو حفتهما بطلع نضيد
ثم قالت تسل عنى فهذا
مثل صدرى والدر فوق نهودى

(ثم ذكر معنى آخر) فأطرقنا لنظمه فصنعت كالمرتجل

ألست ترى النارنجتين وقد بدا
يحفهما طلع نضيد منظم
ككفى غلام قد تأمل حسنه
جماعة عشاق له فتبسموا

فلم يصنع فيه شيأ ثم اقترح معنى غيره فنظمت فيه

وطلع بدا المفروط منه مقارنا
لنارنجتين يجتلى الحسن منهما
كدمع جرى من جفن ظبى منعم
فأضحى على الخدين منه منظما

(وصنع هو هذا البيت)

وطلع على نارنجتين كأنه
دموع محب فوق خدى حبيبه

مدوّر الكعب فاتخذه * لتل غرس وتل عرش لو رمقت عينه الثريا * أخرجها في بنات نعش
وقد بالغ بعضهم في ملازمة الرقيب بقوله

أنا والحب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما اجتمعنا بحيث ان يمكن الدهـ * ـر بأني أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت الشـ * ـيخ فوافى فقات كيم الطبيب

ومن المبالغة نوع يسمى الاستظهار كقول ابن المعتز العباسي لابن طباطبا العلوي أو غيره

فانتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

فقوله المسلم استظهار لان العلوية من بني عم النبي صلى الله عليه وسلم أيضا أعني أبا طالب ومات جاهليا فكأن ابن المعتز أشار بحذقه الى ميراث الخلافة وقد أخذه ابن المعتز من قول ابن مروان بن أبي حفصة وكان شديد العداوة لآل أبي طالب حين قال مخاطبا لهم

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم * حطم المناكب يوم كل زحام * ارضوا بما قسم الاله لكم به
ودعوا وراثة كل أصيد سامي * أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثة الاعمام

وقد أخذه من مولى لتمام بن العباس بن عبد المطلب قاله لمولى من موالي النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى الحسين رضي الله عنه فقال له أنا مولاك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

جحدت بني العباس حق أبيهم * فما كنت في الدعوى كريم العواقب
متى كان أولاد البنات كوارث * يحوز ويدعى والدا في المناسب

ومثله قول الطاهر بن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس في الطالبيين

لو كان جدكم هناك وجدنا * فتنازعا فيه لوقت خصام * كان التراث لجدنا من دونه
حواه بالقربى وبالاسلام * حق البنات فريضة معلومة * والعم أولى من بني الاعمام

(ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا)

البيت من الوافر وهو لعمرو بن الأيهم التغلبي (والشاهد فيه) الاغراق وهو ادّعاء ممكن عقلا لا عادة فانه ادّعى أن جاره لا يميل عنه الى جانب الا وهو يرسل الكرامة والعطاء اليه على اثره وهذا ممكن عقلا ممتنع عادة ومن أمثلته قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالي

فان أذرعات من الشام ويثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ورؤية النار من بعد هذه المسافة لا يمتنع عقلا ويمتنع عادة ومن محاسن ما استشهدوا به على نوع الاغراق قول القائل

ولو أن ما بي من جوى وصبابة * على جمل لم يدخل النار كافر

يريد أنه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل في سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا اذ القدرة صالحة لذلك لكنه ممتنع عادة وقد تفنن الشعراء في المبالغة في النحول فمن ذلك قول المتنبي

روح تردد في مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقد أخذه من قول الآخر

برى ضنى لم يدع مني سوى شبحي * لو لم أقل ها أنا الناس لم أبن

ومثله قول بعضهم

هافانظروني سقيما بعد فرقتكم * لو لم أقل ها أنا الناس لم أبن
لو أن ابرة رفاء أكلفها * جريت في ثقبها من دقة البدن

وما ألطف قول الشيخ شرف الدين بن الفارض في هذا المعنى

كأني هلال الشك لولا تأوهي * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتي

(وفي هذه الليلة) أمطرت السماء مطرا خفيفا صقل رخام الصحن حتى لمع وجهه وتعارضت أشعة القناديل عليه فتعاطينا وصفه فصنعت

انظر الى حسن القناديل التي لاحت كشهب في متون سماء
والصحن قد أبدى شهاب شعاعه اذ صار مصقولا بقطر الماء
فكأنما هي أسطر من عسجد كتبت بظهر صحيفة بيضاء

(ثم صنع ابن الذروي)

أيا حسن جامع مصر وقد تروّى من الوابل المغدق
وضوء القناديل من فوقه كأسطر تبر على مهرق

(قال علي بن ظافر) حضرنا يوما عند الصاحب صفي الدين بالمعسكر المنصور على بلبيس عند بروز السلطان لسفرته الثانية حين حوصرت دمشق الحصار الثاني في خيمته بمجلس حفل لم يعدم فيه أحد من مشايخ الدولة ووجوهها وهم اذ ذاك متوفرون لم ينقص لهم عدد ولا فقد منهم أحد فأنشدني ابن أبي حفصة قصيدة عابثته في بعض أبياتها وارتقى الامر الى أن قال أسعد بن الخطير رحمه الله تعالى ان ههنا جماعة كلهم يقول الشعر فلو اقترح عليهم أن يصنعوا شيأ في بعض ما يقع تعيين الصاحب عليه لبان الجري ء الجنان من

ومثله قول نصر السفاقسي أذابه الحب حتى لو تمثله * بالوهم خلق لأعياهم توهمه
لولا الأنين ولوعات تحركه * لم يدره بعيان من يكلمه
ومثله قول بعضهم قد سمعتم أنينه من بعيد * فاطلبوا الشخص حيث كان الانين
وقول ابن حجة الحموي وقد تجاوز جسمي حد كل ضنى * وها أنا اليوم في الاوهام تخييل
وما أحسن قول بشار سلبت عظامي لحمها فتركتها * عواري في أجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فتركتها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري * ضنى جسدي لكنني أتستر
وليس الذي يجري من العين ماؤها * ولكنها نفس تذوب فتقطر
ومثل البيت الاخير قول ديك الجن
ليس ذا الدمع دمع عيني ولكن * هي نفس تذيبها أنفاسي
وقول ابن دريد أيضا لا تحسبي دمعي تحدر اغما * روحي جرت في دمعي المتحدر
ومن الاغراق قول أبي القاسم بن هانئ
ليس الصباح به صباحا مسفرا * وسقت شمائله السحاب سحابا
وقول المتنبي وثقنا بأن تعطي فلو لم تجد لنا * حسبناك قد أعطيت من قوة الوهم
ولم أقف على ترجمة ابن الاهتم التغلبي قائل البيت

(وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التي لم تخلق)

البيت لابي نواس من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد أولها
خلق الزمان وشرتي لم تخلق * ورميت في غرض الزمان بأفوق
تقع السهام وراءه وكأنه * أثر الخدو الف طالب لم يلحق
وأرى قواي تكاءدتها ريثة * فاذا بطشت بطشت رخو المرفق
ولقد غدوت بدستبان معلم * صخب الجلاجل في الوظيف منسق
حرص نعناه لتحسن كفه * عمل الرفيقة واستلاب الاخرق
واستمر في وصف البازي الى أن قال
هذا أمير المؤمنين انتاشني * والنفس بين مخنجر ومخنق
نفسي فداؤك يوم دابق منهما * لولا عواطف حامه لم أطلق
حرمت من لحمي عليك محللا * وجمعت من شتى الى متفرق
فاقذف برحلك في جناب خليفة * سباق غايات بها لم يسبق
الى أن قال اني حلفت عليك جهد الية * قسما بكل مقصر ومحلق
لقد اتقيت الله حق تقاته * وجهدت فيه فوق جهد المتقي
وبعده البيت وبعده وبضاعة الشعراء ان أنفقتها * نفقت وان أكسدتها لم تنفق
(والشاهد في البيت) الغلو وهو ادعاء ما لا يمكن عقلا ولا عادة فانه ادعى ان النطف غير المخلوقة تخاف من سطوته وهذا ممتنع عقلا وعادة ومن ألطف ما يحكى هنا ان العتابي الشاعر لقي أبا نواس فقال له أما استحييت من الله بقولك وأخفت أهل الشرك البيت فقال له أبو نواس وأنت ما استحييت من الله بقولك
ما زلت في غمرات الموت منطرحا * يضيق عني وسيع الرأي من حيلي
فلم تزل دائما تسعى بلطفك لي * حتى اختلست حياتي من يدي أجلي
فقال له العتابي قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل ذلك ولكنك أعددت لكل ناصح جوابا وقد استعمل أبو نواس معنى البيت ثانيا فقال من قصيدة أخرى

العاجز الجبان ومن جملة من صعنا في المجلس ممن يقول الشعر ابن سنا الملك والاسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث فاقترح الصاحب أن نعمل في منجنيق الشمعة وكان الهواء عاصفا فقلت
أرى شمعة ضمها المنجنيق
فجاءتك بالمنظر الاعجب
يجول عليها اعوار الغشاء
كما جال برق على كوكب
(وتبعني ابن شيث فقال)
وشمعة في المنجنيق وهي فيه تشرق
كأنها من تحته
شمس علاها شفق
ولم يفتح على أحد بكلمة وانتقدوا عليه تشبيهها بالشمس وقالوا النجم أليق ثم قال الصاحب فيها معنى آخر لو نظم لكان مليحا وهو أن يشبه بالروح في الجسد لان انارة الجسد واضاءته بالروح التي في باطنه فارتجلت وقلت
وشمعة في المنجنيق تلتظي وتتقد
تنير فيه مثل ما
ينير بالروح الجسد
فاستحسن الجماعة ذلك على حسب الوقت ثم بعد افتراق المجلس صنعت في الشمعة والمنجنيق وباكرت الصاحب به فأنشدته
ومجلس أنس ضم شمل جماعة
تعاطوا من الآداب خير رحيق

حتى الذي في الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان

ومن الغلو أيضا قول البحتري

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لسعى اليك المنبر

ومن هنا أخذ المتنبي قوله لو تعقل الشجر التي قابلتها * مدت محيية اليك الأغصنا

الا أن بيت البحتري أحسن وأمكن (حدث) أحمد البلاذري المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين بالله فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا ممن قال مثل قول البحتري في المتوكل ولو أن مشتاقا البيت فرجعت الى بيتي وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري فقال هات فأنشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث الي بسبعة آلاف دينار وقال اذخر هذه للحوادث بعدي ولك علي الجراية والكفاية ما دمت حيا ومنه قول أبي نواس في وصف الخمر

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

وقول الآخر أيضا منعت مهابتك القلوب كلامها * بالامر تكرهه وان لم تعلم

وقول التمار الواسطي وقيل نصر الخابز

قد كان لي فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به وذبت حتى صرت لو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

وقول كشاجم ومازال يبري جملة الجسم حبها * وينقصه حتى لطفت عن النقص

وقد ذبت حتى صرت اذا أنا جئتها * أمنت عليها أن يرى أهلها شخصي

وقول المظفر بن كيغلغ عبدك أمرضته فعده * أتلفه ان لم تكن ترده

ذاب فلو فتشت عليه * كفك في الفرش لم تجده

وقول ابن دانيال أيضا محب غدا جسمه ناحلا * يكاد لفرط الضنى أن يذوبا

ورق فلو حركته الصبا * لصار نسيما أو عادت قضيبا

ومن الغلو قول الفرزدق يمدح العذافر بن زيد

لعمرك ما الارزاق حين اكتيالها * بأكثر خيرا من خوان العذافر * ولو ضافه الدجال يلتمس القرى

وحل على خبازه بالعساكر * بعدة يأجوج ومأجوج كلهم * لأشبعهم يوما غداء العذافر

وقال بعض أهل الادب هذا طعام اتخذ في قدر القائل

وبوأت قدري موضعا فوضعتها * برابية من بين ميث وأجرع * جعلت لها هضب الرجام وطخفة

وغولا وأثافي جذرها لم ينزع * لقدر كأن الليل سحمة قعرها * ترى الفيل فيها طافيا لم يقطع

وهذه الابيات للفرزدق أيضا ومن الغلو قول ابن دريد في النحول

اني امرؤ أبقيت من جسمه * يا متلف الصب ولم يشعر صبابة لو أنها قطرة * تجول في عينك لم تقطر

وقول بعضهم أيضا ولو شئت في طي الكتاب لزرتكم * ولم تدر عني أحرف وسطور

وأزيد منه في الغلو قول أبي عثمان الخالدي

بنفسي حبيب بان صبري ببينه * وأودعني الاحزان ساعة ودعا

وأنحلني بالهجر حتى لو انني * قذى بين جفني أرمد ما توجعا

ومثله قول الوزير أبي الفضل بن العميد

فلو أن ما أبقيت من جسمي قذى * في العين لم يمنع من الاغفاء

وزاد عليه المتنبي بقوله

أراك ظننت السلك جسمي فعقته * عليك بدر عن لقاء الترائب

لدى شمعة في منجنيق غشاوه

كما أخجل التقبيل خد عشيق

ترى نارها من خلفه كبهارة

تراءت لنا من خلف ثوب شقيق

كما جليت خود بتاج ودونها

معصفر ستر للعيون رقيق

ويحكي عمودا من لجين مقمعا

بتبر بدا في وسط بيت عتيق

(قال علي بن ظافر) ومما يشبه هذا الباب وليس به ما ذكره ابن بسام في الذخيرة ورويته بالاستاذ المتقدم أن المتوكل بن الافطس كان له فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فندب المتوكل الشعراء لوصفه فصنع العجلي أبو الوليد فيه بديها

وركب المدرجوادا سابحا

تقف الريح لادنى مهله

لبس الليل قميصا سابغا

والثريا نقط في كفله

وغدير الصبح قد خيض به

فبدا تحجيله من بلله

كل مطلوب وان طالت به

رجله من اجله في اجله

(وصنع ابن اللبانة)

لله طرف جال يا ابن محمد

فجنت به حوباؤه التأميلا

لما رأى أن الظلام أديمه

أهدى لاربعه الهدى تحجيلا

وكأنما في الردف منه مباسم

تبغي هناك لرجله تقبيلا

(وقال) فيه عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة

ولوقلم ألقيت فى شق رأسه * من السقم ماغيرت من سطر كاتب

ومن الغلو المفرط قول بعضهم

غرام ووجد واشتياق وغربة * وماذاق انسان من الحب ماذقت
نحلت فلو علقت فى رجل ذرة * لطارت ولم تشعر بأنى تعلقت
ولو نمت فى جفن الذباب معترضا * من السقم لم تشعر بأنى قدنمت
ولو نفس من أنفها قدأصابنى * من الشوق أومن حر أنفاسها ذبت

ولهذه الابيات خبر غريب أحببت ذكره (حدث) الشيخ المقرى الصوفى الواعظ أبو عبد الله بن الخباز قال كنت مع جماعة من أهل التصوف بأصبهان فى رباط هناك واجتمع أصحابنا ليلة فى سماع فلما كان فى أثناء ذلك بعد مضى جزء من الليل والوقت قد طاب اذ طرق الباب طارق فخرج اليه من سمع ذلك فوجد شيخا طويل القامة عظيم الهامة على رأسه كرزية وعليه فرجية وبيده ابريق وعكاز فقال ماهذا قلنا سماع اجتمع فيه الاصحاب فقال ندخل فدخل فوجد القائل يقول

خليلى لا والله ما القلب سالم * وان ظهرت منى شمائل صاحى
والا فمالى ولم أشهد الوغى * أبيت كأنى مثخن بجراح

فرمى للمنشد ما كان على رأسه ثم قال له قل فقال

يابانة الجزع لولا رنة الحادى * لما تنقلت من واد الى واد
ولا سلكت بنعمان الاراك ولا * شربت ماء به يانهلة الصادى

ثم قال أيضا

كرر على حديثهم ياحادى * فحديثهم يطفى لهيب فؤادى
كرر على حديثهم فلربما * لان الحديد لضربة الحداد

فنزع فرجيته وبقى الشيخ عريانا وقال قل فقال الابيات السابقة قال الشيخ أبو عبد الله بن الخباز فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشهق شهقة قوية وخرجت روحه رحمة الله عليه ولما أصبح الصباح وطلع النهار غسلناه وكفناه وجهزناه الى حفرته وتركناه فى عظيم رتبته (ونظير ذلك) ماحكاه بعض أهل دمشق قال قال شخص من الفقراء لآخر انى أحب اليوم أن تجتمع وأغنى لكم قال فاجتمعوا فغنى لهم

سلى نجوم السما ياطلعة القمر * عن مدمعى كيف يدمى فيك بالسهر
ايه بعيشك ماذا أنت صانعة * من الجميل فهذا آخر العمر

ثم شهق ومات رحمه الله تعالى (ومثل ذلك) مارواه ابن القماح قال سمعت الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يذكر فى مجلس درسه بجامع ابن طولون أنه حضر سماعا وكان هناك فقير فغنى مغن بأبيات ابن الخياط الدمشقى وهى

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه * فقد كاد رياها يطير بلبه
واياكما ذاك النسيم فانه * اذا هب كان الموت أيسر خطبه
أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه
وفى الركب مطوى الضلوع على جوى * متى يدعه داعى الغرام يلبه

قال فقال ذلك الفقير لبيك ورفع رأسه فاذا هو ميت رحمه الله ونفعنا به (ولنرجع) الى ذكر الغلو ومراتبه تتفاوت الى أن تؤل بقائلها الى الكفر والعياذ بالله تعالى فمن ذلك قول ابن دريد فى المقصورة

مارست من لو هوت الافلاك من * جوانب الجو عليه ماشكا

قيل لاجل ادعائه فى هذا البيت ابتلاه الله بمرض كان يخاف فيه من الذباب أن يقع عليه ومنه قوله أيضا

ولو حمى المقدور منه مهجة * لرامها او يستبيح ماحمى
تغدو المنايا طائعات أمره * ترضى الذى يرضى وتأبى ماأبى

ومنه قول أبى الطيب المتنبى

وكأنما عمر على صهواته
قمر تسير به الرياح الاربع
(وأخبرنى) بعض أصحابنا أن نشو الملك بن المنجم المقدم ذكره دخل مجالس القاضى الاجل الفاضل رحمه الله تعالى فأنشده لنفسه فى محبرة القلم

محبرة نهارها
يجن ليل الظلم
كأنها قد خلقت
منديل كم القلم

(ثم) أمره بالعمل فيها فصنع بديها

وآلة تضمر النهار فما
تبديه الالوافد الظلم
تردع فيها الاقلام فضلة ما
تنفقه فى مصالح الامم

وقد وقف القاضى الفاضل على هذه الحكاية فى نسخة كان استنسخها من هذا الكتاب وهو يومئذ رسالة لاتتجاوز عشرة كراريس لطاف فلم ينكرها (وأخبرنى) صاحبنا فخر القضاة أبو الفرج نصر الله ابن القاضى عز القضاة أبى العز هبة الله بن بصاقة الكاتب المعظمى قال ضرط بعض أصحابنا ونحن مجتمعون فى العسكر فى بعض منازلات الفرنج وتبعه آخر فصنع بعضنا فى الاول وصنع بعضنا فيهما جميعا فصنع بهاء الدين على بن الساعاتى بديها فى الاول

كأنى دحوت الارض من خبرتى بها * وكان بنا الاسكندر السدّ من عزمى

وقوله أيضا

لو كان ذو القرنين اعمل رأيه * لما أتى الظلمات صرن شموسا

أو كان صادف رأس عازر سيفه * فى يوم معركة لأعيى عيسى

أو كان لج البحر مثل يمينه * ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله أيضا

يترشفن من فى رشفات * هنّ فيه أحلى من التوحيد

وقال بعض من اعتذر للمتنبى ان المراد بالتوحيد هنا نوع من التمر وبعض أصلح البيت فقال هنّ فيه حلاوة التوحيد ومنه قول الوزير أبى القاسم المغربى

قارعت الايام منى امرأ * قد علق المجد بأمراسه

تستنزل الرزق بأقدامه * وتستمدّ العز من باسه

أروع لا ينحط عن تيهه * والسيف مسلول على راسه

ومن الغلوّ القبيح قول عضد الدولة بن بويه

ليس شرب الكأس الا فى المطر * وغناء من جوار فى السحر

غانيات سالبات للنهى * ناغمات من تضاعيف الوتر

مبرزات الكأس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

يروى أنه لم يفلح بعد هذا القول وأخذته علة الصرع ودخل فى غمرات الموت فكان لا ينطق الا بقوله تعالى ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه والمتساهلون فى هذا النوع كثيرون كأبى نواس وابن هانئ الاندلسى والمتنبى وأبى العلاء المعرى وغيرهم من المتأخرين كابن النبيه ومن جرى مجراه والاضراب عن ذكر ذلك أنسب والله أعلم

﴿ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله ﴾

عقدت سنابكها عليها عثيرا * لو تبتغى عنقا عليه أمكنا

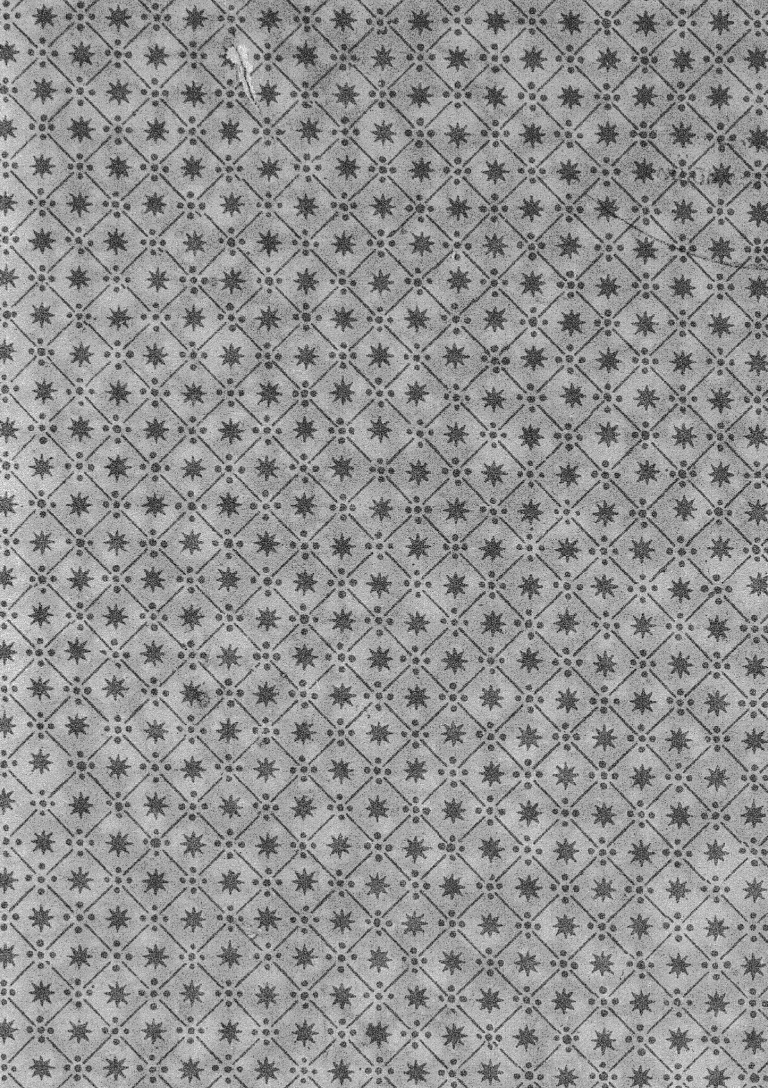


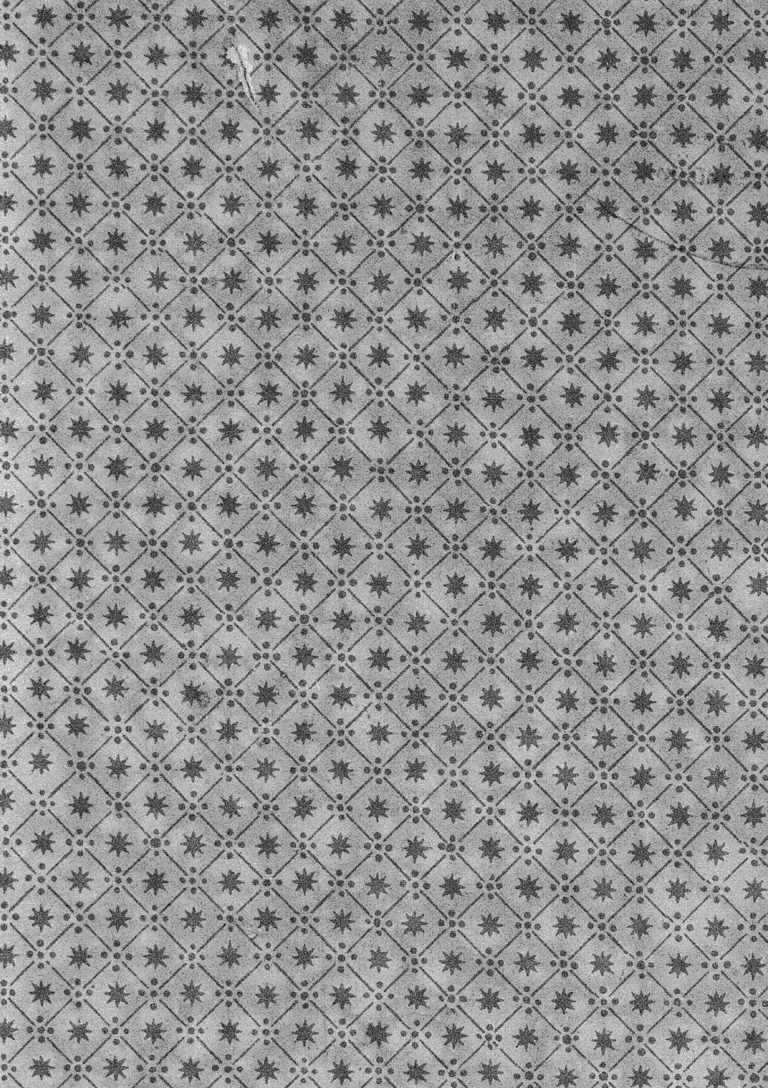
(طبع فى صحيفة ٢٧ علم البيان وصوابه علم المعانى)

يا من صبوت الى محا
سنه وأصل الحب صبوه
ان كنت خنتك فى الهوى
ما بين يوم نوى ونبوه
فبليت منك بكل ما
أخشاه من صدّ وجفوه
أوشاع سرّى فى الانا
م كضرطة الشرف بن عروه
(وصنع المولى الملك المعظم)
الشرف ابن عروة
تحللت عروته
أحمق من ضراطه
تعلمت بغلته
(قال) ولما ضرط الآخر قلت
رأيت ابن عروة يتلو الطهير
وقد ضرط الاشتداد الجزع
فقلت أللخوف هذا الضراط
كأن فؤادكما ينتزع
فقال الا اذا همت غارة
فلا بدّ من ضرب بوق الفزع
(وصنع) فيهما شمس الدين
اسمعيل بن منكورس وكان
ربما عبث بالبيت أو البيتين
قد ضرط الفسلان يوم النوى
عند اشتداد الضنك والضيق
فقلت من عظم ضراطيهما
لا بدّ للحرب من البوق

فهرست الجزء الاول من كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص

تمت






Bibliotheca Alexandrina
0355188